وزارة التّعليـم العالــي والبحـث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الرحلات الاستطلاعية للأوربيين خلال العهد العثماني ودورها في التمهيد لاحتلال الجزائر
(خلال القرنين 18-19م)

أطـروحة مُقدّمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (L M D) في التّاريخ

تخصّص: تاريخ بلاد المغرب الحديث

إعداد الطّالبة :
حـواء حنكـة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد القـادر كركـار

أعضاء لجنة المناقشة

الاسـم واللقب	الرّتبـة	مؤسّسـة الانتمـاء	الصّفــة
رضـوان شافــو	أستاذ التّعليم العالي	جامعـة الوادي	رئيساً
عبد القادر كركار	أستاذ التّعليم العالي	جامعـة الوادي	مشرفاً ومقرّراً
محمود آيت مدّور	أستاذ التّعليم العالي	جامعـة بجايـة	مناقشًا
دحمـان تواتـي	أستاذ محاضر-أ-	المركز الجامعي تيبازة	مناقشًا
محـمد حنــاي	أستاذ محاضر-أ-	جامعـة الـوادي	مناقشًا
علــي شعــوة	أستاذ محاضر -أ-	جامعـة الـوادي	مناقشًا

السّنة الجامعية : 1445هـ/2023- 2024م

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَرفَعِ اللهُ الذِّينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والذِّينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرجَات وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة (11)

إهـــــداء

إلى والدي الذّي عاش يتيمًا، ولم يشعر باليُتم إلاّ حين ماتت أمي.

إلى زوجي الذّي استقبلني في عوالمه كطفلة بكلّ رحابة ومحبّة.

إلى أطفالي الخمسة الذّين ملأوا حياتي صخبًا، وأضْفَوا عليها الكثير من السّكر.

إلى الدّاعمين لي دوما، إخوتي وأخواتي الثلاث عشر.

وإلى كلّ الرحالة الذين تكبّدوا مشاقّ السّفر؛ خدمةً للوطن والعلم والمعرفة.

أُهْدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

حـواء حنكـة

شكـــر وتقديـــر

بادئ بدءٍ الشّكر كلّه والفضل **لله** العليّ القدير، الذي منّ علي بجزيل توفيقه لإتمام هذه الأطروحة، إذِ الفضل منه وإليه سُبحانه الواسع العليم.

أتوجّه بخالص الشّكر وعظيم التّقدير للأستاذ الدكتور الفاضل **عبد القادر كركار** لتفضّله بقبول الإشراف عليّ، وكان لتوجيهاته وإرشاداته القيّمة الأثَر الطيّب، ليكون العمل على هذه الشّاكلة، شاكرة له جُهده وصبره وسِعة صدره، نسأل الله له المثوبة والأجر، وله منّي وافر الاحترام وعظيمِ الامتنان.

كما أتوجّه بالشّكر للدكاترة الأجلاّء أعضاء **اللجنة المناقشة**، الذين تفضّلوا بقبول مناقشة أطروحتي، وممتنّة جدّا لمَا سيقدّمونه من ملاحظات ثرّة، تُنير البحث، وتُبرز محاسنه ومثَالبه.

الشّكر موصول لكلّ أساتذة **قسم التاريخ** بجامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي، دون أن يفوتني الامتنان والشّكر العميقين، لكلّ من مدّ لي يد العون، وفتحَ لي رؤىً وزوايا في البحث، سواءً بالكتب أو بالحِوار الجادّ البنّاء، أختصّ بالذّكر الدكاترة الأفاضل على اختلاف درجاتهم العلمية: **نجوى طوبال، عاشوري قمعون، محمد حناي، موسى بن موسى**، وتقدير عظيم وكبير للدكتور **محمد حركات**، والدكتور **حسن حسين الأقرع** بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة.

أسأل الله التوفيق والسّداد، فإن أصبتُ فذلك من فضل الله عليّ، وإن أخطأتُ فمن نفسي.

{وصلّ الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين}

قائمة المختصرات

العربيـــة

ط خ	طبعة خاصة
ط م	طبعة منقحة
د. د. ن	دون دار نشر
د. س. ن	دون سنة نشر
تع	تعريب
تعل	تعليق
تح	تحقيق
تص	تصدير
تخ	تخصص
جم	جمع
ش. و. ن. ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
م. و.ج	المكتبة الوطنية الجزائرية

Les Abréviations:

Tome	T
Ouvrage précédemment cité	Op. cit
Traduction	Tr
Volume	Vol
Volume Récapitulatif	Vol.R
Livraison	Livr
Préface	Préf
Publication	Pub
San date éditer	s.d.é
San maison éditer	s.m.é
Revue Francaise	R.F
Annales. Economies, Sociétés, Civilisations	A.E.S.C
Bulletin de Correspondance Hellénique	B.C.H
Libraire de la Société des Gens de Lettres	L.S.G.L
Institut de Recherche sur le Maghreb	I.R.M
Académie des Inscriptions	A. In
Revue Humanité Midéteranuim	R.H.M
Revue de l'Occident Musluman et Médétiranné	R.O.M.M
Histoire Archeology Méditerranéennes	H.A.M

مقدمـــــة

عرَف الإنسان الرّحلة منذ القِدم، بحثًا عن الضّروريات الحياتيَة لأجل بقاءِه، وما إن تنَاسلت المجتمعات وتكاثَرت، وتطوَرت أنظمتها وقوانينها، واتّسعت نظرتها خارج حدودها، وتزايدت أطماعها ورغبتها في امتلاك ما عند الآخر؛ حتّى اختلفت مسبَبات الرحلة وأهدافها، وبات للرَّحلة أنواع، منها: ما هي بدافع التِّرحال والاستطلاع المبنيّ على طلب العلم والمعرفة ورصد حياة الشُّعوب والأُمم لأجل تدَارس واقعها، وفهم أنماط عيْشها، وخلْق روابط التَّواصل معها والتَّقرُّب منها، ومنها: ما هي بدافع الاستطلاع والتَّجسُّسِ ومعرفة نِقاط ضُعف الآخر، لتَحيُّن الفرص، والوثوب عليه، وإفقاده سيادته واستقلاله، واستغلال خيراته.

هذا عينُ ما وقَع مع الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبيَّة الوافدة إلى الجزائر، التي أرْسلت خلال القرنين18م و19م، الْذَيْنِ تميّزا ببروز القوَّة الأوروبيَّة الباحثة عن مصادر الثّروة والغنَى خارج قارّتها، فسَعت من خلال هذه الآليَّة التّي كان من وسائلها: رجالُ دينٍ، وقناصل، وتجارٍ، ورحالة... لِاكتشاف واسْتكشاف الواقع الجزائري، ورصد نقاط ضعفه، حتّى يَسْهل أخيرًا احتلاله.

أولاً- التَّعريف بموضوع البحث

إنّ توافُد الرّحالة الأوروبّيّين إلى الجزائر لم يكن اعتباطيًا، بل كان نتيجة توافق لعديدِ من الأسباب والظُّروف، أوَّلها: انضواء« المغرب الأوسط» تحت الرَّاية العثمانيَّة أقوى الدّول في العصر الحديث، وثانيها: قوَّة الأسطول البحري لإيالة الجزائر، الذّي بات يُهدِّد مصالح الدُّول الأوروبيَّة في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسّط، وحتى تُكسر شوكة هذه القوَّة النَّاشئة؛ باشرت الدُّول الأوروبيَّة وعلى رأسها فرنسا، بإرسال رحَّالة ضمن وفود معاهدات الصُّلح وتحرير الأسرى لاستطلاع أوضاع الجزائر، مُحاولةً منها للتَّقرب من الآخر (الجزائري) والتَّعرُّف عليه، على اعتبار أنَّ واقع الجزائر الدَّاخلي كان يشكّل نقطة استفهام

بالنَّسبة للأوروبّيّين، وخاصة الفرنسيين، وثانيها: الحصول على معلومات حتى يَسهُل السَّيطرة عليها.

ومع التطوّر الذّي غزا كلّ مجالات الحياة في أوروبا، والذّي طال الرَّحَّالة وتخصُّصهم العلمي ضمن متطلبّات الفترة؛ باتت الرَّحلات الاستطلاعيَّة أكثر دقّة في موضوعاتها، وأكبر شساعة في تنقّلاتها، فبعدما كانت تقتصر على السَّواحل، توغّلت حتّى المناطق الدَّاخليَّة ودوَّن أصحابها مؤلَّفات ومذكَّرات وكتبوا رسائل حولها، هذه المعارف والمعلومات التّي اختلفت في موضوعاتها، إذْ اهتمَّت بالجانب الطَّبيعي والجغرافي والتَّاريخي، وكشفت عن الثَّروات التي تزخر بها الجزائر إلى جانب موقعها الاستراتيجي، جميعها كانت سببًا في تأجيج الرَّغبة في الحصول عليها، فتقاطرت الحملات الأوروبيَّة، وازدادت الرَّحلات الاستطلاعيَّة خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر الميلاديين، ومع تطوُّر الجغرافيا ونموّ الفكر الاستعماري، باتت الرَّحلات ضرورة حتميّة لمعرفة المناطق الأكثر ملاءمةً لغزوٍ ناجح.

لقد كانت فرنسا من ضمن الدُّول الطَّامعة في الجزائر منذ **عهد نابليون**، الذي كان حلمه جعل الحوض الغربي للبحر المتوسّط« بحيرة فرنسيَّة»، وقد سَعوا طيلة التَّواجد العثماني بالجزائر إلى عقد الاتفاقيات والمعاهدات، والاستفادة من الامتيازات التِّجاريَّة، وصولاً إلى قضيَّة القمح والدُّيون المترتّبة عليه، والتّي أفْضت لحادثة المروحة والحصار البحري، ثُمَّ التَّدخّل العسكري.

طيلة القرون الثَّلاثة؛ كانت فرنسا أكثر الدُّول إيفادًا للرَّحلات الاستطلاعيَّة، والتي أخذت منحًا آخر مع مرور الوقت، إذ بدأت استطلاعيَّة وانتهت تَجسُّسيَّة(قائمة على بناء المشاريع الاستعماريَّة)، وقد استفادت من جميع المعلومات التي كانت تعجُّ بها الرَّسائل والتَّقارير والمذكِّرات... في مشروعها الاستعماري الاستيطاني وغزوها لمدينة الجزائر عام 1830م.

وهذا ما سأعالجه في أطروحتي الموسومة:

الرحلات الاستطلاعية للأوروبيين خلال العهد العثماني ودورها في التمهيد لاحتلال الجزائر(خلال القرنين 18-19م)

ثانياً- دواعي اختيار الدِّراسة

كان اهتمامي بموضوع الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبِّيَّة، ناتجاً عن أسباب ذاتيَّة وأخرى موضوعيَّة أُشير إليها فيما يلي:

- **الأسباب الذَّاتية:**

- الاهتمام الشَّخصيَّ بالبحث في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانيَّة.

- تسليط الضُّوء على الرَّحلات الاستطلاعية الأوروبِّيَّة الوافدة للجزائر خلال القرنين18م و19م، والتي تَباينت أهدافها بين جانب معلوماتي تاريخي، خصوصا مع قلّة المصادر المحلِّيَّة(هذه النّدرة التي نأمل كما تأمّل الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بأنّ معظم الشعوب بدأت في استعادة تاريخها وفق معطيات حضارية كانت غائبة في مرحلة سابقة عن المؤرّخ، ونرجوا أن نسير على خطاها)، وثانيًا: الكشف عن الجانب المعلوماتي الاستعماري للدُّول المُرْسِلة، لأجل المعرفة الدّقيقة للطّرق التي تمّت بها السَّيطرة على الجزائر.

- المُساهمة بالكتابة حول موضوع الرَّحلات الاستطلاعيَّة الذي لازالت مُعظم جوانبه تحتاج للدِّراسة، خصوصًا دور هذه الرَّحلات في تحقيق مشروع الحملة الفرنسيَّة لغزو مدينة الجزائر من جهة، وفي التَّمهيد للغزو الاستعماري ككلّ.

- تشجيع الأستاذ المشرف لِطرق هذا الموضوع، إسهامًا للبحث في ثناياه، وتبيانًا للعلاقة بين الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبِّيَّة واحتلال مدينة الجزائر.

- **الأسباب الموضوعية:**

– فهم موضوع الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبّيَّة، وكيف تمَّ تسخير نتائج هذه الرحلات في بناء المشاريع الاستعماريَّة، ومقاربته مُقاربة تاريخيَّة موضوعيَّة في حدود اطّلاعي، تشتمل على كيفيَّة تشكُّل الرِّحلة، وهدفها، وخطّ سيرها، وعملها، ونتاجها المعلوماتي.

– قلّة الدِّراسات الأكاديميَّة التَّاريخيَّة حول ما قامت به الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبّيَّة من أدوار في احتلال الجزائر، ودعم المشروع الاستعماري الأوروبّيّ.

ثالثاً– أهداف الدِّراسة

أتطلّع من وراء هذه الدِّراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أوجزها فيما يلي:

– المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، والتَّعرّف على أغلب الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبّيَّة خلال القرنين(18–19)م، وتتبّع الجانب المعلوماتي والإخباري الذي تزخر به.

– التَّأكيد على الجانب الاستعماري الذّي يكمن خلف توافد الرَّحَّالة، وتبيان أنَّ جميع الرَّحلات سواءً كانت رحلات الاستطلاع العلمي، أو التي كانت ضمن وفود التَّفاوض وإبرام المعاهدات؛ لم تكن لأجل المعرفة فحسب، وإنَّما لأجل مشروع استعماري ضخم، ساهمت الرَّحلات فيه بشكل كبير.

رابعًا– الإطار الزّمكاني للدراسة

بما أنَّ الحكم العثمانيَّ في الجزائر قد جاوز الثَّلاثة قرون، فإنّ الرَّحلات الأوروبّيَّة الاستطلاعيَّة الوافدة إليها، قد تغيَّرت أهدافها على حسب الفترة التي قامت فيها، والسّبب عائد أولا إلى التغيُّر الحاصل في الفكر الإنساني عند الفرد الأوروبّي، الذي عاصر العديد من التَّطوُّرات والتَّحوُّلات في بيئته، بدءًا من عصر النَّهضة، وصولا إلى عصر الثَّورة العلمية والفكرية، التي اشتدَّ فيها التَّنافس الاستعماري ، فالرحلات التي كانت في القرنين(16–17)م تختلف كليّا عن لاحقِتها من القرون.

وحتّى نكون ضمن الإطار الصَحيح لموضوع الدراسة، ركّزنا في موضوعنا على رحلات القرنين (18– 19)م، التي أصبحت فيها الرَّحلات الاستطلاعيَّة حمَّالة لأهدافٍ استعماريَّة، وتبيان مدى مساهمتها في التَّمهيد لاحتلال الجزائر، لأنَّ هذين القرنين ورغم اختلافهما من حيث طبيعة الرَّحلات ودوافع توافد أصحابها؛ إلا أنّهم كانوا أرضيَّة الحملة العسكريَّة الفرنسيَّة على الجزائر عام 1830م، ومركز معلوماتها.

كما أنّ رحَّالة القرن الثَّامن عشر، الذين أرسلوا ضمن رحلات الاستكشاف العلمي، الشَّغوفين بالتَّاريخ الطَّبيعي وجمع الآثار الرُّومانيَّة، والذين قدَّموا مؤلَّفات أشبه بالموسوعات، تزخر بالعديد من العلوم والمعارف، رغم اختلافهم عن رحَّالة القرن التَّاسع عشر في التَّخصُّص، وفي الهدف الأساسي الذي يأتي منذ البداية ضمن هدف الاستطلاع لأجل الغزو؛ لكنّ فرنسا ارتكزت على المعلومات الواردة في كِلا القرنين، بل إنَّ رحَّالي القرن التَّاسع عشر لم يزوروا الجزائر؛ إلَّا وهم متشبِّعون بالمعلومات والتَّقارير والرَّسائل والمذكِّرات التي خلَّفها سابقوهم في الرِّحلة.

لهذا فالإطار الزَّماني الذي تطرّقنا إليه داخل متن الموضوع، حدَّدناه من (1700 – 1830)م ، لهذا ستكون الفترة التي سنختصُّها بالدِّراسة هي القرن 18م والعقود الثَّلاثة الأولى من القرن 19م، أيّ الفترة (1700 – 1830)م.

أمَّا الإطار المكاني فهو منطقة توافُد الرَّحَّالة الأوروبِّيّين، وهي «الجزائر» وجميع مناطقها.

خامساً– إشكاليَّة الدِّراسة

تتمثَّل إشكاليَّة الدِّراسة (البحث) المُثارة في هذه الدِّراسة التَّاريخيَّة كالتَّالي: **كيف سخَّر الأوروبِّيُّون عموماً والفرنسيُّون خصوصاً نتائج الرَّحلات الاستطلاعيَّة خلال القرنين18م و19م في احتلال مدينة الجزائر؟**

مع طرح عدَّة تساؤلات فرعيَّة تمكِّننا من الإجابة على الإشكاليَّة وهي:

- ما هي الأوضاع والظُّروف في أوروبا التي ساهمت في التَّوجّه خارج حدود القارة؟
- فيمَ تمثَّلت العوامل والظُّروف التي جعلت من الجزائر قوَّة إقليميَّة تهابها الدُّول الأوروبِّيَّة؟
- ماهي أهم الرَّحلات الاستطلاعيَّة للأوروبِّيين خلال العصر الحديث الأوَّل(القرنين 16م و17م)، وما مدى اختلافها عن رحلات القرنين (18م –19)م.
- ما مدى أهمِّيَّة المعلومات التي زخرت بها الرَّحلات الاستطلاعيَّة خلال القرنين 18م و19م الموجّهة نحو الجزائر؟ وكيف تطوّرت إلى عمل استخباراتي؟
- ما مدى مساهمة الرَّحلات الاستطلاعيَّة للأوروبِّيّين خلال القرنين(18– 19)م، في الإثراء المعلوماتي للمشروع الاستعماري الفرنسي عام 1830م.

سادساً– مناهج الدِّراسة

للإجابة عن الإشكاليَّة المطروحة، اعتمدت في الدّراسة على **المنهج التَّاريخي** الذي يتلائم مع إنجاز الدّراسات والبحوث التّاريخية، وتقنياته التي استخدمتها تتّضح من خلال تحديد إشكالية الدّراسة، ثمّ جمع المادة العلمية والتأكّد من صحّتها وصدقها، وترتيبها وفق ما تقتضيه خطّة العمل، ثمّ استغلال ما تمّ جمعه من المادّة العلمية في بناء فصُول الدّراسة.

كما استعنت بآلياته: **المنهج الوصفي** الذّي يعتمد على وصْف الأحداث التّاريخية، ممّا يساهم في تقديم نظرة واقعية وقريبة عنها، ويبرز استخدامي لهذا المنهج أكثر، حين التعرّض لوصف مُجريات تطوُّرات الرِّحلة عبر العصور، وكذا تتبّع المناطق التي زارها الرحالة والأوصاف التي كُتبت عنها.

أمّا **المنهج الاستقرائي** فقد كان له في هذه الدّراسة نصيبٌ وافر، فبفضله تمكّنت من الوقوف على تحليل المواقف من أجل فهم مكوِّنات الرِّحلة الأوروبِّيَّة وأنواعها، وإسقاط نتائجها على الرِّحلة الاستطلاعيَّة.

أمَّا **المنهج المقارن** فقد استخدمته في مقارنة طبيعة الرَّحلات وحمولاتها من القرن السَّادس عشر وصولا إلى القرن التَّاسع عشر، وكيف أسهمت في التَّمهيد لاحتلال مدينة الجزائر، أمَّا التَّحليل فهو الصِّفة اللازمة في كلّ موضوع الدِّراسة.

سابعاً- الدِّراسات السَّابقة

فيما يخصُّ المادّة العلميَّة لبحثنا، اعتمدت على مادّة علميَّة مُعتبرة، سبَق وأن تحدَّثت عن الرِّحلة الأوروبيَّة للجزائر، ولا أدّعي السَّبق في دراسة موضوع الرَّحلات الأوروبِّيَّة نحو الجزائر، فالدُّكتور **ناصر الدين سعيدوني** قد أجرى دراسة شاملة، لجميع الرّحلات الاستكشافية الوافدة للجزائر خلال الفترة العثمانيَّة، مع اختلاف الطَّابع الذي اتّسمت به الرِّحلة، وله مقال في مجلَّة« قضايا تاريخيَّة»، المجلد 04، العدد1، الصادر في أوت2016م، بعنوان: **الرَّحلات الاستكشافيَّة الأوروبِّيَّة مقاربة حضاريَّة**، وكتاب « صورة الجزائر في عيون الرَّحَّالة وكتابات الغربيّين» للدكتور **حفناوي بعلي**، والصّادر عن دار اليازوري عام 2022م، الذي تحدَّث فيه بإطناب عن الرَّحَّالة الأوروبِّيّين الذين قدموا إلى الجزائر، وكتاب« الجواسيس الفرنسيون في الجزائر(1782-1830)م» للدكتور **فريد بنور** رحمه الله، الصّادر عن دار الواحة للكتاب عام 2009م، والذي تحدّث فيه عن أغلب رحاليّ العقود الثلاثة الأولى من القرن 19م، على اعتبار أنّهم جواسيس، وبيّن مشاريعهم الاحتلالية، والذين خصّصتهم بالدّراسة.

لكن لي السَّبق في التعرّض لجزئية« مساهمة الرِّحلة خلال القرنين 18م و19م في تحقيق المشروع الاستعماري الفرنسي الذي تمَّ تنفيذه عام 1830م» بشكل أعمق وأكثَر تفصيلاً، فخلال بحثي لم أعثر على دراسات اهتمَّت بهذا الجانب(أقصد التركيز على القرنين18م و19م)، إلَّا القليل والبعض كشذرات أو جمل قصيرة متفرِّقة، ومن أهمّ الدّراسات:

- **مصادر الرَّحالة المنشورة والمُترجمة:**

– الرّحالة الإسباني **مارمول كاربخال** ومُؤلّفه « إفريقيا» الذّي نقله إلى العربية **محمد حجي** وآخرون، تحدّث فيه عن رحلته إلى الجزائر، آخِذا في وصْف مَناطقها ومناخها ونباتَاتها ومِياهها.

– الرّحالة الألماني **جوهان أرنست هابنشترايت** ومؤلّفه« رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ– 1732م)» المنشور باللّغة الفرنسية، والذّي ترجمه الدكتور **ناصر الدين سعيدوني** تحت عنوان« رحلة العالم الألماني ج.أ.هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ– 1732م) ».

– الرّحالة الفرنسي **جون أندري بايسونال** ومؤلّفه« رحلة إلى إيالتي تونس والجزائر» (Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger)، والذي ترجمه الدكتور **لخضر بوطبة.**

– الرّحالة الفرنسي **فونتير دي بارادي** وكتابه« الجزائر خلال القرن الثامن عشر» (Alger au XVIIIe Siècle) والذي ترجمه الدكتور **لخضر بوطبة.**

– القسّ **بواري** وكتابه« رحلة إلى بلاد البربر» (Voyage en Barbarie) المنشور باللغة الفرنسية، تحدّث فيه الرَّحَّالة عن زيارته للجزائر وخصوصا رحلته إلى العرب البدو.

- **الأطروحات الجامعية:**

هناك العديد من الأطروحات التّي تناولت بعض أجزاءٍ من الدّراسة:

– أطروحة الدُّكتوراه الموسومة بـ:« الصّورة السّياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني (1518–1830)م من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدّين الكتابات الفرنسية والإسبانية أنموذجا» لصاحبها **حمدون بن عتو**، نُوقشت بجامعة سيدي

بلعباس عام 2017م، وهي دراسة تصبُّ في الموضوع حيث غطَّت كامل الفترة العثمانيَّة، إلَّا أنَّها اقتصَرت على المصَادر الفرنسيَّة والإسبانيَّة فقط.

- أطروحة الدُّكتوراه الموسومة بـ:« السّلطة والمجتمع الجزائري نهاية القرن18م وبداية القرن19م من خلال المصادر الأوروبية» لصاحبتها **عبلة صغير**، نُوقشت بجامعة أحمد بن بلّة في وهران عام 2021م، استعنتُ بهذه الاطروحة كثيراً في التَّعرُّف على الرَّحَّالة الأوروبِّيِّين خلال العهد العثماني، ومن حسنات هذه الأطروحة عليّ، أنَّها قسَّمت الرَّحَّالة حسب كلِّ قرن على حدة.

- أطروحة الدُّكتوراه الموسومة بـ:« الحياة الحضريَّة في مدينة الجزائر من خلال مصادر الرَّحلة» لصاحبها **فاتح بلعمري**، نُوقشت بجامعة قسنطينة عام 2017م، استعان فيها بجملة من الرَّحلات الأوروبِّيَّة التي تطرَّقت إلى الحياة الحضريَّة بمدينة الجزائر، حيث قام بتصنيف هذه الرَّحلات إلى رحلات استكشافيَّة، رحلات الجوسسة، والرَّحلات الدِّبلوماسيَّة... فسهَّل عليّ أيضاً مهمَّة الاهتداء إلى الرَّحلات الأوروبِّيَّة، والتي تشكِّل جزءًا مهمًّا من المصادر التّي تخدم موضوعنا.

- أطروحة الدُّكتوراه الموسومة بـ:« الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدَّايات (1671- 1830)م» لصاحبها **بلقاسم قرباش**، نُوقشت بجامعة معسكر عام 2016م، اعتمد فيها على جملة من المصادر الأجنبيَّة التي أثْرت الدِّراسة، وما ميَّزها عن باقي الدِّراسات التَّاريخيَّة أنَّها اعتمدت على المصادر الإنجليزيَّة والأمريكيَّة، على غير عادة أغلب الدِّراسات التَّاريخيَّة الكلاسيكيَّة التّي تحصُر الدِّراسات الأجنبيَّة في المصادر الفرنسيَّة بالدَّرجة الأولى، وقد تمكَّنا بفضل الله، ثمّ هذه الأطروحة، من التَّعرف على بعض المصادر الإنجليزيَّة.

- أطروحة الدُّكتوراه الموسومة بـ:« الأوضاع الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة ببوادي الجزائر العثمانيَّة من خلال كتب الرَّحلات»، لصاحبتها **سعاد آل سيد الشَّيخ**، نُوقشت بجامعة أحمد

بن بلّه بوهران عام 2019م، خَصَّصت هذه الدِّراسة الفصل الثَّاني منها للحديث عن الرَّحلات الأوروبِّيَّة الوافدة إلى الجزائر.

- **المقالات:** هناك بعض المقالات التّي سبقتنا لدراسة جزئيَّة في موضوع الدِّراسة منها

  - **العربية**

– **فاطمة الزهرة تدرس**« دراسة تحليلية لناصر الدين سعيدوني في رحلة الطبيب وعالم النبات الألماني ج.أو.هابنسترايت (J.E.Hebenstreit) إلى الجزائر عام 1732م»، حلّلت الباحثة جميع ما جاء في رحلة هابنشترايت، وهذا يسّر لنا كثيرا التعرّف على رحلة هذا العالم الألماني، بشكل أعمق وأكثرَ تفصيلاً.

– **عائشة غطاس**« نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربيَّة لسياسة الجزائر الخارجيَّة خلال العهد العثماني»، قامت الدكتورة الباحثة رحمها الله، بتقييمها لنماذج من رحلات القرن 18م و19م، وهو ما ساعدنا في بعض حيثيّات الفصل الثاني.

– **فوزية لزغم**« الأطبّاء الأوروبِّيُّون بالجزائر خلال العهد العثماني». تناولت الباحثة في هذا المقال، جزئيّة أهمّية التّخصص في تيسير عمل الرحالة، التي استخدمناها في الفصل الأول والثاني.

– **محمد بوشنافي**« ظاهرة الصِّراع والاغتيالات السِّياسية بالجزائر أثناء العهد العثماني (1520–1830)م من خلال المصادر الأجنبيَّة». اعتمد الباحث في هذا المقال على كتابات الرّحالة حول الواقع الجزائري، كما تناول السّير الذّاتية لأغلب من تمّ ذكرهم في الدّراسة.

– **بلقاسم قرباش**« تاريخ الجزائر العثمانيَّة في الكتابات الإنجليزيَّة»، تناول الدكتور الباحث في هذا المقال بعضًا من المؤلّفات التّي كتبها الرحالة، وهذا يَسّر لنا البحث، خصوصًا فيما تعلّق برحّالة القرن 18م.

- **حسان كشرود** « بايلك الشَّرق دراسة طبيعيَّة وزراعيَّة من خلال الرَّحَّالين بايسونال ودي فونتين والدكتور توماس شو»، تناول الباحث في هذا المقال، التّاريخ الطبيعي الذّي اهتمّ به بعض من رحالة القرن 18م، وقد استعنّا به في الفصل الثالث من الدّراسة.

- **الأجنبية**

- Thomson Ann RAYNAL, **Venture de Paradis et la Barbarie**, Dix-Huitième Siècle, N°15, 1983.

استطاع الباحث في هذا المقال، منح قراءة جيّدة لرحلة فونتير دي باراداي إلى بلاد البربر، وقد استعنّا به في الفصل الثاني من الدّراسة

- Federico CRESTI, **Déscription et Iconographie de la ville d'Alger au XVIe siècle**, R.O.M.M, N°43, 1984.

تناول الباحث في هذا المقال، وصفًا لأهمّية مدن الجزائر، من خلال ما كتبه بعض من رحالة القرنين (16-17)م، استعنّا به في الفصل الأوّل من الدّراسة

- Daniel NORDMAN, **Jean-André Peyssonnel, Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger** , A, E. S.V, 43e Année, N° 6, 1988.

اعتمد الباحث في هذا المقال، على وصف رحلة جون أندري بايسونال من خلال مؤلّفه «رحلة إلى إيالتي تونس والجزائر»، استعنّا به في الفصل الثّاني من الدّراسة

- **نقد المصادر والمراجع**

حسبَ ما سَلف ذكره، فقد اعتمدت في دراستي على عدد من المصادر والمراجع والأطروحات والمقالات التي أثْرت موضوعنا، وكانت في أغلبها قد تحدَّثت عن الرَّحلات الاستطلاعيَّة الأوروبّيَّة نحو الجزائر في العهد العثماني خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر، وقد تناولتها لا بالمطالعة وأخذ ما جاء فيها فحسب؛ إنّما بنقد المضامين، وصولا للمعلومة الدّقيقة دون تحيّزات.

- **المصادر:**

Venture de PARADIS, **Alger au XVIIIe Siècle**, édité Ernest FAGNAN, Alger,1889.

استفدتُ من هذا المصدر في التعرّف على المدن التي زارها، وأيضاً السِّيرة الذَّاتيَّة للرَّحَّالة التي ذكرها مُترجم النَّص، سواءً فانون **FAGNON** الذي حرّرها، أو الدُّكتور **لخضر بوطبة** الذّي ترجمها، وقد استخدمته في الفصل الثاني من الدّراسة، المصدر مهمّ وثريّ معرفيا، وهو مؤلّف من الحجم المتوسط يحتوي على 184 صفحة، ما يُعاب عليه هو التّكرار الواقع في ذكر العديد من الموضوعات.

Thomas Shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger, ou Déscription Géographique, Physique, Philologique, etc. de cet état,** Tr: Mac Macarthy, Paris,1830.

هذا المُؤلَّف مهمٌّ جداً، استخدمته في الفصل الثاني، وقد أفادني كثيراً في معرفة المدن التي زارها الرَّحَّالة، وكذلك في تأكيد العلاقة بين رحالة القرن الثَّامن والتَّنقيب عن الآثار، أيضاً المرجعيَّة الرُّومانيَّة التي يبني عليها رحَّالو القرن الثَّامن عشر ويطبّقونها على البلدان التي يزورونها، وقد استخدمت الكثير من معلومات هذا المصدر في مختلف فصول الدراسة.

أسلوب السَّرد عند **الدكتور شاو** رائع، وطريقة انتقاله بين الأحداث بديعة، ورُغم أنَّ الكتاب يحتوي على 404 صفحة، إلاّ أنّك تستطيع مطالعته في جلسة واحدة، كما أنّ المكتبة الوطنية الفرنسية، تُتيح نسخة نصّية للترجمة

ما يُعاب على المصدر حسب ما اطّلعنا، هوَ الخلط في مناطق تواجده، وهذا يجعل معرفة المدينة التي زارها في تلك الفترة غير دقيق، لمن يريدُ تتبّع خطّ سيره.

Jean André PEYSSONNEL, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger** ,Libraire de Gide, Paris,1838.

هذا المؤلَّف مزيج من الرَّسائل التي بعث بها الرحَّالة إلى القس **جون بول بينون**، قدَّم فيها الرحالة وصفاً للحكومة الجزائرية ودفاعاتها، ووصفًا للوضع الاقتصادي والسِّياسي والاجتماعي خلال النِّصف الأوَّل من القرن الثَّامن عشر.

استخدمته في الفصل الثاني من الدّراسة، وقد يسَّرت لي الرَّسائل معرفة خطّ سير الرَّحَّالة، واستطعت أيضاً معرفة التَّوجُّه الذي اتّسم به فيما بعد رحالو القرن التَّاسع عشر، إنّ استخدام (أدب الرَّسائل) و(السِّيرة الذَّاتيَّة)، يوضّح التغيّر في مسار كتابات الرحالة، فبدلاً من السّرد الذي لا يسير وفق ضوابط، تطوّر إلى كتابات تتمّ بقواعد مضبوطة وبشكل ممنهج، إنَّه الأسلوب نفسه الذي اتّسمت به كتابات الرَّحَّالة **هابنشترايت** و**القس بواري**.

ترجَم هذا المصدر الدكتور **لخضر بوطبّة** معتمدًا فقط على جزءٍ رحلته إلى الجزائر، وقد عثرت في دار الكتب الوطنية بتونس، ترجمة رحلته إلى تونس من طرف الدكتور **محمد العربي السنوسي**، وبدت لي ترجمة هذا الأخير مُستفيضَة أكثر ودسِمة معلوماتيّا، وغنيّة بالإحالات في الهامش، في حين ترجمة الدكتور **لخضر بوطبة** قريبة جدا من الترجمة العادية التّي تُتيحها المَواقع ودون إحالات إلاّ ما ندر.

أمَّا ما يعابُ على المصدر حسب رأيي، فهو الرُّجوع الدَّائم للتسمية الرُّومانيَّة وللتّاريخ الرُّوماني في وصف المناطق، وهو ما جعل التَّعرُّف على التَّسمية الحقيقيَّة على خارطة الجزائر أمراً صعباً، هذه النُّقطة بالذَّات عابَها عليه حتّى المؤرّخون الغربيُّون الذين أرَّخوا لمَا بعد الحقبة.

Jean Louis Marie POIRET, **Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'Ancienne Numidie pendant les Années 1785 et 1786, sur la Réligion, les Coutumes et les Mœurs des Maures et des Arabes-Bédouins**, avec un éssai sur l'Histoire Naturelle de ce Pays, Lyon,1789.

هذا المؤلَّف عبارة عن تسعٍ وعشرين رسالة؛ موجّهة من القس **بواري** إلى صديقه الطبيب **فوريستر**، عن دِين وعادات مغاربة المور والعرب البدو.

استخدمت هذا المصدر في الفصل الثاني، حين أردت تتبّع السيرة الذاتية وخطّ سير الرحالة، وقد لاحظت أنّ تحرّكاته إنّما تتم وفقًا لأوامر يتلقّاها من صديقه السّالف الذكر، لهذا في كلّ رسالة يحرّرها يضع إجابة عن تساؤله السَابق.

يحوي المصدر معلومات هائلة عن حياة البدو في تلك الحقبة، ولا أعرف لمَ النقيب الفرنسي **إرنست كاريت** قلّل من أهميتها، واعتبرها سطحية يشوبها التّضخيم، مع أنّ ما يعاب عليه حسب رأينا ليس السّطحية؛ وإنّما الرّوح العدائيّة والمُتحاملة التي طغت على أغلب المؤلّف، أيضا تعذّر علينا تتبّع خط سير الرحالة، لأنّه لم يذكر سوى تاريخ وصوله إلى القالة في الرسالة الأولى، ونوّه في بداية الكتاب بأهمّية بعض المناطق، التي استنتجت أنّه زارها قبلُ، أيّ أنّ زيارته للجزائر كانت على فترتين.

ABT Bercazú, **Notica Topographica é Historico Del Reinoy de la Ciudad Acompananda (un Mapa General Del Reino y de la Vista de la Ciudad y Alrededores con Todos los Fuertes y Preparativos de Defensa Para Contrarestar la Espedicion Francesa Traducida de la Segunda Edicion)**, La Viuda é Hijos de Gorchs con Licencia, Barcelona, 1830.

هذا المصدر استخدمته في الفصل الأوَّل، يسّر لي كثيراً الحديث عن إيالة الجزائر وعلاقتها بالدَّولة العثمانيَّة وحركة الجهاد البحري والحملات الأجنبيَّة، وهو شبيه معلوماتيا بما كتبه الفرنسي **هنري دولغاس دوغرامون** «تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية »، والواضح أنّ هذا الأخير قد أخذ ما كتبه عنه.

ما يُعاب على المُؤلَّف التعصُّب والعِدائية، وهو الطّابع نفسه الذي تتّسم به أغلب الكتابات الأوروبّيَّة، لهذا كنت حريصة على التأكّد من المعلومات قبل استخدامها.

Theodor Bent**, Early Voyages and Travels in The Levant, The Dairy of Master Thomas DALLAM (1599- 1600), 2.** Extract from the dairy of Dr. Jhon Covel (1679 -1670)with some **Account of The Levant Company of Turkey Merchants**, The Hakluyt Sociéty, London, 1893.

استخدمت هذا المصدر في الفصل الأوّل من الدّراسة، استطعت التَّعرّف على السِّيرة الذَّاتيَّة للتاجر الرَّحَّالة **توماس دالام**، في الجزء الأوَّل من المخطوط الذّي نقله **تيودور** دون أنْ يصحِّح الأخطاء الكتابيَّة.

اعتبر **تيودور** ما كتبه **دالام** مُذكّرات مُهمَّة للغاية، وهنا يُمكننا أنْ نفهم أنَّ المعلومات عن إيالة الجزائر كانت قليلة جداً خلال القرن السَّادس عشر، إلى حدِّ اعتبار المعلومات البسيطة والكتابات التي تفتقر إلى السَّلامة اللغويَّة مهمّة، وقد اعترف المؤرّخ **براندون باك** في قراءته للمخطوطة بهذا العجز اللغوي أيضا، وأكّد أنّ الكاتب يقترف ثلاثة أخطاء في كلّ خمسِ كلمات.

Laugier De TASSY, **Histoire du Royaume d'Alger , avec l'Etat Présent de son Government, de ses Forces de Terre & de Mer, de ses Revenus, Police, Justice Politique & commerce ,** Edition loysel, pref: Noël LAVEAU, André NOUSHI, Paris, 1992.

هذا المصدر مهمّ وأسلوبه جميل؛ لمن يودّ التعرف على تاريخ إيالة الجزائر، لأنّه اتّسم بالموضوعيّة، كما أنّه من الحجم المتوسط، يحتوي على 207 من الصّفحات، تشعر وأنت تتابع القراءة كميّة الصدق، واستماتة **دو تاسي** في إلغاء النّظرة القديمة والغريبة التّي يُلصقونها بسكّان الجزائر، استعنت بهذا المصدر في الفصل الثاني، لمعرفة السّيرة الذّاتية للرّحالة، ولتعداد الفصُول التي احتوى عليها الكتاب.

أمّا ما يُعاب على المصدر، فهو أنّ المُؤلَف بدلاً من أنْ يُورد أحوال مملكة الجزائر كما هو ظاهر في العنوان، نسخ أغلب الرّسائل بين عرّوج وظفيرة زوجة سليم التومي بعد أن قتله، كما أنّي لم أستطع معرفة خطّ سيره، إذ لم يُشر سوى لمنطقة قسنطينة في حديثٍ عابر في أوّل المؤلّف.

رحلة العالم الألماني ج.أ.هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، د ط، دار الغرب الاسلامي، تر: نصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م.

استخدمت النسخة المعرّبة من المصدر « J.E. **Hebenstreit**, **Voyage** à **Alger**, Tunis et Tripoli en 1732,» للإضافة القيّمة التي أضافها الدُّكتور **ناصر الدِّين سعيدوني** وملاحظاته وتصويباته التي رفعت أهميَّة العمل كثيراً(حين يتفوّق المُترجم عن الكاتب).

استعنت بهذا المصدر في الفصل الثَّاني، خصوصاً ما تعلّق بسيرة العالم **هابنشترايت** وخطّ سير رحلته، واستطعت الاستشهاد بملاحظات الدُّكتور **ناصر الدِّين سعيدوني** في مواضع كثيرة، وكذلك الخريطة التي رسمها لتوضيح سير الرَّحَّالة، والجدول الخاص بالمُدن التّي زارها سهَّلَ عليّا العمل كثيراً.

أما ما يُعاب على المصدر هو أنّه أخذ الرحلة بمعناها التنقّلي، لهذا غلبت عليه العفويّة والتلقائيّة في سرد ما عايشه الرحالة، وهذا جعل من الرسائل كأنّها مذكّرات عادية، لا لمبعوثٍ ملكي ضمن بعثَة استطلاعية.

- **المراجع**

- العربية:

فريد بنور، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر(1782-1830)م**، د ط، دار الواحة، الجزائر، 2009م.

استعنْت بهذا المرجع في الفصل الثّالث من الدّراسة، وتحديدًا عند الحديث عن الرحلات الاستطلاعية(التجسّسية) في العقود الثّلاثة الأولى من القرن 19م، فقد غطّى الباحث الدّكتور هذه المرحلة جميعها، وتحدّث بزخم معلوماتي وفير عن الرّحالة ومشاريعهم الاستعمارية، التّي استفادت منها فرنسا في تحقيق مشروعها الاستعماري.

كان هذا الكتاب أطروحة الدكتوراة للباحث، والتي وللأسف رحَل قبل أن يُناقشها، وتمّ طبعها بعد وفاته، لهذا جميع الوثائق التي تحدّث عنها في الهامش لا تتواجد في آخر

الكتاب، وهذا منعنا من الاستفادة منها خصوصًا أنّ الدكتور **فريد بنور** رحمه الله، زارَ الأرشيف الفرنسي وحصل على العديد من الوثائق المهمّة.

احميدة اعميراوي، **الجزائر في أدبيّات الرّحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2003م.

استعنت بهذا المرجع في التعرّف على الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية، ونوايا البلدان الغربيّة ومدى اهتمامها ببلاد الجزائر، ومسبّبات رفضهم ودوافع مباركتهم للاحتلال الفرنسي، على امتداد 31 صفحة الأولى من الكتاب، لأنّ الكاتب قد خصّص الجزء المتبقي للحديث عن مذّكرات الأسير تيدنا.

ما يُعاب على المرجع أنّ المعلومات التي قُدّمت فيه كانت مقتضبَة وموجزة في عديد من المواضع، وهذا يضعُ المرجع للإثراء المعرفي، أمّا الباحث في موضوع الرحلات الاستطلاعية فلا يملأُ الفراغَ المعلوماتي لديه، إنّما يعمد إلى إرشاده فقط، ومع هذا فلا ننفِ أنّ المعلومات التي جاءت فيه غزيرة خصوصًا في الهوامش.

سعيد عيادي، **مخطّط احتلال الجزائر من مشروع الضابط بواسُوني إلى مشروع قسنطينة**، د ط، دار تفتيلت، الجزائر، 2015م.

استعنت بهذا المرجع في الفصل الثالث في الحديث عن رحلات القرن19م، المؤلّف به زخَم معرفي، وعثرت فيه على معلومات جديدة، لم أعثر عليها في مراجع أخرى، إلاّ أنّ ما يُعاب عليه، أنّ الباحث لم يدرج إحالات لمَا نقله من معلومات، وكلّ مَا جاء في المرجع صُبّ في قالب واحد دون إحالة واحدة، وهذا صعّب علينا البحث عن الأصول التي استخلصت منها المعلومات للتأكّد منها، وقد أرجعنا السّبب أنّ الكتاب كان أطروحة أو رسالة للباحث، إلى أن تأكّدت من سيرته الذاتية، وتبيّن أنّ المرجع مؤلّف لم يكن ضمن التدرّج الأكاديمي للأستاذ في علم الاجتماع الثقافي سعيد عيادي رحمه الله.

-الأجنبية:

H.D. GRAMMONT**, Histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515-1830**), E. Leroux, Paris,1887.

هذا المرجع مهمٌّ جداً، رغم ما فيه من تعصّب واضح وذاتيّة مفرطة(كما يقول المؤرخ الدُّكتور **ناصر الدين سعيدوني)**، إلاَّ أنَّ هذا الكتاب قد رسم ملامح الفترة العثمانيَّة، مُحدِّداً الصُّورة النَّمطيَّة حسب النَّظرة الأوروبّيَّة؛ وقد اسخدمته في الفصل الأوَّل في الحديث عن إيالة الجزائر والجهاد البحري، مُعتمدة فقط على الأحداث المُتعارف عليها، والتي تكون قد تواترت في مراجع كثيرة وتحقَّقتُ من صدقها.

Alfred NETTEMENT, **Histoire de la Conquête d'Alger: Ecrite sur des Documents Inédits et Authentiques** (Nouvelle édition Revue et Corrigée), Paris,1867.

استخدمتُ هذا المرجع في الفصل الثّالث، وهو مرجع مهمٌّ لمن يسعى لتقصّي الاستعدادات الفرنسيَّة لغزو الجزائر، تناول المؤلّف فيه التّحضيرات الفرنسيَّة منذ اللحظة الأولى إلى وقت الإنزال، المتتبع للتكتيك الضَّخم سيدرك أنَّ فكرة قلَّة المعرفة الجيّدة بالجزائر أثناء الغزو الفرنسي، هي فكرة لا أساس لها من الصِّحة.

- **المراجع المعرّبة:**

أرجمنت كوران، **السِّياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، د ط، منشورات الجامعة التونسية، تع: عبد الجليل التميمي، تونس، 1970م.

استفدت من هذا المؤَلّف في معرفة التَّوجُّه العثماني حول احتلال الجزائر، وفي الفصل الأوَّل في الحديث عن الحملات والاتفاقيَّات، هذا المرجع الذي عرّبه **عبد الجليل التَّميمي** عن اللغة التُّركيَّة بشكل رائع رغم حداثة معرفته باللّغة، يمكن الاعتماد عليه في الحديث عن السِّياسة العثمانيَّة في إيالة الجزائر، وهو مرجع موضوعيّ بامتياز، اتّخذ فيه الكاتب من الأرشيف العثماني مصدراً له، في حين أغلب المؤلَّفات كانت تعتمد على الأرشيف الأوروبِّيُّ

وهذا ما زاد في أهمِّيَّته؛ وما يُعاب على العمل أنَّ المؤلِّف لم يستخدم وثائق كثيرة رغم وفرتها.

ثامناً- خطة الدِّراسة:

تمّ تقسيم الدّراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وتناولناها كما يلي:

الفصل التمهيدي: الرحلة(المفاهيم والدلالات)

تمّ فيه إلقاء الضّوء على الرحلة، بدءًا بالمعنى المفاهيمي، وانتقالاً إلى بداية الرحلة عند الغرب والعرب، مرورًا إلى أنواع الرحلة التي تواترت بين الدينية والعلمية والاستطلاعية والرسمية، وصولا إلى أهمِّيَّة الرحلة التاريخية والجغرافية، ثمّ الاجتماعية والثقافية، ثمّ السياسية والاقتصادية.

الفصل الأول: الأوضاع في أوروبا وإيالة الجزائر والرحلات الاستطلاعية نحو الإيالة خلال القرنين (17/16م)

تناولت في هذا الفصل الأوضاع في أوروبا خلال القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، وتحدثّت عن النّهضة بجميع تجليّاتها المادّية والفكريّة والتقنيّة، ومادام التطوّر الذّي تحدّثنا عنه كان ينقصُه الجانب الديني والاقتصادي والاجتماعي، فقد تناولت بالدراسة قضايا الإصلاح الدّيني والتطوّر الاقتصادي والاجتماعي، ثمّ التوّغل خارج حدود القارة الأوروبية والتوجّه نحو إيالة الجزائر.

أمّا عندما تحدّثت عن الأوضاع في إيالة الجزائر خلال القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، فقد تطرّقت إلى انضواءها تحت الرّاية العثمانية، والموقع الجغرافي للإيّالة الجزائرية وقوّتها الإقليمية، ثمّ انتقلت إلى النّشاط البحري وتحدثّت فيه عن الجهاد البحري وقضيّة الأسرى ورحلات الافتداء، ثمّ الحملات الأجنبيّة التّي استهدفت الإيّالة، وتطرّقت إلى الحملات الإسبانيّة والفرنسيّة والانجليزيّة والهولنديّة.

أمّا في حديثي عن الرّحلات الاستطلاعية خلال القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، فتطرقت إلى رحلات القرن السّادس عشر ودواعيها، ثمّ انتقلت إلى رحلات القرن السّابع عشر ودواعيها، ثمّ قمت بقراءة لهذه الرّحلات من حيث طبيعة الرّحلة وأهميّة التخصّص والظّروف البيئية وتداعياتها على الرّحالة.

الفصل الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية ودوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر خلال القرن 18م

تناولت في هذا الفصل مُمهّدات تغلغل الرّحالة الأوروبيين في الجزائر خلال القرن 18م، وقد قدّمت ذِكر الرحلات رغم كونها متأخّرة في العنوان، وذلك راجع إلى سبب منهجي ومعلوماتي، في كونها كانت عاملا مساعدًا لرحلة الاستكشاف العلمية للرحالة، تطرّقت فيه إلى عصر التّنوير وما انجرّ عنه من ظهورٍ للأكاديميّات والجمعيّات العلميّة والجغرافيّة، والاهتمام بالتّنقيب وجمع الآثار، ثمّ انتقلت إلى ماهية الاستشراق ودوافعه ومعاييره ومدارسه كظاهرة سهلّت تغلغل الرحالة ومهّدت للاستعمار.

ثمّ انتقلت إلى ذكر أثَر علم الجغرافيَة على وصف الرحالة، وتناولت أهمّ الرّحلات الاستطلاعية الأوروبيّة نحو الجزائر خلال القرن18م، التّي تواترت بين الفرنسية والألمانيّة والإنجليزيّة والرّوسية، ثمّ قمت بقراءة لهذه الرّحلات من حيث طبيعة الرحلة وأهمية التخصّص والظّروف البيئية وتداعياتها على الرحالة.

الفصل الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرن 19م ومساهمة رحلات القرنين(18-19)م في التمهيد لاحتلال مدينة الجزائر

تناولت في هذا الفصل الحديث عن الرّحلات الاستطلاعية الأوروبيّة خلال القرن 19م ذات الطابع الاستطلاعي التجسّسي، و قدّمت فيه الفارق بين رحلات الاستخبار والاستطلاع، ثمّ تطرّقت إلى الرحلات الاستطلاعية في عهد **نابليون بونابرت** ثمّ في عهد

شارل العاشر والمشاريع الاستطلاعية التي أنجزها الرّحالة، ثمّ تناولت تأثير علم الجغرافيا على وصف الرّحالة، ثمّ تناولت علاقة الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين(18-19)م بالتوسّع الاستعماري.

ثمّ تحدّثت عن أثر الرّحلات الاستطلاعية في تيسير المدّ الاستعماري. ثمّ تعرّضت فيه للحديث عن الرّحالة المستشرقين وخدمة الاستعمار، ثمّ تطرّقت إلى علاقة كتابات الرّحالة ببناء المشاريع الاستعمارية، ثمّ انتقلت للحديث عن مساهمة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرنين(18-19)م في التمهيد لغزو مدينة الجزائر، تنَاولت فيه دوافع فرنسا الظّاهرة والخفيّة لغزو مدينة الجزائر، ثمّ انتقلت إلى مراسلات الرّحالة حول مواقع الإنزال العسكري مُنتقين نماذج فقط لمُراسلات بعض الرّحالة خلال القرن 18م و19م، ثمّ تناولت أخيرًا الحملة الفرنسيّة على مدينة الجزائر.

أمّا الخاتمة

فقدِ احتوت على أهمّ النَّتائج التّي كانت كفيلة بالإجابة على الإشكاليَّة العامة والتَّساؤلات الفرعيَّة للدراسة.

تاسعاً- الصعوبات:

كأيّ عمل أكاديمي يحتاج البحث والدّراسة، اعترضتني مجموعة من الصعوبات

ـ اختلاف الآراء وتضاربها أحياناً كثيرة، خاصة حول مُساهمة الرَّحلة في المشروع الفرنسي لغزو الجزائر، وأغلب المراجع والمصادر تؤكِّد أنَّ نيَّة فرنسا لم تكن مبيَّتة، بل إنَّها في حملتها لم تكن على علم حتى بالسَّواحل، ولكثرة المؤلَّفات التي تؤكِّد هذه النُّقطة، تطلَّب منّي غربلة الآراء باختلافاتها، للوصول إلى الحقيقة الأقرب لواقع الاحتلال العسكري.

ـ بناء الأطروحة الأساسي على المصادر الأوروبّيَّة، فرض عليّ التَّوقُّف في كثير من الأحيان عند الأحكام والرُّؤى التي تركها أصحاب هذه المصادر، وإعطاءها عدَّة تأويلات،

ومقارنتها مع مصادر أخرى، لأنّ أغلب المصادر مكتوبة باللغات الأجنبيَّة (الفرنسيَّة، الانجليزيَّة، الاسبانيَّة...)، وأخذت عمليَّة نقلها إلى العربيَّة لفهم ما جاء فيها وقتاً أطول من المصادر والمراجع العربيَّة.

ـ تعذّر الوصول إلى جميع المصادر الخاصّة بفترة الدِّراسة خصوصاً تقارير الرَّحَّالة ومُراسلاتهم الأصليَّة؛ لأنَّ أغلبها غير منشورة.

وفي ختام هذا التَّقديم لا يفوتني أنْ أتقدَّم بالاعتراف الصَّادق لأستاذي المشرف البروفيسور **عبد القادر كركار** على مساعدته لي بالتَّوجيه والرَّأي السَّديد والنَّصيحة الصَّادقة والأفكار النَيّرة، كما أشكره على صبره وسِعة صدره وتحمُّلِه لاستفساراتي وأسئلتي ورسائلي الكثيرة، وأقدِّر له تفضُّله بقراءة فصول أطروحتي عديد المرَّات، وتقييمها، وتقويمها، وتَصويبها مع ما يتماشى وفق أصول منهجيَّة البحث العلمي الأكاديمي، كما أشكره شكراً عظيماً لأنَّه أعانني كي أرتقي مكاناً عليًّا في العلم والمعرفة، سأكون مُمتنَّة لشخصك الكريم دائما.

الفصل التمهيدي: الرحلة (المفاهيم والدلالات)

1. تعريف الرحلة

1.1. لغــة

1.2.اصطـلاحا

2. بدايات الرحلة في التراث الغربي والعربي

2.1. في التراث الغربي

2.2. في التراث العربي

3. أنواع الرحلات

3.1. الرحلــة العلميـة

3.2. الرحلـة الاستطلاعية

3.3. الرحلة الدينيـــة

3.4. الرحلـة الرسمية

4. أهمية الرحلة

1.4. الأهمية التاريخية والجغرافية

2.4.الأهمية الاجتماعية والثقافية

3.4. الأهمية السياسية والاقتصادية

1- تعريف الرحلة

في بداية الحديث عن الرّحلة وجب التطرّق إلى أصدق وأوثق المصادر

- **القرآن الكريم:**

إنّ المطّلع على كتاب الله العزيز القدير، سيلحظ أنّ لفظة رحلة وردت مرّة واحدة في سورة قريش ﴿ لايلف قريش ۞ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾[1]، أمّا ما ورد في باقي السّور فإنما هي مفردات دالّة فقط على نشاط الترحال: كالسّفر، الحج، الهجرة، السّير...إلخ.[2]

- **السّفر:** ورد لفظ السّفر دلالة على الرّحلة، اثنتي عشر مرة منها قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.[3]

- **الحج**: ورد لفظ الحجّ دلالة على الرحلة، خمسٍ وعشرين مرة منها قوله تعالى:﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[4]

- **الهجرة**: وردَ لفظ الهجرة بمعنى الارتحال سبعٌ وعشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[5]

- **السّير:** وردت عديدَ المرّات دلالة على الرّحلة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[6]

كما نجد سُوَرا كثيرة لأنبياء ارتبطت رحلاتهم بقضايا الدّعوة الى الله والتّربية، والنّتائج المُثمرة التي عمّ نفعها على الإنسانية بعد أسفارهم الجليلة، ومن أهمها: رحلة الإسراء

---

[1] **سورة قريش**، الأية 1-2.

[2] سميرة أنساعد، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص17.

[3] **سورة سبأ**، الآية 19.

[4] **سور الحج**، الآية27.

[5] **سورة البقرة**، الآية 218.

[6] **سورة العنكبوت**، الآية 20.

والمعراج للنبي الكريم(ﷺ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿سبحان الذّي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذّي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هُو السّميع العليم﴾ .[1]

1.1. لغــة:

جاء في لسان العرب **لابن منظور**(1232- 1311)م عن لفظ (رحل): التّرحيل والارتحال أي الانتقال من مكان إلى آخر، ويُقال رحَلَ الرجل إذا سارَ، وهي من يرحلُ رحلاً ورحيلاً وترحالاً، ورَحّله من بلده أي أخرجه منها.[2]

وفي القاموس المحيط **للفيروز أبادي**(1329-1415)م: الرّحل مركب البعير والنّاقة، وجمْعه أرحلٌ ورِحال، ورحّلَ البعير يُرحّلُه فهو مَرحول، ورحيلٌ، وارتحله: أي جعل عليه الرَّحل، والرِّحالة في أشعار العرب: السّرج[3]، وجاءت الرّحلة أيضا بمعنى الجهة التّي يقصدها الإنسان، والرُحلة بالضمّ: الوجه الذّي تأخذ فيه وتريده، ويقال: أنتم رحلتي أي الذين أرتحلُ إليهم، كما تطلق الرحلة أيضا على السَّفرة الواحدة[4]، يقال فلان يشتكي من رِحلة: أي من سَفرة واحدة.[5]

وجاء في محيط المحيط **للبستاني**(1819-1883)م عن لفظ رحل: رحَل عن البلد يرحل رحْلا ورحيلا وتِرحالا: أي شخُص وسار، ورَحل إلى المكان: انتقل، ورَحَلت إليه نفسي: أي صبرتُ على آذاه، وأرحَل الرجل: أي كثُرت رواحله، وترَحّل القوم عن المكان أي انتقلوا، والرّحْل أيضا المثوى والمنزل: يقال عاد المسافر إلى رَحله، وقد يُطلق

---

[1] **سورة الإسراء**، الآية1.

[2] ابي الفضل جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، مج4، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، 1979م، ص 1609.

[3] أبو طاهر نجم الدين الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج3، دار الجمل، بيروت، د. س. ن، ص 394.

[4] **نفسه**، ص 394.

[5] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، ط1 ، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص328.

على الوِعاء والجِراب ونحوهما[1] كما جاء في قول تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .[2]

جاء في مقاييس اللغة **لابن فارس**(941-1004)م في مادّة رحل: فالراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضيّ في سفر، ويقال: رَحل يرحل رِحلة، وجمل رَحِيل ذو رحلة: إذا كان قويًا على الرّحلة، أمّا الرَّحْل في قولك" هذا رحْل الرّجل: أي منزله ومأواه، والرِّحالة: السّرج، والرّاحِلة: المركوب من الإبل ذكرا كان أم أنثى، ويقال راحلَ فلان فلانًا: إذا عاونه في رَحله، ورجل مِرحَل: كثير الرّواحل.[3]

وجاء في **المعجم الوسيط** في مادة رحل: رحَل عن المكان، رحلَ ورحيلاً وترحالاً، والرّحال: العرب الرُّحَل الذين لا يستقرّون في مكان، ويجلبون ماشيتهم حيث يسقُط الغيث وينبتُ المرعى، والرّحالة: الكثير الرحلة.[4]

وفي **المعجم المفصل في اللغة والأدب:** هو ذلك الفنّ الذي يصف الكاتب من خلاله انطباعاته ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي يزورها، ويشتمل على وصف الطّبيعة الجغرافية وعادات الناس وتقاليدهم، وأنماط حياتهم وتفكيرهم....[5]

وجاء في **معجم المصطلحات الأدبية:** أنّها مجموعة من الآثار التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراهُ من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيقِ للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد[6]، نجد أيضا أن الرَحلة جاءت بمعنى السَير والانتقال

---

[1] بطرس البستاني، **مصدر سابق**، ص328.

[2] سورة يوسف، الآية62.

[3] أبي الحسن أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، بيروت، 1979م، ص ص 479، 498.

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط1، دار الدعوة، ج1، بيروت، 1989م، ص ص334-335.

[5] إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، **المعجم المفصل في اللغة والأدب** (صرف، نحو، بلاغة، عروض...)، ط1، دار العلم للملايين، مج1، بيروت، 1987م، ص61.

[6] مجدي وهبة كامل، **معجم المصطلحات في اللغة والأدب العربي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص17.

والوِجْهة، أو المقصد الذي يُراد السَفر إليه، وبمعنى دنوّ المكان المُراد الوصول إليه، ومنها أُخِذ لفظ رحّال وهو الشخص المُنتقِل من مكان إلى آخر[1]، كما أن الرُحلة بالضمّ: هي الوجه الذي تقصده بسفرك...[2]

هكذا يتجلّى بوضوح أنّ اشتقاقات مادة «رحَل» في المعاجم، مُرتبطة أساسا بالحركة والوسيلة، الذي يفرض بالضّرورة راكبا ومَركِبا تمثّل وسيلة وحركة وانتقال، ومن خلال هذا المعنى يكون العديد من البشر قد أنجزوا رحلاتٍ لا تعدّ ولا تُحصى، لأنّ الحركة والتنقّل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر، إلاّ أنّه ليس كلّ من ارتحل قد دوّن رحلته.

أمّا المعاجم الأجنبية والفرنسية خاصة، يَرد في قاموس لاروس (la Rouse) تُقابل كلمتي (سفر) و(رحلة) المعنى ذاته (Voyage)، وسافر وارتحل (Voyager) ومن يقوم برحلات عدة (Voyagiste)، وأصل الكلمة لاتيني (Viaticum)، مختلف المعاني التي تدلّ على لفظ الارتحال وجميعها لا تخرج عن معنى التنقّل والسّفر، وعائدات هذا التنقّل على الرّحالة نفسه، بيدَ أنّ الكلمة تطوّرت دلاليّا، نتيجة التغيّرات الحياتيّة التي واكبت حياة الشعوب[3] ، في مَنشئها كانت بمعنى زاد الطريق، ثمّ ارتبطت بالمال الذي يوفّره المسافر لإنجاز الرحلة، ثمّ على الطريق التّي يسلُكها المسافر، لتنتهي في القرن التاسع عشر للدلالة على السّياحة.[4]

2.1. اصطلاحا

اجتهد الدارسون في تعريفهم للرحلة، فالمؤرّخون يرونها جزءًا من علم التاريخ، بينما يراها الجغرافيّون جزءًا من الجغرافيا، بينما دارسوا الأدب فنظروا إليها نظرة فنية، ركّزوا فيها على ما يتجلّى من جوانب فنّية وأدبية(أي وصف المشاعر التي تختلج في نفس المسافر

---

[1] عواطف محمد نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين– دراسة تحليلية مقارنة**، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص29

[2] أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني، **مقامات**، د ط، المكتبة الأزهرية، تع: محمد محي الدين، القاهرة، 1923م، ص301

[3] **La Rousse**, Dictionnaire Encyclopédique Illustré , Librairie la Rousse, Paris, 1997

[4] Hamdi ABDELAZIM**, l'Egypte dans voyage en orient de Gérard de Nerval et la France dans l'or de Paris de Rifaà a al Tahtàwi**, Université du Québec à Montréal, Paris, 2008, p22.

حول كل مايراه)...[1]، فاختلفت بذلك وجهات نظرهم وتعدّدت تعاريفهم، إلاّ أنّ بنيَة السفر ظلّت القاسم المشترك بينهم، واتّفقوا أنّ الرحلة في جوهرها حركة، وهي ترتبط بالمسار الذي لا يعدّ اختياره من قبل التّقليد والعادة والاتّباع، وتكون الرّحلة في المفهوم العام لحساب أيّ هدف أو غاية بريّة كانت أو بحريّة، وفي إطار هذا التنوّع تظلّ الرحلة إنجازا أو فعلاً لما يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط فاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه؛ والوجهة التي تنتهي إليها، فالرحلة جزأ أصيل من حركة الحياة على الأرض، قد لا تتجاوز مسافة قصيرة في بعض الأحيان، وقد تمتدّ وتطول حتّى تُغطّي أطول المسافات.[2]

كما أنّ الرحلة ذات منطلقات نفسيّة تتعلّق بالأنا، وغيريّة تتعلّق بالآخر، ونلمس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام، الإشارة إلى الفوائد التّي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة[3]، مثل ما نجده في قول **أبو الحسن بن علي المسعودي**(896-975)م:" ليس من لَزِم جهة وطنه وقنِع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه، كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ووزّع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخراج كلّ دقيق من معدنه، وإثارة كلّ نفيس من مكمنه".[4]

أيضًا الرحلة مسؤولية مباشرة، يكون القيام بها والخروج إليها على سبيل الهواية أو الاحتراف، خروجًا بكامل الإرادة والاختيار يبتغي الهدف وبلوغ الغاية، ويكون تنفيذ المهام المَنوطة بالرحلة تطوّعًا يَقبل به المغامرون وعشَاق الرحلة، أو تكليفًا يَقبل به المكلَّفون ومحترفو الرحلة[5]، ولقد أشاد ابن **زاكور الفاسي**(1664-1708)م بقيمة الرحلة إذ اعتبرها منّة

---

[1] لا شك أنّ تعريف الرحلة صعب، نظرا لتداخل مضامينها وأساليبها، ولتداخلها مع خطابات أخرى، وقد شبهها محمد حاتمي ب"فناء البيت تنفتح فيه غرف متعددة": التاريخ والجغرافيا، والتصوف، والتراجم، والسير، والرسائل ... للمزيد ينظر: محمد حاتمي، **في الخطاب الرحلي**، مجلة العلوم الإنسانية، ع48، سبتمبر 2017م، ص648.

[2] صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين جغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 10.

[3] سميرة أنساعد، **مرجع سابق**، ص 21

[4] أبو الحسن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، تح: سعيد محمد اللحام، بيروت، 2000م، ص20.

[5] صلاح الدين الشامي، **المرجع السابق**، ص ص 11- 12.

من الله، تُكسب غليظ الطّباع غاية الرقّة والانطباع، وتمنح من كابد لها نصبًا من العلم الغزير والأدب.[1]

والرّحلة هي انتقال فرد أو جماعة، عائلة، قبيلة، أمة... من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعدّدة، فإن كان انتقال قبيلة أو أمّة من بلاد إلى أخرى لسبب، كجدب بلادهم وضيقها دونهم، أو لاضطهاد وقع عليهم أو على إثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم ونحو ذلك من الأسباب، سمّيت رحلتهم هجرة.[2]

بينما نجد مفهومًا مُغايرًا للرحلة عند **الإمام الغزالي**(1917-1996)م إذ عرّف السفر والرحلة بأنّهما نوع حركة ومخالطة، وأوضح أنّ القواعد الباعثة على السّفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأنّ الإنسان لا يسافر إلاّ في غرض أو لغرض هو المحرّك، والرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه مازجا بذلك انطباعاته الذّاتية حول المُرتحِل إليهم وإنجاز الرحلة كتاباته.[3]

ويعرّف **حسين محمد فهيم**(1942-2009)م الرحلة على أنّها ساعدت في اكتشاف موطن الإنسان، وأكّدت مدى انتشاره على سطح الأرض، يتمّ إنجازها من طرف رجال دين وعلم وطوافون من هُواة السّفر والتّرحال، وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم المخاطرة إلى الكشف عن المجهول من الأرض والناس.[4]

كما تُعرّف الرحلة بأنّها مجموع الكتابات التّي لها علاقة بفعل السفر، وقد عبّر عنه المفكّر الانجليزي **فرانك ميشيل(Frank Michael)**(1953-)م" بأنّه العبور من الذات نحو الآخر، فهو قبل كلّ شيء لقاء الآخر، ويستند الالتزام الثقافي باكتشاف الآخر إلى المشروعيّة الطبيعيّة في الخروج من الذّات بالنّظر إليه على أساس أنّه حقّ طبيعي قبلي،

---

[1] ابن زاكور الفاسي، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، ط1، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د . س. ن، ص ص 13 ،23، 24.

[2] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، ط1، مؤسسة مطبوعاتي، مج8، طهران، د. س. ن، ص 564.

[3] أبي حامد أحمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ط 2، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، 1986م، ص 273.

[4] حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص11.

والذي يعبّر عنه بَعديّا باعتباره حقّا ثقافيًا، وإذا كانت الرحلة في بلد الغير وفي ثقافته وأحواله فهي بالأساس رحلة نحو الذّات، بحكم ما يُشاهد وما يوصف لا يتمّ إلاّ عن طريق المقارنة مع الذات، وعليه فالسّفر ليس رحيلاً جغرافيّا فحسب وإنما هو دنوّ تاريخي من الذات".[1]

بينما **عبد الله حمادي**(1970-)م فيرى" أنّ الرّحلة سواءً كانت برّية أو بحريّة أو كانت إنجازًا فرديًا أو جماعيًا، فهي مُحاولة لاختراق حاجز المسافات وإسقاط الفاصل الجغرافي بين الزمان والمكان"[2]، لقد عرّفها انطلاقا من أحد أهمّ أغراضها وهو الاختراق ومحاولة معرفة الأخر لتقريب المسافات مهما بَعُدت، وقد تكون دوافع الرّحلة حاجة ذاتية لإشباع رغبة النّفس في حب الاطّلاع وكشف أستار المجهول.

لقد أشاد الكثيرون سواءً كانوا مؤرّخين أو كُتّاب على مرّ العصور، بالأهمية البالغة التي يغتنمها الإنسان من الأسفار والرّحلات، يقول المستشرق الفرنسي **كلود سافاري (Claude- SAVARY)**(1750-1788)م:" إنّ الرّحلات تشكّل أكثر المدارس تثقيفًا للإنسان..."، وفي السّياق ذاته تحدّث الكاتب الإنجليزي **توماس إليوت Thomas (Eliot)**(1888-1956)م" انطلقوا أيّها الرحالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة...".[3]

بينما اصطلاح (الرّحالة) فهو إشارة للفرد الذي ينتقل من منطقة الى أخرى، ثمّ يعود إلى وطنه بسجلاّت ومغامرات وملاحظات ودراسات وانطباعات عن الأراضي التي كان فيها، وقد تكون سجلاّت الرّحالة في صورة يوميات ودراسات جغرافية وخرائط، أو ملاحظات أنثروبولوجية، أو ملاحظات ثقافية أو شخصيّة، أو انطباعات بصريّة بأيّ شكل من أشكال

[1] أبو شعيب الساوري، **صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي إلى القرن الواحد والعشرين**، ط1، دار النايا للدراسات والنشر، لبنان، 2014م، ص6.

[2] عبد الله حمادي، **أصوات من الأدب الجزائري الحديث**، ط1، دار البعث، الجزائر، 2001م، ص108.

[3] كمال بن صحراوي، **بايلك الغرب الجزائري في المجلة الإفريقية**، ط1، دار المحدّدة، الجزائر، 2018م، ص466.

التعبير الفنّي، وبالتالي فإنّ الاهتمام بالأرض التي تمّ الرحيل إليها، والقدرة على تسجيل تجاربه، هي أمور ضروريّة لكي يكون الفرد القائم بالسّفر «رحالة».[1]

إذن تشترك المفاهيم اللغويّة والاصطلاحية أنّ السّفر أو الرحلة الجوهر فيهما هو (الحركة والانتقال)، وهذا هو المعنى المتكرّر في ثنايا المعاجم والمؤلّفات العربية، أنّ الرحلة في عمومها تدلّ على كلّ فعل فيه حركة وانتقال صادر عن شخص ما، تحمل فائدة للمؤرخ والباحث والجغرافي... وغيرهم، وهي ضرب من الكفاح في مواجهة الظروف والأوضاع واستكشاف العالم والأقطار ووصفها والحكم عليها، وهي وصف لكلّ ما انطبع في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط.

فالرّحلة إذًا ليست سوى تجربة إنسانية حيّة يتمرّس بها الباحثون، حيث يصبحون أكثر فهمًا و صدقًا ومُلاحظة، وأغنى ثقافة وأعمق تأمّلا، فهي من أهم العوامل التي تُسهم في تكوين الإنسان وصقل مواهبه، وتوسيع مداركه، كما أنّها الفنّ الذي يصف فيه الرحالة انطباعاته متعرّضا لوصف كلّ ما لاحظه وصفًا دقيقًا، وحيث أنّ الرحلة على مستوى المضامين تحتوي على معارف متنوّعة، وعلى مستوى الشّكل تحوي السّرد والوصف والحكايا والأخبار، فقد جعلها المؤرّخ نصّا تاريخيا فيه الكثير من المعلومات المتّصلة بالبلدان التي زارها الرحالة، واعتبرها الجغرافي مصدرًا يستقي منه معلوماته... وكلّ صاحب علم وجد فيها ما يفيده، ويثري فضوله المعرفي.[2]

2.بدايات الرحلة في التراث الغربي والعربي

اظطرّ الإنسان في بداياته الأولى أن يعيش حياةً قوامها الحركة والانتقال، لأنّه سبحانه لم يجمع الخيرات والنّعَم في أرض وطبيعة واحدة، أو عند قوم أو قبيلة بعينهم؛ بل خلقها متفّرقة، وذلك ليكونوا في احتياج دائم لبعضهم ومُلزمون بالتواصل، ولن يتأتّى لهم ذلك

[1] علي غفيفي غازي، **كتابات الرحالة مصدر تاريخي**، المجلة العربية، ع262، 2012م، ص11.

[2] سامية بوصيقع، **أهمية الرحلات في الكتابات التاريخية**، مجلة تاريخ العلوم، مج5، ع13، جوان 2020م، ص426.

إلاّ بالسّفر[1]، وحيث أنّ الرحلات كانت بسيطة لا تغدو أن تكون ملاحظات عادية وانطباعات ذاتية، لايمكن الاطمئنان إليها من الناحية العلمية، لأنّها انطباعات سجّلها الرحالة الأوائل في رحلاتهم ومغامراتهم المختلفة[2]، وكذلك فعلوا مع أهوال ومشاقّ سفرهم وغرائب مشاهداتهم، التي تنتقل منهم شفاهية الى الآخرين فتتداولها الألسن، ممّا يجعلها في كثير من الأحيان عُرضة للإضافات والمُبالغات، فيختلط فيها المعقول باللامعقول، والواقعي بالأسطوري، ويغدو بذلك المِخيال الشّعبي هو المهيمن وصاحب الدّور الأكبر في أحداثها.

1.2. في التاريخ القديم:

لا يمكن أن نتحدّث عن الرحلة في **التراث الغربي** من ناحية بدايات ظهورها الحقيقي، إلاّ مع ظهور رحالة وصلت إلينا كتبهم فعلا، أو وجود آثار مادّية أقرّها الباحثون تكون شاهدًا نطمئنّ إليه وعليه نبني أحكامنا، ولأنّ الرحلة يغلب على مادتها الواقعي من الأحداث والدّقيق من الملاحظات، من مُنطلق أنّ الواقع يفرض على الرحالة أن يتّصفوا[3] ولو بدرجات متفاوتة بدقّة الملاحظة والوصف والتقصّي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق.[4]

من هذا المنطلق فلا وجود لشواهد تدلّ على معرفة الأوروبيين في تاريخهم القديم بالرحلة، لذلك اعتبر أغلب الباحثين والدّارسين المهتمّين بالبحث أن **هيرودوت(Hérodotus)**(485-425)ق.م[5] يعتبر أبًا لأدب الرحلات، فقد استقى من رحلاته الطويلة في بلاد الإغريق مسْحا وصفيًا شاملاً، مُبتعدًا عن الجمالية التي تتطلّبها الرحلة في سرد الأحداث والوقائع، ولم يسعَ للتّوصيف التّفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتّركيز على

---

[1] الطاهر حسيني، **الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: أدب عربي حديث، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014م، ص26.

[2] حسن محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص6.

[3] الطاهر حسيني، **المرجع السابق**، ص28.

[4] حسين محمد فهيم، **مرجع سابق**، ص16.

[5] **هيرودوت:** من مواليد مدينة هاليكارناسوس، وقد ورد في كتابه التاريخ من الفصل الواحد والأربعين حتى الفصل الأربع والأربعين، رحلات الفنيقيين البحرية، ووردت كذلك معارفهم التجارية وسفنهم واكتشافاتهم وخبرتهم في العلوم الفلكية، وتعاملهم مع الشعوب الأخرى، ينظر: مختار ناير، **التجارة البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: تاريخ قديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، 2018م، ص4.

النّتائج التّي أنشأت علم الجغرافيا[1] في كتابه« تمحيص الأخبار» وهو أوّل مُصنّف في الجغرافيا البشريّة، بينما في كتابه «التّواريخ» فقد قدّم معلومات عن خمسين شعبًا، كما تحدّث عن نشاط الشّرقيين واهتماماتهم الاستكشافية، أيضا **بوليبوس(Polybe)** (200-120)ق.م في مؤلفه« التاريخ العام»، كما تعتبر ملحمة **هوميروس(Homére)** (760- 850)ق.م[2] و**كسينوفون(Xénophon)** (430-354)ق.م[3] صاحب« كتاب الأنابيسيس»؛ مظهرًا من مظاهر الرّحلة في التّراث الغربي.[4]

وكما استلم الإغريق التّراث الفينيقي، فقد وَرث الرّومان ما أنتجته الحضارة الإغريقية، وظهر فيها الرحالة الذين ألّفوا كتابات أفضل بكثير في مضمونها ممن كتبوا في الجغرافيا البشرية في القرن التاسع عشر، وقد دُوّن في كتبهم أخبار الأُمم المجاورة أمثال: **بلوتارك (Plutarque)**(50–125)م، **وبطليموس(Ptolémée)**(100-180)م[5]، بيد أنّ ما يُعابُ على مؤلّفاتهم الافتقار إلى الدقّة، وذلك لأنّ أغلبهم دوّنوا ملاحظاتهم بعد العودة إلى بلدانهم.[6]

أمّا في **التّراث العربي**، فطبقًا لما وَرد في كتابات الغرب الأوّلين، فإنّ العرب أوّل الأمم قيامًا بالرّحلات، والمتتبّع لما وردَ في كتابات **هيرودوت** يذكر أنّ **الفرعون نخاؤو**(610-595)م أرسل رحلة استكشافية تحت قيادة بحّارة فينيقيين مهرة؛ كي يكشفوا الجزء الجنوبي للقارّة المُجاور للبحر الأحمر[7]، وعندما كانت قرطاج في أوجّ قوّتها، نُظّمت رحلة **الملك**

---

[1] الطاهر حسيني، **مرجع سابق**، ص29.

[2] **هوميروس:** ينسب له مؤلفان الإلياذة والأوديسا، وإلياذة هوميروس لا تحكي قصة حرب بل تسرد وقائع غضب" اخيل" وفتح طروادة، والحرب التي نضبت بسبب المنافسة على التجارة والسيطرة البحرية على جزر بحر إيجه وسواحل الأناضول، أما الأوديسا فهي وصف للسفن والصراع البحري الذي لاقاه الإغريق. للمزيد ينظر: مختار ناير، **مرجع سابق**، ص3.

[3] **كسينوفيون:** أو زينوفون أو كسنوفون بن جريلوس، وهو من المؤرخين الكلاسيكيين الذين حفظت أعمالهم بعد هيرودوت، ولد في أثينا عام 435ق.م، تتلمذ على يد سقراط، صار جنديا مغامرا، انضم إلى جيش المرتزقة في الاغريق، وحين دبرت لهم مؤامرة وقتل فيها قادتهم، اختاروه قائدا عليهم، سار بهم حتى طرابيزن الاغريقية، وقد دون اخبار حملته في مؤلفه الشهير"أناباسيس"، للمزيد ينظر: مهدية الموسوي، **أخبار ملوك فارس في كتاب حملة العشرة آلاف الأناباسيس(anabasis)للمؤرخ الكلاسيكي زينوفون(430ق.م)**، مج6، ع5، ماي 2017م، ص1.

[4] نبيل راغب، **مرجع سابق**، ص71–72.

[5] كمال بن محمد الريامين، **مشاهير الرحالة العرب**، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م، ص4.

[6] حيدر جاسم الرويعي، **تطوّر مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج10، ع4/3، أوت2011م، ص7.

[7] جوزفين كام، **المستكشفون في إفريقيا**، ط1، دار المعارف، تع: السيد يوسف نصر، بيروت، 1983م، ص14.

حيرام(Hiram) (1000-946)م، **ورحلة هيملكون(Himilcon)**(ق6- ق5)ق.م إلى شمال أوروبا رفقة أخيه الرحالة **حانون القرطاجي** (ت450ق.م)[1]، والتي كانت بهدف تأسيس مراكز تجارية على المحيط الأطلنطي، وعند عودته سجّل على هيكل **بعل** ما عايشه من مرويّات وملاحم وأساطير، استشفّها من رحلته على طول السواحل الشّمالية الغربية لإفريقيا(حتى أنّ اكتشاف السنغال يعود إليه).[2]

أمّا نوع الرحلات التّي اشتهر العرب بها في الفترة القديمة، فهي الرّحلات التّجارية أيّام الجاهلية إلى بلاد العراق والشام واليمن[3]، وبعد أن جاء الإسلام وكثر المناوؤن، أُمِر العربيّ المسلم بالسّفر والارتحال، وتعتبر هجرة الصحابة إلى الحبشة، وهجرة الرسول الكريم(ﷺ) إلى المدينة، من ضمن الرّحلة التي اتخذت نوعا آخر، والذي عُرف لاحقًا بالرحلة الدينية، ويدخل ضمنها الحجّ لبيت الله، ثمّ الرحلة لنشر الدين وتبليغه (الفتوحات الإسلامية)، التي جاب فيها العربي أصقاع الأرض حلاّ وترحالا، مغيّرا لمفهوم الرّحلة الذي ارتكز في سابقه على الغزو والحروب.

أمّا تآليف الرحالة فقد كانت التجارة أهمّ أسبابه؛ لأجل الحاجة لمعرفة الطرق البرّية والبحرية، أيضا تسهيلاً للمُرتحل إلى مكة لآداء فريضة الحج[4]، وبات التاجر بفضل الإسلام صاحب رسالة يُرغّب من خلالها في الدين، ولعلّ أبرز الرحلات البحرية التجارية **أبو سعيد السيرافي**(896-978)م، **وسلاّم الترجمان**(ت842م)، بيد أن هذه الرحلات وإن تمّ تدوينها، فهي تأخذ الرحلة بمعناها التنقّلي فقط، الذي ازداد مع الفتوحات الإسلامية وما تلاه من

---

[1] يُعرف في الوثائق التاريخية وسجلاّت الانجازات البحرية باسم حانون الطوافة (لأنّ الرحلات في تلك الفترة كانت تسمى رحلات طوافية)وهو رجل الدولة الأول بقرطاج، ينتمي لأسرة الماجونيين، حكم بين سنتي (480-440) ق.م، كما اعتلى منصب الأميرال البحري والملاح والمستكشف، وهو أشهر البحارة الذين غامروا ما وراء أعمدة هرقل للالتفاف حول إفريقيا وأسس مستعمرات، نقشت رحلته على معبد بعل حامون في قرطاج، حتى يعلم العامة تفاصيل الرحلة التي دامت أربعة أشهر. للمزيد ينظر: نجوى راشي، **تاريخ شمال افريقيا من خلال أدب الرحلات دراسة تاريخية في رحلة حانون القرطاجي**، دراسات تاريخية، مج10، ع1، أفريل2012م، ص27.

[2] الغريب أن المؤلف نفسه في مؤلفه الذي طبع عام 1882م والمعنون ب "les Deux Rédactions du Périple d'Hannon" يشكك في صحة الرحلة ويرى أنها لا يمكن ان تكون صياغة حقيقية لتقرير سياسي. ينظر: Tauxier Henri**. Le Périple d'Hannon et la Découverte du Sénégal**. In: Le Globe, Revue Genevoise de Géographie, T 6, 1867.pp 333-352.

[3] حسني محمود حسين، **مرجع سابق**، ص10.

[4] نوال الشبايكة، **مرجع سابق**، ص 47.

عصر الاستقرار والحضارة، وجاءت عمليّة الفتوح رحلة أو رحلات في ذاتها، قدّمت للعرب تجارب ومعارف جديدة كلّما توسّعوا في فتوحاتهم، والتي خلقت ظروفًا أخرى جديدة، اقتضت الرّحلة والبحث[1]، أمّا الرحلة كأدب[2] لم يعرفها العرب إلاّ بعد الاطلاع على تآليف سابقيهم[3]، إذ كان لاختلاطهم بالشّعوب الأخرى، أثر كبير في نشأة المدنيّة وتطوّرها، وامتلاك العرب لناصية العلم والمعرفة، وتقدّمت على أيديهم العلوم المختلفة.[4]

أمّا بالنسبة لأنواع الرحلة، والتي ذكرنا سابقا نوعين منها، يقسّمها **صلاح الدين الشامي** في كتابه «الفكر الجغرافي...» إلى ستّة أنواع، ثلاث منها ظهرت قبل الإسلام: رحلة التجارة والجهاد والسِّفارة، وثلاث بعد الإسلام: الدينية والعلمية والاستطلاعية[5]، ثمّ انطلقت الرحلة من أوسع مدى وتجاوزت ديار المسلمين بغرض تحقيق أهداف متنوعة: إقتصادية وإدارية بغرض ربط العلاقات بينها وبين الدول الأجنبية.[6]

أمّا القرن 10م فقد عرف ظهور العديد من الرّحالة، حتى أنّه سمّي بالعصر الذهبي، من أهم الرحالة: **المسعودي**، و**ابن حوقل** (943-988)م، و**ابن فضلان**(921- 1002)م...

ومع مشارف القرن11م بدأت ملامح التّدهور تصيب كافة مجالات الحياة، بما في ذلك الرّحلات التي ضعُفَ نشاطها تدريجيًا وهزُلت مادّتها[7]، عدا بعض الاستثناءات التّي عرفت النُضج التّام، أقبل الدّارسون فيها على قراءة ودراسة رحلاتهم في الشّرق والغرب، بل إنّ الغرب نهلوا منها واعتمدوا عليها في بنائهم الحضاري، بل اعتبروا أنّه فيما عدا هيرودوت لم

---

[1] حسني محمود حسين، **مرجع سابق**، ص11.

[2] حين نربط الرحلة بكلمة أدب أي أدب الرحلة، فهنا إنّما نقصد الرحلة كفنّ قائم بذاته له معايير كتابية وفنية، لا يقوم على سرد بحت، ومفهوم أدب الرحلة هو مفهوم معاصر لكننا استخدمناه لعدم وجود مرادف آخر مناسب في تلك الفترة، لأنّ الرحلة لا زالت في بداياتها، وكانت تخضع للتجربة لم تؤسّس لها مفاهيم وشروط دقيقة.

[3] نورة رحموني، **الرحلة والرحالة في الأدب الجزائري**، مجلة رفوف، مج7، ع2، جوان 2009م، ص118.

[4] زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص9.

[5] جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: أدب جزائري قديم، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، ص27.

[6] صلاح الدين الشامي، **الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص255.

[7] حسين محمد فهيم، **مرجع سابق**، ص79.

يشهد الفكر اليوناني والروماني رحلة من طرازهم[1]: **عبد اللطيف يوسف البغدادي**(1162-1231)م و**ابن بطلان**(1001-1064)م و**شمس الدين المقدسي**(945- 990)م... وغيرهم، ترك لنا هؤلاء رحلات مُدوّنة، تُعتبر اليوم مصادر أساسيّة للباحثين في مختلف ميادين المعرفة[2]، اهتمّ الكثير من المستشرقين بهذه الرحلات أمثال: وليام رايت(**William Wright**)(1830- 1889)م، **وروبرتسون سميث(Robertson Smith)**(1846-1894)م...[3]

2.2. في العصر الوسيط:

ظلّ نشاط الرحلة **في الغرب** خاملاً حتى العصور الوسطى، وفي هذا العصر شهد خروج العديد من الرّحالة حجّاجا ناحية الشّرق إلى الأراضي المقدّسة، إذ كان المسيحيون يَرون أنّه من الإلزامي عليهم زيارة المناطق التي عاش فيها مُخلّصوهم، وعكفوا على تسجيل رحلاتهم مسلّطين الأضواء على المناطق التي زاروها وذكروا أوضاعها الإثنوغرافية، وهكذا كثرت المؤلّفات عن الحجّ والطرق المؤدّية إليه، وبهذا كانوا السّبب المباشر لحركة التوسّع الأوروبي للسّيطرة على الشرق، والبداية الأولى لظاهرة ستُعرف لاحقًا ب(الاستشراق)، مثل رحلة **ماركو بولو(Marco Polo**) (1253-1324)م[4]، والمُلاحظ عن رحلات هذا العصر هو غياب الأسس العلمية في التدوين، ومردّه أنّ تفسير الظواهر كان يخضع للدين، وحسب التّفسير الحرفي للكتب السماوية.[5]

---

[1] سميرة أنساعد، **مرجع سابق**، ص43.

[2] الطاهر حسيني، **مرجع سابق**، 36.

[3] سيد حامد النساج، **مرجع السابق**، ص 20.

[4] تعتبر رحلة **ماركو بولو** من الرحلات التي دفعت بالكشوفات الجغرافية خطوة للأمام، إذ حاول فتح المغالق والمجاهل الأرضية التي تحيط بأوروبا، وأكّد أن أوروبا ليست بمركز العالم ولا ديانتها هي الديانة الوحيدة، وقدّم للغربي حضارة الاختلاف، مُثبتا لهم أنّ الشعوب الأخرى ليست شعوبا مُنحطّة عن النوع الانساني، إنّما هي شعوب تمتلك ما لا تمتلكه أوروبا من الوفرة المالية والرخاء... للمزيد ينظر: بيير جوردا، **الرحلة إلى الشرق(رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر)**، ط1، دار الأهالي، تر: مي عبد الكريم، علي بدر، الإسكندرية، 2000م، ص ص11- 12.

[5] حيدر جاسم الرويعي، **مرجع سابق**، ص8.

بينما تعدّ رحلات العرب في العصور الوسطى مصدرًا هامًا، لمَا احتوته من معلومات هامّة حول السكان (سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية...)[1]، ونظرًا لاتّساع رُقعة الدّولة الإسلامية فقد احتاجوا لتآليف وصفيّة(ما يعرف حاليا بالجغرافيا الوصفيّة)، فظهر كتاب **ابن خرداذبة**(820-913)م «المسالك والممالك»، واحتاجت السّياسة الإدارية والتجارية وصفًا دقيقًا للأماكن، فظهر كتاب «البلدان» **لأبي العباس اليعقوبي**(802-897)م[2]، والدّارس لهذه الفترة سيستنتج من فوره أنّ الرّحالة في هذا العصر قدَّموا خدمات جمّة في معرفة أحوال البلاد والعباد، بل لم تقتصر إفادتهم في البلاد الإسلامية بل تعدّتها إلى البلدان الأجنبية كأوروبا وآسيا وافريقيا[3]، بينما ما يُعاب على تآليف الرّحلة في هذا العصر أنّ الرحالة لم يكتبوا أخبار رحلاتهم في مؤلّفات قائمة بذاتها إلاّ نادرا، أمّا معظمهم فقد أدمجوا حديث تلك الرّحلات فيما ألّفوه من كتب التاريخ[4] أو تقويم البلدان.[5]

ولأنّ من أهمّ بواعث هذه الرحلات (الحجّ)، فإن الحجّاج عند عودتهم إلى بلادهم، يُخبرون عن الطّرق التي سلكوها والأحداث التّي صادفُوها، إمّا لمنفعة القُرّاء، أو للَفت أنظار أُولي الأمر، أما القرن 13م فيبدأ طابع الرحلة العلمية يطغى على أدب الرحلة، وهكذا شهدت القرون التالية ظهور العديد من الرحالة[6]، **أمثال: ياقوت الحموي**(1178-1289)م، **وابن سعيد المغربي**(1214-1286)م، **وابن جبير**(1145-1217)م، **محمد العبدري** (1250-1300)م[7]... ثمّ ظهر **أبو الفداءإسماعيل**(1273-1331)م **وأبو زكريا القزويني** (1203-1283)م، على أنّ

---

[1] الطاهر حسيني، **مرجع سابق**، ص 23.

[2] سامية بوصيقع، **مرجع سابق**، ص 427.

[3] حسني محمد حسين، **مرجع سابق**، ص8.

[4] زكي محمد حسن، **مرجع سابق**، ص18.

[5] كانت المسميات السائدة خلال الفترة الإسلامية خلافا لكلمة الجغرافيا، هي علم (تقويم البلدان) أو (المسالك والممالك). للمزيد ينظر: عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، د ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص67.

[6] حسني محمد حسين، **المرجع السابق**، ص15.

[7] **محمد العبدري:**عُرفت رحلته بالرحلة المغربية، خرج من بلاده عازما الحج ومعه ولده، توقف خلال رحلته في أماكن كثيرة وتعرّف على المدن التي اجتازها مركّزا على الناحية العلمية، سجل رحلته معتمدا على ماشاهده دون أن يهمل ما كتبه سابقوه... للمزيد ينظر: عبد الحفيظ بورايو، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، ط1، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، 2013م، ص140.

جُلّ ما أثمره هذا القرن يتضاءل بظهور الرّحالة **ابن بطوطة** (1304-1369)م[1]، **وابن خلدون**(1332-1406)م[2]، إلى أن قامت الاستكشافات الجغرافية الأوروبيّة، عمّ فيها الركود و انشغل الكثيرون منهم بظروف الحياة، ولم يصل من أخبار هذه الرحلات إلا ما كُتب عن الزيارات للحجّ أو للدولة العثمانية.

3.2. في العصر الحديث:

ظهرت هذه الرّحلات **عند الغرب** في أواخر القرن 15م، مُتزامنة مع بداية الكشوفات الجغرافية، وبداية الشّغف الأوروبي باكتشاف مناطق جديدة خارج القارّة، لتصريف سلعه وتوسيع نفوذه، وكان مفهوم التّرحال في هذا القرن يهدف في الأساس إلى جمع المعلومات الجغرافية ودراسة عادات الشعوب وأحوالهم لصالح الحكومات أو المؤسسات التي أوْفدته، إنّه جزء من تراث الإمبراطوريات الغربيّة المُستعمِرة، التي كانت ولا تزال تحرص على دوام مصالحها في البلاد الأخرى، فحتّى الرّحلات ذات الطّابع العلمي كانت مرتبطة أساسا بالسياسة أكثر من ارتباطها بالعلم[3]، من بين هذه الرحلات، **رحلة كريستوف كولومبوس (Christophe Colomb)**(1451-1506)م، **فاسكو دو غاما(Vasco de Gama)** (1469-1524)م، **فرناند دو ماجلان(Fernand de Magellan)** (1480-1521)م...

إلا أنّ الرحلة ما فتئت أن ازدهرت في النصف الثاني من القرن 17م، لكن المؤلّفات والمذكّرات والرّسائل التي كُتبت فيها، كانت مُشبّعة بروح الانحياز والذّاتية[4]، ازدادت الرّحلات

---

[1] **ابن بطوطة:** ولد في طنجة، قام عام 1324م بسلسلة من الرحلات وكان هدفه هو زيارة جميع الأقطار الاسلامية، بل وصل حتى إلى الهند وروسيا والصين، وقام عام 1351م برحلة من مدينة فاس بمراكش حتى تمبكتو. ينظر: جوزفين كام، **مرجع سابق**، ص 22.

[2] **ابن خلدون:** هو عبد الرحمن ابو زيد ابن خلدون، ولد في 27 ماي عام 1332م في حضرموت، ارتحل إلى أماكن كثيرة واشتغل في مناصب كثيرة ، فقد أسرته باكملها في عرض البحر، يعتبر أول مفكر عربي كتب مذكراته الشخصية...للمزيد ينظر: عبد الله الزين، **التربية والتعليم في علم العمران البشري عند ابن خلدون**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج6، ع2، أكتوبر 2020م، ص368.

[3] شهدت الجزائر خلال هذه الفترة إقبالا أوروبيا ملحوظا، حيث توافد عليها العديد من الرحالة الأوروبيين باختلاف غاياتهم وأهدافهم، فنجد منهم من زارها لأغراض علمية واستكشافية، ومنهم من جاء في إطار البعثات الدبلوماسية والتمثيل القنصلي لبلاده، وهناك من قصدها لمآرب تجارية محضة، ومنهم من زارها مُكرها وهذا ينطبق على الأسرى والعبيد المسيحيين الذين وقعوا في قبضة رياس البحر الجزائريين، ناهيك عن الرحلات الخاصة برجال الدين وآباء الافتداء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تحرير الأسرى. ينظر:عبد القادر شريف بموسى، **الشرق بمنظار الغرب كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا**، مجلة فكر الثقافية، ع12، أكتوبر2015م، ص22.

[4] جبور الدويهي، **الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن 18م**، ط1، الفكر العربي، بيروت، 1983م، ص58

انتشارًا في القرن الثامن عشر (يسمّى قرن الرحالة الباحثين)[1]، لأنّ أوروبا عرفت ذروة البعثات العلمية، وتطوّرت فيها العلاقات الدبلوماسية بين أوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا، وفي تلك الفترة قام الكثير من الرحالة الأوروبيين من جغرافيين وعلماء نبات، برحلات إلى البلدان القصيّة بغرض استكمال وتطوير المعارف المُتحصَّل عليها؛ تموّلهم الأكاديميات والجمعيات العلميّة، لقد كانت رحلات هؤلاء ذات طابع علمي، حتّى أنّه أُطلق عليها رحلات الاستكشاف العلمي، واستمرّت دون انقطاع حتى القرن 20م.[2]

بينما **عند العرب** فقد ظلّ الجمود يعتري الرّحلة حتى الفترة الحديثة، في الوقت الذي فتحت فيه أوروبا أبوابها على البلاد الإسلامية، وارتحل الكثيرون منهم طلبًا للعلم[3]، وتعود أسباب الاندثار التدريجي للرحلات؛ إلى المشكلات السياسية والاجتماعية التي رزحت تحتها الشعوب الإسلامية[4]، في هذه الفترة ظهرت الرّحلات التّكليفية التي اقتضت الحاجة إليها لمعرفة أخبار الشعوب التي امتد إليها الإسلام وجمع معلومات عنها وعن ثرواتها وأنظمة الحكم فيها، من بين الرحلات **ابن خليل الظاهري**(1410-1468)م، و**الحسن الوزان** (1488-1554)م[5]، و**أحمد المقري**(1578-1631)م وغيرهم ...

ظلّ هذا الركود سائدا إلى أن عادت للانتعاش من جديد بداية من القرن 18م، لأسباب عدّة أهمها شُيوع الطباعة التي قامت بدور مهمّ في نشر التراث العربي، كذلك احتكاك العرب بالغرب والتأثّر بمظاهر الحضارة الأوروبية[6]، نلمس هذا في رحلة **رفاعة الطهطاوي**(1801-

---

[1] كانت المصادر الأوروبية لتاريخ الجزائر حتى القرن السابع عشر معظمها من تأليف الأسرى ورجال الدين، لكنها اتخذت منحى آخر مع مطلع القرن الثامن عشر مع ظهور عصر التنوير، والذي استجاب له العديد من رجال هذا العصر من مؤرخين وجغرافيين وسياسيين، وتترجم ذلك في رحلات عدة منها: العلمية والاستكشافية والبعثات السياسية التي قام بها البعض منهم في بلدان المغرب الاسلامي خصوصا إيالة الجزائر.

[2] Hamdi ABDZLAZIM, **op.cit**, p38.

[3] حسني محمود حسين، **مرجع سابق**، ص15.

[4] علي عفيفي غازي، **مرجع سابق**، ص30.

[5] **الحسن الوزان**: هو محمد الوزان الزياتي، ولد في غرناطة عام 1495م، اظطرت اسرته للنزوح إلى بلاد المغرب الاسلامي هربا من محاكم التفتيش، استقروا بفاس، قام برحلات كثيرة، منها رحلته الديبلوماسية بصحبة عمه إلى تمبكتو، ونظير حنكته السياسية وتعليمه الجيد في الكتابة الدواوينية ، تم ارساله في بعثات داخل المغرب الأقصى وخارجه، من مؤلفاته «وصف افريقيا» ... للمزيد ينظر: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ط2، دار الغرب الإسلامي، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، بيروت، 1983م، ص6.

[6] نازك سابا يارد، **الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة**، ط2، دار نوفل، بيروت، 1992م، ص9.

1873)م« تلخيص الإبريز في محاسن باريس»، ورحلة **محمد بن عبد الرحمن الفاسي**(1648-1722)م «الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية».[1]

بتأمّل تاريخ الرحلات نجد أنّ سكان المغرب الأقصى هم أكثر الشعوب تنقّلا وترحّلا، وقد ساهم الموقع الجغرافي في ذلك، حيث انتظمت رحلات المغاربة نحو الأقطار المختلفة شرقا وغربا[2]، ولعل أبرز دور قام به الرحالة في العالم الاسلامي، هو ما قدّمه لعلم الجغرافيا، من خلال وصفهم للمسالك والممالك[3]، أما الذين رحلوا إلى بلاد المشرق معلمين ومدرسين ممن آنس في نفسه الكفاءة والقدرة على العطاء فمن أهمهم **أبو العباس أحمد المقري**(1578-1632)م و**أبو زكريا المليانى**(1621-1685)م.[4]

3.أنواع الرحلات

عندما زاد الإقبال على الرحلة؛ تعدّدت أغراضها وأنواعها على حسب الظروف والهدف الذي أُقيمت من أجله، والتي غالبا ما يقوم أصحابها بنشرها في شكل مذكرات أو مؤلّفات تتضمن مشاهداتهم وانطباعاتهم واستنتاجاتهم، حتى ينتفع بها القرّاء والدّارسون والباحثون.

1.3. الرحلة العلمية:

المقصود بها تلك الرحلات التي يعزِم صاحبها للانتقال من مكان إلى مكان آخر طلبًا للعلم، ولقاءً للمشايخ والجلوس إليهم، بقصد الانتفاع من علمهم وفكرهم،

---

[1] صالح جديد، **أدب الرحلة جسر للتواصل الحضاري والتعدد الثقافي قراءة في رحلات القدامى والمحدثين**، مجلة مقاربات، مج2، ع4، جانفي2016م، ص84.

[2] محمد الصافي، **مرجع سابق**، ص306.

[3] فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2002م، ص17.

[4] عائشة دباح، **الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات «رحلة حسين الورتلاني أنموذجا»**، مجلة قضايا تاريخية، مج2، ع4، ديسمبر2017م، ص50.

والتّتلمذ على يدهم ونيل إجازتهم [1]، وقد أكدّ **ابن خلدون** على أهمية الرحلة في طلب العلم، واعتبرها إلزامية لاكتمال الفوائد بلقاء المشايخ.[2]

ونظرًا لأهمية الرّحلة في التعلّم، كان العلماء يحثّون الطلبة عليها، فكان الطالب يترك بلدته بعد أن يحمل ما لدى علمائها، فيتوجّه الى مراكز العلم ويكابد مشاقّ السَّفر وأخطاره، وقلّما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلبه[3]، و كان البعض منهم ينتهز فرصة مُناسبة موسم الحج، فيعرجُ على الشيوخ أثناء سفره للسماع منهم[4]، مثل: الفقيه **أبو بكر بن العربي** (1076-1153)م الذي رَغِب في الدراسة وطلب العلم، فطاف الشام والعراق والحجاز ومصر، ثمّ عاد إلى الأندلس.[5]

والرّحلة العلمية إن اهتمّت بوصف البلدان والمجتمعات، فإنها تفنّنت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي وما هذا بالجانب الذي يستهان به[6]، ومن الرحلات التي اتّسمت بالجانب التوثيقي رحلات: **ابن رشيد، وابن خلدون، والعبدري، والتجيبي**، يعرّفها أبو القاسم سعد الله:« أن الرحلة العلمية هي التي يقوم بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما، والأخذ من علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا».[7]

ولعلّ ما دفع الكثير من العلماء للسَّفر خارج البلاد هو انعدام المراكز العلمية، ممّا جعلهم يتحمّلون عناء السَّفر والترحال من أجل الجلوس إلى أهل العلم والأخذ عنهم وبالتالي الحصول على الإجازات العلمية[8]، وممّا لا شكّ فيه أنّ النّهضة الأوروبية قامت على العلم

---

[1] مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م ، ص10.

[2] محمود حمدي، **صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي**، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 16، ع27، جوان 2015م، ص219 .

[3] صافية كسّاس، **الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي**، مجلة الدراسات اللغوية، مج2، ع4، ديسمبر 2011م، ص180-181.

[4] سامي الصقار، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس هجري- مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب القزويني**، د ط، دار المريخ للنشر، تص: منير الدين أحمد، تر: سامي الصقار، الرياض، 1981م، ص65

[5] سيد حامد النساج، **مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا**، ط1، مكتبة غريب، الإسكندرية، د. س. ن، ص10.

[6] مولاي بالحميسي، **المرجع السابق**، ص10.

[7] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) م**، ط1، دار الغرب الاسلامي، ج2، لبنان، 1998م، ص 384.

[8] عائشة دباح، **مرجع سابق**، ص50.

والمعرفة ومحاولة اكتشاف وسبْر المجهول، ومن الرحالة من سعى إلى المجهول من وراء البحث العلمي، مثل **لودفيكو دي فارتيما(Ludovico Di Varthema)**(1470-1517)م[1] " إن سألني أيّ شخص عن رحلتي، فلا يوجد سبب أفضل من رغبتي المتّقدة في المعرفة".[2]

كما تُعتبر رحلة **كارستن نيبور(Carsten Niebuhr)**(1733-1815)م التي نُشرت 1778م تحت عنوان« رحلة الى البلاد العربية و البلاد المحيطة» من أوائل الرحلات التي قدّمت معرفة علمية عن المشرق، لأنها جاءت كثمرة أو خلاصة لبعثة أرسلها و موّلها ملك الدنمارك.[3]

كما يعتبر الفارس **شارل دو لا كوندامين(Charles De La CONDAMINE)** (1701-1774)م من أهمّ من الرحالة الذين قاموا بالرحلات العلمية، إذ كانت له معرفة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي.[4]

ولقد تطوّرت الرحلة العلمية؛ إذ لم تعد تقتصر على طلب العلم، بل تعدّته إلى الكشوف الجغرافية، ومن الرحلات الأوروبية العلمية، نذكر رحلة الطبيب الفرنسي **بايسونال(PEYSSONNEL)** الذي زار إيالة الجزائر(1724-1725)م، بتكليف من أكاديمية العلوم، قدّم من خلال رحلته عرضًا هائلاً تضمّن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعيّة

[1] **لودفيكو دي فارتيما:** رحالة إيطالي، قام برحلة عام 1503م لصالح ملك البرتغال، لاكتشاف ثروات الشرق عامة والهند خاصة، زار مصر و الحجاز والشام و اليمن والخليج وبلاد فارس، كان مكلفا بوصف عادات الشعوب التي يمر بها في طريقه للهند وحتى الهند نفسها، وكتابة تقارير عن جيوشها ومدافعها، وحصر منتجاتها الزراعية والصناعية، خاصة المهمة في التجارة العالمية، إذن كانت مهمته تجسسية [فكيف إذن هدفه المعرفة ؟]. ينظر: لودفيكو دي فارتيما، **رحلات فارتيما(أبو يونس المصري)**، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تر: عبد الرحمن عبد الله، مصر، 1994م، ص9.

[2] عفيفي علي غازي، **مرجع سابق**، ص 48.

[3] خميسي سعدي، **الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي رحلة الدكتور شو أنموذجا**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 05، ع1، جوان2021م، ص 323.

[4] صاحب **دولاكوندامين** الأميرال **دوغاي**(Dogie) في مهمّة بالبحر الأبيض المتوسط لفرض الحضور الفرنسي عام 1731م، قضى في الجزائر أسبوعا من 10 إلى 17 جوان عام 1731م، وعاد إلى فرنسا مُزوّدا بمعلومات مهمّة عن طبيعة البلدان وعادات سكانها، ثمّ وسّع معارفه برحلات علمية أخرى، ظلت رحلته إلى الشرق مخطوطًا بالمكتبة الوطنية الفرنسية وقام أحد الجنود المرافقين له بكتابتها، ونشرها بعنوان« سفر جديد بالشرق سنوات(1731-1732)م»... للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة والدراسات التاريخية(ذاكرة مدينة الجزائر من خلال النصوص التاريخية)**، ط1، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، ص237.

قيّمة[1]، بالإضافة إلى رحلة **ديفونتان(DESFONTAINES)** إلى الجزائر(1783-1786)م، والذي اهتمّ بدراسة النباتات والأزهار والأراضي الخصبة، وقد حمل معه بعد المدة التي قضاها في إيالتي الجزائر وتونس، مجموعة هامة من الأعشاب؛ حُفظت بمتحف العلوم الطبيعية بباريس.[2]

قام أيضا الطبيب الألماني هابنشترايت(**Habenstreit**) بإقامة علمية لمدة ستة أشهر أولاً في عاصمة الإيالة، ثم في قسنطينة وبونة ... المهمة كانت ضمن بعثة تتألّف من عالم تشريح وعالم نبات وعالم بستنة ورسام وميكانيكي، قررها ناخب ساكسونيا وملك بولندا **فريديريك أوغست(Frederich August)** ، وكان يهدف من خلال هذه البعثة إلى تعزيز و إثراء مجموعته الحيوانية من النّوادر الأفريقية، وخدمةً للعلم لأنها ستكون إثراءً هائلاً وشرفًا عظيمًا لمُبادرها.

يمكننا أيضا معرفة أنّ الرحلات العلمية ذات الطابع الأكاديمي، كانت مرتبطة بالسّياسة، أكثر من ارتباطها بالعلم وبناء الحضارة، لأنّ المتأمّل بصفة عامة للأسباب التي دفعت الأوروبيين للرحلة نحو الشرق تكاد تكون متشابهة، اختلطت فيها الأسباب السياسية (الجوسسة والتوسّع) والدينية (الحج الى الأراضي المقدسة).[3]

2.3. الرحلة الاستطلاعية:

يهدف الرحالة من ورائها استطلاع ما خفي عليهم من أحوال الأمم، وتتعلّق غالبا بالاستعلام على استحكامات البلد الدّفاعية تمهيدًا لغزوه[4]، وقد يخطر لمحبّ التّجوال والمغامرة أن يرتحل لمدّة قد تستغرق شهورًا أو سنوات، يدوّن أثناءها ما يعجبه أو يُلفت

[1] احميدة اعميراوي، **صورة الجزائر قبل 1830 في مصادر أوروبية**، مجلة الفجر، ع1، 2013م، ص2.

[2] زكريا العابد، **مرجع سابق**، ص ص 54- 56.

[3] خميسي سعدي، **مرجع سابق**، ص325.

[4] نبيلة شلابي، **الرحلات المغاربية إلى الجزائر في العهد العثماني(دراسة مقارنة)**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية ، جامعة باتنة1، باتنة، 2021م، ص37.

انتباهه أو يُخالف ما تعوّده[1]، وقد تكون الرّحلات لغير البلدان الأصلية مختلفة الأهداف، ويكون منطلقها ذا منحَى تقريري هدفه معرفة المجتمعات، وهي نصوص استكشافية، تُعلن عن هدفها الاستكشافي منذ البداية.[2]

ولأنّ الرحلات الاستطلاعية من خلال مواضيعها وطريقة عرضها تعبّر عن روح المغامرة لاستكشاف المجهول ومعرفة حقيقة الآخر، فإنّ مستواها ونوعيّتها يرتبط عادة بفترات تيقّظ الأمم ومراحل رقيّ الشعوب.[3]

أيضا الرحلة الاستطلاعية من حيث مضمونها وطريقة تعبيرها، تجمع بين ما تحتويه التّقارير الخاصة، وبما تهتمّ به المذكّرات الشّخصيّة وما تسجّله التّراجم وكتب الجغرافيا، وتمزج في تسجيلها لوقائع الأحداث بين ذاتيّة الفرد المعبّرة عن ميوله والمتحكّمة في سلوكه، وبين موضوعية الملاحظة لحقائق الأشياء، كما يُلمس ذلك في مضمون العديد من الرّحلات الاستطلاعية في البلاد العديدة، من قُبيل رحلات التاجر **سليمان السيرافي وابن فضلان وابن بطوطة.**[4]

ومن أبرز الرحلات الاستطلاعية الأوروبية، نذكر رحلة الروسي **كوكوفستوف (Kokovestov)** نحو الجزائر عام 1777م، بهدف الاستعلام عن القوّات البحرية الجزائرية، وقد ذكر هذا قائلا:« إنّها حقائق علمتها بنفسي في أوقات انتهائي من عملي ... إنها تتعلّق بالبحرية في البحر المتوسط، وكذا تجارة روسيا في المنطقة مع شعوب البحر المتوسط»[5]، كما يعتبر الرحالة الاسكتلندي **وليام ليثغو(William Litghow)** من الذين عُرفوا بحبّ الاستطلاع، فما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى أَخذ في استطلاع بلدان القارة الأوروبيّة

[1] مولاي بالحميسي، **مرجع سابق**، ص11.

[2] شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل**، ط1، دار الرؤية للنشر، المغرب، 2006م، ص154.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **الرحلات الاستكشافية** ... مرجع سابق، ص59.

[4] **نفسه**، ص65.

[5] كان لتطوّر وتفوّق البحرية الجزائرية الأثر الإيجابي في تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية لإيالة الجزائر، وذلك من خلال الفوائد التي حصلت عليها خزينة الدولة خلال تلك الفترة، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، **مصدر سابق**، ص80؛ Marcel EMERIT**, Déscription de l'Algérie en 1787 par l'Officier Russe Kokovtsov** , RHM, N°4 , Tunis , 1975.

والإفريقية[1]، ورحلة **جاك مكارثي(Jack MacCarthy)** المستكشف الإيرلندي الذي وظّفه الفرنسيّون لصالحهم، وقدّم معلومات ومعطيات كثيرة بل وساعدهم في ضبط خطّتهم ومشروعهم الاحتلالي.[2]

3.3. الرحلة الدينية:

الدّافع لهذا النّوع من الرحلة روحيّا بقصد زيارة الأماكن المقدسة، إمّا تلبية لنداء الرّحمن وتطهيرًا للنفس بالنسبة للمسلمين، أو لأجل التنصير بالنسبة لغير المسلمين، وبما أنّ الدّافع الديني من أقوى المحرّكات للرّحلة خصوصًا عند سكان المغرب الإسلامي، ونظرًا لبعد بلاد الحجاز وكونها مهبط الوحي ومهد الحضارة الإسلامية، فقد كانت ولا تزال رحلة يتشوّق إلى أدائها النّاس عامة والفقهاء والعلماء خاصة.[3]

حتّى أنّ مجموعة كبيرة من رجالات بلدان شمال إفريقيا؛ يرون أنّ تميّزهم العلمي لا يتحقّق ولا يكتمل إلا عند زيارة مكة المكرمة وأخذ الدين والعلم عن شيوخها[4]، ومن أشهر الرّحالة العرب الذين تميّزوا بالرحلة الحجازية **أبو عبد الله التلمساني**(1310-1370)م، ولأنّه كان شاعرًا في المقام الأول، كانت قصيدته (الورشان) وصفا تاما لرحلته من تلمسان إلى مكّة المكرمة، بل وكانت هذه القصيدة سببًا في إدراج اسمه ضمن ناظمي الرحلات الحجازية عبر طريق الحجّ التلمساني، أيضا **ابن عثمان المكناسي**(ت18م) الذي روى في رحلته جميع مشاهداته والأئمة الذي نقل عنهم في طريقه إلى الحج، **وأحمد بن عمار الجزائري** (1709-1791)م وكتابه الذي ضمّ رحلته إلى بيت الله (نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، وغيرهم كثير...[5]

---

[1] ميشيل آبار، **مرجع سابق**، ص 47.

[2] سعيد عيادي، **مخطط احتلال الجزائر من مشروع الضابط بواسوني إلى مشروع قسنطينة**، ط1، دار تفتيلت، الجزائر، 2015م، ص.28

[3] محمد الصافي، **مرجع سابق**، ص306.

[4] عبد الهادي تازي، **رحلة الرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، د ط، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ج1، الرياض، 2005م، ص25.

[5] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ، تخ: المدينة والحياة الحضرية والغرب الاسلامي، كلية الآداب والحضارة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017م، ص ص39-41.

أمّا الرحلة الدينية عند الأوروبيين فكانت الدّافع الأساسي الذي حرّك عجلة الكشوف الجغرافية، وعلى أساسها يمكن كسر شوكة المسلمين المسيطرين على طرق التجارة، والعمل على كسب أراض جديدة للمسيحيّة[1]، أيضا من الدّوافع تحرير وافتداء الأسرى المسيحيين[2]، مثل رحلة **القس بيار دان(l'Abbé Pierre DAN)**، التي كُلّف بها في بلاد المغارب، حيث تمكّن من الإبحار إلى إيالة الجزائر وتحرير اثنين وأربعين أسيرا عاد بهم إلى فرنسا، وتمكّن من جمع مادته الأولية لكتابه« تاريخ بلاد البربر وقراصنتها»[3]، إضافة إلى رجل الدين المسيحي **فرانسيسكو خمينيث(Francisco Jiménez)**)(1436-1517)م الذي كان مولعًا بجمع المعلومات وتسجيلها، مذكّراته محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد وتتكوّن من سبع مجلدات، ثلاثة منها تخصّ رحلته في إيالة الجزائر(1717-1720)م.

4.3. الرحلة الرسمية:

يضمّ هذا النوع من الرحلات (التّكليفية والإدارية والسّفارية)، والرحلة الرّسمية هي التي يرافق الرحالة فيها الملوك ورجال الدّولة في أسفارهم، ممّا يجعلها ذات أهداف ودوافع سياسية بحتة، وعادة ما يشبّهها الدارسون بالغزوة أو السَريّة العسكرية، يقوم بها الحاكم ضدّ الخارجين عن القانون أو المتمرّدين عن السلطة المركزية[4]، أو يكون الرحالة مبعوثًا من الجمعيات العلمية التي تسعى لاستكشاف الجديد في الطبيعة الجغرافية لتطوير أبحاثها، أو من الجمعيات المسيحية الخاصة بافتداء وتحرير الأسرى.[5]

---

[1] [تحدثنا عن السببيّة التي كانت سائدة والتي كان يحرّكها الجانب الديني، دون أن ننفِ أن هناك رحلات دينية مسيحية هدفها زيارة الأماكن المقدّسة لديهم، في النهاية بعض المسيحيين المؤمنين لا يرجون من رحلتهم أرباح دنيوية]. ينظر: عفيفي علي غازي، **مرجع سابق**، ص50.

[2] **افتداء الأسرى:** تعتبر هذه العملية صفقة تجارية، فإطلاق سراح هؤلاء الأسرى يتم عادة بواسطة دفع الفدية وليس بالقوّة، وتتمّ في الغالب عن طريق رجال الدين الذين كانوا مُنتدَبين للفداء، فكانوا يُشرفون على جمع الأموال اللازمة للعملية، بالإضافة إلى أموال أولياء الأسرى... للمزيد ينظر: رحمونة بليل، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية (1564-1830)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، وهران، 2011م، ص ص 192- 193.

[3] **القرصنة:** عند الأوروبيين هي امتداد للحروب الصليبية، وذلك نظرا لأسبابها الدينية والعاطفية، والجهاد البحري عند المسلمين مع هذا فإنها بعيدة كلّ البعد عمّا يلصقه بها الأوروبيون من أنها لصوصية واعتداء وتعدّي على القوانين الدولية... للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1808-1830)م**، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م، ص66.

[4] أحمد يوغلا، **الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص**، ط1، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، المغرب، 2008م، ص205.

[5] ميشيل آبار، **مرجع سابق**، ص47.

وقد دأبت الأوساط الرّسمية على تشجيع الرحالة لوصف البلدان التّي يسافرون إليها، وكذلك المؤسّسات العامة مثل الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية وشركة الهند الشرقية والمتحف الوطني البريطاني، هذا التّشجيع جاء ضمن حملة الشغف لكل ما يمتّ بصلة إلى علم الآثار، الذي تطوّر من اهتمام فردي إلى توجّه قومي.

كان هذا يتماشى مع رغبة الحصول على المعرفة لبسط السّيطرة الفكرية، فالرحالة **فارتيما** كانت رحلته أكثر تعقيدًا، فقد كان مُكلّفا بوصف عادات الشّعوب التي يمرّ بها في طريقه للهند وفي الهند نفسها، وكتابة تقارير عن جيوشها خاصّة فيما يتعلّق بالمدافع، وحصر منتجاتها الزراعية والصناعية.... فإن مهمّته كانت التجسّس الشامل على كامل الشّعوب والجماعات، خاصة الإسلامية منها، ويبين ممّا لا يدع للشكّ الكاتب السويسري **تيري هينتش(Thierry Hentsch)** في كتابه «الشرق المتخيّل» أن تركيز الرحالة **قسطنطين فرانسوا فولني(Constantin François CHasseboeuf)**(1757-1820)م على وصف نظام الحكم في كلّ من مصر وسوريا ووصف عناصر المجتمع في كل بلد، وكذا المعلومات المتعلّقة بالجيش؛ تدخّل في إطار مشروع مكتمل للغزو، إذ يقول:" وكائنًا ما كان دافع الرحلة إلى مصر وسورية، فإنها تمثّل كلّ سمات مزايا استطلاع معمّق وهي بذلك تختلف عن معظم تقارير الرحلات السابقة...".[1]

أمّا **الرحلة السّفارية** فقد ظهرت خلال القرن السادس عشر، كانت في بادئ الأمر تعني الصّلح بين القوم، ثمّ باتت من المهام الدّائمة للسّياسة الخارجية للدّول، تنفّذه شخصيّات رسمية وتكون غاية صاحبها إنشاء سفارة لدى دولة أجنبية، ويعدّ ممثّلا لدولته وعنوانا لرُقيّها، فالرحلة السّفارية إذن هي إرسال السّفراء العارفين بشؤون السياسة والحكم من قبل الملوك والحكام إلى نظائرهم في الدول الأخرى، بغرض إقامة وتحسين العلاقات أو عقد المعاهدات والاتفاقيات.[2]

[1] خميسي سعدي، **مرجع سابق** ، ص ص 321- 322.

[2] نبيلة شلابي، **مرجع سابق**، ص37

كما تشكّل من ناحية أخرى اختبارًا متعددًا للقدرات الديبلوماسية لصاحبها ومؤهّلاته في رصد خصوصيات الآخرين وجمع المعلومات ووصفها بشكل دقيق، فيغدو الرّحالة عين باعثيه على ما يجري في البلد[1]، كما حرصت الدّول من خلال إنشاء السّفارات للمحافظة على كيانها وتقريب علاقاتها مع الدّول الأخرى، حيث شكّلت السّفارات بين الدول مجالاً واسعا للانفتاح على مختلف الجوانب الحضارية، فكان لا بدّ من اتصال حكام الأماكن المختلفة ببعضهم البعض، والظّروف السياسية الدّاخلية والخارجية كانت تستوجب السّفارات.[2]

أمّا بين دول المغرب الاسلامي وما جاورها من الدول كانت السّفارات لا تنقطع، منها ما يكون بقصد الصّلح وتحرير الأسرى، أولتصفية الأجواء السّياسية وربط العلاقات الديبلوماسية، ومن الرحلات المغربية السفارية رحلة **ابن خلدون**، إذ نال قدرًا كبيرًا عند ملوك الأندلس، حيث اعتمدوا عليه في السّفارة بينهم وبين ملوك الدول الأخرى.[3]

بينما من أشهر الرحلات الأوروبية في هذا الجانب رحلة القس **بيير دان** عام 1634م، و**بيتي دي لاكروا (Petits De la CROIX)**، **وفونتير دي بارادي (Venture de PARADIS)**.

جاب الرحالة السّفراء العديد من الأصقاع، ودوّنوا مؤلّفات مليئة بأوصاف عن ترتيبات الدّول وأنظمتها ومراسم استقبالها للسّفراء والوفود الرسمية، فضلا عن أوصاف الشعوب والمسالك والطرق... إذن فالرحلات السّفارية تتعلّق بتبادل السّفارات بين الدول[4]، وغالبا ما يخفي الرحالة الهدف الأساسي من سَفارتهم، ويكتفون بالإشارة إلى استمرار العلاقات الحسنة والرغبة في السلام وعقد الصفقات التجارية.[5]

---

[1] فريد الزاهي، **الممانعة والفتنة الجسد والذات والصورة (متخيل الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا)**، مجلة الكوفة، مج2، ع2، فيفري 2013م، ص169.

[2] نوال الشبايكة، **مرجع سابق**، ص216.

[3] نوال الشبايكة، **مرجع سابق**، ص41.

[4] محمد الصافي، **مرجع سابق**، ص307.

[5] جميلة روباش، **مرجع سابق**، ص28.

أما **الرحلة التكليفية والإدارية** يقوم فيها الرحالة بطلب من الحاكم لأمر يخصّه، أو لقضاء حاجة تتعلّق بشؤون البلاد، فنظرًا للحاجة إلى المعلومات والبيانات الخاصة بالبلدان والشعوب، اقتضت ضرورة الحكم والإدارة وتقديم الثروات وحجم الضرائب، أن يكلّف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقديّة لجمع البيانات والحقائق وتقديم التقارير[1]، مثل رحلة **توماس دالام(Thomas Dalam)** عام 1598م، حين طلبت الملكة **إليزابيت الأولى(Ilizabet I)**(1533–1603)م منه بعد أن صنع لها آلة الأرغن، أن يحملها ويقدّمها هدية للسلطان العثماني **محمد الثالث**(1566-1603)م، في محاولة لكسب ودّه للحصول على تنازلات تجارية وتحالف عسكري.[2]

4.أهمية الرحلة

إنّ المؤلّفات التّي يدونّها الرحالة ذات قيمة كبيرة في التأريخ والتعريف بحيوات الشعوب، ذلك لأنها دُوّنت كمشاهدة وملاحظة لواقع تمّت معايشته، ولولا ما كتبه الأوّلون من مرويّات كيفما كانت درجة دقتها وقيمتها المعرفية؛ ما كان لنا أن نعرف عن أخبارهم شيئا.

ومن عادة الرحالة إخفاء المسببّات التي تمّت فيها الرحلة، فليس من عادة الرّحالة الإسْفار عن الأسباب الحقيقية لرحلتهم، أو الأهداف المرجوّة التي تدفعهم إلى المخاطرة بحياتهم، ولذلك دائما ما يتحجّجون بأسباب عامّة (الاستكشاف، تعلّم اللّغة العربية، جمع المخطوطات، التّنقيب عن الآثار، زيارة الأماكن المقدسة، و البعد عن الحياة الأوروبية الصّاخبة، لكن تبقى هذه المؤلفات(الرحلية) مادة خبرية وكنزًا معلوماتيًا، يستفيد منه الباحثون والمؤرّخون في شتّى التخصّصات والمجالات.

1.4. الأهميّة التّاريخية والجغرافيّة:

تعتبر الرّحلة من أهمّ مصادر التاريخ، كونها تعدّ منجمًا غنيًا وزاخرًا بالمعلومات والأخبار، يستفيد منها الباحث خصوصًا في دراساته المتّصلة بوصف واستقصاء أحوال البلدان وتاريخها، فالرحلات تعطي كلّ ذلك بُعدَه المناسب، وتتطرّق إلى تحليل جوانب لم

[1] حسين محمد فهيم، **مرجع سابق**، ص80

[2] رنا قباني، **مرجع سابق**، ض13.

تتطرّق إليها البحوث التاريخية، فالرحلة تُعرّفنا على واقع البيئة التي عايشها الرحالة والمجتمع الذي اختلط به، وبذلك يجسّد المرحلة التّاريخية التي عايشها، فهي مصدر دُوّن بشاهد عيان، فدراسته من الناحية التاريخية مفيد في التّعرف على جميع جوانب الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية والسياسية.[1]

كما تكتسي أهمّية بالغة إذ تتوفّر على مادة وفيرة مما يهمّ المؤرخ والجغرافي، إذ أنّ مخزون الفكر الإنساني أساسه الرّحلة، وفيها منابع ثرَّة لمختلف العلوم، وهي في مجموعها سجلّ حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطّي في الوقت نفسه ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها أو يسمعها وينقلها في رحلته، ولاشكّ أنّ الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقّة ملاحظتهم ودرجة اهتمامهم كما يختلفون في درجة صدقهم وأمانتهم، وفي تنوّع فهمهم للأمور تحت الظّروف المُغايرة والتي يخضعون لها.[2]

ومهمّة الباحث المؤرّخ هو الاطّلاع على أمّهات الكتب في فنّ الرحلة، مختارا بين الغثّ والسّمين، واضعًا معلوماتها موضع التّحليل، كي يتمكّن من الحصول على النتائج المرجوّة[3]، يذكر **أندري نوشي** (**André NOUSHI**)(1922-2017)م في تقديمه لكتاب **لوجي دو تاسي** (**Laugier de TASSY**) مقطعا يوازي ما ذكرناه حول الأهمية التاريخية للرحلة " كيف يمكننا معرفة تاريخ الجزائر قبل الإستعمار، دون اللجوء إلى قصص الرحالة الذين زاروها، إن ضياع هذه المؤلفات وصعوبة الوصول إليها، يحْرم المؤرّخ من مواده الأساسية ويجعل مهمّته شاقة".[4]

أمّا الأهمية الجغرافية فقد قدّمت الرحلة الكثير من المعلومات التي تعدّ مصدرا أوليًا ومادة خام للدراسات التي قامت عليها علوم الجغرافيا، ولعل كتاب«الرحلة عين الجغرافيا

[1] محمد الصافي، **مرجع سابق**، ص311-312.

[2] حسني محمد حسين، **مرجع سابق**، ص5.

[3] نبيلة شلابي، **مرجع سابق**، ص44.

[4] Laugier De TASSY, **Histoire du Royaume d'Alger , avec l'Etat Présent de son Government, de ses Forces de Terre & de Mer, de ses Revenus, Police, Justice Politique & Commerce** ,Henri Du Sauzet, Paris, 1725, pI.

المبصرة» ل**صلاح الدين الشامي** لهو تعبير بليغ عن علاقة الرحلة بالمعلومات الجغرافية، وإن كان الرحالة يدوّن مشاهداته الجغرافية، فهو إنّما يعمل في خدمة علم الجغرافيا، وعندما يصف المسالك والممالك ويتحدث عن الطبيعة والظواهر وتوزيع السكان فإنما يعدّ من صميم الدراسات الجغرافية، وحين يعتني الرحالة بالمسالك وقياس المسافات فهو بذلك جغرافي من حيث لم يعلم.[1]

بمعنى أنّ المسؤولية تقع على عاتق الرحالة، ويتوجّب عليه أن يخرج بالرؤية الجغرافية إلى مرحلة علمية ميدانية، فيدوّن مذكراته وفقًا لاهتماماته، في شكل كتابة رحلية دقيقة موضّحا فيها المسارات والمراكز والمناهل والمنابع[2]، ومن الصور الإيجابية للرحلة العربية أنها أسّست للجغرافيا ليس العربية فقط وإنما العالمية.

تعدّ رحلة **ابن بطوطة** من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية في حياة الأمم في القرون الوسطى، وكذلك رحلة **ابن حوقل والإدريسي**(1100-1166)م وكتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي» هذا المُؤلَّف الذي يعدّ مرجعية الكثير من العرب والأوروبيين الجغرافية.[3]

2.4. الأهمية الاجتماعية والثقافية:

يقوم الرحّالة بتدوين ما جاء في رحلته بغرض إفادة القراء، وذلك بتقديم معلومات عن المعارف والعلوم التي تعلّمها، والتعريف بالأعلام ومؤلفاتهم، وأهمّ المنابع التي استقوا منها علومهم وسجّلوا نشاط العلماء الذين أخذوا عنهم، والمراكز الثقافية والمدارس التي زاروها

[1] فردوس أحمد بت، **أهمية أدب الرحلات من الناحية العلمية والتعليمية**، مجلة الفكر، مج2، ع2، مارس2016م، ص27.

[2] يامنة جبور، **صورة الجزائر في عيون الأجانب**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: الدراسات الأدبية والحضارات الإسلامية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م، ص9.

[3] قرّب الملك **روجر** المسيحي **الإدريسي** منه وأغدق عليه بسخاء، لأنه يعلم مدى دقّة وصحة المعلومات التي أتى بها، في ظل المعرفة الأوروبية التي كانت تقريبا ساذجة في تلك الفترة، لندرة من كان يقوم بالرحلة، وإن وجدت فمشكوك في صحتها ودقتها. ينظر: صالح جديد، **مرجع سابق** ، ص78؛ صلاح الدين الشامي، **مرجع سابق**، ص163.

وأخذوا عن علمائها[1]، وكذلك من أجل التأريخ للأحداث التاريخية المتنوعة وتقديم معلومات موجزة أو مفصّلة عن الأحوال للبلدان المقصودة بالزيارة.[2]

كما أنّ الرحلة العلميّة مهمّة للجميع وخصوصًا المؤرّخ، إذ يستطيع استنباط جميع المعلومات حول الفترة الزمنيّة التي يختصّها بالدّراسة من خلال معرفة نمط معيشة السكان ونظام الحكم، العادات والتقاليد، النباتات والطرق فالكثير من الرحلات في القرن 18م، في إطار المهام العلمية التي كانت تهتمّ بالمشرق، كانت بغرض الاستعلام والمعرفة[3]، لهذا هي مصدر معلومات هام للعلوم الإنسانية(التاريخ، علم الآثار، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، الإثنوغرافيا، الفلكلور...)، والعلوم التقنيّة والتجريبية(علم النبات، الجيولوجيا، علم المناخ...).[4] بل إنّ الرحالة أنفسهم يحصلون على قدر وافر من التجارب، نظرا لمَا يصادفهم من مصاعب، فالرّحلة تنبئ عن صاحبها، أكثر مما تُخبر عن موضوع المشاهدة، ذلك أنّ الرحالة إذ يجتهد في تصوير البلاد والمناظر التي يرتحل اليها، ويطلب تحقّق الإمتاع بما ينقله إلى قارئه من غرائب وعجائب.[5]

أمّا الأهميّة **الإثنوغرافية** فإنّ زيارة الرحالة للمجتمعات ومجالسته لأفراده على اختلاف درجاتهم العلمية وفروق طبقاتهم الاجتماعية وتنوّع مهنهم الحرفية، يمكنه من معرفة انشغالات كلّ فئة، كما يستطيع تعداد الظّواهر الاجتماعية للحياة اليومية، وكلّ ما يتعلق بالبيئة من ملبس ومأكل ومشرب، وهكذا يكون قد نقل للقارئ مشاهد حيّة، ترصد الواقع الثّقافي والحياة الاجتماعية للشعوب وتصوير حياتهم وطرق عيشهم، التعرّف على البلدان و الشّعوب وثقافتهم وتقاليدهم وإمكانية التّبادل الثقافي، كما أنّ الاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم وديانتهم ونظم حكمهم، غالبا ما

---

[1] سامية بوصيقع، **مرجع سابق**، ص432.

[2] نبيلة شلابي، **المرجع السابق**، 46.

[3] خميسي سعدي، **مرجع سابق**، ص323.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ص322.

[5] سعيد بن سعيد العلوي، **أوروبا في مرآة الرحلة: صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية**، د ط، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، أكدال، 1995م، ص20.

تضع أمام الفرد مجالاً للمقارنة، كما تساعده على تقييم نظم وتقاليد موطنه، ومثال هذا رحلة **بن جبير** الذّي امتاز بالصّدق في كلّ ما تقع عليه عيناه، ونقل ثقافات الأمم التّي زارها دون تحيّز أو تهميش حول إن كان ما ذكره يتماشى أو لا يتوافق مع ثقافته.[1]

بهذا فللرحلات أهميّة في إسقاط العصابة عن تلك العين التي لا ترى صالحًا فيما يفكّر فيه ويفعله أصحابها، كما أنّ الجانب الاجتماعي يشكّل الجانب الأكبر من كتابات الرحالة الأوروبيين، خصوصا ما تعلّق بنمط المعيشة، ومراسم الزواج والختان ومختلف العادات و التقاليد...الخ، وهذا ما أكّدت عليه الكتابات الفرنسية في القرن الثامن عشر، ولا تكاد تخلو أيّ رحلة من الأبعاد المختلفة للمجتمعات العربية[2]، وتعتبر رحلة **إدوارد وليم لين (Edward William Lane)**(1801-1876)م إلى مصر، والتي ألّف فيها كتابا عنونه بـ «عادات المصريين المحدثين و تقاليدهم بين عامي (1833-1835)م»، من أهمّ الرحلات التي ركّزت على الجانب الاجتماعي للبلاد العربية، كما أنها تعدّ مصدرا مهمّا لوصف الثقافات الإنسانية، ورصد بعض جوانب حياة الناس اليومية.[3]

3.4.الأهمّية السياسية والاقتصادية:

إنّ التعرّف على بعض ملامح العصر الذي دوّن فيه الرحالة أخباره، يفيد الباحث في التعرّف على أوضاع المنطقة ونظام الحكم فيها، فالرحالة يهتمّ بالوضع السياسي والتنظيمات المعمول بها ويسجّل الأحداث المتعلقة بتعاملها مع الدول الأجنبية من معاهدات واتفاقيات، ومعرفة المسالك والمسافات والطرق والمعالم والمحطات والمناطق المحصّنة[4]، أحيانا لأجل المعرفة وفي الغالب خدمة لسياسة بلاده.

وهو ديدن الرحلات الاستطلاعية في عمومها وحتّى الرحلات السّفارية والتّكليفية، ليست الأوروبية فحسب بل حتّى العربية منها، الاستعلام عن الوضع السياسي من خلال إرسال

[1] صالح جديد، **مرجع سابق**، ص82.
[2] نبيلة شلابي، **مرجع سابق**، ص41.
[3] سامية بوصيقع، **مرجع سابق**، ص 432.
[4] سعيد بن سعيد العلوي، **مرجع سابق**، ص432.

الرحالة كعيون لتدوين الوضع في المنطقة المُستهدفة هو عيْن الأهميّة السياسية، ولنا في الرحلات من القرن السادس عشر وحتى التاسع عشر الكثير، **مارمول كاربخال، بايسونال، وشاو**، و**فونتير دي بارادي، ولوجي دو تاسي**، والقس **بيير دان**....الخ.

والحال نفسه بالنسبة للأوضاع الإقتصادية، ونظرا لما ينقله الرحالة من أخبار البلاد الاقتصادية، نستطيع التعرّف على الثروات الطبيعية والصناعية لمنطقة ما، كما يمكننا التعرّف على الظروف الاقتصادية المزدهرة والصعبة التي تعايشها منطقة ما ، ولمنح صورة أدقّ لأهمية وقيمة الرحلة في جميع الجوانب التي ذكرناها، هناك دراسة دقيقة بعنوان« رحلة التمقروتي، النفحة المسكية، قيمتها التاريخية والعلمية» تمّ فيها تحليل جميع ما جاء فيها من الناحية التاريخية والاثنوغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية.[1]

[1] قادة دين، **رحلة التمقروتي، النفحة المسكية، قيمتها التاريخية والعلمية**، دراسات تاريخية، مج10، ع1، أفريل 2022م، ص ص308-326.

الفصل الأول:

الأوضاع في أوروبا وإيالة الجزائر والرحلات الاستطلاعية نحو الإيالة خلال القرنين (17/16م)

المبحث الأول: الأوضاع في أوروبا خلال القرنين (16-17)م

1. عصر النهضة وانبعاث المدنيّة الأوروبية
2. التطوّرات الدينية والاجتماعية
3. التوغّل خارج حدود القارة الأوروبية.

المبحث الثاني: الأوضاع في إيالة الجزائر خلال القرنين (17/16)م

1. انضواء جزائر بني مزغنة تحت الراية العثمانية
2. النشاط البحري بالإيالة الجزائرية
3. الحملات الأجنبية الموجّهة ضد الإيالة

المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية نحو إيالة الجزائر(17/16م)

1. الرحلات الاستطلاعية ودوافعها خلال القرنين السادس والسابع عشر
2. . قراءة في رحلات القرنين (16-17)م من حيث (الطبيعة- التخصص- الظروف البيئية)

مع بداية عصر النهضة تطلّع ذهن الأوروبي إلى إكتشاف مناطق جديدة، وباتت الرحلة عنده ضرورة حتميّة، فتعدّدت أهدافها وتغيّرت عوالمها حسب ما ارتاده الأوروبيون من مسالك وممالك بحثًا عن المجهول، والتطلّع إلى معرفة شعوب غير شعوبهم، وتنقيبًا عن سلع في أسواق غير أسواقهم، لقد مَنحت هذه الرحلات معلومات غاية في الأهمية عن واقع الحياة واهتمامات النّاس ومظاهر العمران، بدءًا من مراحل الطريق ومحطاته؛ وانتهاءً بمعالمه الأثريّة ومظاهره الطّبيعية، وهذا ما جعل الرحلة الأوروبية بتنوّع وتباين أشكالها تتَوافر على معلومات غنيّة ومتنوّعة من حيث المواضيع والقضايا التي تثيرها وتتعرّض لها، وتفتح بابًا أيضا للتوسّع والاستعمار.

المبحث الأول: الأوضاع في أوروبا خلال القرنين (16-17)م

بقدر ما كانت النّهضة محمومة برغبة الاستطلاع، كانت أيضا نهضة تقنيّة بحرية إيمانا منهم أنّ الإنفاق على الآلات، وبناء سفن جديدة، وتطوير الخرائط[1]، يسهّل التوغّل في المحيطات؛ ومنه الوصول إلى أراض جديدة طمعا في الحصول على الثّروة، وأوائل من قاموا بهذه الرحلات، هم مغامرون محترفون لديهم استعداد للعمل تحت ظلّ أيّ حاكم أوروبي[2]، ما دام سيقدّم لهم المعونة لأجل الوصول إلى مبتغاهم الأساسي«الثروة»، وحتى المُتوافر من كتابات الرحالة إنّما كان من طرف أشخاص آخرين أملى عليهم الرّحالة ما يودّون قوله.[3]

[1] كانت الخرائط الملاحية في أواخر العصور الوسطى تحدّد فقط الخطوط الساحلية، مغطّاة بأشكال دائرية تمثّل اتجاهات البوصلة من نقاط معينة. كانت تلك الخرائط مُفيدة للرحلات القصيرة نسبيًا في البحر المتوسط، أو على طول الخطوط الساحلية... للمزيد ينظر: لورانس إم. برينسيبيه، **الثورة العلمية**، ط1، مؤسسة هنداوي، تر: محمد عبد الرحمن اسماعيل، مصر، 2014م، ص 110.

[2] [مثال ذلك الرحالة فارتيما الإيطالي الذي كان يعمل لحساب ملك البرتغال، وكولومبس الإيطالي أيضا الذي كان يعمل لحساب ملك الإسبان].

[3] [على ما يبدو أن تأريخ الحروب كان ديدن الفترة الممتدة على طول القرن السادس عشر، ولعل مذكّرات خير الدين بربروسا خير دليل، فما إن تلقّى أمرًا من السلطان سليمان القانوني بكتابة مذكّراته، حتى أرسل إلى زميله في الكثير من غزوات البحر«المُرادي» المدعو سنان شاوش، فكان يُملي والمرادي يكتب، بعد انتهاءه أُهْديت نسخة إلى السلطان، وردَ تاريخ كتابتها عام 1546م، أيضا وصفَ شارل الخامس رحلته والتي كتبها **جاك دي هاربايز(Jack de Harbayes)** الذي رافقه في الحملة على الجزائر]. عيسى علي ابراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص ص93-94.

1. عصر النهضة وانبعاث المدنيّة الأوروبية:

يعتبر عصر النهضة عصر إحياء العلوم والآداب في أوروبا، بعد أن خفّت قبضة الكنيسة على العلماء، فالعلم عندهم هو ما وُجد في الكتاب المقدّس ولهم وحدهم الحق في تفسيره، أمّا المعارف اليونانية والرومانية القديمة؛ اعتبرتها الكنيسة معارف وثنيّة وجب حجبها عن العامة...[1]

كما أن التصوّر الحديث لهذا العصر لم يتشكّل تماما إلاّ في «عصر التنوير» وهو تصوّر يرتكز على الاستمرارية مع التّغيير لا القطيعة، والتخلّص من تبعات العصور الوسطى التّي تقيّد المعرفة والانفتاح على الأفكار[2]، ولأنّ الكنيسة تسيطر على الحياة الفكرية والدينية والثقافية في أوروبا، وكان عظيم اهتمامها ينصبّ على الدراسات اللاهوتية والأدبية والمنطقية، لم تحظَ الدراسات العلمية إلا بالنّزر اليسير، وعاش الأوروبيون في بيئة مُعاديَة تماما لحريّة التّنقيب والبحث العلمي[3]، يقول المفكر والرياضي الفرنسي **جان لوران دالمبير(Jéan Le Rond D'ALEMBERT)**(1717-1783)م في الخطاب الافتتاحي لموسوعة مفكري عصر النهضة(يقصد التطوّر العلمي الحاصل): " كان يلزم لكي يخرج الجنس البشري من عصر البربرية؛ أن تحصل ثورة كبيرة تغيّر وجه الأرض".[4]

---

[1] ليلى الصباغ، **معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1997م، ص116.

[2] حول مفهوم النهضة الاصطلاحي يذكر المؤلّف **هاشم صالح** رؤية منطقية وجب فعلا الوقوف عندها " في الحقيقة لا يمكن تحديد عصر النهضة، إلا عن طريق إتّهام العصور الوسطى بالانحطاط، ومفهوم النهضة بحدّ ذاته هجومي أو جدالي، لهذا المتعلّقون بالعصور الوسطى يشدّدون على عناصر الاستمرارية والتواصلية ولا وجود لعنصر القطيعة"، كما يميّز الدارسون أوجه الاستمرارية العديدة بين العصور الوسطى والحديثة، وارتكزوا في عملهم على تركة العصور الوسطى، والعصور الحديثة هي نوع من الاستمرارية والتغيير معا [إذن الفكرة القائلة أن العصور الوسطى هي عصور مُظلمة هي في الحقيقة فكرة خاطئة، التغيير فقط حدث في حريّة الفكر والتخلّص من قيود الكنيسة التي كانت تسيطر وتتحكّم في العلوم التي يجب أن يفقهها العامة، بل إنّ العصور الوسطى الأخيرة عّرفت بالعصور الراقية وكانت تؤرّخ لعصر جديد قادم]... للمزيد ينظر: هاشم صالح، **مدخل إلى التنوير الأوروبي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ص 76؛ لورانس إم. برينسيبيه، **مرجع سابق**، ص11.

[3] عبد الفتاح إسماعيل ياغي، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط1، دار المريخ للنشر، الجزائر، 1984م، ص21.

[4] Georges GUSDORF, **les Origines des Sciences Humaines**; Bibliothèque Scientifique, les éditions Payot, Paris, 1967, p295.

إنّ حركة التجديد الفكري التي اتسّم بها عصر النهضة، قادت الأوروبيين إلى تغيير أهداف سفرهم والتي بلغت ذروتها باكتشاف قارّة أمريكا، وكانت في مُجملها قائمة على شيئين اثنين، أوّلهما الجانب الاقتصادي والهدف هو الحصول على الثروة، وثانيها عمل الرحالة المغامر الفردي، الذي يقوم به شخص واعٍ بوسائله الخاصة، يجذبه فضوله واهتمامه لإدراك العالم الخارجي[1]، ومع تأسيس الدولة الحديثة في أوروبا، أُلْزمت هذه الدول تحقيق التوسّع والتفوّق على غيرها، وهذا لا يتأتّى إلا بشيئين أولّهما «التوسّع القاري» ونجم عنه الحروب الأوروبية (الحروب الإيطالية، حرب الثلاثين عاما[2]، حروب لويس الرابع عشر، الحروب السبعينية...) وثانيها «التوسّع الخارجي»[3] ونجم عنه ما يُعرف بالكشوف الجغرافية.[4]

1.1.النهضة المادية:

لعلّ السّبب الرئيس في النّهضة هو الحصول على بوابات أخرى للثروة، في قارات أخرى غيرَ القارة الأوروبية، لأجل هذا كانت الكشوف الجغرافية، للبحث عن مواطن جديدة وسُبل أخرى للتجارة.

---

[1] Hamdi ABDELAZIM, **op.cit**, p.36.

[2] **حرب الثلاثين عاما:** اندلعت مع مطلع القرن السابع عشر، اشتركت فيها جميع دول أوروبا، وقد كانت شرارتها الأولى في **بوهيميا**، بعد أن أمر رئيس أساقفة براغ(Brag) بتدمير إحدى الكنائس البروتستانتية الواقعة بالمدينة، وحين لجوئهم إلى الامبراطور **ماتياس(Matias)** لم يكترث بهم مما أدى إلى ثورتهم التي امتدت إلى أغلب دول أوروبا الغربية، ومع دخول فرنسا أخذت المواجهات طابعا سياسيا محضًا، ولم تنتهِ المعارك الطّاحنة إلا مع انعقاد مؤتمر وينسلفانيا24 أكتوبر 1648م... للمزيد ينظر: بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830)**، أطروحة دكتوراه، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016م، ص33.

[3] جوزفين كام ، **مرجع سابق**، ص 11.

[4] **الكشوفات الجغرافية:** قامت في أوروبا مطلع القرن الخامس عشر، إلاّ أنّها لم تحقّق هدفها الأوّلي؛ إلا مع كشف القارة الأمريكية، وأتبعته بكشف الطريق الموصِلة إلى الهند، وكانت بالنسبة للفترة التي ظهرت فيها فتوحات دينية، ثمّ أتبعتها فتوحات علمية أثارت دهشة الناس وفضولهم وبثّت في نفوسهم روح المغامرة والانطلاق، وولّدت تزاحما وتنافسا بين الدول، ثمّ تزايدت الدّوافع مع عصر النهضة إلى دينية للقضاء على الاسلام، وعلمية تمثّلت في تشجيع الجمعيات العلمية والجامعات والباحثين، وارسال البعثات استكشافية لدراسة الأراضي الجديدة بشكل متكامل، وأقام علماؤها في هذه المناطق سنيّ عديدة، وسياسية تمثّلت في الرغبة بتكوين إمبراطوريات استعمارية فيما وراء البحار، وتنافست في سبيل ذلك الدول الأوروبية البحرية، ابتداء بإسبانيا ثم البرتغال وتلتها هولندا وانجلترا وفرنسا، ثمّ دخلت القوى البريّة المجال مُمثّلة في ألمانيا وروسيا، وأخيرا حاولت ايطاليا وبلجيكا والدانمارك وضع يدها على بعض المناطق، والمهم أنّ الاستعمار في هذه الحالات أدّى للنّزاع، وأحيانا لتعيين حدود ممتلكات كل إمبراطورية... ينظر: ليلى الصباغ، **مرجع سابق**، ص73؛ عيسى علي إبراهيم، **مرجع سابق**، ص ص95،98.

1.1.1.حركة الكشوف الجغرافية:

مع مطلع القرن الخامس عشر كانت الرّيادة للبرتغاليين في قيادة حركة الكشوف الجغرافية بمنطقة السّاحل الغربي لإفريقيا، وذلك لأنّها كانت في منأى عن الصراعات الأوروبية، إضافة إلى تحقيقها للوحدة السياسية، وتمتّعها بالاستقرار النسبي، وقربها من المحيط الأطلنطي، وكانت تهدف من الكشوفات الإفريقية إلى فصل شمال إفريقيا عن جنوب الصحراء لتوطيد العلاقة بينها وبين ملك الحبشة؛ لكنها مُنّيت بالفشل بسبب الظروف الطبيعية الصعبة[1]، وما لبثت أن تبعتها إسبانيا وحقّقت أيضا وحدتها السياسية الداخلية بين مملكتي أراغون وقشتالة، ومكّنت هذه الوحدة من التخفيف من النزاعات وازدادت القوّة العسكرية، وبذلك باتت الدولتان أولى القوميات الأوروبية عهدًا بالكشوفات، وعلى الرغم أنّهم قد توغّلوا إلى بعض المناطق الداخلية إلا أنّهم احتفظوا بسرّية الاكتشافات الجغرافية والبشرية التي توصّلوا إليها، قطعًا منهم لدابر الرغائب بينهم وبين منافسيهم.[2]

2.1.1.رحلات البحث عن الثروة:

لأنّ أوروبا كانت مع منتصف القرن 15م تعاني أزمة الشّروع في إعادة البناء، وكذلك تزايد عدد السكان، وتطوّر التبادلات التجارية؛ عانت من تفاقم النّقص والعوَز في المواد الأولية، ولأنّ أغلب السلع تَرِد إلى أوروبا عن طريق التجّار عبر الأراضي العربية، والحكّام المسلمون هم المتحكّمون في كمّية المواد وأثمانها بالإضافة إلى الضرائب، لهذا عَمدت كلّا من إسبانيا والبرتغال إلى إيجاد طريق بعيد لتأمين تجارتهم[3]، في الآن ذاته كانت إيطاليا

---

[1] كان يحمل الاتفاق بين ملك الحبشة والبرتغال بذور فشله منذ البداية، نظرا للاختلاف الديني بينهما، فالحبشة يعتنقون المسيحية الارثودوكسية والبرتغال يعتنقون الكاثوليكية... للمزيد ينظر: فرغلي علي هريدي، **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر(الكشوف–الاستعمار – الاستقلال)**، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009م، ص9.

[2] [من الواضح أنّ كلاّ من البرتغال وإسبانيا، كانا يعلمان الذهنية الأوروبية حين حاولا تغطية الكشوفات؛ درءً للرغائب واستئثارا بالثروة، فها هي الأخبار التي أذيعت؛ قد وسّعت دائرة الكشوفات لتعمّ جميع أوروبا بجهتيها الغربية والشرقية]. جوزفين كام، **مرجع سابق**، ص 11.

[3] محمود جمال الدين، عبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، د ط، دار الفكر العربي، مصر، 1999م، ص57.

العقل المفكّر(مهد النهضة)، بيد أنّها لم تكن قادرة على إرسال البعثات للصّعوبات المالية، بسبب انحراف خطّ التجارة نحو الإطلنطي والمحيطات الأخرى.

لكن سرّ الكشوفات سرعان ما ذاع وانتشر، وأُوفِدت أخبار السفن البرتغالية المحمّلة بالسّلع والذهب والفضة من طرف التجّار الأجانب، الذين التقطوا حكايا البّحارة ونقلوا الخرائط التي توصّلوا إليها، وراحوا يُطالعون المؤلّفات حول دواخل هذه البلدان، بحثًا عن المنازل المسقوفة بالذهب، التي أجّجتها الكثير من الإشاعات والمبالغة عن أهمية تمبكتو في مؤلف **حسن الوزان**« وصف إفريقيا» الذي ألفه عام 1526م، وطُبع لأول مرة عام 1550م[1]، ثمّ أعيد طبعه العديد من المرات لكثرة إقبال الأوروبيين عليه.

نتيجة هذا المؤلّف؛ اندفع الرحالة الأوروبيون الذين لا يعرفون شيئا عن داخل إفريقيا للمخاطرة بأنفسهم[2]، وتكبّدوا عناء وويلات الرحلة في سبيل العثور على تمبكتو الغنية، التي قيل أنّهم لا يسكنون أكواخًا بل بيوتًا مصنوعة من الذهب[3]، أشعلت هذه البيانات رغبة الحكومات للبحث عن الثروة والقوة، فلحقت إنجلترا بركب الكشوفات؛ وتلتها فرنسا، ومع نهاية القرن 16م باتت الكشوف ذات طابع أوروبي.[4]

---

[1] [أثار مؤلف حسن الوزان الكثير من الإشاعات والمبالغة عن أهمية تمبكتو، مما دفع بالرحالة الأوروبيين الذين لا يعرفون شيئا عن داخل إفريقيا، أن يخاطروا بأنفسهم، ويتكبّدوا عناء وويلات السّفر في سبيل العثور على تمبكتو الغنية، التي قيل أنّ منازل سكّانها مسقُوفة بالذّهب]. ينظر: جوزفين كام، **مرجع سابق**، ص 23.

[2] إنّ العالم الإسلامي ما بين القرنين السابع والرابع عشر، كان يتألف من قوى عسكرية وسياسية يمتد سلطانها من إسبانيا حتى الصين، أرسل الرحالة المسلمون مبعوثين ومستكشفين ليُثروا مستودع المعلومات السياسية لديهم، وبازدياد قوّة العرب؛ ازدادت كتب الرحلات، بيد أنّ ما كُتب، انطوى على قدر من الخيال والمبالغات لإمتاع القارئ، ومنح صورة جذّابة للمناطق التّي ارتحلوا إليها، بل راح البعض منهم إلى نفخ حياة جديدة في قصص قديمة من المفروض أنها بُليَت وطواها النسيان، لا لشيء فقط لأنّها ستكون مُستساغة لمجتمع القراء، ويبدو أنّ القارئ الغربي الذي كانت لديه رغبة محمومة لمعرفة الشرق، قد أخذ ما كُتب على أنّه مُسلّمات، وهو الشّيء نفسه الحاصل مع الكتابات الأوروبية والتّي نعتمدها اليوم على أنها صادقة بالمجمل... للمزيد ينظر: رنا قباني، **مرجع سابق**، ص13.

[3] جوزفين كام، **مرجع سابق**، ص 23. [منذ فترة قرأت خبرًا في صحيفة الأخبار الموريتانية بتاريخ 2022/05/09م،عن شيخ موريتاني يدعى **باب ولد فال** من منطقة الطنطان عثر على جرار مليئة بالذهب، وكان الشعب يطالب بمنح الرجل كنزه، إن الإشاعات والأخبار التي أذيعت عن الذهب في افريقيا، يبدو أنّها لم تكن كاذبة بالمطلق، وغالب الإشاعة باطنه به من الصدق القليل وأحيانا أغلبه وكله].

[4] فرغلي علي هريدي، **مرجع سابق**، ص59.

ونظرًا لما ترتّب عن عصر النهضة من ازدياد الحاجة للمعادن النفيسة، بَدى واضحًا أنّ تناقص احتياطي الذهب والفضة ووجود بعض المنتوجات التي لا تتوافر في بلادهم؛ هما السبب لتطلّع الأوروبيين خارج حدود القارة، أما السّبب الرئيس فتمثَّل في ظهور «الاقتصاد المركنتلي» الذي يَعتمد في أساسه على أنّ اقتصاد أيّ بلد مرهون بالذهب والفضة، وفي سبيل ذلك نشطت الحركة التجارية الاستعمارية، وفُتِحت أمام الأوروبيين أسواقًا جديدة تدفّقت منها أموال إضافية، الأمر الذي أدّى إلى ظهور الطبقة البرجوازية[1]، ومن مظاهره أيضًا تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي تتمتّع بتشجيع الدولة وتمتلك النفوذ الاقتصادي والعسكري (مجموعة شركات الهند الشرقية، والبريطانية، والفرنسية، والهولندية).[2]

ولا شكّ أنّ المنافسة في سبيل السيطرة على طرق التّجار، أثمرت الدوران حول إفريقيا ومعرفة نهايتها الجنوبية[3]، وهكذا بات التّجار الأوروبيون على معرفة بجميع المراسي والخُلجان الواقعة على سواحل شمال إفريقيا، ولما اتجّهت الأذهان مرّة أخرى إلى الاستحواذ عليها؛ كان الجغرافيون في النّصف الثاني من القرن السابع عشر يتوجّهون إلى السواحل ينشدون التجار معلومات عن دواخل البلدان التّي لم يرتادوها[4]، بيد أنّ هذه المعلومات لم

[1] إنّ استخدامي لهذا المصطلح فإنّما كما قال المؤرّخ **المنور مروش** في كتابه «دراسات عن الجزائر في العهد العثماني» الجزء الأول «لإبراز وسط ثقافي وطراز حياة جماعية من الحضر الذين كانوا شديدي الحساسيّة بوضعهم الخاص وامتيازاتهم، دون أن نضفي على هذه الكلمة المعنى الحديث الذي بات ملازما لها»

[2] يقوم **الاقتصاد المركنتلي** على نقطتين أولهما ارتباط قوة ومكانة وقيمة الدولة بما تملكه من معادن نفيسة، وثانيا إنشاء المستعمرات لتوجيه السلع وضمان الأسواق. ينظر: عثمان حساني، **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، رسالة ماجيستيرفي التاريخ، تخ: تاريخ حديث، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،2007م، ص27.

[3] وهو ما فعله هنري الملاح وجهوده الاستكشافية، إذ كان مؤمنا بالطواف حول إفريقيا وصولا إلى الهند للحصول على الثروة، التي تستأثر بها إيطاليا البحرية واحتكارها لتجارة الشرق...للمزيد ينظر: عيسى علي ابراهيم، **مرجع سابق**، ص 97.

[4] دون مؤلف، **رحلتان عبر ليبيا رحلة فيديريك من القاهرة إلى مزرق– رحلة ورسائل الرائد الكسندر جوردن لينج**، ط1، مكتبة الفرجاني، تع: دار الفرجاني، ليبيا، 1974م، ص10.

تكن كافية إذ اقترنت بالسّواحل فقط، لأنّ سكان هذه البلدان يمنعون أيّ أجنبي من التوغّل في الداخل، فلازال عالقًا بالأذهان التوسّع البرتغالي واحتلالهم لمدينة سبتة عام 1415م.[1]

2.1.النهضة الفكرية

توازت مع النّهضة المادية التّي شملت حركة الكشوف الجغرافية والبحث عن الثروة، نهضة فكرية متدفّقة؛ فنّدت الأفكار القديمة وانطلقت تحقّق وتصحّح المعلومات انطلاقا ممّا يتوافق مع العقل والتجربة، متحرّرين من القيود الكنسيّة.

1.2.1. حركة الترجمة:

وجدت الشهيَّة الفكرية لأوروبا خزانًا معرفيّا عظيمًا في مؤلّفات بلاد العالم الإسلامي، فحينما بدأت أوروبا المسيحية تتحرّك نحو حدود الإسلام، في إسبانيا وصقليّة وبلاد الشام صادفتها كنوز المعرفة العربية، فاكتشفت الفكر الإسلامي وتقاطعت معه في مرحلتين، أُولاها في القرون الوسطى، وكان الهدف هو اكتشاف الفكر وترجمته من أجل إثراء ثقافتها، بالطريقة التي أتاحتها لها حركة النهضة، من أواخر القرن 15م وحتى المرحلة الحديثة والاستعمارية، لا من أجل تعديل ثقافي؛ بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية.[2]

وقد كانت فرنسا من أُولى الدول الأوروبية اتّصالاً بالحضارة الإسلامية من خلال الحروب الصليبية، حيث عرفت تلك الحقبة أكبر حركة ترجمة في التاريخ، ونُقل فيها الكثير من كنوز التّراث العربي إلى الغرب، بدايةً بترجمة نصوص القرآن الكريم إلى اللاتينية، ثمّ ترجمة كتب العلماء والرياضيين والفلاسفة من العرب والمسلمين في جميع حقول المعرفة، في حين ركّزت الترجمة الأدبيّة على النصوص التّراثية التي كان لها بالغ الأثر في الفكر

[1] فرغلي علي هريدي، **مرجع سابق**، ص60.

[2] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م، ص169.

الأوروبي[1]، يقول الرحالة **فونتير دي بارادای** بعد ترجمته لكتاب« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي، هذا المُؤلَّف الذي يعدّ أيضا مرجعية الرحالة **توماس شاو** الجغرافية ويستشهد به كلّما تحدّث عن تاريخ أو موقع منطقة في كتابه «رحلة في ولاية الجزائر»:" لم أستطع أن أفهم كيف أفلتَ عمل لهذا الشخص المهمّ من أبحاث هُواة الآداب الشرقية، وأولئك العلماء الفرنسيين الذين مكّنت ترجمتهم من معرفة عدد هائل من الحقائق غير المعروفة لديهم".[2]

2.2.1.الحركة الإنسانية(الإنسية):

ممّا لا شكّ فيه أن التحرّر الفكري في أوروبا كان من أهم مميّزات عصر النهضة، وبات الفرد حرّا يختار من العلوم والثقافات ما يلائم طبيعته وتفكيره غير مقيّد بتعاليم الكنيسة، ومنه ظهرت الحركة الإنسيّة «الإنسيين»[3] في القرن 16م، وهم الذين رغبوا في التّواصل مع الحضارة اليونانية، واهتمّوا بالبحث في كنوز المعرفة الإغريقية والرّومانية[4]، واكتشفوا معلومات كانوا يجهلونها، كما أنّ اتصالهم بالعرب(خصوصا إيطاليا مهد النهضة)، وتأثّرهم بما اطّلعوا عليه من معلومات في الطّب والجغرافيا والرياضيات والجبر...إلخ، وما لَمسوه من

---

[1] هاشم صالح، **مرجع سابق**، ص 65.

[2] يعتمد الأروبيون كثيرا عى الإدريسي ، يقول الانجليزي **جولس جيرود (Jules Guiraud):** لا نحتاج إلى دليل أكثر للوصف من العربي البارز الإدريسي، وقد امتلك مواطنونا كلّ المعارف الجغرافية منه خلال العصور الوسطى. ينظر:
Venture de PARADIS et d' Autres**, Recueil de Voyages et de Mémoires** ,la Société de Géographie, T 5, Tr: Jaubert Amédée, imprimerie Royale, Paris, 1824, p2; Jules Guiraud, **The Life and Voyages of Christopher Columbus, "avec une Introduction et des Notes,** Éditeur Scientifique**,** Paris, p8.

[3] كلمة الإنسي أو الإنسان هي حركة فكرية استمدّت جذورها من عمليات إحياء التراث الكلاسيكي الأوروبي، ظهرت عام 1539م، ثمّ تبلورت من حركة إلى نزعة، أيّ اتجاه فكري واضح خلال القرن التاسع عشر، وتُطلق الإنسية على البحثَة المتبحّرين في العلم، وخصوصًا علوم الأقدمين من اليونان والرومان، وكما هو واضح فإنّ كلمة Humanisme مشتقّة من Homme وتعني الإنسان في اللغات اللاتينية، وهدفها تحقيق الكمال الإنساني في كافّة المجالات، وقد جاءت الانسانية عمومًا دحضًا للعصور الوسطى التي تتميّز بخصوصية أنّ أيّ عمل مهما كان نوعه أو شكله إنما من تأسيس إلهي في جوهره، ويُنسب للإنسان باعتباره مجرّد وسيط، وما يصل إليه من نتائج ما هو إلا إنجازات إلاهية. ينظر: فارس العيد، **دور مدرسة فلورنسا النقدية في تطوير الدراسات التاريخية مع بداية عصر النهضة الأوروبية**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث و للدراسات المتوسطية، مج1، ع2، أكتوبر 2020م، ص3؛ خديم أسماء، **منزلة العقل في فكر الأنوار**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج1، ع1، ديسمبر 2007م، ص315.

[4] هاشم صالح، **المرجع السابق**، ص77-78.

تقدّم صناعي، وتطوّر فنّ الملاحة؛ نتيجة ترجمتهم المخطوطات، جعلهم يؤمنون بضرورة الارتحال إلى الشّرق، بل وتعلّم لغتهم، وجمع المخطوطات، لدراستها والتعليق عليها من جهة[1]، وتوسيع نطاق الملاحة لإشباع رغبة الاستكشاف من جهة أخرى.[2]

استمرّت هذه النظرة حتى القرنين 18م و19م، وكانا قد شهدا أهمّ تلك الرحلات، وما تمخّض عنها من أدب مكتوب، ففي عام 1706م تُرجمت حكايات (ألف ليلة و ليلة) للمرة الأولى في الغرب[3]، وفي هذا الوقت راح ينمو جمهور من القرّاء الشّغوفين بالسرديّات المُثيرة والممتعة، عندها كان لا بدّ أن تترك تلك الحكايات صداها عميقاً في عقول الغربيين، وأن تُشعِل خيالهم وتبثّ فيهم روح المغامرة، وتُغريهم بالرّحلة نحو الشرق، بيد أن ما حصل هو أنّ تلك القراءة منحت الأوروبي منظاراً خادعاً في رؤيته" كان الشّرق المفترض غارقاً في نفث الخرافة و دخان السحر[...] مخلوقاته يطيرون على بساط الريح[...] يرحلون إلى ما وراء المُتوقّع، ثم يعودون محمّلين بالهدايا العجيبة، وقصص الخوارق والحوادث المذهلة".[4]

في اعتراف لطيف للرّحالة الإسباني **دون فينيت دي لا تيجيرا (Don vignete de la Tejera)** (1520-1600)م حول تأثير الحكايا التي كُتبت عن الشرق في تأجيج فضول

---

[1] إن اعتراف الأوروبيين بما أخذوه عن العرب يُعتبر مثلبة لديهم، لهذا يزدرون في جلّ الفرص التآليف الإسلامية، بل ويذهب الدكتور**شاو** في مؤلّفه «رحلة إلى إيالة الجزائر» الصفحة 79 إلى اعتبارها نسجًا خياليًا تغمره العواطف"تم تقليص كل معرفة هذه الشعوب اليوم إلى القليل من الجغرافيا وعدد قليل من الأطروحات غير المتماسكة عن التاريخ الحديث لأنّ كلّ ما يقوله مؤلفوهم عن الأزمنة التي سبقت مجيء **(محمد ﷺ)**هو مجرد نسيج من الحكايات الرومانسية".

[2] زينب راشد، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، ط1، دار الفكر العربي، ج1، القاهرة، د س، ن، ص12.

[3] إنّ التاريخ الذي ذكرناه إنّما هو ترجمة **أنطوان غالام(Antoine Galam)**، الذي استطاع جمع الروايات المتفرّقة واختراع رواية محدّدة منها، تناقلها الغربيّون فيما بعد كنصّ أساسي، مع أنّ الأوروبيين قد تقاطعوا مع ألف ليلة وليلة بأشكالها الكثيرة وقصصها المختلفة منذ القرن الخامس عشر. ينظر: رنا قباني، **مرجع سابق**، ص48.

[4] [ما قصدناه هو تأثير الحكايا الأسطورية في قصص ألف ليلة وغيرها، والتي ظنّ الغربيّ أنّ ما جاء فيها موجود حقا وهو واقعي]. سعد رحيم، **أدب الرحلات والشرق المفترض**، الحوار المتمدن، ع13، ديسمبر 2005م، ص 320.

الشّعوب الأوروبية للوصول إلى هذه العوالم العجيبة[1]، كتب لصديقه " أنت غير مدرك أنّه لم تحدث لي مغامرة غير عادية، و لم أزر دُوَلاً مجهولة أو غير معروفة، ولم أشهد معارك مع أسماك القرش أو التّماسيح، أنا لا أستطيع أن أخترع[...] فبعد أن زرت العديد من المدن والبلدان المختلفة ورأيتها دون تأنّق الشعر، كما هي وليست كما كانت(أو ربما لم تكن كذلك أبدًا)... علمت أنّ تلك العوالم المثالية لا توجد إلاّ في العقل وتتبدّد مثل الظلال عند الاستيقاظ من الحلم".[2]

ومع الوقت تحوّلت هذه الحركة إلى نزعة(مُوغلة في البحث عن الحقائق)، ظهرت في إيطاليا، وازدهرت في فلورنسا ثمّ انتقلت إلى باقي أوروبا، آخذين على عاتقهم البحث عن النّصوص القديمة وطلب المعرفة والبحث الحر، ونادوا بأنّ التاريخ عمل إنساني وميدانه السياسة والحرب[3]، عبّر عنها الألماني **يوحنا غوته(Johan Goethe)**(1749-1832)م بأنّ النّزعة الإنسانية جهد متواصل لأجل التوصّل إلى صيغة الوجود البشري.[4]

ولعلّنا نلاحظ أنّ أغلب الرّحالة الذين انتموا إلى هذه الحركة، قبل حتى أن تشتدّ وتتحوّل إلى نزعة واتجاه فكري متشدّد، قد أبقوا على تسمية (البربر) في مؤلفاتهم حول بلدان الشّمال الإفريقي حتّى أواخر القرن 18م، ولو أنّ مرجعية التّسمية قديمة، واستخدامها الشائع يعود إلى مطلع القرن 16م، إذ حدّد مصطلح (البربرية) المناطق الشّمالية من المغرب العربي الحالي (الموانئ والمناطق الداخلية والجنوب والصحراء لا يزال غير معروف

---

[1] يسمّي صلاح الدين الشامي هذا الانزلاق في المؤلّفات الرحلية العربية بما يُعرف بأدب الرحلة الأسطوري وهو جزء من حصاد الرحلة العربية، الذي من الممكن أن يخدم أيّ هدف، باستثناء الكشف الجغرافي... للمزيد ينظر: صلاح الدين الشامي، **مرجع سابق**، ص149.

[2] Don vignete Moreno de la Tejera, **Diario db Viaje a Oriente, Argel, Napoles, Pompeya y el Vesubio, Cilicia, Grecia, el Archepielago, Turquia y Egipto**, Calle del Meson de Pardes, Rgall 34, N100. Madrid, p16. .

[3] فارس العيد، **مرجع سابق**، ص4.

[4] [إن هذا التعريف يحيل مباشرة إلى ما ذكرناه سابقا عن عصر النهضة حول ما قاله المفكر الفرنسي **جان لورون دالمبير** في الخطاب الافتتاحي لموسوعة مثقفي عصر النهضة :" كان يلزم لكي يخرج الجنس البشري من عصر البربرية، أن تحصل ثورة كبيرة تغير وجه الأرض" بمعنى أن النزعة الإنسانية هي تطور منطقي لما ترتب عنه عصر النهضة]. **نفسه**، ص84.

للأوروبيين)، ومع ذلك من الناحية الجغرافية والسياسية، يظلّ معنى الكلمة مترددًا إلى حدّ ما، وأحيانًا ما يشير إلى المقاطعات التركية (الجزائر وتونس وطرابلس)، وأحيانًا كلّ شمال إفريقيا.

3.2.1.بوادر فكرة القومية:

تمخّض عن الحركة الإنسانية التي تحوّلت إلى« نزعة إنسانية»، مُجتمعًا أوروبيّا يرغب فيما يكفل له الطمأنينة والاستقرار، ومن ثمّ رأت كلّ جماعة تقطن إقليمًا له حدوده الجغرافية الواضحة، وترجع أصوله إلى جنس واحد أو أجناس متقاربة، ويتّفق أبناؤه على نفس اللغة و المصالح والأهداف القومية؛ أن تخلق لنفسها وحدة قومية مستقلّة خاصة بها، إنّ هذا النمو في مفهوم الدّولة القومية، رافق على الصّعيد السياسي بناء الدول القومية الكبرى، هذه الأخيرة التّي اندفعت نحو الاكتشاف لتُثبت وجودها، وتدعم اقتصادها، وتحقّق نفوذها السياسي على أكبر رقعة لتحطّم السيادة السياسية للقوى القائمة[1]، وتستطيع موازاتها أو تحقيق سيطرتها عليها.

3.1.النهضة التقنية

تلت النهضة المادية والفكرية؛ نهضة تقنيّة شملت تطوّر أليات الملاحة وعتادها، وتطوّرت فيها الطّباعة وانتشرت في كامل أرجاء أوروبا.

1.3.1. تطور الملاحة[2]:

ما كان بوسع الأوروبيين الانطلاق في البحار والمحيطات، لولا التقدّم الذي أحرزوه في الملاحة إبّان القرن 15م، فالسّفن المتوسطية التي تجوب البحار كانت بطيئة وثقيلة،

[1] زينب راشد، **مرجع سابق**، ص12.

[2] يمكن أن نطلق على تطوّر الملاحة بالنّهضة في الملاحة، لكنّي أبقيت على كلمة « تطوّر» لأنّ الملاحة كانت موجودة قبلاً، وإنّما تطوّرت فقط مع تطوّر الصّناعة في عصر النهضة.

لذلك طوّروا في الكثير من عتاد السفن، فصنعوا دفّة القيادة المحورية، واكتشفوا تقنيّات متطوّرة لمعرفة الاتجاه، فظهر الإسطرلاب وحسّن البرتغاليون في البوصلة، وزوّدوا سفنهم بأشرعة مربّعة لتستفيد من الرياح الخلفية، ثمّ صنعوا أخيرا«السفينة السريعة» القادرة على مواجهة الرحلات المحيطية الطويلة الأمد.[1]

وحين تأتّت لهم الرحلة كانت الهوّة التكنولوجية اتّسعت بشكل كبير بين أوروبا وباقي بلدان العالم[2]، لهذا قدِم الأوربيون للأراضي الجديدة فضلاً عن الدّافع الاقتصادي، في صورة المبشّرين والمتحضّرين الذين يبغون الأخذ بيدهم نحو التقدّم[3]، إذا فقد تمّ الاحتلال اعتقادَا منهم أنّه مهمّة حضارية لتحضير السكان الأصليين غير المتطوّرين، وكانت هذه الفكرة من الأفكار التي شكلّت أهم ركائز المشروع الاستعماري والذي امتد من القرن 16م إلى أوائل القرن 20م والذي حمل شعارات عدّة منها « تحضير المتوحشين» و«تحرير الشعوب» و«نشر الأنوار»، حتّى أنّه لما تأتّى للفرنسيين غزو الجزائر، قال **جون بول سارتر(Jean Paul SARTER)**(1905-1980)م:" أمّا ثقافتنا التّي نراها عظيمة، من يدري إذا كان الجزائريون يرغبون في اكتسابها".[4]

---

[1] ليلى الصباغ، **مرجع سابق**، ص83.

[2] ظلت النهضة متصاعدة ومتواصلة طيلة القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، وهكذا صنعت التّفاوت بينها وبين العالم العربي، هذا التفاوت الذي لازلنا نعاني منه وبشكل موجع حتى الآن، وفي الوقت الذي كانوا فيه يبدعون، كانت الأمة العربية تعاني الضعف والتقهقر الفكري والمادي، ولما استيقظت كان استيقاظها مروّعا على وقع أقدام الغزاة الأوروبيين، كانت صدمة الحداثة مذهلة ومفجعة[إن نقلي لهذا التعريف إنّما لإظهار الفارق الذي صنعته النّهضة بين العالمين الغربي وبلدان شمال افريقيا، وما تبعه من تطوّرات في الواقع الأوروبي، من تطوّر فكري وعلمي وصناعي، بيد أني لا أتّفق مع الكلام الأدبي الذي يغمر مثل هذه المؤلّفات وشبيهاتها؛ ولا أراه إلاّ تأثّرا بالفكر الغربي رُغم ما فيه من الصواب، لأنّ تصوير الأمّة العربية أو العالم العربي ولو أنّ اللفظ في حد ذاته غير وارد في القرن 16م، لأنّ ظهور الفكر القومي ووصوله إلينا كان بعيدا جدا عن تلك الفترة، فيمكن أن نتحدث عن الدويلات العربية أو دويلات المغرب الاسلامي كتعبير قريب لتلك الفترة، والحديث عن الضعف والتقهقر وصدمة الحداثة يجعل بلدان المغرب، كذاك التمثال الذي لم يغادر العصور الوسطى دون أن تطرأ عليه تغيرات]، أما ما قصدته بالتأثّر الفكري الغربي يحيلنا مباشرة إلى ما ذُكر في **موسوعة تاريخ الحضارات العام** الذي أشرف على إنجازها **موريس كروزيه** في الصفحة 310، حول ما وجد البرتغاليون لمّا تغلغلوا في أواسط إفريقيا" إنّ أقوام إفريقيا هم أقوام أُلِف بعضها القسوة والاستغلال، والبعض الآخر من أكلة لحوم البشر". ينظر: هاشم صالح، **مرجع سابق**، ص74.

[3] عيسى علي ابراهيم، **مرجع سابق**، ص ص 103- 104.

[4] جون بول سارتر، **عارنا في الجزائر**، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. س. ن، ص20.

بينما ذكر**جون أورويل(Jéan ARIAL**)(1903-1950)م في كتابه« غزو الفرنسيين للجزائر» (Conquéte de l'Algerie par la France) أن فرنسا مع دخولها عام 1830م عمدت إلى تصليح سلوكهم الوحشي، وكان هذا الإصلاح الذي ذكره عن طريق الحرب[...] على اعتبار أنّهم غالبا ما يُجبرون على فعل الخير بالقوّة، فالشّعوب لا تتحضّر وحدها بل بالعنف"[1]، وهذا يحيلنا مباشرة إلى ما قاله **جون بول سارتر** حول هذه المغالطات:" ليس هناك مُستعمِرون صالحون وآخرون طالحون؛ هناك مُستعمِرون فحسب..."[2] لا ريب إذًا إن كان يُشار إلى داخل هذه القارة في أدقّ المصوّرات الجغرافية بلون أبيض وخطوط متعرّجة تشير إلى حدود اعتباطية، والحضارات القائمة في هذه الأقطار(الجاهلة لأصول الكتابة في أدنى صورها حسب رأيهم) تمثّل السواد الأعظم، باستثناء بعض المعلومات التي تمكّنت من جمعها بعض المراكز الأوروبية عن الشواطئ الإفريقية.[3]

2.3.1.انتشار الطباعة:

استقدم الأوروبيّون المطابع التي تشتغل بالقوالب الخشبيّة من المسلمين منذ الحروب الصليبية، ومع التطوّر التقني في عصر النهضة تمّ تطويرها، ويعود الفضل في انتشارها النّاجح إلى الألماني **يوحنا غوتنبورغ (Johann Gutanberg)** (1398-1468) [4]، الذي استخدم الطّباعة بالحروف المتحرّكة في قالب خشبي واحد، وقام بطبع أول كتاب له، ثمّ طبعَ الإنجيل بلغته، ثمّ توالت طباعة الكتاب المقدّس باللغة الانجليزية والفرنسية وغيرها من

[1] Jean Poujoulat, **Voyage en Algérie** , études Africaines, Paris, 1868, p7.

[2] [هذه الرؤية تحيلنا أيضا إلى ما قاله الرحالة الفرنسي **بلانت**(Plant) حينما زار الهند وأدرك حقيقة الاستعمار الأوروبي] "إذا تابعنا تطويرنا للهند، فإنّ سكانها سينتهون عاجلا أم آجلا إلى أكلة لحوم البشر". ينظر: رنا قباني، **مرجع سابق**، ص149.

[3] رولان موسنيه، أرنست لابروس، **تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر– عصر الأنوار)**، ط3، منشورات عويدات، تع: يوسف أسعد داغر، فريد داغر، ج5، بيروت، 1994م، ص310.

[4] **يوحنا غوتنبورغ(1398–1468)م**: كان يعمل صائغا في مدينة ماينتس الألمانية، وكانت فكرة الطباعة بالحروف المتحرّكة هي صناعة حروف معدنية، كلّ منها يحمل حرفًا أبجديًا بارزًا، ويمكن ترتيب هذه الحروف لتشكّل صفحات كاملة من كتاب ما. للمزيد ينظر: لورانس إم. برينسيبيه، **مرجع سابق**، ص20.

اللّغات الناشئة، وأصبح بإمكان المجتمع الأوروبي قراءة الإنجيل بغير اللغة اللاتينية، في حين أنّ الكنيسة اعتبرت هذا مَفسدة لوصايتها على المعتقد، ولا يمكن أن يتواجد الكتاب المقدّس بالألسنة القومية.

نتيجة هذا التطوّر في العتاد المطبعي، باتت الكتب تُطبع بسرعة، ولو أنّها اصطبغت في معظمها بصبغة دينية[1]، وأصبحت مراكز الطّباعة مناطق إشعاع للحركة الإنسانية، واستطاع الباحثون عن المعرفة الوصول إلى مؤلّفات الفلاسفة الإغريق والعرب، وتعرّفوا على الأفكار السائدة في الحضارات الأخرى[2]، وتطوّرت مع الطّباعة صناعات أخرى مثل الورق والحبر والتّجليد، الأمر الذي أفرز تحوّلاً اجتماعيًا وثقافيًا وظهرت الحاجة إلى القراءة والحصول على المعلومات، ووصل عدد المدن الأوروبيّة التّي تمتلك مطابع إلى مائتين وأربع وثلاثين مدينة، بل ظهرت المطابع باللغة العربية، في حين أنّ الطباعة لم تظهر في العالم العربي إلاّ في الربع الأول من القرن 19م (ما يعادل ثلاثمائة سنة تقريبا).[3]

قبل أن ينمو الفكر الاستعماري ويتبلور في صورته الواضحة خلال هذا القرن، غذّت طباعة الكتب فضول الرحالة حول العالم الإسلامي، ورغبوا في التطلّع إلى هذه العوالم من جهة، وإلى زيارتها ومعرفتها من جهة أخرى، لهذا اعتبر الانجليزي السير **فرانسيس بيكون(Francis BACON)**(1561-1626)م أنّ الطباعة وبارود المدافع والبوصلة المغناطيسية،غيّرت وجه الأشياء وحالتها في جميع أنحاء العالم.[4]

---

[1] ظل التأثير الديني هو السّائد حتى في عصر النهضة، لأنّ أغلبية المدرّسين كانوا من رجال الدين والمدارس الخاصة طلبت المعونة من الكنيسة، لذا كانت حرّية الفكر محدودة بسبب رقابة الكنيسة على كلّ ما يصدر من الكتب، حتى الحصول على هذه الكتب ظلّ منحصرا على الفئات الميسورة لغلاء أسعارها. للمزيد ينظر: زاهر رياض، **استعمار افريقيا**، ط1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص101.

[2] ليلى الصباغ، **مرجع سابق**، ص128.

[3] عبد اللطيف الصباغ، **تاريخ أوروبا الحديث**، ط1، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1995م، ص80.

[4] جان برينجيه وآخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا العام من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر**، ط1، منشورات عويدات، ج2، بيروت، 1955م، ص171.

كما ساهمت الطّباعة في ظهور الصحافة، يذكر الرحالة **محمد الغساني الأندلسي**(1548-1611)م" بمدريد شيء آخر زائد في الأخبار عن البراوات(يقصد الرسائل) وذلك أنه إذا جاء خبر من بلدان بعيدة، فإن فيها دارًا فيها قالب كتابة، يجمع صاحبها من الأخبار ما يجمع، ويفرغ عليها قالبا يطبع عليه آلافا من القراطيس، ثمّ يبيعها قائلا:" من يشتري أخبار البلاد الفلانية[...]، إلاّ أن فيها من الكذب الكثير".[1]

أمّا عن الدّور الكبير الذي لعبته الطباعة، فتمثّل في تيسير طريق الرحالة من خلال المنشورات الكارتوغرافية(رسومات الخرائط)، حيث طُبعت جغرافية **بطليموس** التي تمت ترجمتها من العربية إلى اللاتينية، وأدت إلى انتشار الخرائط الإقليمية والملاحية وخرائط العالم.[2]

2.التطوّرات الدينية والاجتماعية

عرفت أوروبا عوَضًا عن التطوّرات السابقة التي شملت الجانب الفكري والتقني، إصلاحات في الجانب الديني، إذ كان هو العنصر الفاعل والمتحكّم في أوروبا خلال الفترات التي سبقت العصور الحديثة.

1.2. الإصلاح الديني(المسيحي):

منذ بداية القرن السادس عشر كانت القضايا الدينية الناجمة عن الإصلاح مُسيطرة على الدول الأوروبية، وساعد على ظهورها وانتشارها ميلاد الدولة القومية التي تعاظم فيها نفوذ رجال القانون على حساب رجال الدين، أيضا انطلاق الإصلاح من داخل الكنيسة؛ ذلك أنّ المصلحين الدينيين كانوا رهبانًا أولاً وقبل كل شيء، لكنّهم رهبان من طينة جديدة لأنّهم

[1] محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير1690-1691م**، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، تح: نوري الجراح، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص94.

[2] ظلّ بطليموس المصدر الذي لا ينازع في معرفة الأرض وجغرافية العالم لفترة طويلة. للمزيد ينظر: رينيه كلوزيه، **تطوّر الفكر الجغرافي**، ط1، دار الفكر، تع: عبد الرحمن احميدة، دمشق، 1986م، ص55.

تابعوا دراسات جامعية، وتلقّوا تكوينًا جديدًا يقوم على تعلّم شتّى العلوم، وهذا ما أهَّلهم لفهم اللاّهوت برؤية جديدة تدعو إلى المراجعة والإصلاح، فضلاً عن أنّهم استطاعوا الحصول على كراس لتدريس هذا اللاهوت في عدد من الجامعات.[1]

كما أسهم الإصلاح الديني في التحوّل الاقتصادي الذي مكَّن أوروبا من ولوج الرأسمالية[2]، بينما ظلّ الصراع قائمًا بين الكاثوليكيين الذين نجحوا نجاحًا باهرًا في استئصال البروتستانت من جذورها وبالقوّة عند الحاجة، وعمدوا على توطيد دعائم الكاثوليكية خصوصًا في البلدان التي استعادت الجيوش الإسبانية احتلالها وفي الدول الإيطالية.

ولأنّ محاولات الصّلح كانت محدودة ومخيّبة، فإنّ القضيّة بين المذهبين ظلّت مطروحة، لا على صعيد أوروبا فحسب وإنّما في داخل بعض المناطق الأوروبية، دُعّمت اللوثرية[3] في مملكتي السويد والدنمارك، والكالفينية[4] في الأمم المتحدة، بينما في إنجلترا فالأمر أكثر تعقيدًا لوجود المذهب الأنغليكاني (كان الرحالة **توماس شاو** من الذين يعتنقون هذا المذهب)[5] ولأن **شارلكان(Charles V)**(1500-1558)م امبراطور الدولة الرومانية؛ كان متأثّرا بالأحداث السياسية الخارجية وكان يخشى من وقوع انقسام سياسي نتيجة للانقسام

[1] محمد حبيدة، **الإصلاح الديني في التجربة التاريخية الأوروبية**، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع 16، نوفمبر 2016م، ص2.

[2] [إن مصطلح الرأسمالية الذي استخدمناه والذي لم يكن واردا في تلك الفترة، فلأنه لم يكن هناك مصطلح يوازيه للتعويض عنه، إضافة لم نستخدم مفردة الرأسمالية إلا لتقريب الفهم حول تغير النظام الاقتصادي في تلك الفترة].

[3] **اللوثرية:** نسبة إلى مارتن لوثر(Martin Luther) (1483-1546)م، وهو مصلح دين ألماني مؤسس البروتستانت، قام بالثورة على فساد الكنيسة الكاثوليكية، ونادى بالعودة إلى الكتاب المقدس دون العودة إلى رجال الدين الذين يعتمدون في تأويل النصوص المقدسة على مصالحهم الشخصية... للمزيد ينظر: سكوت إتش هندريكس، **مارتن لوثر**، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، تر: كوثر محمود محمد، مصر، 2014م، ص33 .

[4] **الكالفنية:** نسبة إلى جون كالفن(Jean Calvin) الفرنسي، يقرّ كالفن بوجوب فصل الكنيسة عن سلطة الدولة، فالكنيسة عنده ما هي إلا سلطة روحية عامة، لا تستأثر بها فئة دون أخرى، فهي إذن حقّ مُشاع لكلّ المسيحيين سوءًا كانوا علمانيين أو رجال دين، واقتصر على رجال الدين وظيفة الوعظ والإرشاد . ينظر: عبد العزيز نوار و محمود جمال الدين، **مرجع سابق**، ص139.

[5] المذهب الأنجليكاني هو الديانة الرسمية التي اعتمدتها اليزابيت، وحاربت جميع من يعتنق غيرها. للمزيد ينظر: نور الدين حاطوم، **تاريخ القرن السابع عشر في أوروبة**، ط1، دار الفكر، الموسوعة التاريخية الحديثة، دمشق، 1986م، ص23.

الديني، ألغى السيادة البابوية إلغاءً كاملاً، كما أصدر قرارات تساند الحركة الإصلاحية، حتى يتمكّن من تحقيق التفاف حوله، ومساندته للخروج من الضّيق الذي كان يتخبّط فيه.[1]

إذا المتتبع لتجربة أوروبا مع الحداثة والتقدّم، سيدرك أنّ الإصلاح الديني يسبق الإصلاح السياسي بالضرورة ويحتضنه ويفتح له الطريق.[2]

2.2.القضايا الاجتماعية:

تميّز القرن السابع عشر في أوروبا بتفوّق ديمغرافي، فقد كانت تضمّ ثلث سكان العالم، ومع ذلك فإنّ هذا النموّ يتضمّن فروقا إقليمية، فأوروبا الكثيفة السكان تضمّ (إيطاليا، ألمانيا، وبأقل درجة انجلترا، وتعتبر فرنسا أكثر بلاد أوروبا سكانا)، ونتيجة لهذا التزايد الديمغرافي فإنّ الشعوب الأوروبية أبدت ميلاً واضحا للتوسّع خارج القارة وبناء المستعمرات.[3]

أمّا بالنسبة للجانب الاقتصادي فقد كان يسيطر عليه الاقتصاد الزراعي معتمدًا بصورة أساسية على زراعة الحبوب، ويعيش ما يقارب التسعين بالمائة من السّكان في الريف، وأربعة أخماس هؤلاء ريفيون فلاحون، ويقع على عاتقهم العبء الثّقيل لتغذية جموع السكان، أمّا بالنسبة للأسواق فإنّ الكشوفات الجغرافية الكبرى ساهمت بشكل كبير في المبادلات وخَلْق سوق عالمي حقيقي، وفي الوقت نفسه كان الارتفاع البطيء والمستمر للأسعار مرتبطًا وبشكل جزئي بتدفّق المعادن الثّمينة من أمريكا، وكان من نتيجته زيادة الإنتاج طلبًا في ربح أكبر، وعدا ذلك فإنّ النموّ الديمغرافي النسبي والحاجات العسكرية للدول الكبرى وتفوّق البذخ المنتشر؛ أسهمَا في ازدياد الطّلب وارتفاع الأسعار.[4]

---

[1] كوينتن سكنر، **أسس الفكر السياسي الحديث عصر الإصلاح الديني**، ط1، المنظمة العربية للترجمة ، تر: حيدر حاج إسماعيل، ج2، بيروت، 2012م، ص322.

[2] هاشم صالح، **مرجع سابق**، ص10.

[3] نور الدين حاطوم، **مرجع سابق**، ص29.

[4] نور الدين حاطوم، **مرجع سابق**، ص33

3.التوغّل خارج حدود القارة الأوروبية:

إنّ المتتبّع لحركة الرحلة؛ يجد أنّ الرحالة الغربي الذي وقع تحت سحر الشرق، بفعل التأثّر بما تركه الرّحالة العرب، قد أجّج فيهم الرغبة لمعرفة الآخر المختلف دينيَا وسياسيا واجتماعيا، وهذا كان ضمن المحفّزات للخروج من حدود الوطن الأمّ وتجاوزها إلى حدود أخرى مجهولة، ثمّ سرعان ما تحوّلت تلك الدّوافع إلى رغبة جامحة في الهيمنة، فبحكم التحوّلات التي حدثت بفعل الحروب الصليبية والحركات التنصيريّة؛ تقف الدّوافع الاستعمارية على رأسها، لهذا اهتم الرحالة بكلّ ما يقع تحت أيديهم متستّرين برداء حبّ الاطلاع والمعرفة والاستكشاف.

1.3.التوسّع الإسباني:

إثر سقوط غرناطة عام 1492م، بدأ الملكين الإسبانيين **فرديناند(Ferdinand)**[1] (1452-1516)م **وإيزابيلا (Ezabella)**(1451-1504)م[2] الكاثوليكيين توسّعهما في كلّ من إيطاليا والعالم الجديد، وتمكّنا من تسيير مجالس المدن ومنظّمات الأقاليم؛ وهذا عن طريق تعيين أشخاص مُوالين لهم، وفي السّنة نفسها تمّ طرد اليهود من إسبانيا، ولأنّ تلك الفترة شهدت أيضا هجرة الموريسكيين إلى المغرب الإسلامي وإلى المشرق هربًا من

[1] **فرديناند الثاني(Ferdinandii) الكاثوليكي:** هو ابن فرديناند الأول أصبح مَلكا لأراغون عام 1492م، وصقلية عام 1479م، ونابولي عام 1504م، تميّز في فترة حكمه بالقسوة، أُسِّست في عهده محاكم التفتيش عام 1480م، لمطاردة المسلمين واليهود لتنصيرهم، تزوّج من ملكة قشتالة إيزابيلا عام 1496م، ونتيجة هذا الزواج اتّحدت أراغون مع قشتالة وقاما بالاستيلاء على الأندلس. للمزيد ينظر: مسعودة بوجلال، **الإحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير مابين(1875-1792)م من خلال المدونات الفرنسية: المجلة الافريقية(r.a) ونشرية وهران الأثرية والجغرافية(b.s.g. a.o) دراسة بيليوغرافية تحليلية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2020م، ص36.

[2] **إيزابيلا الكاثوليكية:** تقلّدت ملكة قشتالة عام 1474م، ورثت العرش بعد وفاة أخيها هنري الرابع، تزوجت من الملك فرديناند واتحدت المملكتان مكونتين مملكة اسبانيا،، حصلت مع زوجها على لقب ملوك الكاثوليك من البابا اسكندر السادس بعد سقوط غرناطة عام 1492م. للمزيد ينظر: محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1996م، ص350.

محاكم التفتيش، وباتوا يدعون إلى الجهاد ضدّ الممالك الإسبانية[1]، ولأنّ هذه الأحداث تزامنت مع موت ايزابيلا؛ لم يتمكّن فرديناند من توحيد المملكتين منعًا من حركة سريعة ضدهم، ولولا رحلة **كريستوفر كولومبس**[2] التي امتصّت المغامرين، وانشغال أوروبا بالعالم الجديد، كان من الممكن أن يحتلوا ساحل شمال إفريقيا كله... وبهذا **شارلكان**[3] الذي ورث العرش عن إيزابيلا بشكل تلقائي، لم يكن المُدافع فقط عن الدين المسيحي والمُقاوم للقوة العثمانية؛ وإنّما باتَ المسؤول الأوّل عن طرد الأتراك والأندلسيين.

2.3. التوجّه نحو المغرب الأوسط:

لأنّ أوضاع المغرب الأوسط[4] لم تكن تختلف عن بلدان المغرب الإسلامي الأخرى، من حيث الضّعف والفوضى والتّناحر، تتنازعه الصّراعات الدّاخلية(في تصوير مبالغ فيه أحيانا يصفونه: كان يمثّل لوحة مُحزنة لبلد مدمّر) هذا شجّع الإسبان للقيام بغزو السواحل طمعًا في التوسّع ونشرًا للمسيحية، مهّدوا لذلك باستطلاع واسع، مثل: الرحلة الاستطلاعية التي قام بها **لورينزو دي باديلا(Lorenzo de Padilla)**(1465-1568)م إلى تلمسان عام 1493م، على إثر مهمّة كلّفته بها الملكة **إيزابيل** الأولى لاستطلاع المواقع المناسبة

---

[1] هذا الجهاد الذي أربك الإسبان ومنه غزو سواحل المغرب الأوسط، يقول **فنسنت بوتان** في كتابه (مخطط تاريخي وإحصائي وطبوغرافي لولاية الجزائر) «إن المجالس المتحمسة في ايكسمينيس أرادت أن تحصل على الشرف، وأن تمنح نفسها الشعبية لمواصلة تأديب المغاربة الذين لجأوا إلى إفريقيا، والذين أصبحوا مثل القراصنة يومًا بعد يوم أكثر رعبًا، أو على الأقل أكثر إزعاجًا للقوى المسيحية وخاصة لإسبانيا". ينظر:

Vincent-Yves BOUTIN, **Aperçu Historique, Statistique et Topographique sur l'état d'Alger, à l'Usage de l'Armée Expéditionnaire d'Afrique : avec Plans, vues et Costumes,** Pub: ordre de Son Excellence le Ministre de la Guerre (3e éd **,** Monographie Imprimée, Paris,1830, p6.

[2] **كريستوفر كولومبس:** ولد كولومبوس أو كولمبو بالإيطالية في مدينة جنوة عام 1453م، أبدى منذ صغره شغفًا بالمعرفة الجغرافية، وميلاً كبيرا للبحر، حرص والده حين تبيّن شغفه على منحه تعليمًا مناسبًا للحياة البحرية، لذلك أرسله إلى جامعة بافيا، حيث تلقّى تعليمه في الهندسة والجغرافيا والفلك والملاحة، واكتسب أيضا معرفة مألوفة باللغة اللاتينية، ومع تخرّجه بدأ برحلاته البحرية...للمزيد ينظر:

Jules GUIRAUD, **op.cit**, pp8-9.

[3] **شارلكان أو شارل الخامس:** ولد في 24 فيفري 1500م بمدينة خون (gon) ببلجيكا، والده فيليب الموصو ابن الإمبراطور الألماني ماكسيمليان من ناحية الابن وأمه خوانا ابنة فرناندو الكاثوليكي ملك الأراغون وإيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة، وهكذا أصبح ملكا وإمبراطورا، بعدما ورث ملكا واسعا عن جديه الإسبانيين من ناحية الأم عام 1516م، وإمبراطورية شاسعة سنة 1519م من جدّه الألماني فأصبح إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة، وملك اسبانيا وعدة دول أخرى. للمزيد ينظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م**، ط1، دار الأمة، ج1، الجزائر، 2007م، ص ص135، 138.

[4] [استخدمنا مصطلح المغرب الأوسط بدلاً من المصطلحات الأخرى، لأنّ التوجه الإسباني كان في غرّة القرن 16م(بداية العصور الحديثة)]

لاحتلالها، أمضى الرحالة قُرابة سنة متخفّيا في هيئة تاجر، وعاد بالمعلومات المطلوبة والضرورية لحملة الغزو.

في الوقت نفسه استدعى الكاردينال **فرانتيسكو خمينيث Francisco Jimenez**(1436-1517)م[1] المهندس البحري **جيرونيمو فيانيلي(Gironimo Vianillo)**(1492-1535)م الذي كان على معرفة جيّدة بسواحل بلاد المغرب، ووجّههم نحو اختيار المرسى الكبير ووهران[2]، ومع حلول عام 1505م سعت إسبانيا إلى احتلال موانئ(المرسى الكبير، وهران، البنيون، الجزائر، حلق الوادي، طرابلس الغرب) لجعلها مناطق مسلّحة لمراقبة العثمانيين، وقطْع الطريق أمام الأندلسيين الفارّين وعزلهم، ففي شرشال مثلا استقرّ الأندلسيون الهاربين من غرناطة عام 1492م وشكّلوا « مقاطعة المهاجرين».[3]

إذن يمكننا الاستنتاج أنّ أوروبا خلال القرنين 16م و17م قد ولجت ما يعرف ب «عصر النهضة» وشملت هذه النهضة جميع الميادين الفكرية والعلمية، هذا التطوّر الذي فتح عينيها على الآخر من خلال حركة الترجمة وتطوّر فن الملاحة، وتدرّج من محاولة معرفة العوالم المجهولة عن طريق ما يعرف ب«الكشف الجغرافي» إلى محاولة التغلغل الداخلي والحصول على مستعمرات عن طريق رحلات استطلاعية تحت غطاء «ديبلوماسي»، هذه الرحلات التي أجّجت الفضول الأوروبي و الإسباني خصوصًا، ليفتح أفق التوسّع نحو بلاد

[1] **فرانثيسكو خمينيث:** من مواليد عام 1685م، قسّ إسباني من الآباء البيض الترينانيين، زار وهران عام 1732م بعد أن أعاد الإسبان احتلالها، قدّم معلومات هامة عن الإيالة الجزائرية حيث دوّنها في سبع مجلدات ... للمزيد ينظر:احميدة اعميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص11.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، **مرجع سابق**، ص55.

[3] استقر العديد من الأندلسيين في الكثير من المدن الساحلية الجزائرية، وعرفت هذه المدن ازدهارا، بل غَلب على بعضها الطّابع الأندلسي كتلمسان ومازونة وتنس، بحكم أنّ الجاليات الأندلسية كانوا حرفيين وتجّار مهرة، وسيكون لهم دور كبير في تطوّر الأسطول البحري من خلال مساهمتهم في بناء وتموين سفن المجاهدين، حتى أنّهم أُطْلق عليهم في شرشال(سكان الثغور)، وغايتهم الحماية، وبدافع الانتقام ممن طردهم من أوطانهم. للمزيد ينظر: محمد بن سعيدان، **التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص21؛ عبد القادر كركار، **الهجرة الأندلسية إلى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن الديمغرافي في العصر الحديث**، مجلة قبس، مج7، ع2، ماي2023م، ص658.

المغرب الإسلامي وخصوصا إيالة الجزائر فما هي الطرق التّي اتخذتها للتوسّع، وكيف تعاملت الدّول الأوروبية مع القوة البحرية الناشئة التابعة للإيالة الجزائرية؟

المبحث الثاني: الأوضاع في إيالة الجزائر خلال القرنين (16-17) م

في الوقت الذي كانت تعيش أوروبا عصر النهضة وتَبعاته، كانت بلاد الجزائر أيضا تدخل مرحلة جديدة، عبّر عنها **شارل أندري جوليان(Charles André JULIEN)** (1891-1991)م في كتابه « تاريخ افريقيا الشمالية» قائلا:" إن الحالة التي كانت عليها البلاد البربرية عام 1515م. تبيّن إلى أيّ درجة من الفوضى وصلت إليه شعوبها، إنها فترة حاسمة بالنسبة لتاريخ شعب لا يجتازها إلا بالتجديد أو الخضوع لسيطرة ما ... وفي الوقت الذي كادت المسيحية تحقيقه؛ سنحت الفرصة للأتراك".[1]

1.انضواء جزائر بني مزغنة تحت الراية العثمانية:

على إثر انضواءها تحت لواء الدولة العثمانية، برزت إيالة الجزائر مع مطلع القرن 16م كقوّة إقليمية بارزة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد رحّب العثمانيّون بانضوائها تحت لوائهم[2]، واستمروا في توسّعهم حتّى تمكنّهم من القضاء على آخر عقبة، والتي تمثّلت في فتحهم لجزيرة رودس عام 1523م، وفي لاَحق الأيام سيكون الرّهان العثماني في العالم المتوسّطي مرتبطًا إلى أبعد الحدود بإيالة الجزائر، يذكر **ستانلي بول(Stenley POOL)**(1854-1931)م في هذا الصدد "أنّ سيطرة الأسطول العثماني على الحوض

[1] شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)من الفتح الاسلامي إلى نهاية عام 1830م)**، ط1، الدار التونسية للنشر، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، تونس، 1978م، ص321.

[2] " لأنهم تعمّدوا وضع الجزائر وطرابلس وتونس كمواقع قريبة من نطاق الإمبراطورية الإسبانية؛ منعًا من توسّعها شرقا" لقد طالعنا تردّد هذه المعلومات كثيرا، وبما أنّ الحدث التاريخي بالنّسبة للباحث يبقى محلّ شكّ دائما، فالظّروف في تلك الفترة تحرّكها المصالح، وإن سلّمنا أنّ هذا ما حصل فعلا، فقد استفادت إيالة الجزائر في ظلّ الدولة العثمانية بقوّة الأسطول وازدهار النشاط البحري، وهذا ما كان ليحدث لولا دخول العنصر العثماني إلى الجيش البحري، ماذا لو سنحت الفرصة للإسبان؟]

الشرقي من البحر المتوسط باتت مكتملة، بعدما سقطت آخر عقبة(رودس)، ولن تكون هناك بعد الآن أيّ سفينة مسيحيّة آمنة، ومنه انقسم العالم إلى عالم إسلامي تمثّله الدولة العثمانية، وعالم مسيحي تمثّله إسبانيا".

مع تنصيب خير الدين بربروسا[1] «الجرح الحيّ» (حسب تعبير **هنري دلماس دو غرامون Henri-Dalmmas De GRAMMONT**(1830-1892)م) كأوّل حاكم تحت لقب البيلرباي، أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية، والذي كان بمثابة نائب السلطان؛ استطاع بهذا المنصب الذي يخوّله مسؤوليات إدارية واسعة، أن يحمي الجبهة الغربية للدولة العثمانية[2]، وأن يَحدّ من التوسّعات النّصرانية على سواحل الشّمال الإفريقي، بعد هزيمة الإمبراطور **شارلكان** العدوّ التقليدي للسلطان سليمان القانوني[3]، وحقّق منذ دخوله لمدينة الجزائر انتصارات واسعة، لاحقَ المتمرّدين والعُصاة، وفرضَ سيطرته على الساحل من جيجل حتى وهران، ووطّن الأمن والاستقرار، وأخضع المدينة للنظام؛ وجعل منها عاصمة

---

[1] **بربروسا**: وهما عروج وخير الدين، بينما واقعيا المقصود هو خير الدين صاحب اللحية الشقراء(وهناك من يصفها الحمراء)، من أبناء مدينة ميدلي (ليسبوس القديمة) باليونان، والدهما يعقوب آغا وكان أحد فرسان فرقة السباهية [كثيرا ما اعتقدت كلما ذكر هذا المصطلح «سباهية» إنما كان يقصد الصبايحية، وأنّ المؤلف إنّما وقع في مغالطة الترجمة، إلى أن تأكدت من خلال العديد من المراجع والمصادر أن مصطلح (الصبايحية) هو المصطلح الخاطئ والترجمة للعربية لم تكن صحيحة]، كان الأخوان مولعان بركوب البحر، وقد لعب عروج دورا كبيرا في تمهيد الطريق لأخيه خير الدين في بسط نفوذه بالجزائر، كما أن ربط خير الدين مصيره بالدولة العثمانية ينم عن فطنة وذكاء شديدين[في الصفحة 72 من كتاب الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية لعزيز سامح إلتر، عدّد الأسباب ولخصها في حاجته للعساكر والسلاح والبارود وكثرة الأعداء من حوله سواء الاسبان أو حكام تونس وفاس]، لذلك إذ لو اعتمد على نفسه كان خرّ تحت ضربات أعدائه الكثيرين في حين أنّ **جاك مكارثي(Jack McCarthy)** في ملاحظة هامشية في كتاب **توماس شاو** «رحلة في إيالة الجزائر» أكّد أن خير الدين كان مرغما على الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية بعد موت أخيه عروج، وسلّم الجزائر للسلطان سليم الأول، بشرط أن يكون حاكمًا لها ويحصل على أرفع المناصب (الباشا)... ينظر:

Dr. Shaw, **Voyage dans la Régence d' Alger, ou Description Géographique, Physique, Philologique, etc. de cet Etat,** Tr: Mac Macarthy, Paris,1830, p7.

شارل أندري جوليان، **مصدر سابق**، ص ص150،156.

[2] يقول الرحالة وعالم اللاهوت الانجليزي **جورج فوكس(George Fox)** « ظهر رجلان جعلوا الجزائريين أكثر تخويفا للسلطات المسيحية، وحموهم لفترة طويلة من العقوبة التي يستحقونها وهي إستعمارهم». ينظر:

ABT Bercazú, **op.cit**, p73.

[3] **سليمان القانوني**: عاشر سلاطين آل عثمان والده السلطان سليم الأول، ولد عام (1494م/ 900هـ)، وتولّى الحكم في عام (926هـ/1520م)، وقد عرفت الدولة العثمانية خلال حكمه أوجّ قوّتها وعظمتها، عُرف بكثرة وضعه للقوانين حتى لقّب بالقانوني، شارك في 13 معركة، توفي في عام (1566م/ 974هـ) عن عمر يناهز 74 سنة، قضى منها 46 سنة في الحكم، للمزيد ينظر: حضرة عزتلو بك أصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م، ص ص 60،66.

لبلاد المغارب، وقام بتنظيم الشؤون الإدارية والعسكرية، وأقام التّحصينات وعزّز القوات لتلافي خطر هجومات الإسبان الحثيثة التي ما فتئت تتقاطر على السّواحل، وبعد فصل النيابات العثمانية باتت مدينة الجزائر قاعدة للبلاد.[1]

1.1.الموقع الجغرافي للإيالة الجزائرية:

تعتبرُ الجزائر من أهمّ المناطق التي تتمتّع بموقع استراتيجي من بين بلدان المغرب الإسلامي، فهي تطلّ على البحر المتوسط من جهة الشّمال، وتضرب في أعماق الصحراء جهة الجنوب، وبالتّالي تُكوّن مِحورا تتقاطع فيه حضارات مختلفة، بيد أنّ تموضعها وخصوصا إطلالتها من النّاحية الشّمالية على البحر شكّل خطرًا، إذ جعلها مسرحًا للعديد من الحملات الأوروبية المتكرّرة، ومهدًا للتنافس التّجاري الذي انعكس سَلبا على التّنمية والاستقرار الداخلي، أمّا من الناحيتين الشّرقية والغربية فإنّ تَجاوُرها مع المغرب الأدنى والمغرب الأقصى؛ أدّى إلى نشوب مشاكل، بسبب غياب الفواصل الجغرافية والطبيعية والبحرية، وهو ما ساعد على نشوء مشاكل جديدة، تمثّلت في تدخّل كلّ من المغرب الأدنى والمغرب الأقصى في الشؤون الجزائرية، إمّا من خلال ضمّ بعض المناطق، أو إذكاءً للمشاكل الداخلية عن طريق تحريض البايات.

بسبب موقعها باتت «المحروسة» محطّ أنظار العديد من الأوروبيين[2]، وانطلق العديد من الرحالة المغامرين أو المبعوثين نحو إيالة الجزائر ليستكشفوا ويستعلموا دواخل هذا البلد، وكتبوا حوله المؤلّفات وناقشوا أساليب القضاء عليه[3]، ومع النقلة النوعية التي عرفتها الإيالة في ظلّ ارتباطها بالإمبراطورية العثمانية استطاعت أن تقاوم هذه الهجمات، فبعدما كانت

---

[1] وهيبة بولصباع، **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18)م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير خلال العهد العثماني، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014م، ص 42.

[2] حمزة بكري، **المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 17و18م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021م، ص ص81-83.

[3] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص 26.

بعض مدنها السّاحلية في قبضة المسيحيين أصبحت دار جهاد ضدهم[1]، بل وصارت منطلقًا للمعارك البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ففي الفترة الممتدة ما بين (1584/1528)م تمكّن البحارة الجزائريون من شنّ ثلاث وثلاثين غارة ناجحة، أنقذوا فيها مئات الموريسكيين من قبضة المسيحيين ومحاكم التفتيش الإسبانية.[2]

2.1.القوة الاقليمية لإيالة الجزائر:

ومع مطلع القرن السابع عشر، وظهور الجزائر كقوة إقليمية بارزة في البحر المتوسط، نتيجة النشاط البحري المزدهر «العصر الذهبي»[3]، غَنيت الجزائر بالموارد الوافدة من عمليّات الجهاد البحري، وأثرى أغلب السّكان بفضل المعاملات الناتجة عن الغنائم، وتزايد عدد سكان الإيالة والذي قُدّر بمائة ألف ساكن، كما أنّ توافد عناصر سكّانية مختلفة(أتراك، أندلسيين، موريسكيين، أسرى أوروبيين) ومساهمة كلّ عرق في مجال ساهم في تطوّر البلاد[4]، ونلاحظ هذا في تعزيز الأسطول بسفن شراعية كبيرة وعالية الجنبات بفعل خبرة الأندلسيين؛ مكّنت

[1] [إن المتتبع لثنائية الدولة العثمانية وخير الدين بالنسبة للجزائر، سيرى أن كليهما إنما كانت تحرّكه المصالح، فالدولة العثمانية رحبّت بانضوائها لأجل أن تكون حاجزا للإسبان... وخير الدين كان يعنيه من الجزائر السّيادة والسلطة... في حين استنجاد الأهالي بالأخوين عروج والارتباط بالدولة العثمانية كان بدافع ديني محض].

[2] **محاكم التفتيش:** نشأت محاكم التفتيش منذ عام 133م، بقرار من البابا **غريغوري التاسع (Grégoire IX)** واستمرت حتى القرن الثامن عشر، وكان الهدف منها هو محاربة أيّ انحراف عن العقائد المسيحية الرسمية، محاكم التفتيش ليست إسبانية فقط، بل عُرفت هذه المحاكم في كامل أوروبا. للمزيد ينظر: هاشم صالح، **مرجع سابق**، ص154؛ ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 39.

[3] [وجب التنويه أنّ البحرية الجزائرية لم تنشأ مع قدوم الأتراك، بل كان تشكّلها في منتصف القرن الرابع عشر بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط، وكان مرتبطا بالكيانات السياسية التّي تعاقبت عليها، لكن بتأثير ضعيف لم يرقَ مطلقا إلى مصاف البحرية الجزائرية في العهد العثماني خلال القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر]. يذكر **فرناند بروديل** في هذا الصدد أيضا: «ربما كان امتداد المدينة أقلّ مما هو في عهد الأتراك، ولم يكن هناك ميناء حقيقي بعد، ولاتزال الجزر التي أطلقت اسمها على المدينة معزولة في البحر» ينظر: Federico CRESTI, **Déscription et Iconographie de la Ville d'Alger au XVIe Siècle**, R.O.M.M ,N^{0}43, 1984, p1.

[4] في القرن 17م وصل عدد الموريسكيين المهاجرين إلى إيالة الجزائر 25 ألف موريسكي. للمزيد ينظر: عبد القادر كركار، **مرجع سابق**، ص659؛ توفيق دحماني، صباح العبيدي، **إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب**، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، مج4، ع10، 2017م، ص141.

الأسطول البحري بمخر عباب شرقي البحر المتوسط[1]، وباتت إيالة الجزائر من الوجهة النظرية إيالة عثمانية، أمّا واقعيا فقد أدى البعد عن الباب العالي إلى استقلال جزئي عمليا، حتى أنّه مع بداية عام 1671م، تغيّر قانون السّلطة وأصبح الدايات يُنتخبون مدى الحياة.[2]

يذكر الرحالة الألماني **هابنشترايت(Habenstraiet)**" أنّ الباب العالي كان يُرسل باشوات إلى إيالة الجزائر يمثّلون السلطان حتى سنة 1710م، وعندما رفض الديوان الممثّل للحامية استقبال الباشا ممثّل السلطان أصبح الداي أو رئيس الحامية منذ ذلك اليوم صاحب السيادة في حكم الجزائر"[3]، أقرّ **هابنشترايت** ذلك" أن عام 1710م هو الفاصل الزمني الذي بات فيه الداي صاحب السّيادة في حكم إيالة الجزائر ويتمتّع بسلطة مطلقة"، وأيّده في هذا أيضا الرحالة الفرنسي **فونتير دي باراداي** الذي اعتبر هذه السنة هي التاريخ الحقيقي الذي انفصلت فيه الجزائر عن الدولة العثمانية، وتوقّف الباب العالي عن إرسال الباشوات.[4]

خرجنا باستنتاج عام يتمثّل في أنّ أغلب المصادر والمراجع، سواءً كانت العربية أو الأجنبية، تكرّس فكرة الاستقلال التام للجزائر عن الدولة العثمانية بداية من القرن18م، وفقا لاعتبارات عدّة، منها التحالفات والاتفاقيات التي كانت تُوَقّع مباشرة دون العودة للسلطان العثماني، بل إنّ الدول الأوروبية وفي أغلب المصادر التي اطلعنا عليها تحذف اسم الإيالة وتكتب مباشرة الجزائر ككيان ودولة لا كإقليم عثماني، وعدم حدوث الانفصال التام إنّما من باب أنّ الدولة العثمانية كانت تمثّل مركز الخلافة الإسلامية.

---

[1] شارل أندري جوليان، **مصدر سابق**، ج2، ص355.

[2] يقول **دوغرامون:**" ينقسم تاريخ إيالة الجزائر إلى ثلاث فترات حكم البيلربايات والباشوات والدايات ، إننا نتجاهل عن عمد الحديث عن الآغوات، الذين استمر حكمهم اثنتي عشر عاما وكانوا بالمعنى الصحيح مجرد أعمال شغب طويلة للميليشيات". ينظر:

H.D. GRAMMONT, **Histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515-1830)**, E. Leroux, Paris, 1887, piii.

[3] ج.أ، هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج.أ. هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732)**، د ط، دار الغرب الاسلامي، تر: ناصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م، ص27.

[4] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية** ...، مرجع سابق، ص251.

ومع مطالعتنا وتحليلنا لبعض المراسلات تبيّن أن الجزائر ظلت تأتمر بأوامر الباب العالي حتى عام 1827م[1]، لمّا تحطم الأسطول العثماني في الحرب اليونانية العثمانية و فُرِض الحصار على السواحل الجزائرية، وتمّ التحكم في السفن الوافدة أو المغادرة من ميناء الجزائر.[2]

وننقل تفسيرًا لأ**رجمنت كوران(Ercument KERAN)**(1920-2009)م، ونجده شاملا لكلّ ما سبق ذكره حول الاستقلال عن الدولة العثمانية "في القرن التاسع عشر... صارت تبعيّة الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداي لسنتين أو ثلاثة، والتحاق سفن الأوجاق بالأسطول العثماني كلّما تطلّب ذلك، وغير هذا فإن أوجاق الجزائر كان يجلب جنودًا أتراك من جزر البحر الأبيض المتوسط ومن الأناضول، ورَبح الولاة الحريّة لدرجة أنّهم يوقّعون الاتفاقيات مع الدول الأجنبية مباشرة".[3]

[1] وحتى لا يلتبس الأمر، سيناقش الكثيرون حول أنّ الارتباط إنّما كان إداريا، وإن اعتبرنا ذلك صحيحا فكيف سنمرّر حقيقة طرد **علي شاوش** للداي الذي نصبه السلطان العثماني عام 1711م وولّى نفسه مكانه؟ إن المصالح هي التي تحدّد الانفصال أو الارتباط، والجزائر في جميع مراحل التواجد العثماني لن يفيدها الانفصال الكلي في خضم الحملات الخارجية، والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، والتي أخذت منحىً غير مستقر، كما لن يفيدها خسارة هذا الحليف الدائم (الدولة العثمانية)، إن زعزعة هذا النظام الذي امتدّ ثلاث قرون سيحتاج منّا ربّما إلى أكثر من 130 عاما كي نبني وجودنا من جديد، يُورد الدكتور مولود قاسم في كتابه« مكانة الجزائر الدولية الجزء الأول» ما يقاربنا الرأي مع بعض الغلوّ والمزايدة الصحيّة الناجمة عن الارتفاع في الرّوح الوطنية، وأدركت أخيرا أنّ البحث عن الحقيقة التاريخية، يجعل من الباحث ينقّب عن واقع الحدث كمن يبحث عن إبرة في كومة كتب.

[2] وهذا مقطع من رسالة الداي حسين باشا إلى السلطان العثماني محمود الثاني والمؤرخة في 19 ديسمبر 1827م، حول إرسال السفن في معركة نافارين « ومثل السنة الماضية 1242هـ – أوت 1826م/ جويلية 1827م، فقد قمنا بتجهيز وإعداد سفننا لإرسالها تحت أوامر الأسطول السلطاني خلال فصل الربيع الميمون، لتكون في خدمة جلالة سلطاننا الموقر المحترم [...] خادم العالم وجميع الشعوب، وهذا العمل أرغمنا على إغماض أعيننا عن تلك التحركات التي يقوم بها الكفرة المكرة الفرنسيون في الباستيون»، [في حين أنه في كتاب الأخبار الطبوغرافية والتاريخية للمملكة والمدينة المصاحبة مع خريطة عامة للجزائر للمؤلف ABT Bercazú وهو ترجمة لرحلة جورج فوكس في الصفحة 70 يذكر أنّ السبب في الاستقلال الجزئي راجع إلى السلطة العثمانية التي لم تشأ أن تكون سلطتها مباشرة لبعد اقليم الجزائر عنها، فتغاضت عن الكثير من التجاوزات في سبيل ضمان تبعيتها وفائدتها الدفاعية]. للمزيد حول الاستقلال الجزئي ينظر: خليفة حماش، **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية،1236-1243 / 1821-1827م**، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2021م، ص214.

[3] أرجمنت كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، منشورات الجامعة التونسية، تر: عبد الجليل التميمي، تونس، 1970م، ص28.

2.النشاط البحري للإيالة الجزائرية:

إن الكارثة المريعة أو الحملة المؤسفة والبائسة (حسب تعبير أغلب الرحالة) التي مُنّي بها **شارلكان** عام 1541م[1]، ضربة خطيرة للنفوذ الاسباني في غرب المتوسط ولا سيّما في إيالة الجزائر[2]، عزّز هذا الفشل شعور الخوف في الذهن الأوروبي أنّ الجزائر مدينة لا تُقهر، ولا وجود لوسيلة للتأثير عليهم سواءً من البرّ أو البحر، كما أنّ الاتفاق معهم قد يكون مؤقّتا وهو أيضا نسبي.

ظلّت ذكرى هذه الكارثة تحول دون إقدام أيّ دولة أوروبية على محاولة من هذا النوع ضدها[3]، ويعود السبب في ذلك إلى ما أثاره نظام البلاد الجديد في العالم المسيحي من حيرة، وما لَفَتُه من أنظار القادة والسّاسة ورجال الكنيسة والمسؤولين عن البحريات[4]، واستمرت الهيبة من إيالة الجزائر طيلة الثلاث قرون رغم الانتكاسات والعقبات[5]، لقد أعطت للعالم مشهدًا فريدًا لأمّة تُقاوم بشكل لا يصدّق جميع الحملات المستمرّة الموجّهة ضدها، رُغم الثورات الداخلية والفوضى اليومية والصراعات بين الانكشارية والبحّارة التي كانت ستُنهك كاهل أيّ مجتمع آخر.[6]

يقول الفرنسي **جون بونافون(Jean BONNAFONT)**(1805-1891)**م:** "عندما نستعرض تاريخ إيالة الجزائر لدينا سبب يدعو إلى الدّهشة من هذا البلد الذي يبدو أنه غير مهمّ، لكنّه كان قادرًا على العيش والبقاء لعدّة قرون، مع الحفاظ على صراع شبه مستمر مع

---

[1] هذه الكارثة التي هزّت عرش أوروبا وأسالت أقلامًا كثيرة، عثرتُ على كوميديا بعنوان (أعظم استياء ليوم كارلوس الخامس والجزائر) في المكتبة الإسبانية الالكترونية على شكل مخطوط، تحتوي على 22 صفحة، تحت عنوان(la Mayor Desgarcia de Carlos V. YJornada de Argel

[2] وضعت هذه الهزيمة حدًا للمخطّطات الإسبانية الهادفة إلى الاستيلاء على شمال افريقيا والقضاء على النفوذ العثماني بها .

[3] Venture de PARADIS**, Alger au XVIIIe Siècle**, E. Fagnan, Alger, 1889, p 110.

اقترح **فونتير دي بارادايا** أنّ فشل الحملة لم تكرّس فقط في ذهن الأوروبي قوة الجزائر التي لا تقهر، بل أصاب الجزائريين بالعظمة وأنّه لا يمكن التغلّب عليهم، لذلك وجب مواجهتهم واختزال معاهدات السّلام إلى نقطتين فقط: سلام دائم ومعاملة بالمثل.

[4] جلال يحي، **التاريخ الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. س. ن، ص330.

[5] ينظر الملحق رقم 01: صورة للميناء تبيّن مدى اعتراف الدول الأوروبية بالقوة البحرية للإيالة الجزائرية.

[6] H.D. GRAMMONT**, op.cit**, p1.

جميع الدول الأوروبية وحتّى الأمريكية، بل إنّه من الغريب أن تفتقر هذه الدول إلى الحكمة لتوحيد قواها لسحق هذه القوّة العابرة، ولن يستغرقوا وقتًا طويلاً حتى يختفي القراصنة من البحر الأبيض المتوسط".[1]

إنّ الرّغبة في تحطيم هذا العدوّ اللدود، جعلت من الامبراطور **شارلكان** يكلّف الرحالة الايطالي **باولو جيوفيو (Paolo Giovio)** بعد مرور تسع سنوات على الحملة الفاشلة عام 1541م، بتقديم عمل يتضمّن معلومات حول مدينة الجزائر، ونزولاً عند الطلب قام بتقديم وصف لسواحل المدينة، مُشيرًا إلى المواقع العسكرية للمدينة وأسوارها ومنازلها[2]، والأمر نفسه مع **مارمول كاربخال(Marmol Karbajal)** الذي سار في ركاب جيشه نحو تونس عام 1535م، وبعد مغادرة الأسطول الإسباني ظلّ **مارمول** في شمال إفريقيا على إثر مهمة كلّفه بها، وخلال المدّة التي قضاها، تمكّن من جمع مادة تاريخية مهمّة، ومعلومات غزيرة عن إيالة الجزائر خصوصا حول التركيبة الإجتماعية وأخبار المدن، وتطرّق إلى الصحراء من خلال تتبّع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.[3]

---

[1] Jean Pierre BONAFONT, **Douze Ans en Algérie 1830-1842**, éditeur.L.S.G.L, Palais-Royal , Paris, 1880, pp1-2.

يذكر **دوغرامون** ردًا على **بونافونت**، والواضح أنه اطلع جيدا على مؤلفه قائلا: "إن دراسة تاريخ الإيالة يعطي اليقين أنّ هاته الدولة تدين بإفلاتها الطويل من العقاب ووجودها ذاته بسبب انشقاقات المسيحية، من المؤكّد أنّه لم تكن هناك حاجة إلى جهد مشترك لتدمير أمة لم يكن لديها قوى حقيقية"، يوافقه المؤرخ **ألفريد نتيمنت** بقوله:« يمكن للمرء قياس مدى الخدمة التي قدّمتها فرنسا للمسيحية والإنسانية ككلّ بقضائها على القرصنة التي كانت هاته المدينة مركزا لها".[إن ردّ **دوغرامون** و**ألفريد نتيمنت** الذي بدى متحيّزا وعدائيّا يوضح الإنكار الأوروبي الغريب خصوصًا من المؤرّخين والمطّلعين على المراسلات والمعاهدات والمؤلّفات التي يكفي القليل من العناء لدراستها والإطّلاع عليها، ومقارنة بما سلف فقد كان ردّ مولود قاسم نايت بلقاسم قاسيا أيضا، وردّ الخبر من منابته إذ رفع حديثا للأمريكي وليام سبنسر مفاده] " لقد أظهرت الوقائع الثابتة أنّ جميع الحملات الأوروبية ضدّ الجزائر قد أثبتت عجز السياسة الأوروبية حينما جوبهت بأمّة قويّة من الداخل". ينظر:

H.D. GRAMMONT, **op.cit**, pviii ؛Alfred NETTEMENT, **op.cit**, pxiv؛ مولود قاسم بلقاسم نايت بلقاسم، **مرجع سابق**، ج1، ص19.

[2] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص21

[3] سعاد آل سيد الشيخ، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران1، 2021م، ص 113.

1.2.حركة الجهاد البحري:

الجهاد أو ما اصْطَلح عليه الاشتقاق ذو البعد الأوروبي« قرصنة» وارتبط في عمومه بالسطو والهيمنة والاستيلاء على ما تحمله السفن وأسْر راكبيه، هذا المصطلح الذي اندرج كثيرًا عند الأوروبيين على النشاط البحري الجزائري من خلال كُتّابها وتقارير قناصلها[1]، وسعت أغلبها إلى تضخيم حجم الجهاد البحري والنتائج المترتّبة عنه واعتبروه تحامُلاَ عملاَ « لصوصيا»[2]، بيْد أنّ واقع السّلوك العثماني مختلف، لأنّه كان في ظروف سياسيّة معينة، اكتنفها الصراع المسيحي الإسلامي والتّحالفات الدولية، وبموجب قوانين تلك الفترة، فلا تتعرّض للاستيلاء إلاّ السّفن التي لا ترتبط بمعاهدات واتفاقيات، وكانوا ينشطون مدفوعين بأمر من حكوماتهم من خلال تصريحات مكتوبة« رسالة العلامة» أو« الباسابورطي» (Pasapurty).[3]

إنّ النّشاط البحري حركة عامة تمتدّ إلى جميع القوى سواءً البحرية الإسلامية أو المسيحية، إذ كان الغزو متوسطيّا مسيحيّا وإسلاميًا، ولم يكن وليد الكشوف الجغرافية ومطاردة الأندلسيين فحسب، بل هو امتداد للاحتكاك الحضري والصّراع العسكري الذي

[1] هناك تعريف غربي شامل لرؤية الغرب للجهاد البحري أو ما يدعونه بالقرصنة «لعلّ أكثر الصناعات رواجًا في الجزائر وأوفرها رفدا ودخلاً هي القرصنة، إذ يقوم القرصان بمهاجمة السفن التجارية وأخذ من وما فيها من إنس ومال».

[2] حنيفي هلايلي، **قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل**، الحوار المتوسطي، ع16/15، 2017م، ص574.

[3] حتى نصل إلى مفهوم واضح أنقل ما كتبه المؤرّخ الجزائري توفيق المدني« من الواجب التفرقة بين لصوصية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب والسبي، وبين القرصنة التي هي بالأصل نوع من الجهاد البحري والغاية منه حماية المسلمين من جهة وضرب اقتصاديات العدو من جهة أخرى بالاستيلاء على صادراته وارداته، إن الجهاد البحري العثماني له قواعد وقوانين وأعراف وبالتالي فهي عمل منظم يقوم على قواعد وأسس... ، [إن هذا المفهوم الوارد من قبل المؤرخ أحمد توفيق المدني وغيره ممن أرخوا وتحدّثوا عن الجهاد البحري بكثير من التعاطف فيه بعض الغلوّ والمزايدة وهو راجع حتما إلى ارتفاع في الروح الوطنية، ولو أننا وحسب وجهة نظرنا المتواضعة، نرى أنّ القرصنة البحرية أو الجهاد البحري لم تكن دوما بالشكل الذي أوردناه وإنما داخلتها في كثير من الأحيان مظالم لا تمتّ للقواعد والقوانين والأسس التي وضعت بصلة، ولعل فترة الباشوات تؤكد ذلك، إذ لم يعد جهادا بل غزوا حقيقيا وسرعان ما أصبحت اللصوصية وسيلة الوجود الوحيدة لغالبية السكان]. للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)م**، د ط، ش. و. ن . و، الجزائر، 2014م، ص73.

تجلّت أبرز مظاهره خلال الحروب الصليبية القديمة والحديثة[1]، ومع بداية القرن السّابع عشر أصبحت إيالة الجزائر مدينة في حجم المتوسط، الذي مدّت فيه شباك جهادها حتّى سواحل إنجلترا وسواحل إيسلندا، لقد كانت بمثابة السّوط المسلّط على العالم المسيحي، إنّها رعب أوروبا ولجام إيطاليا وصاحبة الأمر في الجُزر.

وبما أنّ حركة الجهاد البحري بما تحصده من غنائم؛ كانت نشاطا مُربحا على جميع المستويات، فقد ساهمت في تطوير الاقتصاد الجزائري وجعلها مدينة ثريّة ومزدهرة، يقول المؤرّخ **فرناند بروديل(Fernand BROUDEL)**(1902-1985)م:" لم يمثّل نشاطهم هذا خطرًا على المصالح السياسية الإسبانية فحسب، بل مثّل تهديدا للمصالح الاقتصادية وأثرى مدينة الجزائر بما ضمّنه لهم من غنائم"[2]، ثم تحوّلت مهام البحرية من الجهاد نحو الغزو البحري[3]، بسبب الوفرة الاقتصادية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وانضمام فئات أخرى من الضفّة الشمالية إلى الجيش هدفهم الثراء السريع.[4]

يقول الجنرال الفرنسي **هنري غورو(Henri GOUROUD)**(1867-1946)م:"إنّ القرصنة الإسلامية المنظّمة ظهرت في بادئها كمشروع للردّ على فرسان النّصارى، الذين ظلوا يتصرّفون بتصرّفات الحروب الصليبية، ثمّ سرعان ما تحوّلت في مملكة الجزائر إلى مؤسّسة دائمة يصبّ ريعها في ميزانية الدولة"، وهو تحوّل منطقي وطبيعي؛ إذ كانت

---

[1] حمدون بن عتو، **الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني(1518-1830)م من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين الكتابات الفرنسية والاسبانية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص21.

[2] حنيفي هلايلي، **قضايا البحر الأبيض المتوسط...**، مرجع سابق، ص574.

[3] [إن التفرقة بين الجهاد والغزو يخضع لاعتبارات عدة، وحتى في جهاد الرسول الكريم(صل الله عليه وسلم) ضدّ الكفار، كانت تأخذ تسميات عدّة فمنها الغزو ومنها السّرية ومنها الجهاد الذي يحمل سببا واحدا هو الحرب الدينية، بينما الغزو فمختلف بحكم أنّ الكفاح سيكون لأجل قضايا أخرى منها الحرص على البقاء والنفع الاقتصادي].

[4] إن نقطة الثراء السريع هي التي أجّجت ما يعرف بالقرصنة غير المشروعة أو " الغزو" لأن الفعل يقع معزولا دون أي ترخيص رسمي من الحاكم والهدف منها هو تعطيل حركية التجارة والتحكم في المواصلات البحرية، وقد بات هذا الأمر سمة بارزة وهو السبب الرئيس في تدهور البحرية الجزائرية... للمزيد ينظر: سليمان دهان، **الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لحركة البحرية الجزائرية خلال الفترة الحديثة**، مجلة الدراسات التاريخية، مج22، ع1، ديسمبر 2021م، ص218.

السّيطرة على البحار قبل كلّ شيء مقترنة بالنّشاط الاقتصادي، وهي ظاهرة استيطان باركتها كلّ الدول لتحقيق الازدهار والتقدّم وردّ الاعتداء، إنّ هذا اللواء المتبادل بذريعة دينية نشاط «مؤسسي»[1] إلى حدّ كبير في السباق من أجل الثروة[2]، يقول المستكشف **نيكولاس أندرو سوف(Nicolas Andro)**(1861-1924)**م**:" إنما يستدعي الاهتمام هو أنّ القوة العسكرية كان يمكن أن تدعم نفسها بالقوة، لكن القوة البحرية كان يجب عليها أن تكسب دعمها من الجماهير لتضمن بقاءها".[3]

هذا الجهاد كان مدعومًا بأسطول بحري قوي، إنّ طول الساحل الجزائري وقُرْبه من أوروبا التي كانت أساطيلها الحربية والتجارية تجوب عباب البحر الأبيض المتوسط، فرض على إيالة الجزائر أن تتوفّر سواحلها على قوات بحرية تتلاءم وحجم التّهديدات، بل شكلّت فيما بعد وطيلة ثلاثة قرون تهديدًا لكلّ مرتادي البحر الأبيض المتوسط، إذ كان السّيد دون مُنازع، مما جعل المسيحيين يهابون الإيالة وسعوا جاهدين للقضاء عليها وعلى أسطولها[4]، ويبدو أنّهم يعترفون بالخدمة التي قدّمتها فرنسا للمسيحية بقضائها حسب رأيهم على القرصنة التي كانت هذه المدينة مركزا لها.[5]

وعلى الرغم أنّ فترة البيلربايات كان النشاط البحري فيها موسومًا بنشاط جهادي صرْف، قائم على محو التّواجد الإسباني المسيحي؛ فخلال فترة الباشوات بدأ هذا النّشاط البحري يأخذ وِجهة مُغايرة، إذ لم يعد جهادًا بحريًا بقدر ما كان غزوَا حقيقيا(حرب

---

[1] كانت الغنائم تخضع لإحصاء دقيق من طرف وكيل الحرج أو وزير الحربية، وكانت تتحوّل إلى الدولة التي تأخذ الخمس(البنجق) ويوزع الباقي (الفيء) على المساهمين في تجهيز السفن. للمزيد ينظر: حنيفي هلايلي، **القرصنة وشروط الأسرى الاسبان في الجزائر خلال العهد العثماني** ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، 2017م، ص246.

[2] حمدون بن عتو، **مرجع سابق**، ص20.

[3] بلقاسم قرباش، **مرجع سابق**، ص17

[4] ومن وجهة نظر أوروبية يقول **روسيه**" استمرت القرصنة الجزائرية في إهانة الأوروبيين طيلة القرن التاسع عشر كما حدث في القرن السادس عشر، بعد ثلاثمائة عام من الثروة ، اعتبرت الجزائر نفسها فوق كل جهد بشري، حاولت أساطيل قوية مرارا وتكرارا تدميرها، وبالكاد صنعت بعض الأنقاض". ينظر:

Camille ROUSSET, **la Conquètte d' Alger**, éditeur e.pi.on, Paris, 1879, p 1.

[5] Alfred NETTEMENT, **op.cit**, pxiv

المغامرات)، تعرّضت فيه سواحل إيطاليا وكورسيكا وسردينيا وإسبانيا للخراب سنويًا وغالبا مرّتين في السّنة، وأصبحت الملاحة في البحر المتوسط شبه مستحيلة[1]، يذكر المستشار والرحالة الفرنسي **لوجي دو تاسي**، أنّ الجزائريين إنّما يبغضون الإسبان والبرتغال لأنّهم يرونهم كغاصبين للممالك والبلدان التي كانت تابعة لأسلافهم.

في عام 1655م توقّف الجزائريون عن مهاجمة السّفن الإنجليزية وتمّ تحرير جميع السفن البريطانية؛ ولكن في ظلّ حكم **تشارلز الثاني(Charles II)**(1630-1685)م استأنف الجزائريون هجماتهم، وتمّ وضع العديد من الإنجليز في الأسر[2]، ويعود السّبب إلى قوّة الأسطول البحري التي وصلت ذروتها بين سنتي (1580-1640)م، إلا أنّ الضعف والتقهقر بعد هذه الفترة بدأ يجتاح الأسطول[3]، ولا يعود السّبب إلى تطوّر السفن والأساطيل الحربية الأوروبية فحسب بل إلى:

- الخسائر التي تكبّدتها الإيالة في حروبها مع الدول الأوروبية.
- انضمام المغامرين مهما اختلف دينهم وجنسياتهم إلى الأسطول الجزائري، هذه النقطة بالذّات كانت مصدر قوة في بداية تشكّل الأسطول البحري الجزائري حين كان الهدف الأساسي هو الذود عن دار الإسلام، وقد تكلّم الدكتور **جمال قنان** في كتابه(قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والعاصر) في جزء دور البحرية في الدفاع عن مصالح الدولة بشكل أكثر تفصيلا.[4]

---

[1] H.D. GRAMMONT, **op.cit**, pvii.

[2] George Fox**, Slavery of Friends in the Barbary States, Towarde the Close of the Seventeenth Century**, Mondon, 1848, p14.

يقول المؤلف: «لم نتلقّ أي إشعار بوجود أسرى انجليز قبل عام 1679م»

[3] وحسب ما أفادتنا بعض المصادر، بلغ الأسطول أقصاه خلال زعامة كل من إبراهيم عرباجي وعلى بتشين لطائفة الرياس(1621 -1645)م، فقد عاين نائب القنصل الفرنسي **فرانسوا شيي** (François chaix) ست وثمانين سفينة قرصنة جميعها حسنة التسليح والتجهيز، ويذكر **بوتي دي لاكروا** أنّ البحرية الجزائرية ضمّت ستّ وأربعين سفينة قرصنة عام 1645م، بينما **لوجي دو تاسي** فيذكر سنة 1724م أربعة وعشرين سفينة حربية، وفي سنة 1738م لم يعد الأسطول يضمّ سوى ثمانية عشر سفينة. للمزيد ينظر: محمد بن سعيدان، **علاقات الجزائر مع فرنسا(1756/1659-1170/1070)**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، غرداية، 2012م، ص52.

[4] جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، د ط، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1994م، ص33.

ولكنّ الأهداف اختلفت حين تمايزت أهداف المُنظمّين، يذكر **حمدان خوجة**(1773-1842)م أنّ عملية التجنيد شملت حتى المسيحيين واليهود الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام، ليستفيدوا من الميزات التي ستُمنح لهم[1]، وأغلب من انضمّوا غادروا إلى بلدانهم بعدما سَلبُوا الأسطول مثل ما حدث مع القبطان الهولندي **سايمون دانسر(Simon Danser)**(1579-1611)م الذي انضوى بطاقمه تحت الراية الجزائرية والذي أقنع نشاطه الداي فوضع تحت إمرته عددًا من السّفن وريّاسها، لكنه فرّ بعد جمع أمواله وحملها إلى مرسيليا، وسرقة مدفعين برونزيين أهداهما إلى الدوق **هنري دو غيز(Henri De GUISE)** (1550-1588)م.[2]

- رغبة الأندلسيين في العودة لموطنهم، وحسب بعض التصريحات الموثّقة بمحاكم التفتيش بغرناطة" جاء في كتبهم أنّ هذه الأرض ستسقط ثانية، وسيستولي عليها المسلمون البرابرة"[3]، إضافة إلى أنّهم لن ينسوا ما حصل عام 1569م، حين منع **العلج علي**(1520-1587)م[4] المتطوّعين ولم يسمح بالرّحيل إلاّ للمقاتلين الضعفاء.

---

[1] هذه الامتيازات التي تكون في الغالب مادية أو معنوية: مثل الإعفاء من الضرائب، والحصول على بعض المواد الغذائية بسعر منخفض وأحيانا مجانا، الإقامة المجانية في الثكنات(بالنسبة لغير المتزوجين)، الحصول على موارد مالية، إضافة للأجرة الشهرية مثل منحة الجلوس عند وصول حاكم جديد، أو في المناسبات الدينية كالأعياد مثلا....الخ، وأهم امتياز هو فرصة الترقية في مراتب الجيش، وإمكانية الحصول أو الوصول إلى تولّي منصب سامي في جهاز الحكم. ينظر: حمدان خوجة، **المرآة**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تق تع: محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1980م، ص74؛ المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، د ط، دار القصبة للنشر، ج1، الجزائر، 2002م، ص284.

[2] للمزيد حول نصّ الاتفاقية التي تشترط استعادة ما سلب ينظر: Albert deVoulx ,**Archives du Consulat Général de France à Alger, Recueil de Documents inédits Concernant, soit les Relations Politiques de la France, soit les Rapports Commerciaux de Marseille, avec l'Ancienne Régence d'Alger**, Monographie imprimée, Alger, 1865,p5 ؛ حمزة اسحاق زيتوني، **القرصان الانكليزي سايمون دانسر ودوره في تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية(1610-1628)م**، مجلة دراسات، مج9، ع9، ديسمبر 2018م، ص 38.

[3] أنطونيو دومينيث أورتيث، بيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، تر: محمد بنياية، أبو ظبي، 2013م، ص38.

[4] **علج علي:** من منطقة كابلاريا(Kaplaria) جنوب إيطاليا، ولد عام 1520م، كان قسا وأسره البحارة الجزائريون حين ذهابه إلى نابولي للدراسة عام 1536م، ظل طوال سنوات يجدّف في القوادس، ثم دفعته الرغبة في الانتقام من أحد خصومه لاعتناق الاسلام، وتدرّج بسرعة إلى أن صار من رياس البحر المشهورين. للمزيد ينظر: المنور مروش، **مرجع سابق**، ص ص285-286.

ومع اجتماع هذه الأسباب؛ مهّد الأوروبيون أيضا للقضاء على الأسطول برحلات استكشافية تجسّسية؛ واستطاعوا كتابة تقارير وافية تتضمّن أدق التفاصيل والخطط[1]، وقد أشارت منشورات كثيرة في تلك الفترة إلى التّدابير الواجب اتخاذها لتدمير هذه القرصنة، وأُنشئَت جمعيات مختلفة لهذا الغرض(جمعية مكافحة القراصنة)[2]، وممّا كتبه **توماس شاو** حول القضاء على حركة الجهاد البحري

> لا يمكن لأمة أن تقضي عليهم بمفردها، بل يجب أن يتّحدوا في عصبة عالمية، ويجب أن تتعاون جميع القوى لوضع خطة لتدميرهم، ومن المحتمل أنّه لا يمرّ وقت طويل إذا تم إجراء الخطط بانسجام وذكاء وتمت المهاجمة في وقت واحد، أن يجدوا مقاومة ضعيفة، وربما لن يجدوا مقاومة أصلا، من المُحتمل أنّ الشعوب التّي تم احتلالها والتي لم تعد قادرة على إنقاذ نفسها؛ أن تستسلم لأسيادها المصيريين الذين لم يشعروا بقمعهم أبدا، وسيذكرون بحنان الحقبة التي لا تُنسى لغزونا الصالح.[3]

ولما تمّ لهم ذلك ذكر الرّحالة الإسباني **دون فيسنيت مورينو(Don Vicnete Moreno)**(1773-1810)م في زيارته للجزائر عام 1870م بعد الغزو الفرنسي، أنّه لحسن الحظّ لن نتمكّن بعد الآن من تكوين فكرة عن ثروة وقوّة بلاد القراصنة، لأنه قد تمّ إخماد كبريائهم وتدمير غطرستهم.[4]

2.2.رحلات إفتداء الأسرى الأوروبيين:

تعتبر مسألة الاسترقاق إحدى محاور العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وأهمّ موارد النشاط البحري، كما أنّ الأسْر حتميّة يمكن أن يتعرّض

---

[1] عبد الجليل رحموني، **اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية(1520-1830)**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016م، ص92.

[2] ABT Bercazú, **op-cit**, p73.

[3] Dr. Shaw, **op. cit**, pp213، 215.

[4] Don Vicnete Moreno de la Tejera, **op.cit**, p30.

لها أيّ مواطن أوروبي أو مسلم[1]، يقطن على السواحل الجنوبية لأوروبا أو الشّمالية لإفريقيا، فمناطق كإيطاليا وإسبانيا وجنوب البرتغال وبعض الجزر الإنجليزية والمناطق الساحلية للمغرب الاسلامي، كانوا أكثر المناطق تعرّضًا للغارات[2]

بيْد أنّ الخطر الذي يخشاه الأوروبيون من قضيّة الأسرى مُختلف تماما عمّا تخشاه الأمم الأخرى، خصوصًا حول الفئة التي لم تفتدَ و التي في الغالب تُضطرّ لاعتناق الدين الاسلامي والبقاء في البلاد[3]، من هذا المنطلق نفهم أنّ قضيّة الأسرى عند الأوروبيين هي قضيّة وجدانية(دينية) من الدرجة الأولى[4] " إن ازدياد عدد الأسرى في مدينة الجزائر أدى إلى ظهور المرتدّين، من الطبيعي أن يأمل الكثير منهم في تحسين مصيرهم من خلال دينهم، ما يهمّنا هم المرتدّون طواعية، إنّ هذا فقط هو ما يُصيبنا في العمق".[5]

تأتي في مقدّمة الفئات التّي أفرزها نشاط البحرية الجزائرية فئة الأسرى، ومع بدايات القرن 16م كان الأسرى المسيحيون والمسلمون يتقاطرون وبشكل متزايد من كلا الجانبين، وكانت أسواق الرّقيق تزدهر في كلّ مكان، حتّى وصل عدد الأسرى في بدايات القرن17م إلى ما يقارب ثلاثين ألف أسير، لقد كان وجودهم حلقة مهمّة في العلاقات بين المغرب

---

[1] [أبقيت على كلمة «مسلم» بدلا من موازاة المقارنة قائلة « بين مواطن أوروبي أو مواطن من أقاليم افريقيا الشمالية أو من بلاد المغرب» لاعتبارات عديدة يطول شرحها لكن كلمة (مسلم) تعني أنّ الصراع كان دينيًا ويكفي أن نشير إلى ديانة الإسلام لنعلم أيّ الأقاليم تنتمي إليه]، أما بالنسبة لقضية الأسر فيعترف الأوروبيون بهذه الحتمية ويسلّمون بها ولا يجدون ضيرًا في التحدّث علانية على أن لا فضل على الآخر في الأسر، فكما يستعبد المسلمون المسيحيين ويعاملونهم بقسوة؛ يفعل المسيحيون الأمر نفسه بل وأشدّ، بل ويتساءل صاحب الكتاب«حتى نتكلّم بشكل عادل، هل نحن أفضل منهم؟». ينظر:

George Fox**, op.cit**, p13..

[2] بلقاسم قرباش، **مرجع سابق**، ص17.

[3] كما ذكرنا سابقا أنّ القضية بالمعنى العام هي قضية روحانية دينية، فالذي يهمّ الأوروبيين من الأسرى الذين لم يتم افتداءهم، هو مسألة تغيير دينهم، لا ما سيلقاه من معاملة ولا لما سيعيشه، أمّا بالنسبة لاختيار الأسرى إعتناق الدين الاسلامي فيرجع للامتيازات التي ذكرناها سابقا، خصوصا أنّه لم يتم افتداءه، ويجب عليه أن يتأقلم مع ظروف الحياة في بلد مسلم.

[4] نور الدين حاطوم، **مرجع سابق**، ص 405.

[5] [المسيحيون يطلقون أيضا على من غيّر دينه بالمرتدّ والمصطلح مأخوذ عن المسلمين، بينما يسمّون في النظام العثماني الأعلاج]. ينظر:

Pierre BOYER, **les Renégates et la Marine d'Alger**, R.O.M.M, 1985, p94.

الإسلامي وأوروبا،[1] إضافة إلى أنّ عمليات الافتداء تخضع لقوانين صارمة، وقد اعْتُبرت عملية تجاريّة بحتة لِما تُدرّه من أرباح ومداخيل.

يذكر **شوفالييه** أنّ الأسرى يُخفون كلّ الوسائل والحقائق المتعلّقة بأصولهم وحالتهم الاجتماعية، لأنّه إذا عَرَف مالكوهم ذلك؛ رفعوا من قيمة سعر الافتداء[2]، بينما **ديفونتان** في زيارته للجزائر، عثر في تلمسان على عبد فرنسي لم يتمّ تضمينه في الفدية، ذكر أنّه توسّل إليه كثيرا لأجل حريته، وقد أشفق لحاله وكاتَبَ القنصل لافتداءه، وكان العبد سعيدًا جدا حتى أنّه أمطره بالبركات.[3]

هذه الممارسات(الأسْر) جعلت من الجزائر في المقام الثاني بعد مدينة نابولي من حيث الإزدهار الربحي، إضافة إلى السّلع والغنائم البحرية مُستقطبة القراصنة الأوروبيين من الهولنديين[4]، ومع استمرار النشاط البحري نتيجة أسر الكثير من المسيحيين، أدى إلى ولادة «مؤسسات» لاسترجاع الأسرى[5]، وتوافد العديد من رجال الدين المسيحي وآباء الافتداء، الذين كانوا مُنْظَمين في إرساليات وبعثات دينية(الثالوث المقدس، سيدة الرحمة، الأزريست)[6]، وكذا

---

[1] Elina Gugliuzzo, **etre Esclave a l' époque Moderne**, Open édition, 2013, p65.

[2]Chevalier D'ARVIEUX, **Mémoire de Chevalier D'Arvieux envoyé Extraordinaire du Roy à la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et Autres échelles du levant**…, R.P. Jean Baptiste Labat, Paris, p213 .

[3] ندرج بعض الأمثلة، أنّ مالك السفينة مثلا يحتاج إلى إطلاق سراحه دفع فدية قيمتها ألفين وخمسمائة قرش، والجرّاح وصانع السفن يدفع كل واحد ألف وخمس مائة قرش...والأسرى الألمان أغلى فدية لمهارتهم في الشؤون البحرية...[عموما موضوع الأسر وافتداء الأسرى يخضع لقوانين تتغيّر حسب الحاكم في تلك الفترة، وقد يخضع لقدرة الأسير في إقناع مالكيه بتحريره، موضوع الأسرى واسع جدا وقد تحدثنا فقط مع ما يتماشى مع سيرورة عنوان بحثنا] . للمزيد ينظر: ج.أ هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص42؛

René Louiche DESFONTAINES**, Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger, Fragment d'un Voyage dans les Régence de Tunis et d'Alger fait de 1783 à1786**, Tr :De La Malle **,** Libraire de Gide, Paris, 1838, p170.

[4] سليمان دهان، **مرجع سابق**، ص218-222.

[5] هنا يمكننا التساؤل هل هناك وجود لهذه المؤسسات في بلدان المغرب الاسلامي؟ وهل كانت هناك جمعيات لإفتداء الأسرى كما هي عند الأوروبيين؟ لم يذكر أيّ من المصادر العربية أنّ هناك تنظيمات من هذا النوع، ولا وجود لحملات إنسانية لإغاثتهم وافتدائهم، [يقع في الغالب مبادلات بين الأسرى أو تسريح لبعض منهم ضمن شروط المعاهدات والاتفاقيات] وفي الوقت الذي ابتدع فيه الأوروبيون منذ الحروب الصليبية وصراعاتهم مع المسلمين في الأندلس تنظيمات دينية للإفتداء، كان الكثير من المسلمين في الأسر يتعرضون لشتى أنواع العذاب. ينظر: عبد الله حمادي، **جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى**، مجلة الآداب، مج1، ع1، جوان 1996م، ص205.

[6] بالنسبة لمنظمة الثالوث المقدس هي أكبر منظمة لافتداء الأسرى، تأسست على يد القديس جون دو ماتا(Jean de Meta) عام 1198م، نشطت هاته المنظمة في شمال افريقيا كثيرا، وكان لها 250 فرعا في كل من إيطاليا والبرتغال واسبانيا، كانت تشرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر منذ عام 1789م، أما منظمة سيدة الرحمة فتأسست من طرف القديس بيير نيكولاس(Pierre Nicolas) عام 1235م، ويزعم مؤسسها أنه وبينما كان

ممثّلي السّلك الديبلوماسي والقناصل من أجل تسوية شؤون بلدانهم وتوقيع معاهدات سلم وصداقة لضمان سلامة تنقّلهم بين ضفاف البحر المتوسط، مثلما حدث في رحلة **القس بيير دان**، الذي انخرط في سلك الرهبنة لمنظمة الثالوث المقدسة لتحرير الأسرى، والتي خُصصت ثلث مداخيلها لتحرير الأسرى الأوروبيين انطلاقًا من الأراضي الفرنسية منذ القرن15م، حيث تمّ بفضلها تحرير حوالي ستة آلاف أسير[1]، هذه البعثات التي خُطّط لها لاحقًا لتكون بعثاتٍ مُقيمة؛ ولهذا تمّ تعيين كهنة بالقرب من القناصل كقساوسة منذ عام 1650م[2]، ويعتبر **توماس شاو** الرحالة الإنجليزي من الكهنة الذين ظلوا مدة اثنتي عشر عاما في إيالة الجزائر.

مع أواخر القرن الثامن عشر بدأ نشاط البحرية في الانكماش حتى وصل عدد الأسرى في أغلب الأوقات بين (100- 500) أسير، وذلك بسبب تزايد قوّة الأساطيل الأوروبية واعتمادهم على تكتيك حلّ صراعاتهم بطرق تفاوضيّة سلمية[3]، ومع الإعلان عن مؤتمر **فيينا** عام 1815م[4]، وافقت جميع الدول(حسب تعبير **شاو** قررت دول أوروبا التي لم تكن قادرة على الاتحاد)، على التخلّص من الجزائر التي تحمّلوها لفترة طويلة وقرّروا إسقاط

يتعبد تجلت له السيدة العذراء برفقة الملائكة طالبة منه افتداء الأسرى، بينما الازريست أسسها بول دي فينس(Paul de Fens) عام 1581-1660م، لأنه استعبد في المغرب الاسلامي، وهذا ما جعله يهتم بافتداء الأسرى. ينظر: حفيظة خشمون، **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2007م، ص33.

[1] حميد آيت حبوش، **أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني أنموذجا**، مجلة عصور، مج11، ع"2، مارس2012م، ص3.

[2] H.D. GRAMMONT**, op.cit**, p196.

[3] **ibid**, p225.

[4] **مؤتمر فيينا:** إنّ ما أحدثته الثورة الفرنسية عام 1789م من زلزال على المستوى الأوروبي واختلال موازين القوى بعد الحروب النابولية، كان فرصة للدول الأوروبية للاجتماع للنظر في إعادة ترتيب البيت الأوروبي، فانعقد هذا المؤتمر في 23 جويلية عام 1814م؛ للبحث في شؤون أوروبا العامة، وتسوية المشكلات التي تجمّعت في حروب الثلاثين عاما، بيد أنّ التّسوية لم تأت بقواعد جديدة، على اعتبار أنّ النّظام الأوروبي قد انهار من أساسه، وإنّما أعادت النظام القديم، وعلى الرغم من ارتفاع الأصوات في أوروبا، أن تكون التسوية مبنية على احترام الحقوق القومية ومبادئ الحريات التي أيقظتها الثورة وحروبها، لكنّ السّاسة أغفلوا هذه الاعتبارات لا جهلاً بها، ولكن برًا بعهود ارتبطوا بها إبان الكفاح مع نابليون ولا مناص من تنفيذها، وقد أفرزت هذه التسوية والسلام الدائم والطويل قيام الثورة الصناعية في أوروبا. للمزيد ينظر: عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، مصر، د. س. ن، ص ص 12-24؛ محمد قاسم، حسين حسني، **تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا وما يليه من الحوادث حتى نهاية الحرب الكبرى**، ط4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1914م، ص99.

الإيالة، وحتى يؤكّد **دوغرامون** هذه المساعي التي لم تأتِ اعتباطا يذكر" بالأصل كانت تنهار من تلقاء نفسها، إذ كانت قبائل الداخل في تمرّد دائم ورفضوا الضريبة، والميليشيات باتت أكثر استعصاء".[1]

كما تقرّر في المؤتمر أيضا أنه ستكون هناك نهاية لعبودية المسيحيين المُختطَفين من قبل قراصنة إيالتي الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، لهذا أرسلت حملة تحت قيادة الانجليزي **اللورد إكسموث(Lord Exmouth)**(1757-1833)م والهولندي **فريديريك فان كابلين(Frederik van Capellen)**(1762-1824)م[2] في نهاية أوت عام 1816م[3](يطلِق عليها **وليام شالر** الحدث الرائع)، أعيد فيها 16000 ألف أسير إلى أوروبا[4]، إلا أنّ الجيش البحري الجزائري عاوَد الأسر مجددًا.

ففي الرسالة المؤرخة 20أكتوبر عام 1785م بمكتب الشؤون الخارجية الأمريكية حول غزو الجزائر، يدعو وزير الخارجية للتّحالف لتأمين مرور السّفن التجارية فجاء مؤتمر **إكس لاشابيل**[5] ليدين الأمر مرة أخرى، وهذه المرة بات الأمر مرتبطًا ليس بالإنجليز وحدهم بل بالفرنسيين أيضا.[6]

---

[1] H.D. GRAMMONT**, op.cit**, pxiii.

[2] **اللورد إكسموث:** إسمه إدوارد بيلاّو (Edward Pellew) ولد يوم 19 أفريل عام 1757م بإنجلترا، قام بحملة على مدينة الجزائر برفقة الهولندي الأميرال فان كبيلان عام 1816م، توفي عن عمر يناهز 76عاما عام 1833م... للمزيد ينظر: وليام سبنسر، **مرجع سابق**، ص 160.

[3] في مقتطف من مذكرات القنصل **دوفال** عن القصف الذي تعرّضت له الجزائر العاصمة في عام 1816م" ظهر اللورد **إكسماوث** للمطالبة نيابة عن سبع دول أوروبية كبرى بإلغاء العبودية الأوروبية التي رفضها الداي بعناد... " إذن وحسب **دوفال** كان الدافع وراء الحملة هو رفض **الداي عمر** تسريح الأسرى، في حين يذكر **دوفال** نفسه أن زيارات **اللورد إكسموث** الثلاث وبمساعدة ضابطه **وارد(ward)** أكسبته معرفة دقيقة بالميناء ومراقبته للمباني جعلته يختار الكرات المدفعية بدلاً من الحرق، وتمكّن من اللجوء إلى رفع الرايات البيض طلبا للمفاوضات وأنهاها بقنبلة الأسطول ودمّر السواقي وحطّم جزءًا من المدينة. ينظر:

Henri Klein, **Bombardment de Lord Exmouth en 1816**, Les Feuillets d'El-Djezaïr, (Vol R.) pp86, 290.

[4] يبدو هذا العدد مبالغًا فيه، وهناك كتاب **جورج فوكس**« العبيد في البلدان البربرية قبيل القرن التاسع عشر» قد ذكر 3000 أسير فقط . ينظر:

George Fox**, op.cit**, p15.

[5] **مؤتمر إكس لاشابيل:** انعقد عام 1818م، من القرارات التي صدرت عنه، أنّ كل من يتعدّى على التجارة أيّ من الدول الأوروبية من طرف البحرية الجزائرية، يؤدّي إلى حرب ضدّها. للمزيد ينظر: بوذراع أحمد، **الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م- دراسة عسكرية-**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج4، ع3، جويلية 2022م، ص78.

[6] Camille ROUSSET**, op.cit,** p15**.**

3.الحملات الأوروبية الموجّهة ضد إيالة الجزائر:

إنّ الفراغ السياسي الذي كان يعيشه المغرب الأوسط، قبل أن يصير إيالة تابعة للدولة العثمانية، جعله يكون هدفًا سهلاً لدول وممالك أوروبا، وقد باشرت إسبانيا احتلالها لسواحله طمعًا في الحصول على أراضيه، وامتدادًا للحروب الصليبية واستكمالاً لحروب الاسترداد فاصطبغ بذلك هذا التدخّل بصبغة دينية، بالإضافة إلى الرغبة الجامحة في استعادة ممتلكات الامبراطورية القديمة خصوصا بعد اكتشاف العالم الجديد، ومنه الحصول على إيصال بحري آمن بين السواحل الإسبانية والإيطالية.[1]

1.3.الحملات الإسبانية:

إنّ احتلال إسبانيا لسواحل المغرب الإسلامي قد بدأ في السنوات الأخيرة من القرن15م، بينما بدأ توسّعها في الجزائر عام 1505م باحتلال المرسى الكبير، وبعد ثلاث سنوات وبدافع من الأسقف **فرانتيسكو خمينيث؛** استطاع **بيدرو نافارو (Pedro Navarro**)(1460-1528)م أن يحتل وهران وبجاية (1508-1511)م، وأصرّ أن يقود الحملة بنفسه، وكان عنف الهجومات الإسبانية والمعاملة القاسية للسكان المحليين قد أحدث رجّة من الرعب على طول الساحل، وأسرعت المدن التي لم يزرها الأسطول الإسباني إلى **فرديناند** تطلب دخولها تحت سلطانه، وعندما تمّ تحرير وهران عام 1555م، عُرض في

لم يوفّق المؤتمر إلا إلى إيفاد قائدين للبحرية فرنسي وإنجليزي، الذين استقبلهما الدّاي ساخرًا، فما كان من الدول العظمى إلاّ أن تعمل بفردية وتوالت الحملات الأوروبية "دون أن تؤثر في الطاقة الدفاعية لمدينة الجزائر، ولولا مناورات القنصل **دوفال** المريبة التي أدّت إلى ضربة المروحة، كانت ستمنّى الحملة الفرنسية عام 1830م بالفشل". ولو أنّه لديّ اعتراض على الكلام الذي وضعته بين شولتين لشارل أندري، [أي طاقة دفاعية تبقت للجزائر وحملة اللورد إكسموث وحدها، قد أحرقت الاسطول الراسي في الميناء كاملا زيادة على قبول الداي عمر لشروط المعاهدة المجحفة، بتسريح حتى الأسرى الذين سيغتنمونهم، بل وقبول التدخل الانجليزي في الشأن الاقتصادي، والحصار الذي فرض على الميناء قبل ثلاث سنوات من الغزو، عوضا عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية، إن الأحداث التراكمية والخيبات الداخلية والخارجية كانت معولا يضرب في العمق، وفرنسا استعملت ضربة المروحة فقط كذريعة تاريخية، ليجد الدارسون شماعة يعلقون عليها فهمهم للحدث، فالغربيون يهتمون كثيرا بما يدونه التاريخ عنهم]. ينظر: شارل أندري جوليان، **مصدر سابق**، ج2، ص800.

[1] صالح حيمر، **التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الاقليمية والدولية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م، ص33.

أعداد من المجلة الإفريقية كثير من الأسف الذي أبداه الفرنسيون على تفريطهم بهذه المدينة بعدما كانوا سعداء باحتلالها، انتقامًا من البحرية الجزائرية التي قضّت مضاجعهم.[1]

بعد سقوط قلعة البنيون[2] وطرْد الإسبانيين منها عام1529م، زادت حركة الجهاد البحري وبات البحارة الجزائريون يشنّون هجمات على السواحل الأوروبية بشكل دائم ومستمر، الأمر الذي دعا الإمبراطور**شارلكان** إلى إعداد حملة يقودها **أندريا دوريا**(**Andréa Doria**) (1466–1560)م، وكان ذلك عام 1531م، وقد اختار شرشال كمحطة للإنزال تبعًا لقربها من جزر البليار[3]، رغبةً في تحرير الأسرى، وانتقامًا من المهاجرين الأندلسيين، لكنّه أخفق وفشل فشلاً ذريعًا أمام التكتيك الحربي الذي أعدّه **خير الدين بربروسا**(1470–1546)**م.**[4]

أيضا حملة الدون **ألفارو دوبازان**(**Álvaro de Bazán**)(1526- 1588)م على تلمسان، وكان هدف **شارلكان** منها هو تطويق الإيالة من شرقها وغربها لفرض سلطانه، أيضا حملة الماركيز **دو مندخار**(**Di Mendajuar**)(1501–1556)م على مدينة عنابة 1535م، بيْد أنهم لم يستطيعوا احتلال أحوازها التي انتشر فيها الجزائريون والحامية التركية وتمّ انسحابهم عام 1540م[5]، وعام 1541م قاد **شارلكان** الحملة بنفسه رغبة منه في ردّ الاعتبار للأسطول الإسباني الذي مُنّي بانهزامات كثيرة، لكنه لاقى المصير نفسه بل إنّ

---

[1] كمال بن صحراوي، **أضواء على الاحتلال الاسباني لشمال افريقيا في العصر الحديث من خلال المجلة الافريقية**، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع25، 2018، ص87.

[2] **قلعة البنيون:** أو حصن البنيون أو حصن الصخرة، بناه الإسبان في غزوهم للمدينة سنة1510م، قام خير الدين عام 1529م بتدميره ... للمزيد ينظر: عدنان العطار، **الدولة العثمانية من الميلاد**، جم: محمد قباني، دار الأصالة، الجزائر، 2009م، ص55.

[3] **جزر الباليار:** أطلق اليونانيون اسم «باليارس» على سكانها المهرة في رمي الحجارة بالمقلاع، تربط هذه الجزر سواحل شرق إسبانيا وجنوب فرنسا وغرب إيطاليا وسواحل بلاد المغرب الإسلامي الشمالية، ولو رسمنا خطا مستقيما بين مدينة الجزائر وكلّ من برشلونة ومرسيليا فإن هذه الخطوط تلتقي في جزر الباليار، تبعد هذه الجزر عن مدينة الجزائر625 كلم وبينها وبين برشلونة 160كم.... للمزيد ينظر: عاصم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر الباليار)**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص 15.

[4] الشافعي درويش، **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال ق10ه/16م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، غرداية، 2011م، ص ص 50–51.

[5] عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية وآثاره(910–1206ه/1505–1792م)**، د ط، دار هومة، الجزائر، د. س. ن، ص66.

النّكبة التي تعرّض لها الجيش الإسباني فاقت كلّ النكبات التي لاقتها الجيوش على أرض إفريقية.[1]

بعد مرور ستّ وعشرين عامًا على هذه النكبة، تمكّن **خوان فاسكون(Juan Vascon)**(1537-1580)م عام 1567م؛ من إقناع الملك الإسباني **فيليب الثاني Philippe II)**(1527-1598)م بأنّه يستطيع الاستيلاء على إيالة الجزائر بسفينتين فقط، بيد أن خطّته التي اختارها في فصل الاعتدال الخريفي فشلت، إذ تمّ إلقاء القبض عليه وأُعدم شنقا.[2]

عام1601م أعاد **دوريا** الحملة من جديد بمباركة البابا، وأخفق ثانية بسبب الرّياح الشّديدة التي أجبرته على الانسحاب، وفي عام 1671م دخل **إدواردو سبراج Edouardo) Sebrague)** (1629–1673)م البحر الأبيض المتوسط لمهاجمة الجزائر، واستطاع إغلاق مدخل الميناء وأحرق بعض السفن.[3]

2.3.الحملات الفرنسية:

في عهد **لويس الثالث عشر(Louis XIII)**(1601–1643)م، قام الفرنسيون عام1617م بحملة على إيالة الجزائر، وكانت الاستعدادات كبيرة لإخضاع الأسطول البحري لكن الأدميرال **روبرت بلايك(Robert BlAKE)** (1598-1657)م الذي قاد الحملة، لم يستطع تدمير سوى ثلاث أو أربع سفن، بل أخذ هؤلاء انتقامًا فظيعًا من هذا الهجوم الذي جلب الخراب إلى سواحل بروفانس[4]، مما اضطرّ فرنسا للعودة إلى مفاوضة الجزائر والوصول إلى عقد اتفاقية معها في مارس 1619م، بيْد أنّها لم تُؤتِ نتائجها المرجوّة؛ وظلّت النزاعات قائمة.

---

[1] بعد هذه الهزيمة المروّعة، تنازل شارلكان عن عرشه لابنه واعتزل وصار راهبا في دير. للمزيد ينظر:محمد الغساني الأندلسي، **مصدر سابق**، ص75.

[2] محمد بن سعيدان، **مرجع سابق**، ص48.

[3] وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، د ط، دار القصبة للنشر، تر: عبد القادر زيايدية، الجزائر، 2007م، ص 179.

[4] ABT Bercazú, **op.cit**, p25.

قام الدوق **دو بوفور (De BEAUFORT)** (1616-1669)م بالهجوم على جيجل عام 1664م، لكن لم تسر الأمور كما خُطّط لها ومُنّيت بالفشل، وبهذه الهزيمة تبخّر حلم الملك **لويس الرابع عشر (Louis XIV)**(1638-1715)م[1] الذي غضب غضباً شديداً من جيشه، وطلب من منفّذي الحملة تقديم توضيحات حول أسباب الانسحاب، ولتغطية ذلك العار الذي لَحق به أُمِر **دو بوفور** بالبقاء خلال الشّتاء في البحر، والعمل على الظّهور ببعض قطعه أمام السّواحل حتى لا يَشعُر أهلها بأنّهم حقّقوا انتصاراً كبيراً.[2]

وتنفيذاً لذلك القرار الملكي قام **الدوق بوفور** عام 1665م بقصف مدينتي شرشال والجزائر لتغطية الفشل الذي أحدثه في جيجل، ليضيف إخفاقات جديدة لقائمة الهزائم، الأمر الذي اظطُرّت فيه فرنسا لإبرام معاهدة سلام مع الجزائر عام 1670م، ونتيجة لهذه المعاهدة تمّ إطلاق سراح العديد من الأسرى الفرنسيين؛ وعادت السفن التي تمّ الاستيلاء عليها إلى أصحابها[3].

بيد أنّ **لويس 14** لم يستطع ابتلاع الهزيمة فعقد العزم على الانتقام لهجماتهم، ولهذا الغرض أُرسل **ابراهام دوكين(Abraham DUQUESNE)**(1610-1688)م لقصف الجزائر العاصمة عام 1681م، وكانت المرة الأولى التي استخدموا فيها الزوارق الحربية، ولولا الرياح الشديدة التي أجبرت **دوكين** على العودة كان استطاع النّيل من الجزائر، وفي عام 1683م عاود **دوكين** مهاجمتها مرة أخرى، وتلتها عام 1688م حملة **الأميرال ايستري(istrict)** (1650-1698)م بحجّة سماح الإيالة ببيع غنيمة فرنسيّة لأحد بحارة مدينة سلا المغربية[4]، وجميع هذه المحاولات كانت فاشلة[5].

---

[1] **لويس الرابع عشر**: ولد عام 1638م بفرنسا بدأ عهده في 09 ماي عام 1642م بعد نقل جثمان والده وعمره لم يتجاوز الأربع سنوات ، وأمه آن النمساوية ستكون وصية عليه حتى يبلغ السنّ القانوني ... للمزيد ينظر: وول وايرلت ديورانت، **قصة الحضارة- عصر لويس الرابع عشر**، ط1، دار الجيل، تر: فؤاد أندرواس، ج1، مح8، بيروت، د. س. ن، ص12.

[2] محمد بن سعيدان، **مرجع سابق**، ص66.

[3] ABT Bercazú, **op.cit**, pp41، 44 .

[4] محمد بن سعيدان، **المرجع السابق**، ص71.

[5] هذا الفشل الذي لم يتقبله الفرنسيون، بل راحوا يتحدثون أن جميع الوثائق في القنصلية بالجزائر قد تمّ نهبها من قبل الجزائريين. للمزيد ينظر:

أدركت فرنسا بعد جملة من المحاولات أن القضاء على الإيالة الجزائرية بالحرب ضرب من الخيال، وأن القضاء عليها لن يكون بالقوة بل باختيار طرق أخرى كالتفاوض وربح الوقت ثم تحيّن الفرص، لهذا أذعن الفرنسيون أخيرا أنّ السلم هو الحل الأفضل، فالخسائر الكبيرة التي لحقت بفرنسا أفقدتها هيبتها وهيمنتها ولم يعد باستطاعتها مواجهة البحرية الانجليزية والهولندية، ممّا جعلها تركن إلى السّلم المئوي بعد عام 1694م.

3.3.الحملات الانجليزية والهولندية:

مع تنامي نشاط البحرية الجزائرية ضدّ السّفن الانجليزية، قرّر الملك **جيمس الأول (James I)**(1566-1625) م بتجريد حملات متوالية على وصاية الجزائر، منها عام1620م حملة الأميرال **روبيرت مانسيل(Robert MANSEL)**(1573–1656)م بمساندة الإسبان، بيدَ أنّ هذه المحاولة مُنيت بالفشل بسبب دخول الهولنديين كطرف ثالث، ولم يتم الاتفاق بسبب خشية الإسبان من هذا الاجتماع الإنجليزي الهولندي فانسحب.[1]

عام 1654م أُعدّت حملة أخرى، وكان الهدف منها صدّ الاعتداءات من قبل ريّاس البحر، وكانت حملة ناجحة تعهّد فيها الباشا بإطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين، مع التعهّد بعدم الاعتداء على السفن الانجليزية، بعد سبع سنوات تلتها حملة أخرى، كانت على إثر اعتلاء **شارل الثاني(Charles II)** سدّة الحكم، وهدفها إبرام صلح بين الجزائر وانجلترا وفق شروط لكنها مُنّيت بالفشل أيضا، تلتها حملة عام 1669م على مدينة الجزائر، بقيادة **توماس آلان(Thomas ALLEN)**(1542-1632)م ، تلاه هجوم آخر عام 1671م على

Albert Devoulx, **les Archives Consulat General de France a Alger**, Bastide Liberaire éditeur, Alger, 1865, p13.

[1] جون. ب. وولف، **الجزائر وأوربا(1500–1830)**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1986م، ص ص 253–254.

مدينتي بجاية والجزائر، بقيادة **إدوارد سبراغ (Edouard SPREGUE)**(1629-1673)م... وغالب هذه الحملات إنّما كانت في أغلبها بهدف تأمين سير سفنها في البحر المتوسط.[1]

مع مطلع القرن 17م بلغت هولندا أعلى درجات الازدهار، ونتيجة لانشغال الدولة العثمانية بالحروب مع إسبانيا، قام الهولنديون بتوسيع تجارتهم وملاحتهم، وعبرت سفنهم جميع البحار خصوصا الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حتى أنّه وصل تعدادها إلى 800 سفينة في السنة، الأمر الذي جعلها في اتصال مباشر مع الأقاليم العثمانية (إيالتي تونس والجزائر والمغرب الأقصى)[2]، وفتح بوابة الأطماع في الحصول على امتيازات ومراكز تجارية، مثلما يحتلّها الفرنسيون خصوصا في الساحل الشرقي للجزائر.

لأجل هذا اتّخذوا تدابير مختلفة منها: الاتّحاد مع الانجليز ونظّموا معًا اعتداءات مشتركة، جرّدوا فيها حملات للنّيْل من بحارتها، قادها الضابط **جون لامبير (John LAMBERT)**(1619-1684)م والتي استهدفت مدينة الجزائر وذلك سنوات(1620م-1623م-1624م-1662م)[3]، ثمّ ظهرت مشكلة أسْر العديد من الهولنديين، لذلك قام الأدميرال **ميشيل دو رويتر(Michiel de RUYTER)**(1607-1676) م الذي كان أفضل بحّار في عصره، بثلاث حملات (1655م-1662م-1664م) كلّلت حملته الأخيرة بالنجاح نتيجة مجموعة الإجراءات الحكيمة والقوية التي اتّخذها ضدّهم، وعلى الرّغم أنّهم أذعنوا أخيرًا للمعاهدات، لكنّ العلاقات بين الهولنديين والإيّالة الجزائرية ظلّت غير مستقرّة حتى عام 1674م.[4]

---

[1] جون.ب.وولف، **مصدر سابق**، ص 255.

[2] Alexander de groot, **Ottoman North African and the dutch Republic in the Seventeenth and Eiglenth Centuries**, R.O.M.M, N°39, Paris, 1985, p133.

[3] نصر الدين براهامي، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، ط1، منشورات ثالة، الجزائر، 2001م، ص66.

[4] نور الدين حاطوم، **مرجع سابق**، ص 404.

المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية نحو إيالة الجزائر (17/16)م

إنّ التغيير الحاصل في دول أوروبا، توازَى مع تغيير في المغرب الأوسط الذي انضوى أوّلا تحت الرّاية العثمانية وبات يُعرف ب (إيالة الجزائر)، هذه الإيالة التي عرفت ازدهارًا بحريًا أرعب البلدان الأوروبية، وهدّد مصالحها(التجارية)، الأمر الذي أدّى إلى شنّ العديد من الحملات التي مُنّيت أغلبها بالفشل الذريع، وحتّى يحالفهم النّجاح كان عليهم إيفاد رحّالة للتّغلغل داخل أرض الجزائر للاستعلام أكثر عن قوّتها الدّفاعية وتحصيناتها.

1.الرحلات الاستطلاعية ودوافعها خلال القرنين السّادس والسّابع عشر

إنّ الرّحلة على العموم هي كما أوْردنا سابقًا وسيلة لجمع المعلومات وتسجيلها، وهو أمر شائع في المجتمعات الأوروبية، خصوصا تلك التّي تمتلك القوّة السياسيّة، فالرّحالة حين يبتدأ رحلته، فهو إنّما يرتحل تاركا خلفه أمّة تدعمه بنفوذها السّياسي والعسكري والفكري، ولهذا عندما يكتب فهو يكتب واضعًا في حساباته جمهورًا معيّنا من القرّاء (أبناء وطنه، أقران مهنته، مَلكه، راعي رحلته...)، وممّا لا يدعُ مجالاً للشّك أنّ وجود هؤلاء يجعل رؤيته انتقائية، فيختار من المعلومات أنواعًا معيّنة فقط، لأنّ لها رنينًا في ثقافة مجتمعه، وتعود بالفائدة على الجهة المُرسِلة والدّاعمة له[1]، وقد نقلنا سابقا كلاما **لمارمول كاربخال** في مؤلّفه ما يؤكّد هذا، حين كان يُخاطب أبناء وطنه وهو يظهر السّبب في كتابة رحلته.

1.1. دواعي الرحلات

إنّ الرحلات الاستطلاعية قديمة قِدم وجود الإنسان، فالرّحالة المسلمون قد سبقوا الغربيّين في إرسال البعثات والمستكشفين لإثراء مستودع المعلومات السياسية لديهم، ولمّا بانت بوادر النهضة في القرن 16م؛ ركّز العرب في رحلاتهم على تتبّع ملامح النهضة

[1] نصر الدين براهامي، **مرجع سابق**، ص67.

العلمية والصّناعية وتطوّر العمران ومظاهر العصرنة، مدفوعين بشغف البحث وبالرغبة المحمومة لا من أجل الاستكشاف؛ وإنّما من أجل الأخذ بمعطيات التطوّر الحديث[1]، بينما الأوروبيون فكانوا يرتحلون مع بداية عصر النهضة للاستكشاف التجاري، ولمّا نما الفكر الاستعماري(الامبريالي) بات الاستكشاف من أجل الحصول على مستعمرات جديدة وكيفية الحصول عليها، لأجل هذا تتبّع الرحالة دقائق التفاصيل واستعلموا عن المجتمعات وجيوشها وحصونها وأبنيتها ومزروعاتها...ونالوا بذلك رضى المؤسسة الامبريالية.[2]

وعلى اعتبار أنّ الرحلات الاستطلاعية هي تقليد إنساني هدفه الاستعلام عن منطقة ما، والهدف هو استغلالها واستعمارها، وهذا ما اصطبغت به جميع كتابات الأسرى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، نجد أنّ الرحلات التي توافدت قد تفاوتت في أهدافها بين الاستطلاعية وما تبقى هي رحلات رسمية كإرسال الوفود وتحرير الاسرى.

2.1. نماذج من الرحلات الاستطلاعية خلال القرن السادس عشر

زار إيالة الجزائر خلال القرن 16م العديد من الرحالة، أُوفدوا للاستعلام عن القوّة الدّفاعية والتّحصينات، وتحديد المناطق لإنزال ناجح، وكذا من أجل التّفاوض إمّا للحصول على الإمتيازات التجارية أو لأجل إبرام المعاهدات والإتّفاقيات.

1.2.1. الرحالة باولو جيوفيو (Paolo Jiovio)[3]: مؤرّخ وطبيب وكاتب سيرة إيطالي ولد في كومو (como) الإيطالية عام 1483م، عمل كطبيب بلاط ومؤرخًا للعديد من الحكام،

[1] ولو أنّ للغربيين رأي آخر برحلات العرب، وكانوا يشكّكون دوما من أنّ المنطلقات هي ذاتها نفس منطلقاتهم، وهي رؤية قاصرة، يقول المستشرق الروسي **إغناطيوس كراتشكوفسكي(Ignati Kratchkovski)**، بأنّ الهدف من رحلة محمد الغسّاني الذي ذكره المؤلف في أول الرحلة هو شبيه بذرّ الرماد على العيون، وإنما هدفه كان عقد معاهدة صلح بين إسبانيا والمغرب. ينظر: محمد الغساني الأندلسي، **مصدر سابق** ، ص ص 8، 11.

[2]. رنا قباني، **مرجع سابق**، ص104..

[3] إنّ المتتبّع لأخبار الرحالة سيرى أن ورود اسمه يتواتر بلغات عدة في المراجع الحديثة مثل **بول جوف** بالفرنسية و**باولوس بافيوس** باللاتينية، لكن الباحث عن المصادر يتعذّر عليه العثور على الرحالة إلاّ إنِ استخدم التسمية الأصلية، لهذا اخترنا التسمية الايطالية الأصلية في ذكر الرحالة لتسهيل العثور عليه لمن أراد التوسّع في سيرته، أيضا هناك تشابه يوجب الخلط بينه وبين ابن اخيه **باولو جيوفيو ال جيوفين** الشاعر(1530-1585)م

وجامعًا للآثار والتّحف الفنية، عُرف المكان الذي جمعت فيه بعد رحيله بـ« متحف جيوفيانو»، من أشهر أعماله« سلسلة من السّير الذاتية للحكام والقادة والعسكريين» (Historiarum sui Temporisa)، توفي في فلورنسا عام 1552م[1]، سار في ركاب جيش الإمبراطور شارلكان في الحملة على مدينة الجزائر عام 1541م، وكلّفه بتقديم عمل يتضمّن معلومات حول المدينة[2]، ونزولاً عند الطلب قدّم باولو جيوفيو وصفًا للمدينة من الخارج، ضمّنه لكتابه الذي نُشر عام 1550م بفلورنسا وأعيد نشره عام 1552م، وأشار في هذا الوصف إلى المواقع العسكريّة للمدينة وأسوارها ووضع تخطيطًا لشكل المدينة وترتيب منازلها.[3]

2.2.1. لويس ديل مارمول كاربخال (Louis Del Marmol Karbjal) :

رحالة ومؤرّخ وراهب إسباني وُلد بغرناطة في أوائل القرن 16م، غادر مسقط رأسه في سنّ صغيرة، تمّ نقله كصبيّ سفينة في ركاب جيش الإمبراطور **شارلكان** نحو تونس عام 1535م[4]، وبعد مُغادرة الأسطول الإسباني ظلّ **مارمول** في شمال إفريقيا على إثْر مهمة كلّفه بها، لكنّه أُسِر من طرف السّعديين مدّة سبع سنوات وثمانية أشهر، جاب فيها بمعيّتهم العديد من المناطق منها مدينة تلمسان...[5] دامت إقامته عشر سنوات[6] وخلال المدّة التي قضاها استغلّ الفرصة لتعلّم العربيّة والبربرية، وتمكّن من جمع مادّة تاريخية مهمّة جمعها

[1] Henri Hauser, **Paolo Giovio, le Sourse de l'Histoire de France, Seizieme Siecle(1494-1610)**, Collection Numérique de Serbonne, Paris, 1906, pp 48,49.

[2] Federico CRESTI, **Description et iconographie de la Ville d'Alger au XVIe Siècle**, R.O.M.M, N°43, 1984, p4.

[3] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص21.

[4] في حديث ل**هابنشترايت** عن **مارمول كاربخال** في مؤلّفه الذي ترجمه **ناصر الدين سعيدوني**« رحلة العالم الألماني... »يذكر أنّ مارمول كان رجلا ذو خبرة عسكرية وكان أحد محاربي جيش **شارلكان**، وهذا لا يجانب المنطق أبدا والأقرب للواقع هو ماذكرناه لأنّه غادر بلاده في سن صغيرة، أما اختيار الامبراطور له بعد الحملة فلربما لِمَا لمحه فيه من قوّة للملاحظة والفطنة الشديدة ولربما حبّه للتدوين.

[5] سعاد آل سيد الشيخ، **مرجع سابق**، ص 113.

[6] اختلف العديد من المؤرخين حول فترة إقامة مارمول كاربخال أو كرفاجال، فهناك من يقول ثماني سنوات وهناك من يذكر عشر سنوات وهناك من يذكر اثنين وعشرين عاما ، والمرجح أنها عشر سنوات فقط، لأنه على اعتبار أن مارمول قد بقي لمهمة كلفه بها الامبراطور شارلكان، فإن اعتزال الامبراطور بعد الهزيمة التي مُنّي بها عام1541م، تجعل فترة عشرة سنوات أقرب مادام لم يعد هناك سبب لبقاءه.

في مؤلفه«وصف عام لإفريقيا» الذي أتمّه بعد عام 1571م وقام بنشر الجزئين الأوّليْن عام 1573م بمدينة غرناطة، قدّم **مارمول** معلومات غزيرة عن الجزائر(التركيبة الاجتماعية وأخبار المدن وتطّرق إلى الصحراء من خلال تتبّع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية)، وأفصح في مقدّمة مؤلَّفه عن أسباب رحلته الاستطلاعية قائلا:" لمّا جبت بلاد البربر شاهدت أشياء كثيرة، بدى لي أنّ الناس المحترمين في إسبانيا سيروقهم الاطلاع عليها، بالإضافة إلى أنّي وبسبب ميلي للتاريخ، نظرت بإمعان طويل فيما لدينا من مُؤلفات سواءً منها الإفريقية أو اللاتينية أو الإسبانية واستخرجت من هذه الآثار الشّهيرة ما رأيته ملائمًا لغرضي."[1]

ما يعزّز السّبب الاستطلاعي إقامته الطويلة وتعلّمه للغتين العربية والبربرية وتنقّلاته الكثيرة، لمعرفة مواطن الضّعف لتسهيل مأمورية جيش الإمبراطور في سائر أقطار إفريقيا، لتحقيق أمنية بطانته الكنسيّة في الإجهاز على الإسلام بالضّفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وإحلال المسيحية مكانه، ويُورد في مقدّمة كتابه أيضا ما يؤكّد هذا قائلا:" لم يكن لي قصد في تأليف هذا التاريخ إطلاقا إلاّ بتشجيع الدّول الكاثوليكية على حمل السّلاح ضدّ المسلمين الذين يكتسحون بوقاحة مجْد المسيحية، ولا يفتؤون يحاربوننا ويتحيّنون الفرص لتحطيمنا، لكن سيسهّل علينا إهلاكهم لأنّنا نعرف الآن قوّاتهم».[2]

3.2.1.نيكولا دي نيكولاي(Nicolas de Nicolay):

رحالة وجغرافي فرنسي، ولد عام 1517م في مقاطعة دوفيني(Dauphiné)، أمضى طفولته فيها ولمّا صار بعمر الخامسة والعشرين اِلتحق بالسيد **أنطوان**(**Antoine**) في حصار برينيان بليون، قضى سنواته من (1540–1560)م في السّفر عبر ألمانيا العليا والدنمارك وبروسيا وليفونيا والسويد وزيلاند وإنجلترا واسكتلندا، ثمّ إسبانيا وبلدان شمال إفريقيا

[1] مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ط1، مكتبة المعارف، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، المغرب، 1984م، ص ص 9–10

[2] **نفسه**، ص12.

والقسطنطينية وإيطاليا،اصطحبه اللورد **غيلدفورد دادلي(Guilford Dudley)**(1535-1554)م أثناء إقامته في إنجلترا، كتب **نيكولاي** للملك **هنري الثاني(Henri II)** (1519-1559) وصفًا لسواحل هذا البلد، أفاد هذا الوصف الجنرال **بيير ستروزي(Pierre Strozzi)** إذ كان مرشدًا له عندما انطلق لمساعدة اسكتلندا.[1]

في ماي 1551م عَيّنت فرنسا **نيكولاي** الذي كان في ذلك الوقت في مدينة بلوا، لمرافقة السفير **غابرييل لوتز(Gabrielle Lutz)** إلى القسطنطينية، وأثناء سفره توقّف هذا الوفد في مدينة الجزائر، أين اُستقبل في قصر **حسان بن خير الدين** باشا[2]، كما توقّف بعدها بعدّة مناطق(عنابة بجاية...)[3]، لم تدم إقامته سوى أيام فقط، لكنّه استطاع تقديم وصف مثير للاهتمام لمدينة الجزائر، تعرّض فيه للمباني والشّكل المعماري، أما تاريخ المدينة فقد أخذه حرفيا عن **حسن الوزان**، مضيفاً إليه ما قدّمه **باولو جيوفيو** حول المرجعيّة الرومانية للمدينة، تمّ طبع كتابه بليون في فرنسا عام 1568م.[4]

كما استغلّ إقامته في الشّرق لجمع العديد من الوثائق عن هذه البلدان، التّي لم تكن معروفة في ذلك الوقت، لكنّه لم ينشرها إلاّ بعد ستة عشر عامًا تحت عنوان« الكتب الأربعة الأولى للمِلاحة والتّرحال الشرقية»، حقّق هذا الكتاب نجاحًا كبيرا وطُبع بعدة لغات سوى العربية، توفي **نيكولا دي نيكولاي** بباريس في 25 يونيو 1583م، عن عمر يناهز 67 عاما، ودُفن في كنيسة سان سولبيس.[5]

---

[1] Victor ADVIELLE, **Notice Historique sur Nicolas de Nicolay et sur sa "Description du Berry**, [s.n.][s.n.], Monographie Imprimée,1861, pv.

[2] **حسان بن خير الدين باشا:** الإبن الوحيد لخير الدين بربروس من أم جزائرية، ولد في الجزائر وتربّى بين أهلها، تضى شبابه عاملا في الجيش الإسلامي، تمّ تعيينه من قبل الجزائريين خلفا لوالده اعترافا بفضله... للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، **مرجع سابق**، ص 321.

[3] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية**...، مرجع سابق، ص65.

[4] Federico CRESTI, **op.cit**, p6.

[5] Victor ADVIELLE, **op.cit**, pv.

4.2.1.توماس دالام (Thomas Dallam):

رحّالة إنجليزي ينحدر من قرية دالام(Dallam) وقد أخذ كنيته منها، كما يحدث عندنا أن يربط الحرفيّون ألقابهم بمواطن ولادتهم تمييزًا لهم وتعريفًا بأصولهم، كان هذا الأخير صانعا مشهورًا بَرَع هو وأبناءه الثلاثة في صناعة الساعات، واستطاع صناعة ساعة الأرغن الخاصّة بجامعة كامبريج، وقد استغرق منه ذلك 58 أسبوعا، ونتيجة هذا العمل المُتقن تحصّل على مكافئة مالية ضخمة.[1]

عام 1598م طلبت الملكة ايزابيلا(إليزابيت الأولى) من صانع الساعات **توماس دالام**، أن يحمل السّاعة(الأرغن) ويقدّمها كهدية للسلطان العثماني **محمد الثالث** في محاولة لكسب ودّه، بهدف الحصول على تنازلات تجاريّة وتحالف عسكري، خصوصا مع توسّع التجارة العالمية وظهور إنجلترا كدولة بحرية، كان الحفاظ على علاقة سليمة بينها و بين الدولة العثمانية أمرًا بالغ الأهمية.[2]

كان **توماس** قد قدِم إلى لندن وقتها، ولم يُعرف شيء عن عمله السابق إلا حين أُوكلت إليه مهمّة آداء هدية للسلطان العثماني، قام أثناء زيارته للقسطنطينية عام 1599م، بالمرور على مدينة الجزائر على هامش رحلته، وقدّم وصفا للمدينة وشوارعها ومنازلها وعيونها الغزيرة وسكانها، وقدّم لمحة عن النشاط الاقتصادي(الأسواق والسلع) ومرّ على السواحل الشرقية للجزائر في كلّ من دلس وبجاية وعنابة، انتهت زيارته عام 1600م.[3]

3.1. نماذج من الرحلات الاستطلاعية خلال القرن السابع عشر

تلت رحلات القرن 16م رحلات استطلاعية أخرى، ضمّت جغرافيين ورهبان وديبلوماسيين وتجار...، وهي في جوهرها لا تختلف عن سابقتها في المضامين التي كانت تعجّ بها المذكرات والرسائل والتقارير والمؤلّفات... رغم اختلاف الظّروف والمسبّبات.

[1] J. Theodor Bent, **Early Voyages and Travels in The Levant, 1. The Dairy of Master Thomas Dalam (1599- 1600), 2. Extract from the dairy of Dr. Jhon Covel (1679 -1670)with some Account of the Levant Company of Turkey Merchants**, The Hakluyt Sociéty, London, 1893, p 11.

[2] رنا قباني، **مرجع سابق**، ص13.

[3] Miriam Bibby,**Thomas Dallam's visit to The Sultan of Turkey,** History Magazine, vol 26, N°1, 2017, p198.

1.3.1. وليام ليثغو (William Litghow):

رحالة وشاعر وجغرافي إسكتلندي، وُلد بمدينة لامارك(Lamark) عام 1582م، حضيَ بتعليم محليّ لأنّه من أسرة ميسورة الحال، ولأنّه كان محبّا للتّرحال والاستكشاف منذ صغره، فما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى أخذ في استطلاع بلدان القارة الأوروبية والإفريقية[1]، زار إيالة الجزائر عام 1615م وتنقّل في الكثير من المناطق تلمسان، قسنطينة، بجاية....

الكثير ممن تتبّعوا سيرة الرحالة؛ يرون أنّ رحلة **وليام ليثغو** للإيالة هي رحلة فردية أراد الرحالة من خلالها أن يقف على ما قرأه ويتأكّد من صحّته، ونفوا أنّها ذات خلفيات استطلاعية سياسية[2]، في حين أنّ الرحالة وبعد أن قضى ما يقارب التسعة عشر عاما في التّرحال، دوّن الأحداث في كتاب وقدّمه كهدية للملك **تشارلز(Charles)**، لأنّه يدرك قيمةَ المعلومات التّي دونّها ماديًا وسياسيًا، حسبما أشار إليه في مقدّمة كتابه الذي صدر تحت عنوان « الخطاب الكلي حول المغامرات النادرة والرحلات المتعبة مدة تسع سنوات من اسكتلندا نحو معظم دول أوروبا وآسيا وإفريقيا».[3]

في حين أنّ هناك من يرى عكس ذلك تماما، ويعتبر ما دوّنه **وليام ليثغو** حول رحلته إلى إيالة الجزائر، من الكتابات التي تقدّم حلولا للقيام بحملة ناجحة، حين وصفها بأنّها مدينة تقع على سفح ربوة شديدة الانحدار وهي محصّنة جيدا من ناحية البحر بالأسوار والتّلال والمدافع، كما بيّن من خلال أقواله نقطة الضّعف الدّفاعية للمدينة والمكان المناسب لدخول القوات" إنّ السكان الأتراك في جميع المدن يهربون من الحرّ الذي لا يُطاق في السّهول الساحلية إلى المرتفعات في شهر جويلية، أوت، سبتمبر، وهي أحسن فترة للمسيحيين إذا أرادوا الدخول إليها".[4]

---

[1] ميشيل آبار، **مرجع سابق**، ص 47.

[2] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية** ...، مرجع سابق، ص21.

[3] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص45.

[4] Wiliam Lithgow, **Discourse Of The Rare Adventures And Painefull Peregrinations of Long Nineteene years Travayles from Scotland to The Most kingdom in Europe , Asia and Africa,** London, 1614,Tr, Pub Pierre Grand champ, R.A ,T91,1947, p213.

2.3.1. لوران شوفالييه دارفيو(Laurent Chevalier D'Arvieux): رحالة ودبلوماسي فرنسي، ولد بمرسيليا عام 1635م، كان من الشخصيات المقرّبة للملك **الفرنسي لويس14** ووزيره **جون بابتيست كولبير (Jean Baptist COLBERT)** (1619-1683) م[1]، ونظرًا لمواهبه وعبقريته ومعارفه الواسعة ومعرفته الجيّدة باللغات الشرقية التي أتقنها أثناء إقامته الطويلة في المشرق رفقة عمّه والتي استمرت 12 سنة، كُلّف بمهام رسمية في القسطنطينية، وزار فلسطين وإيالة تونس، حيث قام بتحرير 180 فرنسي بعد مفاوضات أجراها مع الباي التونسي.

في 20 ديسمبر 1673م أبلغ **كولبير** الرحالة **شوفالييه** للقيام برحلة إلى الساحل الإفريقي، وقبل أن يزور الجزائر أعدّ لهذه الرحلة لفترة طويلة، حتى أنّه لم يقم بها إلا في 10 سبتمبر عام 1674م، قَدِم إليها كقنصل لتسوية الخلاف القائم بالبستيون، وواقع الأمر جاءت رحلته بعد قرار فرنسا احتلال موقع دائم على الساحل لجعلها مكانًا للدّفاع ضدّ القرصنة، وهو السبب من إرسال المجلس الملكي **لشوفالييه** في هذه المهمة لاستكشاف مكان أكثرّ مُلائمة للنزول، وفي 23 سبتمبر عام 1675م حين عودته إلى باريس، أرسل تقريره حول اختيار ساحل مدينة (القل) كمكان أفضل للإنزال.[2]

يقول المؤرّخ الفرنسي **دوغرامو**ن عن مقدرة **شوفالييه** وخبرته العسكرية "لست أدري لمَ خالف الجيش ما أمر به شوفالييه الذي كان عبقرية الجيش الخارقة"[3]، عام 1686م استقر بفرنسا وعكف في سنواته الأخيرة على دراسة الكتاب المقدس إلى أن توفي عام 1702م في مارسيليا عن عمر يناهز 67عاما .

[1] Chevalier D'ARVIEUX, **Mémoire de Chevalier D'Arvieux envoyé Extraordinaire du Roy à la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et Autres échelles du Levant**…, R.P. Jean Baptiste, Labat, T6, Paris, 1735, p554.

[2] Venezia BARLIA, **une Franc Parmi les Arabes Parcours Oriontal et Decouverte de l'Autre Chez le Chevalier d'Arvieux**, Uga Edition, Grenoble, 2015, p30

[3] H.D. GRAMMONT. **Op. cit**, p213.

لأنّ **شوفالييه** من كبار العارفين بأوضاع العالم الشرقي في القرن 17م، خلّف وراءه مذكرات اشتملت على الرحلات التي قام بها في كلّ من القسطنطينية وسوريا وفلسطين، ومصر، والشمال الإفريقي، قدّم فيها وصفًا لهذه البلدان وشعوبها، ودينها، وعاداتها، وحكومتها وتاريخها الطبيعي، مع ذكره لأهمّ الأحداث، معتمدًا على تجربته الخاصة بالإضافة إلى ما ألّفه من سبقه من رحّالي القرن 16م، لم تنشر هذه المذكّرات إلاّ عام 1735م، أمّا حديثه عن مملكة الجزائر، فقد شغل الجزء الخامس منها.[1]

3.3.1.فرانسوا بيتي دو لاكروا(François Petits de La CROIX):

رحالة ومستشرق[2] فرنسي تقلّد منصب سكرتير وترجمان الملك **لويس 14** عام 1650م، سافر نحو المشرق من أجل التعمّق في الدراسات العربية والتركية بأمر ملكي بعدما تدخّل **كولبير** لصالحه، بعد هذا المشوار الحافل ل**بيتي دو لاكروا** في الدراسات الاستشراقية، فُتحت له الأبواب لتقلّد عدة مَناصب تتعلّق بهذا المجال.

تمّ تعيينه سكرتيرًا للغات الشرقية بالبحرية، وأُرسل في عام 1682م إلى المغرب كسكرتير للقنصلية في خدمة البارون **سانت آموند (Saint AMAND)**، كما خرج في نفس السنة مع الأدميرال **ديستري(DISTRICT)** في رحلة نحو تونس من أجل التّفاوض على السلم ومن ثَمّ نحو طرابلس، استطاع **بيتي دو لاكروا** أثناء رحلاته المتكررة إلى الجزائر تقديم وصف مختصر للمدينة؛ ضمّنه تاريخ المدينة وتاريخ بعض داياتها ومهام ضباط الانكشارية، مع وصف لبعض البنايات والمباني؛ قدمّها لاحقا لوزير البحرية.[3]

رافق كلاًّ من **دوكين** و**تورفيل** (TOURVILLE) **وأمفريفيل** (AMFREVILLE) في الحرب ضد الجزائر، وقام بسبع زيارات لها مع هؤلاء الجنرالات؛ من أجل التفاوض مع

[1] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية** ...، مرجع سابق، ص65.

[2] إنّ صفة مستشرق التّي وصفنا بها **بيتي دو لاكروا**، إنّما كانت فقط لأنّه خبير باللغات الشرقية، لأنّ مصطلح الاستشراق ظهر في أواخر القرن الثامن عشر، ولم يكن المعنى معروفا في تلك الفترة، واستخدامنا للمصطلح إنّما كان لتبيان معرفته وإتقانه للغة العربية.

[3] Mercel EMIRET**, Un Mémoire sur Alger par Pétis de Lacroix**, A.I.E.O, T xi, Alger, 1953, P.5

حكومتها حول السلم في عام 1684م، وكُلّلت مهمته بالنجاح نتيجة ما تلى هذه المفاوضات من تبادل ديبلوماسي بين البلدين، بل إنه عند عودته إلى فرنسا رافقه سفير الجزائر السيد **سافارار (Safarar)** ليعتذر من الملك **لويس 14** نيابة عن بلده، وفي المقابل توجّه إلى الجزائر وفد بقيادة **دو لاكروا** يضمّ مجموعة من المترجمين.[1]

هذا يجعلنا نستنتج أنّ دراسته الاستطلاعية التي جاءت سطحية ومختصرة، إنّما كان الهدف الأساسي منها هو التفاوض لأجل السلم.

4.3.1.توماس هيز(Thomas Hees):

طبيب هولندي ولد بمدينة ويسب(Weesp) بالقرب من أمستردام عام 1634م، تحصّل على شهادة الطب من جامعة أنجرز عام 1660م، على الرغم من أن هولندا قد حصلت على امتيازات خاصة من الباب العالي، إلاّ أنّ الاتصال المباشر بينها وبين إيالة الجزائر أفرز العديد من المشاكل، وهذا ما دفع بهولندا إلى إيفاد توماس هيز كمبعوث تحت مسمى« مفوّض»، زار الجزائر في شهر أكتوبر من عام 1675م، بعدما كلّفته حكومة بلاده بالتفاوض مع الحكومة الجزائرية من أجل عقد معاهدة سلام بين الطرفين.[2]

كانت رحلته إلى الجزائر على ثلاث فترات، بدأت يوميات هيز بالجزائر في شهر أكتوبر من عام 1675م، حيث تمكّن خلال هذه المدة من تحرير العديد من الأسرى الهولنديين، بعدما عقَد معاهدة بهذا الشأن مع كلّ من الحاج محمد داي وبابا حسن في 25 سبتمبر من عام 1677م، وبتاريخ 30 أفريل1679م حصلت هولندا بفضله أيضا على معاهدة صداقة وسلام مع الجزائر، أعاد رحلته عام 1681م واستمرت إلى غاية شهر فيفري 1683م.

[1] Mercel EMIRET, **op.cit**, P6.
[2] Thomas Hees**, Journal d un Voyage à Alger 1675-1676**, Tr: G.H.Bousquet, G.w.Bousquet, R.A, vol101, Alger, 1975, p85.

خلال رحلاته الثلاث كتب توماس ملاحظاته بشكل يومي متناولاً بالوصف الأحداث التي عايشها منذ الاستقبال الأول، مرورًا إلى مساعيه التّفاوضية مع الحكومة الجزائرية، انتهاءًا إلى الأحداث التي عايشها كمبعوث.[1]

5.3.1.القس بيير دان(l'Abbé Pierre DAN):

راهب ومؤرّخ فرنسي ولد عام 1580م، حاز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت من جامعة باريس، وانخرط في سلك الرهبنة لمنظّمة الثالوث وافتداء الأسرى، التي خصّصت ثلث مداخيلها لتحرير الأسرى الأوروبيين، اشتغل دان بعدها في رتبة رئيس للمنظّمة في بلدة شيل الفرنسية، ثمّ رئيسًا للدير في البيت الملكي فونتانبلو في عهد **لويس 13**، وظلّ على رأس الدّير حتّى في عهد **لويس 14**، وفي هذا الإطار قام برحلة إلى الشّمال الإفريقي ضمن بعثة المنظّمة من أجل تحرير الأسرى الفرنسيين في كلّ من إيالتي الجزائر وتونس، صاحبَه في رحلته المبعوث الملكي سانسون نابلون**(Sanson NAPOLLON)**(1583-1633)م.

زار الجزائر في 12 جويلية 1634م، ومع مطلع عام 1635م عاد وقد تمكّن من تحرير 42 أسيرا، وألّف في هذا الشأن كتابه المشهور« تاريخ بلاد البربر و قراصنتها» (Histoire de Barbarie et de ses Corsaires)[2]، كان هذا المؤلّف موجّه أساسا للحديث عن الأسرى واستعطاف المسيحيين لافتدائهم، ومُدرج في الصفحة الأولى من المجلد الذي يضمّ ستّ كتب، رسالة الإذن التي منحت للقسّ **بيير دان** لتأليفه، أدرج في الكتاب الثاني المتعلّق بمدينة الجزائر، إضافة إلى الحديث عن الأسرى معلومات متعلّقة بدخول الباشا الجديد إلى المدينة والإحتفالات المُقامة لهذا المناسبة، وتطرّق إلى أوضاع مملكة الجزائر ومدينتها ودورها البحري، كما تطرّق إلى الجيش والتحصينات.[3]

[1] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص64.

[2] Denis IBRAHIMI, **Opinions et Regards des Européenes sur le Magreb aux Siecle XVII**, Société Nationale d'édition et Diffusion, Alger, 1978, p13.

[3] Pierre DAN**, Histoire de Barbarie et de ses corsairs**, libr. ordin. du Roy, au Palais, aux Armes du Roy & de la Ville. M. DC. XXXVII. Avec privilege du Roy, Paris, 1637,p1.

2. قراءة في رحلات القرنين (16-17)م من حيث (الطبيعة- التّخصص- الظروف البيئية)

نظرًا لأنّنا سنختصّ بالدراسة التفصيلية لرحلات القرن 18م من حيث طبيعتها وأهمية تخصّص الرّحالة وتأثير الظروف البيئية على سير الرّحلة، اِرتأينا وضع هذه القراءة لرحلات القرنين 16م و17م، الذين إنّما خصصتهما بنصيب من الدراسة؛ حتّى يستطيع متتبّع الرحلات الاستطلاعية الأوروبية الوافدة للإيالة الجزائرية، المقارنة وفهم الاختلافات والتغيّرات الحاصلة على مستوى أوروبا عموما وعلى مستوى الإيالة بشكل خاص، ولتيسير القراءة نضع جدولاً للرّحلات التي أوردناها، يشمل بعض النقاط المهمّة المتعلّقة بالرحالة.

الرحالة	البلد	الفترة	مدة الإقامة	التخصص
باولو جيوفيو	إيطالي	1541م	شهر	مؤرخ وجندي
مارمول كاربخال	إسباني	1535	20 عاما	جغرافي ومؤرخ
وليام ليثغو	اسكتلندي	1615م	أ ش هر	شاعر ومستكشف
نيكولا دي نيكولاي	إنجليزي	1551م	أيام	مؤرخ وجغرافي
لوران دارفيو شوفالييه	فرنسي	(1674-1675)م	عام	دبلوماسي
بيتي دو لاكروا	فرنسي	1684م	قام بسبع رحلات جميعها لم تدم سوى أيام	مترجم وديبلوماسي
توماس هيز	هولندي	1675م-1680م-1683م	18 شهرا- أشهر- سنة	طبيب وديبلوماسي
توماس دالام	انجليزي	1599م	أيام	تاجر
بيير دان	فرنسي	1634م	شهرين	راهب ومؤرخ

جدول رقم01: الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين (17/16)م

من خلال الجدول يمكننا تقسيم مسّببات ودوافع الرحلات خلال القرنين 16م و17م، هذه الفترة التي عرفت فيها البحرية الجزائرية إزدهارا كبيرا، الأمر الذي وضعها في الواجهة الأوروبية، التي حاولت جاهدة القضاء على هذا النشاط البحري الذي أنهكها اقتصاديا وبشريا، في مقال للإيطالي **فديريكو كريستي (Federico CRESTI)** يُرجع النقص شبه الكامل في المعلومات المكتوبة الدّقيقة عن الجزائر قبل القرن 16م، إلى قلّة أهميّتها كمركز لجذب البشر[1]، ورغم أنّ هذا المقال لا يصف الأسباب كاملة والتي عرضناها سابقا وفصّلنا فيها، لكننا اخترناه لأنّه يصف مكانة الجزائر في خضم التغيّر الدولي والمعرفة الأوروبية، فهل سيتغيّر هذا النقص المعلوماتي في وجود سببيّة لوجوده خلال القرنين 16م و17م، هذا ما سنتناوله ضمن تحليل طبيعة الرحلات ودوافعها.

1.2. طبيعة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية:

عُرف القرنان 16م و17م بِقرنَيْ الحملات الأوروبية ضدّ الإيالة الجزائرية[2]، هذه الحملات التّي كان السّبب الظّاهري فيها القضاء على ما أسْمُوه «عش القرصنة» الذي يقوّض أعمالهم التّجارية، بينما السّبب الرئيس والخفيّ فيها توسّعيّ بحت... ولأنّ هذه الحملات مُنّيت أغلبها بالفشل الذريع، وطيلة القرنين سالفيّ الذكر؛ ظلّت الأوساط السياسية والإجتماعية تذكر الهزيمة النّكراء التي طالت الامبراطور **شارلكان**، والذي اختار بعد هزيمته العزلة كراهب، وتنصيبه لابنه عوضًا عنه.

في ظلّ هذه الإخفاقات المتكرّرة والمأساة التّي ظلّت تعيش ضمن المخيال الجماعي الأوروبي، نطرح تساؤلات كثيرة: ماطبيعة الرحلات الإستطلاعية نحو إيالة الجزائر في تلك الفترة، وما المعلومات التي كانت تزخر بها؟

[1] Federico CRESTI, **op.cit**, p1.

[2] هذا لا يعني أن الحملات الأوروبية على الجزائر قد توقّفت بعد القرنين 16م و17م ، ولكن التّخصيص الذّي ذكرناه يعود إلى كثرتها في هذه الفترة تبعا للظروف العامة في أوربا وفي الجزائر.

1.1.2. التكليف المباشر من طرف الملوك:

تطرّقنا في الحديث عن رحاليّ القرن 16م، إلى رحلة **باولو جيوفيو** المؤرّخ والجندي الإيطالي، الذّي سار في ركاب جيش الإمبراطور**شارلكان** عام 1541م، والوصف الذي أجراه والذّي كان لا يعدو أن يكون دراسة غير عميقة، تخصّ الشّكل الخارجي لمدينة الجزائر، ونقل ما تبقّى من أخبار عن الرّحالة **حسن الوزان**، وإنّه لمن الطّبيعي أن يكمل **باولو جيوفيو** معلوماته منه، لأنّه بالأصل لم يتمكّن من التّغلغل الدّاخلي بسبب ظروف الحرب حتّى تكون معلوماته التي أوردها شاملة ومفصّلة، ومن الواضح وحسب وصفه أنّه لم يغادر السّواحل قط، بسبب الحرب والظّروف المناخية السيّئة.[1]

وبهذا المعلومات التّي قدّمها كانت معروفة مسبقًا وعامّة، على اعتبار ما قاله **فرناند بروديل**" يقدّم لنا الكتّاب والجغرافيّون العرب معلومات موجزة للغاية، نقتبسُ منها في كثير من الأحيان تجارتها ومصادر المياه العذبة، أمّا الأوصاف التي تخصّ شكلها العمراني والتنظيم المكاني يكاد يكون غائبا تماما".[2] ولو أنّ هذا الاقتباس يبدو عامًّا، لكنّي استعرته لتوضيح رغبة الأوروبيين في الاستزادة معلوماتيًا لهذا بدأوا في إيفاد الرحالة لتدوين ملاحظاتهم ومشاهدتهم الشّخصية.

أيضا **مارمول كاربخال** الذّي أبقاه **شارلكان** عام 1535م بعد هزيمته لتونس، تيمّنا **بأوشود روسلا**(**Auchaud RESLA**) الذي أرسله قبله على رأس بعثة في رحلة استطلاعية كانت ناجحة في الاستعلام عن أخبار تونس وجميع أقاليمها، حيث كلّفه فيها بدراسة الأوضاع وتقدير الظّروف الملائمة للقيام بحملة عسكرية، بيد أنّ رحلة **مارمول** أتت بعكس

[1] انطلقت الحملة بقيادة **شارلكان** من مرسى ماهون في 18 أكتوبر 1541م، ووصلت قبالة مدينة الجزائر في 20 أكتوبر1541م، ولكن السفن فشلت في الإنزال بسبب هياج البحر نتيجة عاصفة بحرية، مما اظطرهم إلى النزول في مكان بعيد عن المدينة، ويوم 25 أكتوبر تم الإنزال حيث القوات الإيطالية تتحرك جهة الساحل، و**كان باولو جويفيو** من هذه القوات.

[2]Fernand BRAUDEL**, la Méditiranée et le Monde Méditérrané a L'époque de Phillipe** II, 3éme édition, vol2, Paris, 1976, p203.

ما توقّع، إذ أُسر من طرف السعديين لمدّة ثماني سنوات، ثمّ طالت رحلته عامين آخرين، بعض المراجع تذكر أن رحلته دامت عشرين عاما.[1]

تنقّل في العديد من المناطق وتعلّم اللغة العربية حتى أتقنها، ونظرًا للمستجدّات في رحلته، قدّم وصفا للإيالة اقتبس جلّ معلوماته من **حسن الوزان**، والأمر ذاته مع **نيكولاي** الذي قدّم تاريخ المدينة مأخوذا حرفيًا عن **حسن الوزان** أيضا، مضيفا إليه ما قدّمه **باولو جويفيو** حول الشكل العمراني، هذا ما كانت عليه رحلات القرن 16م، فعلى الرغم أنّ الرحالة الأوروبيين منذ النصف الثاني من القرن 16م، حاولوا ملأ الفراغ المعلوماتي، لكن لم تضفْ معلوماتهم للمعرفة العامة شيئا جديدا عن الإيالة.[2]

2.1.2.ضمّ الجغرافيين والعسكريين لوفود المفاوضات:

أمّا خلال القرن 17م، فغالبية الدّول وخصوصا إنجلترا وهولندا وفرنسا؛ اتخّذت تكتيكًا آخر، تمثّل في ضمّ الجغرافيين والضّباط العسكريين لوُفود معاهدات الصلح والسلام، أو إرسالهم كمفاوضين، كرحلات **توماس هيز** التّي استمرت لثلاث مرّات متتالية، كذللك **بيتي دو لاكروا** الذّي رافق كلاّ من الجنرالات الثلاث الذين أوردنا ذكرهم سابقا **(دوكين وتورفيل وآمفريفيل)** في الحرب ضد إيالة الجزائر، وقام بسبع زيارات لها معهم بهدف التّفاوض مع حكومتها حول السّلم، ورحلة القس **بيير دان** الذّي استطاع من خلال مهمة افتداء الأسرى استطلاع المدينة والكتابة عن تحصيناتها وقوّتها العسكرية معتمدًا على معاينته الميدانية، بينما **شوفالييه** وكما يقول **دوغرامون** «عبقرية الجيش المَاكرة» فإنّما زار الجزائر لاستطلاع مكان لإنزال الحملة.

---

[1] [أرجّح أنّ رحلته دامت عشر سنوات فقط، لأنّ مارمول مادام مبعوثا فإنّ أسباب تواجده في أيّ منطقة تنتهي بظروف مُرسله، وشارلكان بعد هزيمته في حملته على الجزائر عام 1541م، انكفأ على نفسه في الدير وصار راهبا]. للمزيد ينظر: عبد الكريم شوقي، **مرجع سابق**، ص148.

[2] Federico CRESTI, **Alger a la Période Turque Observations et se Structure Sociale**, R.O.M.M, N° 44, 1987, p126.

المتتبّع لهذه الرحلات سيدرك أنّ الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرن 17م قد عرفت تغيّرا واضحا من خلال طبيعتها لانضمام الجغرافيين والضّباط العسكريين، وامتازت بأنّها كانت استعلامية ضمن وفود المفاوضات وتحرير الأسرى، لأجل استطلاع المقوّمات الدفاعية والأماكن المناسبة لإنزال الحملات الناجحة.

إذن نستنتج أنّ طبيعة الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين 16م و17م، كانت إمّا تكليفًا مباشرا من الملوك والأباطرة، أو تحت غطاء المفاوضات للسلم أو لاتفاقيات تحرير الأسرى، وهو الأمر ذاته بالنسبة للرحلات المغربية خلال هذين القرنين ومثال ذلك رحلة **المغيلي الأندلسي**(1425-1504)م و**التمقروتي**(1534-1591)م الذي أُرسل للتّفاوض مع السلطان العثماني، خشية أن يشنّ البحارة الجزائريون غارة على بلاده، وقدّم وصفًا وسجّل انطباعاته في كتابه «النفحة المسكية في السفارة التركية.[1]

عدا رحلة **وليام ليثغو** الذي كان رحالة مغامرا[2] وما ألّفه حول رحلته الاستطلاعية لا يخصّ إيالة الجزائر فقط، وإنّما كانت رحلة للعديد من البلدان والدول أهداها للملك **تشارلز**، لأنّ المؤلّفات الرحلية في تلك الفترة تحظى باهتمام الملوك، وتدرّ على صاحب الرحلة مبالغ جيدة، وربّما الجانب الرّبحي كان سببًا إضافيا لبساطة المعلومات وتباينها والاستعجال الذي سقط فيه كثير من الرّحالة، وأخذهم ممن سبقوهم خصوصا من **حسن الوزان** وغيره من الرحالين العرب(أمثال **ابن حوقل** و**الإدريسي** و**البكري**...)، هذه الرحلات وطبيعتها التّي ستتغيّر تماما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

2.2.أهمية تخصّص الرحالة الأوروبيين:

للبحث في مدى تأثير تخصّص الرّحالة في المعلومات الواردة عن الرحلة، ومدى ارتباطها بضروريات وتطوّرات تلك الفترة، نضع هذا الجدول

[1] مولاي بالحميسي، **مرجع سابق**، ص23.

[2] يذكر الدكتور **ناصر الدين سعيدوني** أن في رحلته لم يكن مدفوعا بهدف سياسي أو أمني... إنما كانت تدفعه الرّغبة في الإطلاع، حتّى أنّ رحلته لم تلقَ تمويلاً بل كانت على نفقته الخاصة... للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني ، **ورقات** ...، مرجع سابق، ص 100.

الرحالة	التخصص
باولو جيوفيو	مؤرخ وجندي
مارمول كاربخال	جغرافي ومؤرخ
وليام ليثغو	شاعر ومستكشف
نيكولا دي نيكولاي	مؤرخ وجغرافي
لوران دارفيو شوفالييه	دبلوماسي
بيتي دو لاكروا	ديبلوماسي ومترجم
توماس هيز	طبيب وديبلوماسي
توماس دالام	تاجر
بيير دان	راهب ومؤرخ

ـ جدول رقم 2: الرحالة وتخصصاتهم ـ

من المُلاحظ حسب الجدول أنّ الرحالة خلال القرنين 16م و17م، قد اختلفت تخصّصاتهم فمنهم الجغرافي والمؤرخ والديبلوماسي[1] والراهب كما منهم التاجر، جميعهم كانوا ضمن إرساليات، إمّا ضمن وفود معاهدات السلم والصداقة أو ضمن وفود التفاوض وجمعيات تحرير الأسرى، لكن تتّفق جميعها في أنّها من أجل الإستطلاع وجمع المعلومات، بغضّ النظر عن الهدف الذي أُرسلَ الرحالة من أجله، السؤال الذي وجب طرحه: ما هي أهمية الإختلاف في التّخصص وهل له مبرّراته، أم هو اختيار للشخص ومقدرته بغضّ النظر عن تخصّصه؟

للإجابة عن هذا التّساؤل نقتبس ملاحظة الناشر **تيودور بانت(Theodor Bent)** لمخطوطة **توماس دالام** حين يقول:" عندما سافر السيد توماس إلى القسطنطينية مع هدية

[1] استخدمت لفظ ديبلوماسي مع أنّه لفظ معاصر، لعدم وجود مصطلح يوافقه بالمعنى ، فلو قلنا «مبعوث سياسي» يبدو المعنى غير دقيق لأنّ النشاط الديبلوماسي خلال القرنين 16م و17م؛ لم يرقَ بإطلاق كلمة السياسي على هذا النشاط ، لانعدام توفّر مقوّمات وشروط تصبغه بصبغة السياسة الخارجية. للمزيد ينظر: جمال قنان، **مرجع سابق**، ص44.

الأرغن الرائعة من الملكة **إليزابيت** إلى السلطان **محمد الثالث** عام 1599م، كان من النّادر أن يتمّ إرسال تاجر، لكن فعلنا ذلك من أجل تطوير نظام التجارة لدينا..."[1].

أمّا بخصوص من النّادر إرسال تاجر، فهذه لم تكن الأولى، إذ قامت إنجلترا عام 1579م، بإرسال ثلاث تجّار **وليام هاربون (William Harpon)**، **إدوارد أليس (Eduard Alice)** **ريتشارد ستيل(Richard Steel)** إلى الباب العالي، بهدف استطلاع الأرض والبحث عن تجار إنجليز[2]، أمّا الاستنتاج الذي سنخرج به من هذا الاقتباس، فهي أنّ رحلة **دالام** كانت بهدف الحصول على تنازلات تجاريّة وتحالف عسكري، وتأمين تحالف مع السّلطان العثماني، وهو أحد مخطّطات الملكة **إليزابيت** خصوصًا مع توسّع التجارة العالمية، إذن إرسال تاجر مناسب جدا، أمّا عن المعلومات الواردة في اليوميات، فحسب تصريح **تيودور بانت** كانت تحتوي على معلومات تاريخية مهمّة.

بينما وبعد اطلاعي عليها وكميّة الأخطاء الواردة فيها، تبيّن أن **دالام** لم يكن يتقن الكتابة كثيرا[3]، ولهذا جاءت أغلب الأسماء التي ذكرها خاطئة، تحتاج شخصا عليمًا باللغة ليدرك المغزى الحقيقي لها، يقول **براندون باك(Brandon Puk)** الذي اطّلع على المخطوط وترجمه:" إنّ لغة المخطوط صعبة للغاية، إنّ الكاتب يقترف في المتوسّط أخطاء كتابية كثيرة في جمل قليلة.[4]

وفيما يخصّ إيراد هذه الرحلة وإدراجها ضمن الرحلات الاستطلاعية، التي بدت عادية جدا لصانع ساعات يزور القسطنطينية مروراً بالجزائر في مرحلة ازدهار الأسطول الجزائري وقوّته، بل ويدوّن رحلته من ركوبه في السّفينة حتّى عودته إلى بلاده، يجعلنا

---

[1] Theodor Bent, **op.cit**, p ii.

[2] **ibid,** pvi.

[3] للمزيد والتأكد من الأخطاء الواردة في اليوميات يمكن الرجوع للمخطوطة التي نشرها **تيودور بانت** والتي أوردناها، وهي متاحة على موقع المكتبة الوطنية الفرنسية ويجيز الموقع أيضا نسخة نصية، لمن يريد النسخ أو الترجمة.

[4] بلقاسم قرباش، **العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي(1550-1620)م**، كان التاريخية، مج10، ع37، سبتمبر 2017م، ص 531.

نستنتج أنّ الهدف كان فتح باب للتجارة في القسطنطينية والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وهذا أيضا يمكن استخلاصه من اهتمام **دالام** بالجانب الاقتصادي(السلع والمبيعات...) لإيالة الجزائر[1].

أمّا بالنسبة لباقي الرحلات فنجد أنّ تخصّصات الرحالة تواترت بين المستكشف والجغرافي والمؤرخ والراهب والديبلوماسي، وهي تخصّصات مُناسبة جدا لدوافع الرحلات الاستطلاعية والتي كانت تسير بنظرة أضيق عما هي عليه في القرنين 18م و19م، إذ الهدف كان المرور عبر وفود المفاوضات وصولا إلى استطلاع المكان من أجل إنجاح الحملة المخطّط لها، والتي تستهدف في الغالب السيطرة على مدينة الجزائر؛ بُغية توسيع التجارة، أو كسر شوكة دولة أوروبية أخرى منافسة، أما القرصنة والقضاء عليها فهي شمّاعة تعلّق عليها الدول الأوروبية فشلها أمام قوة الأسطول البحري الجزائري، ورغبتها التوسّعية دون أن نقول استعمارية، فالاستعمار بشكله الحديث لم يزل في مرحلة المهد في تلك الفترة ، وتبلور وظهر بشكله الأمبريالي أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وهناك من يرده إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

3.2.الظروف البيئية داخل الإيالة وتداعياتها على الرحالة:

للبحث في السنوات التي انتشرت فيها الأوبئة وتوافد الرحالة إلى الإيالة، وضعنا جدولاً يوضّح سنوات الوباء وانتشارها الجغرافي وفترات تواجد الرحالة، لتيسير المقارنة واستخلاص النتائج.

الفترة	الانتشار الجغرافي	فترة تواجد الرحالة
(1542-1545)م	الجزائر – قسنطينة	1535م- 1541م
(1553-1554)م	الجزائر	1551م

[1] وقد حدث بعد رحلة دالام، أن كانت أول رسالة بين الجزائر وإنجلترا، بتاريخ 20 ديسمبر 1600م، يوضّح لها رغبته في تطبيق أوامر السلطان العثماني القاضية بمساعدة الانجليز في التجارة بحريّة في البلاد الجزائرية... للمزيد ينظر: بلقاسم قرباش، **العلاقات الجزائرية الانجليزية**...، مرجع سابق، ص 539.

(1555-1557)م	بايلك الشرق	-
1572م	الجزائر	-
1590م	الجزائر	-
(1598-1603)م	الجزائر – قسنطينة	1599م.
(1605-1609)م	الجزائر	-
(1611-1613)م	الجزائر	-
(1620-1624)م	الجزائر- بايلك الشرق	1615م
(1626-1627)م	الجزائر	-
1630	الجزائر	-
(1634-1637)م	قسنطينة	1634م
(1639-1644)م	جميع البلاد	-
(1646-1650)م	جميع البلاد	-
(1654-1657)م	جميع البلاد	-
(1661-1666)م	الجزائر- بايلك الشرق	-
(1675-1678)م	جميع البلاد	1674م-1675م
(1680-1683)م	الجزائر	1680م-1683م-1684م

ـ جدول رقم 3: سنوات الوباء وفترات تواجد الرحالة ـ

من خلال الجدول وحسب المصادر والمراجع التي اطّلعنا عليها، وما دوّنه الرحالة وآباء الافتداء، تبيّن أنّ الوضع الصّحي في الإيالة الجزائرية خلال القرنين 16م و17م، كان غير مستقرّ تماما وأحيانًا متدهور، نتيجة الأوبئة الكثيرة والمتعاقبة التي فتكت بالإيالة، بل إنّ جميع من عايش الأحداث أو زار الإيالة في تلك الفترة، احتسبها من أكبر الويلات التي مسّت الأهالي والأسرى الأوروبيين وحتى الرّحالة أنفسهم.[1]

[1] فلة القشاعي، **وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دورته وسلم حدته وطرق انتقاله**، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج1، ع1، جوان 2001م، ص136.

وبتعرّضنا للعديد من المراجع والمذكرات التي اهتمت بهذا الموضوع، تبيّن أن هذه الأوبئة تتخذ أشكالا مختلفة في كلّ فترة، وتختلف عن بعضها من حيث شدّة تأثيرها وانتشارها الجغرافي، ومنها ما أصبح مرضا مستقرا يتواتر ظهوره بشكل استطرادي[1]، وهذا ما افتعل الأزمة الحقيقية، فإلى أيّ مدى أثّرت هذه الأزماتّ الصّحية في تواجد الرحالة؟

حسب السنوات التي انتشرت فيها الأوبئة ومنها وباء الطاعون الذي أهلك البلاد والعباد وقضى على ثلثي سكان الإيالة، يتّضح أن أغلب الرحلات الاستطلاعية التي اخترناها كأنموذج للرحلات خلال القرنين 16م و17م، كانت في فترات ما قبل ظهور الوباء، مثل رحلة **باولو جيوفيو** و**مارمول** و**نيكولاي** و**وليام ليثغو وشوفالييه**، حتّى أن مغادرة الرحالة الأخير للبلاد كانت في بداية انتشاره.

وهناك رحلات تمّت في السنوات التي تلت تفهقره واندثاره، مثل رحلة **بيتي دو لاكروا**، ولأنّ المعلوم أنّ الأوبئة أكثرها وافدة، والدليل أنّه يتموقع (في مناطق النشاط البحري، بين الأسرى، النشاط التجاري والقوافل عبر المناطق الحدودية مع إيالة تونس والمغرب الأقصى، قوافل ركب الحج...)، وهذا يعني أنّ الرحالة في هذين القرنين على علم بتواجد هذه الأوبئة لأنها تكون منتشرة عندهم، ولديهم تدابير احترازية مسبقة.[2]

اتّضح أنّ الرحلة الوحيدة التي تزامنت مع الوباء دون أن تعرفه بلاده قبلا، هي رحلة **توماس هيز** عام1675م، والذي لم يغادر البلاد إلا بعد انتهاءه، وهي أطول مدة قضاها من بين رحلاته الثلاث والتي قاربت السنتين، وحسب ما أوردناه نستنتج أنّه، ليس هناك خط رابط وقطعي يوثّق الصلة بين الظروف الصّحية وتواجد الرحالة من عدمه، فالمعلومات التي أوردها حتى الرحالة الذين عايشوا فترة الأوبئة في الجزائر بدت معلوماتهم سطحية ووصفية، وسيتضّح لنا جليّا السبب في رحلات القرنين 18م و19م، أين يتزامن دومًا وجود الوباء مع رحالة طبيب.

---

[1] فلة القشاعي، **مرجع سابق**، ص138.

[2] خير الدين سعيدي، **المجاعات والأوبئة خلال العهد العثماني(1700-1830)م**، أطروحة دكتوراة في التاريخ، تخ: تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2019م، ص59.

ملخص الفصل :

إنّ الرحلات الاستطلاعية الأوروبية في القرنين 16م و17م، كانت رحلات استطلاعية تحت غطاء ديبلوماسي وسياسي، أي أنّها كانت ضمن وفود تحرير الأسرى أو كانت ضمن وفود التفاوض وعقد الاتفاقيات ومعاهدات الصلح، وكانت الإرساليات تتمّ وفقًا للاعتداءات من الجانبين، وتسعى الدول المُرسلة للرّحالة على اختلاف تخصّصه، إلى الاستعلام عن قوة الإيالة الجزائرية الدّفاعية.

ولأنّ منظور التوسّع الداخلي كان ضيّقا، تتحكّم فيه أمور عديدة من بينها المعلومات البسيطة وغير الدقيقة التي تأتي بها كتب الرحالة، والمعلومات المبالغ بها التي كانت تزخر بها مؤلفات الأسرى والرهبان، ولأنّ الفكر الإمبريالي والاستعماري لم يتبلور بعد، فقد كان الاستطلاع في الغالب هدفه القضاء على نشاط الجهاد البحري والسيطرة على الشّريط الساحلي لحماية خطّ تجارتها.

فهل استطاع الأوروبيون في ظلّ الظروف الجديدة التي عرفها القرن 18م، القيام برحلات استطلاعية مختلفة في أهدافها ومعلوماتها ودوافعها؟

الفصل الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية ودوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر خلال القرن 18م

المبحث الأول: دوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر

1.عصر التنوير وتشكّل الأكاديميات العلمية والجغرافية والأثرية

2. الاستشراق وأهمّ الدوافع والمعايير والمدارس

المبحث الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرن 18م

1. نماذج من الرحلات الاستطلاعية الوافدة للجزائر

2 . علم الجغررافية وتأثيرة على وصف رحالة القرن 18م

المبحث الثالث: قراءة في رحلات القرن 18م من حيث(طبيعة الرحلة- التخصص - الظروف البيئية)

1- طبيعة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية

2- أهمية تخصّص الرحالة الأوروبيين

3. الظّروف البيئية داخل الجزائر وتداعياتها على الرحالة

يُطلق المؤرّخون على القرن الثامن عشر قرن« الرحالة الباحثين عن المعرفة »أو« عصر الأسفار»؛ انطلق فيه الجغرافيون وعلماء النبات وعلماء الاثنوغرافيا... برحلات الغرض منها ظاهريًا استكمال المعلومات التي تمّ جمعها حول العالم، أمّا دوافعها الخفية فكانت الاستعلام عن أحوال الشعوب بهدف التوسّع، فقاموا بوصف تلك البلدان، وكتبوا أوصافًا دقيقة لمَا رأوه ومارسوه وما قاسُوه أحياناً في تلك البلاد" كم من الأقطار كانت مصنّفة أنها بربرية(متوحّشة)، أضحت الآن معروفة من قبلنا بسبب روايات الرحالة... ".[1]

بينما شهد النّصف الثاني من هذا القرن، مجيء نوع جديد من الرحالة تموّلهم جمعيات علمية وجغرافية؛ مُقابل أن يقدّموا لها ما تُسفر عنه دراساتهم، وكانت مؤلّفاتهم عبارة عن موسوعات تحوي معلومات في الجغرافيا والتّاريخ والطبّ والسياسة والاثوغرافيا... فاختلفت كتابات هذا النوع الأخير من الرحالة عمّن سبقوهم، لأن عصر التطوّر العلمي والّصناعي (عصر الأنوار) كما استنتج الأوروبيّون، لا يحتاج إلى كتابات الأسرى والرهبان المغمورة بالمبالغات.

المبحث الأول: دوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر

1. عصر التنوير وتشكّل الأكاديميات العلمية والجغرافية والأثرية:

كان القرن السابع عشر مرحلة أزمة[2]، في جميع فعالياته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسيّة، بدءًا بالثّورة الاقتصادية وحركة الاستعمار الجديد؛ وصولا إلى تنامي اللامساواة بين الطبقات وأزمات الحروب[3]، وما إن حلّ القرن الثامن عشر وتدفّق عصر التّنوير، الذي طال جميع النخب والأطياف المجتمعية في أوروبا، وحلّت اللغة الفرنسية بدلاً

[1] بول هازار، **أزمة الوعي الأوروبي(1680-1715)م**، ط1، مكتبة بغداد، تر: يوسف عاصي، بيروت، 2009م، ص23.

[2] المقصود هو الأزمة الفعالة التي تجلب التطوّر لا الأزمة التي توحي بالتقهقر والضعف والإنهيار، واستخدام المصطلح من باب أنّ حتى الحداثة في ظهورها هي أزمة وعقدة تستوجب الحل.

[3] ليلى الصباغ، **مرجع سابق**، ص203.

من اللاّتينية كلغة دوليّة للتّواصل، وذلك لنموذج الحداثة الذي تمثّله فرنسا من خلال كُتابها وعلمائها، كما أنّ حركة التنوير غزت معظم الأطياف المجتمعية فيها، بينما في باقي دول أوروبا اجتذبت بعض النّخب فقط، عدا انجلترا التي تأثّرت بحركة التّنوير الفرنسية الناشئة، ولو أنّ نخبتها ظلّت حبيسة السّلطة المتزمّتة والكنيسة.[1]

شهد «عصر التنوير»[2] سعيًا محمومًا إلى الهجرة باتجاه الأماكن البعيدة بحثًا عن الغريب والعجيب، كما شهد تفجّرا للمعرفة الغربية، ورغبةً عميقة في التّواصل مع المجتمعات التي تقع خارج حدود القارة الأوروبيّة؛ ابتغاءَ معرفتها ورغبةً في معرفة الذّات التي لا تُعرف إلا من خلال نقيضها، ولأنّ الرحلة باتجاه العوالم المجهولة والأماكن النائية كانت دوما حلم الإنسان الساعي إلى تكملة النقص؛ مُورست الرحلة من طرف الغربيين في هذا العصر[3]، وما تلاه من حقب استعمارية« مظلمة»[4] باتجاه بلدان شمال افريقيا، وكشفت عن الوجه القبيح للإنسان الذي تواصل مع غيره، لا من أجل معرفته وحسب، وإنّما من أجل مزيدٍ من الهيمنة والاستحواذ، لا من أجل التماهي معه والتفاعل الإيجابي الذي يقتضي التأثّر والتأثير؛ وإنما من أجل مزيد من المعرفة التي تُفضي إلى مزيد من التسلّط.

[1] عز الدين موزو، **الضباط الفرنسيون الاداريون في اقليم الشرق الجزائري إرنست مرسييه أنموذجا**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، تخ: تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص102.

[2] عصر الأنوار أو التنوير أو ما يسميه البعض (القرن العظيم)، [بينما حسب رأينا، فالتسمية لها مرجعية دينيّة تخصّ الديانة المسيحية، ويمكن تعويضه بعصر المعرفة والتطوّر الفكري أو عصر التطوّر العلمي والصناعي]، وهي حركة فكرية فلسفية غزت أوروبا في النصف الثاني من القرن السابع عشر وبلغت أوجها في مطلع القرن الثامن عشر، وارتبطت بتنوير العقل وتمثّلت سماته في العقلانية المتّصلة بالتّجربة ورفض الميتافيزيقية والتحيّزات الدينية، والإيمان بتقدّم الإنسان وكماله والنضال من أجل التّسامح واحترام الحريات الفردية، وقد حارب الكُتّاب والفلاسفة السلطة الدينية والسياسية التي تسعى إلى الحدّ من معرفة الإنسان ومنع ممارسة الفكر النقدي، ومنذ ذلك الحين تحرّر العقل البشري من اللاّهوتية والشكلية من أجل الاهتمام بالطبيعة، في نهج جديد للبحث عن المعرفة، وهذا ما نجده عند الرحالة في القرن الثامن عشر اهتمامهم بالطبيعة والنباتات والبحث عن كل ما يتعلق بهذا الجانب ينظر: تزفيتان تودروف، **روح الأنوار**، ط1، دار محمد علي للنشر، تع: حافظ قويعة، تونس، 2007م، ص ص 9- 10.

[3] ابراهيم بوخالفة، **الرحلة والآخرية**، مجلة حوليات، مج31، ع2، جوان 2017م، ص 62.

[4] [إنّ هذه العبارة وإن بدت للباحث متحيّزة قليلا، لكنّ الغربي سيراها منيرة مضيئة، وعصر الاستعمار والحصول على المستعمرات هو قمّة النور والاستنارة ومنه جاء مصطلح الأنوار، وهو نفس الوضع حين ننعت العصور الوسطى الغربية بالمظلمة... لذا وإن بدت العبارة ذاتية قليلا لكني أجدها ضرورية في سياق الحديث عن الاستعمار وتبعاته]

إنّ الانطباعات الموثّقة عن الرّحلات طالها التغيير أيضا، إذ لم تعد تعتمد على مرجعيّة الكتاب المقدّس بل إلى العقل والتّجربة، وباتت تشكّل فعليًا تعضيدًا للاستشراق والانثروبولوجيا سليلة العقل الاستعماري، إنّه العصر الذي شهد حروبًا دامية في القارة الأوروبية، وثورات بينيّة ضدّ أشكال وأنماط التفكير البالية، الذي مكّنت له الكنيسة من خلال مؤسّساتها اللاهوتية والدينية، وكانت رايات الحروب الصليبية وشعاراتها لا تزال تشتغل في الطبقات السفلى من اللاوعي الغربي.[1]

1.1.الجمعيات والأكاديميات العلمية:

كما يعتبر القرن الثامن عشر قرن «الرحالة الباحثين» فهو أيضا «عصر الأكاديميات والجمعيات العلمية»، فمع مطلعه تأسّس عدد هائل من الأكاديميات الرّسمية والجمعيات في أوروبا، ومع حلول عام 1789م كان هناك أزْيد من 70 جمعية علمية رسمية، ولو أنّ الظّهور الفعلي للجمعيات العلمية كان أبكر قليلا، أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر" إننا نجده وقد تكوّن في العهد الذي كان فيه **لويس 14** في توهّج قوّته وإشراقه"[2]، حيث تمّ تأسيس كلاّ من« الجمعية الملكية» بلندن عام 1662م، و«الجمعية الفرنسية للعلوم» عام 1666م على يد **جون بابتيست كولبير**[3] وزير المالية لدى الملك **لويس 14**، الذي أراد إضفاء المجد إلى الملك بوصفه راعيًا للفنون والعلوم، وأيضًا تحقيقًا لمركزية النّشاط العلمي بأساليب تخدم الدولة، وهو جزء من السياسة الأعمّ التي ميَّزت فرنسا أثناء حكمه الذي استمرّ ما يفوق 72 عاما.[4]

---

[1] ابراهيم بوخالفة، **مرجع سابق**، ص 62.

[2] بول هازار، **مرجع سابق**، ص10.

[3] **كولبير:** صار مقرّبا للملك **لويس 14**، بفضل توصية الكاردينال مازران، إذ كان مسؤولا اقتصاديا في مزرعته، وقد عمل على تنمية الصناعة والتجارة في فرنسا حين صار وزيرا للمالية... للمزيد ينظر: حسن النجفي، **القاموس الاقتصادي**، د ط، مديرية المطبعة المحلية، العراق، 1977م، ص63.

[4] لورانس إم. برينسيبيه، **مرجع سابق**، ص119.

بينما الأكاديميات فتزامن ظهورها مع مطلع القرن الثامن عشر، حيث ظهرت العديد من الأكاديميات مثل« الأكاديميّة العلمية» ببرلين عام1700م،«الوسط الأكاديمي الإمبراطوري» عام 1724م بسانت بطرسبورغ، «الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم» عام 1739م، ثم انبثقت جمعيات كثيرة في بولونيا وكوبنهاغن، ديجون، ليون، مونبلييه، وأوبسالا...[1]

انضمّ أغلب الرحالة الأوروبيين إلى هذه الأكاديميات إمّا كأعضاء أو كمراسلين مثل: الرحالة الفرنسي **بايسونال** الذي كان مراسلاً لأكاديمية العلوم بباريس عام 1723م، ثمّ مُراسلاً لأكاديمية مونبولييه، ثم عضوًا مؤسّسًا في جمعية علمية أصبحت فيما بعد أكاديمية مرسيليا عام 1726م[2]، والرحالة الألماني **هابنشترايت** الذي عُيّن في جوان عام 1731م مُراسلاً في الأكاديمية الألمانية للعلوم في تيو بوندينا[3]، أيضا الرحالة الإنجليزي **توماس شاو** الذي كان عضوًا بالجمعية الملكية بلندن، والرحالة الفرنسي **ديفونتان** الذي كان عضوًا في أكاديمية العلوم بفرنسا.[4]

اهتمّت هذه الأكاديميات والجمعيات بالعلوم كافّة، والتّاريخ الطبيعي بشكل خاص، حيث اتّسع نطاق دراسة علم النبات والحيوان بدرجة هائلة، وملأت المعلومات الموسوعيّة عن النباتات والحيوانات كتب الأعشاب، وظهر الاهتمام بكلّ ما هو غريب ونادر وتجميعه، بل صار رمزًا لنفوذ جامعيه وثرواتهم وعلاقاتهم واهتماماتهم.[5]

---

[1] بول هازار، **مرجع سابق**، ص12.

[2] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة** ...، مرجع سابق، ص165.

[3] فاطمة الزهرة تدرس، **دراسة تحليلية لناصر الدين سعيدوني في رحلة الطبيب و عالم النبات الألماني ج.أو.هابنسترايت (J.E.Hebenstreit) إلى الجزائر عام 1732م**، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، مج1، ع2، جويلية 2022م، ص139.

[4] N.n. **Les Voyages Scientifiques de René Louiche-Desfontaines et Auguste Bachelot de la Pylaie (1780-1820)**, Impremerie Lyon, Lyon, 1830, p78

[5] انتقل هذا الاهتمام أيضا إلى بلدان المغرب الإسلامي، فالرحالة **غيرهارد غولفس** في رحلته للمغرب يقول:" أصر سيدي أن أشاهد تجهيزه الأوروبي في الحديقة، وصلنا للحديقة التي تتواجد بها زهور نفيسة من أوروبا وأمريكا، ونباتات ذات أصناف جيدة".، وهذا يتوازى تمام مع ما ذكره **هابنشترايت** لما كان في قسنطينة «وقد تمكنا من قطع النباتات بعناية حتى يمكن لنا تكوين حديقة إفريقية».ينظر: ج. أ. هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج.أ.هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، د ط، دار الغرب الاسلامي، تر: ناصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م، ص82؛ غيرهارد غولفس، **إقامتي الأولى بالمغرب(السفر جنوب الأطلس1861م)**، ط1، جامعة العلوم الإنسانية بنماسيك، تر: إدريس الحاجي، الدار البيضاء، 2002م، ص85؛ لورانس إم. برينسيبيه، **مرجع سابق**، ص109.

وفيما يتعلّق بالعدد الكبير من النّباتات والحيوانات التّي صادفها الأوروبيّون لأوّل مرة في رحلاتهم خارج أوروبا، جميعها زادت من قائمة النّبات والحيوان غير المعروفة لديهم زيادة هائلة، لهذا بذلوا جهودًا حثيثةً من أجل التأريخ لمَا اكتشفوه من نباتات وحيوانات وممارسات طبيّة، بالتعاون مع الباحثين لإنتاج كتب مزوّدة بالأشكال التوضيحية.

وكما أرسل الملك **فيليب الثاني(Philippe II)** في السبعين سنة الأولى من القرن الخامس عشر، طبيبه **فرانشيسكو هرناندیز(Francesco Hernandez)**(1475-1526)م على رأس بعثة للبحث خصيصًا عن النباتات الطبّية في العالم الجديد وقضى سبعة أعوام[1]؛ أُرْسِل العديد من الرحالة في القرن الثامن عشر للسّبب نفسه، إذ كان الشّغف برحلات الاستكشاف عن الحيوانات والنباتات سمة مميّزة لرجال العلم في هذا القرن.

وقد كان من زمرة هؤلاء العلماء **بايسونال** الذي زار تونس والجزائر بين عامي(1724-1725)م من أجل دراسة التاريخ الطبيعي، و**ديفونتان** الذي كُلّف بمهمة علمية في مجال البحث في التّاريخ الطبيعي والنباتي في كلّ من تونس والجزائر، و**القس بواري l'Abbé (POIRET)** الذي أرسله الملك **لويس السادس عشر(Louis XVI)**(1754-1793) م عام 1785م إلى ساحل الجزائر لجرد الحيوانات والنباتات الخاصة به، و**هابنشترايت** الذي أُرسل من طرف الملك البولوني وناخب الساكس **أغسطس الثاني (Auguste II)**(1670-1733)م[2] على رأس فرقة بحث إلى بلدان شمال إفريقيا(إيالتي الجزائر وتونس، طرابلس الغرب) بغرض اكتشاف النباتات وطبيعة تلك المجتمعات لإثراء المجموعة الملكية وتزيينها بنوادر إفريقيا.[3]

---

[1] لورانس إم. برينسيبيه، **المرجع السابق**، ص107.

[2] **أغسطس الثاني القوي (Augustus II the Strong)** : ولد بدرسدن في ألمانيا، كان أمير سكسونيا المؤهّل لاختيار رأس الإمبراطورية الرومانية المقدّسة (باسم فريدرش أوغسطس الأول) ونائب الإمبراطور وأصبح ملك بولندا ودوق ليتوانيا الأعظم لقّب باسم (أغسطس الثاني، و القوي، وهرقل ساكسونيا، واليد الحديدية)، اعتنق الكاثوليكية حتى يصير ملكا على بولونيا، خلع عن العرش عام 1704م من قبل شارل الثاني عشر(Charl xii)، لكنّه أعيد إليه بعد تدخّل الجنود الروس، توفي يوم 1 فبراير عام 1733م بفرصوفيا، وبموته تلقى **هابنشترايت** الأمر بقطع الرحلة والعودة فورا إلى درسدن بعد أن زار كلا من الجزائر وتونس وطرابلس، وكان يتأهب للسفر نحو السنغال. ينظر: فاطمة الزهرة تدرس، **مرجع سابق**، ص139.

[3] Christian Le ROY, **Une Excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII, 1, 11)**, Bulletinde Correspondence Hellénique, Vol100, livr 1, 1976 , P373.

أمّا الميزات التي كانت تقدّمها هذه الجمعيات العلمية، فهو تمويلها الكامل للمشاريع التي يقدّمها الرحالة؛ بل وتقديمها لهم ضمانات على ذلك، وحسب تتبّعنا لمسار الرحالة تبيّن أنّ السّبب في توقّف بعض الرحلات قبل أن تكتمل هو نقص في التمويل أو توقّفه، مثلا **ديفونتان** في رحلته قُدّمت له ضمانات من قبل السيد **دو كيرسي (De KERSEY)** (1755-1798)م ومُنحت له الأموال اللاّزمة لمشروعه، تحدّث عن ذلك قائلا" سيكون باستطاعتي الولوج إلى داخل الأراضي والتجوال في إيالتي تونس والجزائر، من حدود طرابلس حتى الحدود المغربية منه"[1]، بالمقابل رحلة **بايسونال** في رسائله كان دائما يشكو قلّة التمويل وأنّه يفكّر في إنهاء رحلته.

بعد استعراضنا لأهمّ ميزات القرن 18م، من دخول أوروبا لعصر التطوّر العلمي وظهور الأكاديميات والجمعيات، السؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي قد تستفيد منه الدول الأوروبية من هذه الرحلات الاستطلاعية المموّلة غير ما قال عنها **القس بواري** "عن طريق الرحلات في البلدان التي لم تتم ملاحظتها بعد، تمّ تزيين بساتيننا بشجيرات أنيقة ومتنوعة، ووُجدت مجموعة من الأشجار الغريبة تزيّن غاباتنا، أشجار وُلدت في أراض أجنبية، وتمّ إنباتها وفقًا لمناخنا، هذه الفوائد التي نُدين بها للرحالة الذين تمّ تجاهل أعمالهم وخدماتهم في الكثير من الأحيان".[2]

إنّ الجواب في السّبب الأساسي يظهر من خلال تعريف الرّحالة نفسه لعلم النبات في مقدمة كتابه « دورة علم النبات- شرح النظم الرئيسية» (la Flore de Botanique) وقد جاء فيه " أن هذا العلم تعتمد أبحاثه على دراسة جميع الظواهر المتعلّقة بالنباتات، من معرفة أجزاء النّبات وتطوّرها وتكاثرها، إلى وصف المناخ والتربة التي تناسبها، ثمّ تحديد المعادن لمعرفة

[1] Jean-Louis POIRET**, Leçons de Flore . Cours de Botanique, Explication des Principaux Systèmes, Introduction à l'étude des Plantes**, C.-L.-F. Panckoucke , Paris, 1823, p2.
[2] Jean-Louis POIRET**, op.cit**, pVI .

طبيعة الأرض التي وُلدت فيها، ثمّ دراسة علاقتها بالاقتصاد خصوصًا تأثيرها على الاقتصاد الحيواني"[1]، يمكننا الاستنتاج الآن أنّ الرحلة لأجل استكشاف النباتات هو استكشاف للأرض والطبيعة الخاصة بالبلد المُستكشَف.

2.1.الجمعيات الجغرافية

بعد الجمعيات العلمية المهتمّة بالتّاريخ الطّبيعي، ظهر نوع آخر من الجمعيات يدعى ب«الجمعيات الجغرافية»، أو لنقل وحسب ما استخلصناه أنّ الجمعيات العلمية هي من حفّزت الأوروبيين على إنشاء هذا النوع من الجمعيات، فبعدما تمّ إدراك الكنوز الطبيعية الموجودة في البلدان التي زارها الرحالة، صار الكشف الجغرافي مهمّا طمعًا في معرفة أكبر.

تبنّت هذه الجمعيات في كثير من الحالات رحلات الكشوف الجغرافية الداخلية في الأراضي المبتغى استكشافها، ولم يكن مؤسّسوا هذه الجمعيات من الجغرافيين وحدهم، بل كانت تتلقّى الدّعم المالي من أبناء الطبقة الوسطى ومن الحكومات في تمويل أبحاثها وبعثاتها[2]، وإن أردنا استظهار علاقة هذه الجمعيات بإفريقيا، فلم تبدأ مرحلة الكشوفات الجغرافية نحوها إلا مع إنشاء الجمعية الجغرافية في لندن عام 1788م، وقد لعبت هذه الجمعية دورًا بارزا في معرفة أسرار القارة، ثمّ ظهرت جمعيات أخرى منها الجمعية الجغرافية في باريس عام 1821م، جمعية برلين عام 1822م، الجمعية الجغرافية في لندن عام 1830م، وتزايدت بعدها حتّى بلغ عدد الجمعيات الأوروبية مائة جمعية.[3]

أمّا عن النّشاط الذي كان يميّز هذه الجمعيات، فهو النشر الفوري لجميع التقارير في المجلاّت التي استحدثتها، حيث تتلقّف تقارير الرحالة المستكشفين وتُسارع إلى نشرها في مجلات متخصّصة، كـ«المجلة الجغرافية الباريسية» (Revue Géographique Parisiénne)

[1] Jean-Louis POIRET**, op.cit**, pVII.

[2] عيسى علي إبراهيم، **مرجع سابق**، ص104.

[3] أحمد حسين، **الكشوف الجغرافية الأوروبية لإفريقيا وتأثيراتها المعاصرة**، قراءات إفريقية، ع25، سبتمبر2016م، ص3.

التي بدأت في الظهور عام 1821م ومجلة « حول العالم»(Travers le Monde) التي اتّخذت فيما بعد اسم «المجلة الاستعمارية»(Colonial Magazine)...وهكذا كان لكلّ جمعية جغرافية مجلة خاصّة بها[1]، ومن بين أشهر الجمعيات اخترنا:

1.2.1.الجمعيات الجغرافية الفرنسية:

كان لظهور هذا النّوع من الجمعيات في فرنسا؛ دورًا كبيرا في دعم واحتضان الكثير من الرحلات الاستطلاعية، وتمثّل ذلك في تقديم التمويل ومنح الجوائز، فضلاً عن تزويد الرحالة بالتّوجيهات والإرشادات اللازمة، والأدوات العلمية الضّرورية، ولو أنّ ظهورها في فرنسا كان متأخّرا قليلا على غرار باقي الدول الأوروبية، إذ دخلت غِمار المنافسة مظطرّة؛ خوفًا من استحواذ بريطانيا وألمانيا على مناطق واسعة[2]، فظهرت« الجمعية الجغرافية»(Géographic Society) في باريس عام 1821م، ثمّ «الجمعية الإفريقية»(Société Africaine) وكان هدفها التركيز على الآثار والمنقوشات الرومانية من أجل ربط شمال افريقيا(الجزائر خصوصا) بأوروبا اللاتينية.[3]

2.2.1.الجمعيات الجغرافية الإنجليزية:

تشكّلت« الجمعية الملكية»(Royal Sociéty) سنة 1788م، وكانت هذه الجمعية تهدف إلى دراسة المناطق الإفريقية والتوغّل داخل القارة[4]، صدر عنها مجلة الجمعية الملكية

---

[1] عبد المالك طاهري، **الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة**، مجلة عصور جديدة، مج10،ع4، ديسمبر 2020م، ص7.

[2] عبد القادر بوباية، **دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسّع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**، مجلة عصور، ع5/4. ديسمبر 2003/جوان2004، ص153.

[3] عبد الجليل رحموني، **اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015م، ص49.

[4] حين قام الاسكتلندي **جيمس بروس** بين عامي (1769–1773) برحلة ونجح في استكشاف مجاهل الحبشة والنيل وبلاد النوبة، ولما نشر رحلته عام 1788م، كان لها وقع في كبير في إنجلترا، وفي هذه السنة بالذات تأسّست اللجنة الإفريقية في لندن، وجعلت نصب عينيها القيام باستكشافات منهجية. للمزيد ينظر: رولان موسنيه، أرنست لابروس، **مرجع سابق**، ص353.

الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا عام 1823م، وبدأت خلالها رحلات استطلاعية كثيرة منها رحلة الإسكتلندي **مونقو بارك (Mungo Park)**(1771-1806)م الذي وصل إلى النيجر عام 1796م والفرنسي **رينيه كاييه (Réné CAILLE)** الذي استطاع الوصول إلى تمبوكتو عام 1828م.[1]

3.1.الاهتمام بالتّنقيب وجمع الآثار:

الواقع أنّ النزعة الإنسانية المهتمّة بالعصور القديمة وبتراثها المادي، على اعتبار أنّ حضارة الرومان واليونان أصل الحضارة الغربية، كان لها كبير الأثر في نشأة علم الآثار، والذي كانت بدايته الحقيقيّة في القرن الثامن عشر، بفضل الرحالة الذين زاروا الكثير من بلدان الشّرق، ولم تكد بدايات القرن التاسع عشر حتى بدأ علم الآثار يأخذ شكلاً أكثر حداثة، صارت له جمعيات وأكاديميات وجامعات خاصة، وهذا أحدث تنافسًا بينها، وعاد بالنّفع على علم الآثار الذي تعدّد علماؤه ومختصّيه وكثرت رحلاته.[2]

يذكر **بايسونال** في إحدى رسائله الموجّهة **للقس بينون(l'Abbé BIGNON)**(1662-1743)م، أنّ رحلته ستكون خليطًا وافرًا من التاريخ الطبيعي لاستكشاف أصناف النباتات، الحيوانات، الأمراض ووسائل علاجها، وأنّه سوف يحاول إدماج عديد الملاحظات حول الجغرافيا القديمة والحديثة، وسيبحث عن المخطوطات الغريبة، والكتابات، والأوسمة والتماثيل[3]

---

[1] احميدة اعميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2002م، ص75.

[2] جمعية الآثاريين الشماليين عام 1823م، معهد المراسلات الأثرية 1829م الذي أصبح في النصف الثاني من القرن 19م منظمة ألمانية بحتة، المدرسة الفرنسية لعلم الآثار عام 1846م. للمزيد ينظر: عاصم محمد رزق، **علم الآثار بين النظرية والتطبيق**، د ط، مكتبة مدبولي، مصر، 1996م، ص21.

[3] ولكن تبقى مسألة المعلومات التي ترسل إلى الجهات والهيئات من طرف الرحالة والتي لا تقبل دون التحقيق فيها، يقول **دودان بيير مونيك -Dondin (Payre Monique)** في مقال له حول آثار الاكتشاف العلمي:" يجب معرفة ظروف وطبيعة الرحلة، وما مدى معرفة الرحالة بالمشكلات التاريخية والأثرية للعالم القديم، وما هي مهاراته الفنية، ومن الضروري إجراء دراسة عن السيرة الذاتية"، وهنا يتّضح المغزى من إزالة الناشر لبعض المقاطع الأثرية والكتابية ولا سيما النقوش الرومانية من رسائل بايسونال. للمزيد ينظر:

Dondin-Payre MONIQUE, **Les Conséquences de la Découverte Scientifique de l'Afrique du Nord sur la Perception de l'identité Européenne**,L'Europe à la Recherche de son identité Congrès National des Sociétés Historiques et Scientifiques, « L'Europe », Lille, 2000. Paris : Editions du CTHS, 2002. p 317.

يقول **دانيال نوردمان (Daniel Nordman)**(1919-1992)م تماشيًا مع التّصريح السّابق للرّحالة في رسالته:" سنرى بايسونال عالم آثار لا عالم نبات...النّموذج الرّوماني قد انتصر بالفعل"[1]، ولعلّ مرجعية **نوردمان** مردّها أنّ الاهتمام بالتّراث في تلك الحقبة جعل ما دون ذلك من المؤلّفات غير مهمّ، وسنرى ملاحظة **دو لامال(De la MALLE)**(1777-1857)م وهي مُوازية لما ذُكر" لا نعرف ما إذا كان **لوجي دو تاسي** قد سافر إلى شمال افريقيا، على أيّ حال لا داعي لأن نهتمّ بكتابه التاريخي البحت، والذي لا يحتوي على أيّ معلومات جغرافية أو أثرية".[2]

إنّ الاهتمام الأوروبي الذي زاد مع بداية القرن الثامن عشر بالآثار التي تركتها روما وبيزنطة في شمال إفريقيا، جعل من الحكومات الأوروبية تفرض على الرحالة والمبعوثين البحث في الآثار، ولعل أهمّهم **بايسونال** و**شاو** و**جيمس بروس(James Bruce)**(1730-1794)م[3]، وقد شجّعتهم معرفتهم الجيّدة باللّغة الكلاسيكية للاهتمام بالحضارات القديمة، **بايسونال** مثلا طبيب ولم يكن متخصّصا في الآثار، لكن نجد في رحلته إلى إيالتي تونس والجزائر قد نسخ ما يقارب مائة نقش[4]، وتحدّث عن مرجعيّة إنشاء الرّومان لمدينة الجزائر" يعتقد البعض أنّ الجزائر هي نفسها جوليا(أو يوليا) القيصرية التي شيّدها يوبا

[1] Nordman DANIEL. **Jean-André PEYSSONNEL, Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, A.E.S.C, 43e Année, N. 6, 1988. pp13-71؛ Morizot Pierre. **La Naissance de l'Archéologie Romaine en Algérie.** H.A.M sous Napoléon III. Actes du 21e colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 8 et 9 octobre 2010. Paris : A. In et Belles-Lettres, 2011, p155.

[2] PEYSSONNEL et DESFONTAINES, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Fragmens d'un Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger, fait de 1783 à 1786**, pub: Dureau de la Malle, Gide, Paris, 1838, px.

[3] **جيمس بروس:** رحالة اسكتلندي من كينبرد، درس المحاماة، وقرر السفر بعدها إلى اسبانيا والبرتغال بسبب ظروف عائلية ألمّت به، وهناك درس المخطوطوات الشرقية، وأرسل بعدها لاستكشاف منابع النيل ... للمزيد ينظر: James Bruce, **Travels**. Abridged edition. Horizon Press, New York, 1964, p10.

[4] بعكس أخيه تشارلز الذي كان عضوا في أكاديمية النقوش، وكان قنصلا في بلاد الشام وميّز نفسه بالعديد من الأعمال الأثرية والتاريخية...ينظر: James Bruce, **op.cit**, p 156.

الثاني اعترافًا بخدمات يوليوس قيصر، لكن هذا الرأي غير مُحتمل، لأنّ الجزائر لا تحتوي على معالم قديمة تُبرهن على قدمها".[1]

يأتي الرّحالة **دي باراداي** بعد خمسين عاما ليؤكّد الرؤية ذاتها" لا شيء يفيد بأنّ مدينة الجزائر مدينة قديمة، ومن المحتمل أنّه تمّ بناؤها من طرف المغاربة، حيث نجد آثارًا شاسعة وحجارة البنايات الكبيرة التّي تمّ استعمالها من طرف الجزائريين في بناء تحصيناتهم".[2]

في تتمّة الحديث اهتمّ **هابنشترايت** أيضا بجمع الآثار الرومانية، يعلّق عليه البروفيسور **ناصر الدين سعيدوني** في ترجمته لكتابه، حيث أرجع سبب اهتمامه لتأثّره بالتوجّه الأوروبي القائم على إحياء معالم الحضارة الرّومانية بشمال إفريقيا، وما يزيد في هذا التوجّس أنّ الرحالة رغم كونه طبيب وعالم نبات، إلا أنّه كان على علم بالتّاريخ الروماني بكلّ تفاصيله ويفهم الكتابة اللاتينية القديمة، وله معطيات تاريخيّة مُسبقة عن كلّ منطقة يهمّ بدخولها ومُقتنع تمامًا بضرورة التواصل التاريخي، ويؤكّد على ضرورة الاستمرار والبقاء لرموز القوّة والتفوّق والحضارة للأوروبي(الآثار الرومانية) في مجال سيطرتها وامتدادها المكاني والزماني[3]، وهو التوجّه نفسه الذي كان عند الرّحالة الإنجليزي **توماس شاو** فعند تحدّثه عن البعد بين تونس ومدينة شرشال، يقول أنّه لو قدر لنا السفر في العهد الروماني، فإن المسافة ستكون نفسها بين قرطاج والقيصرية.[4]

---

[1] جون أندري بايسونال، **رحلة إلى إيالة الجزائر**، ط1، كوكب العلوم، تر، تع: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م، ص166.

[2] فونتير دي باراداي، **الجزائر خلال القرن الثامن عشر**، د ط، كوكب العلوم، تر، تع: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م، ص11.

[3] إنّ هذا الاعتزاز المفرط بالمرجعية الرومانية؛ يؤيده العديد من زعماء الحركة الإنسانية، التي ترى أن كل ما جاء بعد الحضارة الرومانية هو ضرب من الهمجية والتخلّف.[إنّ هذه الذهنية ليست شاذّة بل هي تتماشى تماما مع الفكر الأوروبي خلال هذه الفترة، ولو قارنا بينها وبين الرحلات العربية نجد أن المرجعية الدينية طاغية في الوصف العربي تأثّرا بالرحلات العلمية والحجازية، ولو اخترنا مثالا رحلة العياشي في وصفه للصحراء"بعدما قطعنا قربها ونظرنا إلى مايحار النظر في كثرتها وصعوبتها... علمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل: اللهم صل على سيدنا محمد عدد الرمال"]. ينظر: ج. أ.هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص 13؛ لورانس أم برينسيبيه، **مرجع سابق**، ص19.

[4] [القيصرية هي شرشال وليست مدينة الجزائر، لأنّ **شاو** كغيره من الرحالة الأوروبيين أدرك أنّ القيصرية بعد التنقيب عن الآثار ليست مدينة الجزائر بل هي شرشال، الدكتور ناصر الدين سعيدوني يوضّح أيضا الخطأ الذي وقع فيه **هابنشترايت** في مؤلّفه الذي ترجمه (رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى تونس والجزائر)في الصفحة 26]. ينظر:

Thomas Shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger, ou Déscription Géographique, Physique, Philologique, etc. de cet état**, Tr: Mac Carthy, Monographie Imprimée, Paris, 1830, p272.

إنّ المرجعية الرومانية هي ما يؤمّن به الرّحالة المستكشفون، وهو ما دفع الفرنسيين لاستعادة فردوسهم؛ معتبرين أنفسهم الورثة المباشرين للإمبراطورية الرّومانية، جاءوا لاسترجاع ما ضاع منهم من أرزاق وممتلكات، أمّا السّكان الأصليون فقد نظروا إليهم على أنّهم نوميديون متخلّفون وبدائيون[1]، ومن خلال كلّ ما ذكرنا يمكننا أن نتحقّق من مقولة **فريديريك ميتشل(Frederic Metchell)**(1893-1979)م:" أنّ السفر ليس رحيلاً جغرافيّا فحسب، وإنّما هو دنوّ تاريخي من الذات".[2]

ومع ذلك هناك وجهة أخرى يُناصرها الرّحالة **توماس شاو** والمنتمي للكنيسة الأنجليكانية، أنّ التنقيب عن الآثار يقع ضمن ما يسمّى ب «علم الآثار التوراتي» والذي يتركّز اهتمامه حول الخلفيّة التاريخية للتوراة، يقول **فريديريش ديلتش(Frederich Delitch)** (1850-1922)م في مقدمّة كتابه (بابل والكتاب المقدس):" ما الداعي لبذل كلّ هذا الجهد في تلك البلاد البعيدة والخطرة؟ لماذا هذا التنقيب المكلّف في التّلال المتراكمة؟ لماذا التنافس بين الأمم على حجز حقّ التنقيب؟ إنه ودون شك الكتاب المقدس".[3]

يؤيّد هذه النّظرة الفرنسي **دو لامال** في تقديمه لكتاب (رحلات في ولايتي تونس والجزائر) "لا شك في أنّنا نشجّع على مُضاعفة المصادر القديمة بقدر ما هي في داخلنا، والتّي لا تزال وحدها قادرة على تزويد العلم بملاحظات قيّمة ومفيدة"[4]، هذه النظرة التي ستتغيّر تماما بعد عام 1830م، حيث تمّ دحض الرؤية العلمية من قبضة اللاهوت، وتمّ دراسة الآثار بعيدًا عن المرجعيّة التوراتية.

ولو أردنا ربط العلاقة بين التنقيب عن الآثار الرّومانية والاستطلاع الذي يُفضي في عموم أهدافه إلى التوسّع، نجد أنّ المدرسة الفرنسية ظلّت مُحافظة على الرُّؤية القديمة للشّرق،

---

[1] [إنّ هذا التوجّه لديه ما يدعمه، إذ أنّ شمال إفريقيا في التاريخ القديم كان جزءً من البحر المتوسط، وكان خاضعا بأكمله إلى النفوذ الروماني]. ينظر: عز الدين موزو، **مرجع سابق**، ص23.

[2] ابو شعيب الساوري، **مرجع سابق**، ص6.

[3] محمد الأسعد، **مستشرقون في علم الآثار- كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ**، د ط، الدار العربي للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م، ص7.

[4] PEYSSONNEL et DESFONTAINES, **op.cit**, p VIII.

ورأى المنظّرون للاستعمار الفرنسي كذلك في غزوهم للجزائر، أنّ التاريخ يعيد نفسه وأنّ السّابقة الرومانية هي إثبات تاريخي خاص بالاستعمار وحده، والذي يتمثّل في إعادة الإنجاز الرّوماني، والذي تكفلّت فرنسا باستعادته نيابة عن أوروبا كاملة.[1]

2-الاستشراق وأهمّ الدوافع والمعايير والمدارس

أخذت العلاقات بين الشّرق والغرب طابعا نسبيًا، بسبب الصّراع الطّويل بين الإسلام والمسيحية، حاول الغرب فيها معرفة كلّ ما يجري من أحداث في العالم الإسلامي فاستحدث ما اصْطلِح عليه الاستشراق، هذا الأخير الذي لعب دورًا فعالاً في دفع الكثير من الرّحالة لزيارة الشّرق، ودراسة واقعهم السّياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لفهمه ومعرفته والكتابة عنه، هذه الكتابات التي تعتبر جزءً لا يتجزّأ من نشاط الاستشراق، وآثار المستشرقين حلقة هامة من تراث الإمبراطوريات المستعمرة التي ترغب بتوطين نفسها في المستعمرات أطول وقت ممكن.[2]

وبما أنّ أغلب الرحالة في القرن الثامن عشر قد جابوا الشّرق بمختلف تخصّصاتهم؛ مكلَّفين بمهام علميّة لاستكشاف النُّصب والآثار، فقد مهّد الاستشراق طريقهم، وبتدعيم من حكوماتهم، رسموا للرّحلة قواعد وقوانين تأتي في مقدّمتها حصر الرحلات التي تنجز للتاريخ والأدب، وفتح المجال لما دون ذلك من دراسات الجيولوجيا والنباتات والعلوم الأخرى، وكانت الرحلة الناجحة في نظرهم هي التي تقتضي الإقامة في بلد ما، ثم أخذ الوقت اللازم للارتباط برجالاتهم كي يتسنّى لهم فهم الأمور عن كثب، وهذا يوضّح جليّا أنّ الاستعمار الأوروبي إنّما درس أوضاع البلدان، وأدرك مواطن الضّعف فيها قبل احتلالها، مستعينًا بالدراسات

[1] يمينة شيبان، **الجمعيات العلمية الجهوية ودورها في تأسيس المتاحف الأثرية بالجزائر خلال القرن19م**، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج7، ع1، جوان2021م، ص ص 343، 344.

[2] لخضر شلبي، **نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**، ط1، دار الفكر، الجزائر، 2006م، ص26.

الاستشراقية بالبحث والتنقيب في مكتبات أوروبا، أو عن طريق البحث الميداني من خلال الرحلات الاستكشافية.[1]

1.2.ماهية الاستشراق:

هو نشاط فكري نشأ في أوروبا، اتخّذ الشّرق مادة وموضوعًا، وهو علم يدرس لغات شعوب الشّرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاهم وماضيهم، لكن ليس بعقله الأكاديمي الباحث عن الحقيقة، بل بدراسة الشّرق كما يريد أن يكون وليس كما كان[2]، لأجل الهدف الأساسي وهو خدمة لسياسة التبشير أولا، وخدمةً لأغراض الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين ثانيا. [3]

ظهر مصطلح مستشرق في إنجلترا عام 1789م، ثمّ في فرنسا عام 1799م، ليعمّ بعدها بقيّة أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر[4]، ثمّ أضيف إليه مصطلح الاستشراق الذي حصره قاموس إكسفورد عام1830م «العالم المتضلّع بلغات الشرق وآدابه وتاريخه» بينما عرّفه الغربيون واختلفت مفاهيمهم نحوه، منها تعريف **سمايلوفيتش**،الذي وضّحه على أنّه هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغضّ النّظر عن وجهة المُشتغِل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[5]

أمّا من وجهة نظر العرب فقد كانت زاوية تعريفهم لمفهوم الاستشراق أعمق وأوسع ،يرى الباحث **علي ابراهيم النملة** والذي وافقه فيه الكثير من الباحثين" أنّ المستشرق هو الباحث والمفكّر غير المسلم سواء كان شرقيًا أم غربيًا، هذا بالإضافة إلى العربي غير المسلم، الذي يتحدّث عن الإسلام بعنجهية المستشرقين".[6]

---

[1] إبراهيم بن عمار، **الاستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط**، أطروحة دكتوراه في العلوم تخ: علوم سياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة وهران2، وهران، 2019م، ص ص21، 23.

[2] لخضر شلبي، **مرجع سابق**، ص26.

[3] عبد الرحمن حسن الميداني، **أجنحة المكر الثلاث وخوافيها، الاستشراق، التبشير، الاستعمار**، ط8، دار القلم، دمشق، 2000م، ص115.

[4] لخضر شلبي، **المرجع السابق** ص28.

[5] أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 1.

[6] إبراهيم بن عمار، **مرجع سابق**، ص 23.

لإدوارد سعيد(1935-2005)م مفهوم مغاير للاستشراق، إذ أنّ دراسة الشّرق في نظره ما هي إلا خدمة للاستعمار[1]، وأنّ الشّرق ما هو إلاّ اختراع واختلاف لغوي إيديولوجي لا صلة له بالشّرق الجغرافي، لأنّه سواءً تناولت اللغة والعادات... الخ، فإنّما الهدف هو تحقيق السّيطرة والهيمنة الثقافية والإمبريالية على الشّعوب[2]، فاتخاذ الشّرق للدراسة والأبحاث المعرفية هو فضاء إيديولوجي لممارسة الهيمنة والسّلطة الإستعمارية.[3]

بينما يرى المفكّر الانجليزي **تييري هنتش(Thierry Hentch)**(1944-2005)م أنّ الشرق في المخيال الغربي ليس هو الشّرق، فهو شرق أعيد بناؤه وإنتاجه داخل الثقافة الغربيّة فهو شرق فنيّ لا واقعي.[4]

2.2.الدوافع الرئيسية للاستشراق

للاستشراق دوافع كثيرة، إذ كان الاستشراق الأوروبي قد نشأ في عقدة تفوّق الإنسان والعقل الأوروبي، وكان المثقّف والسّياسي والمستشرق يرى أنّ التاريخ بدأ من أوروبا[5] وحين بزغ عصر النهضة وتبلور الفكر الاستعماري، احتاجت الدّول الأوروبية الطّامعة في البلاد

[1] بما أنّ الاستشراق ارتبط بالمدّ الاستعماري والجوسسة والآراء المغرضة حول المجتمعات الإسلامية، في الوقت الراهن آل هذا المصطلح إلى إعادة النّظر في مفهومه، وعمد الغربيون إلى التقليل من استعماله، لأنه ارتسم في ذهنية الشرقيين بصورة سلبية، يقول المفكر **هيجو(Hugo)** في مقال له بعنوان« ماذا نعني بالشرق» نُشر في مجلة الشرق الفرنسية "حين أعلنا بأنّ الجمعية تهتمّ بالشرق، طُلب منا ماذا نعني بالشرق، فالشرق بالنسبة لنا ليس هو ذاك المحدد بالأقطار المنضوية تحت لواء الامبراطورية العثمانية؛ بل هو العالم كله تقريبا عدا أوروبا وأمريكا". للمزيد ينظر:
Albert HUGO, **Ce que Nous Entendions par l'Orient**, Revue de l'Orient، T 01, CahiersI à IV, Paris, 1843, p6.

[2] الواقع أنّ بعضًا من المستشرقين بغضّ النّظر عن الهدف الاستعماري، قاموا بنفض الغبار على الكثير من المخطوطات وقاموا بتحقيقها وترجمة بعضها إلى لغاتهم، كما قاموا بدراسة الحركات السياسية والمذهبية والدينية استنادا إلى مصادر كانت مغيّبة. للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي" تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999م، ص5.

[3] إدوارد سعيد، **الثقافة والامبريالية**، ط3، دار الآداب، تر: كمال أبو ديب، بيروت، 1998م، ص10.

[4] بيير جوردا، **الرحلة إلى الشرق، رحلات الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر**، ط1، الأهالي للطباعة والنشر، تر: مي عبد الكريم، د. س. ن، ص14.

[5] يرى سمايلوفيتش أن للاستشراق سبع دوافع: نفسية واجتماعية واقتصادية وإيديولوجية ودينية واستعمارية وعلمية، وهناك دوافع ثانوية وهي أسباب شخصية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم في السفر والترحال والإطلاع على الآخر، للمزيد ينظر: أحمد سمايلوفتش، **مرجع سابق**، ص23.

الإسلامية إلى زاد من الدّراسات الشّرقية[1]، لأجل هذا وجّهت الدّوائر الاستعمارية أعدادًا من المتعلّمين للتفرّغ للدراسات الشّرقية من جوانب عدة: لغوية ودينية واجتماعية وتاريخية وسياسيّة، ثمّ عمدت إلى تأسيس المؤسّسات الاستشراقية (معاهد وجمعيات وجامعات ...) ثمّ أخذ فريق من المستشرقين في التآليف، والمطّلع عليها سيلمس الدّوافع والغائية منها.[2]

1.2.2. الدافع الديني:

إنّ أوّل من رفع راية الاستشراق هم الرهبان والقساوسة، مدفوعين برغبة الانتصار للمسيحية، والطّعن في الإسلام وتشويه محاسنه، على اعتبار أنّه دين لا يستحقّ التبعيّة والانتشار[3]، يذكر **محمد البهي** أنّ السّبب الرئيس الذي دعا الأوروبيين إلى الشّرق هو الدّافع الدّيني، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين آثارا مريرة ومرهقة.[4]

صرّح المفكر الفرنسي **غابرييل هانوتو(Gabriel HANOTAUX**)(1853-1944)م بعد أن احتلت فرنسا الجزائر" لقد أصبحت اليوم إزّاء الإسلام والمسألة الإسلامية"[5] وصرّح أيضا أنّه لا بدّ من العمل على إضعاف وتفكيك الرابطة التي تجمع المسلمين شرقا وغربا، وهو الهدف من نشاط المستشرقين[6]، وبعد أن رأوا الحضارة الحديثة التي زعزعت أسس العقيدة،

---

[1] بينما أروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في العصور الوسطى، إنما كانت تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته وإثراء ثقافتها، وبعد عصر الأنوار تغيّرت النظرة، إذ باتت دراسة الفكر الإسلامي لا من أجل تعديل ثقافي فحسب؛ بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية. ينظر: مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة (القضايا الكبرى)**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000م، ص169.

[2] منصف بوزفور، **المدارات الشرقية والاستشراق**، د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2014م، ص200.

[3] عبد الرحمن حسن الميداني، **مرجع سابق**، ص128.

[4] عبد الرحمان عميرة، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، د ط، دار الجيل، بيروت، ص94.

[5] **هانوتو**: مستشرق فرنسي ومستشار وزارة الاستعمار الفرنسية، والمقولة إنما جزء من مقال نشر في جريدة المؤيّد مطلع القرن 19م، وهذا مقطع منه« في تلك البقعة الإفريقية التي أصبحت مقر ملك الإسلام، جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته...جاء القديس لويس ليضرم نيران القتال في مصر وتونس، وتلاه لويس 14 في تهديده للإمارات الإفريقية الإسلامية، وعاد هذا الخاطر لنابليون الأول، ولم يوفّق الفرنسيون إلا في القرن 19م" للمزيد ينظر: محمد البهي، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار**، ط3، د. د. ن، القاهرة، 1961م، ص19.

[6] **محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة**، ط1، دار قباء، مصر،1999م، ص ص 18– 19.

وبات الغربيون يشكّكون بكلّ التعاليم التي يتلقّونها؛ لم يجدوا بدًّا من صرف أنظارهم بتجديد الهجوم على الإسلام، فأقبلوا على الاستشراق لكي يتسنّى لهم تجهيز الدُعاة لنشر دينهم.[1]

وهنا نخرج باستنتاج أنّ الدافع للاستشراق في بدايته كان لعرقلة تيّار التحوّل من المسيحية إلى الإسلام، ثم تطوّر إلى تشكيك المسلمين في عقيدتهم بزعزعة المُثل العليا وإثبات تفوّق الحضارة الغربية[2]، ثمّ التقت مصلحة المنصّرين مع أهداف المستعمرين وأقنع المنصّرون زعماء الاستعمار، بأنّ النصرانية قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وهكذا سهّل الاستعمار لهم مهمّتهم وبسط عليهم حمايته.[3]

2.2.2. الدافع الاستعماري:

رأت الدوائر السياسية أنّ حاجتها التوسّعية؛ تقتضي أن يكون لها في قنصلياتها سُفراء لديهم زادٌ من الدّراسات الاستشراقية، ليقوموا بمهمّات سياسية متعدّدة في البلاد الإسلامية، وكانوا مُلزمين بإعطاء صورة سيّئة لكي يبرّروا العُدوان العسكري وأغلبها حججٌ وذرائع واهية، لإظهار أنّ استعمارها إنّما هو قضية عادلة.[4]

لكي يتسنّى لهم التوسّع، كان لابد لهم من معرفة ما يجهلونه عن الشّرق وأبواب السيطرة عليه، فاتّجهوا لدراسته في كلّ شؤونه الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والجغرافية، وكانت دراسته تخضع لقوالب وحدود فكرية وعلمية محدّدة مسبقا، ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية، خصوصا بعدما دبّ الضّعف في الإمبراطورية العثمانية، كان من أهداف الدراسات الاستشراقية هو إضعاف المقاومة الروحية وبثّ الوهن في نفوس المسلمين قصد السيطرة على البلاد والعباد.[5]

---

[1] عبد الرحمان عميرة، **مرجع سابق**، ص94.

[2] صالح حمد حسن الأشرف، **الاستشراق مفهومه وآثاره**، كلية الشريعة، قسم الثقافة، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2016م، ص16

[3] عبد الرحمان عميرة، **المرجع السابق**، ص94.

[4] **نفسه**، ص95.

[5] عبد الرحمن حسن الميداني، **مرجع سابق**، ص130.

ولأنّه من الصعوبة وضع حدود فاصلة بين الاستشراق والتّنصير والاستعمار (الجانب الديني هو محرّك الشعوب دائما)، تعانقت حركة الاستشراق مع الحركة الاستعمارية، ليس فقط كفرع، وإنّما كأداة استطلاع وكشف جديد لمواطن الشعوب، بوصفه حقلاً جغرافيًا سيعمل الاستعمار لضمّها لممتلكاته[1] "

تلقّف الاستعمار هذه الحركة، وكان ملوك الدول الاستعمارية رُعاتها، وكان قناصلهم في بلدان الشرق عمّالها"[2] حيث استفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي، كما أنّه عمل على تعزيز موقفه وجنّد طائفة كبيرة لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه، كما عمل البعض من المستشرقين كمستشارين لوزارة الخارجية وللقناصل[3]، وكانوا على اتصال بوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات يتردّدون على رجالاتها، لمعرفة ما جدّ وتغيّر من القرارات، وإنّ هذه الرحلات التي يقومون بها إلى بلاد الشرق بين حين وآخر، ليست بعثات علمية كما يزعمون، وإنما بعثات سياسية...[4]

إذن نستخلص مما ذكرنا، أنّ الكثير من المستشرقين وظّفوا علمهم بالشرق لخدمة المصالح السياسية لبلدانهم، على نحو مُعلن أحيانا وخفيّ أحيانًا أخرى، ومثال ذلك اعتماد **نابليون بونابرت** على جهود المستشرقين عند غزو مصر، آخذا بمشورتهم ونصحهم وتوجيههم واستخدام معرفتهم بغرض السيطرة والتوسع[5]، منهم المستشرق **بيير أميدي جوبير(Pierre Amédée JAUBERT**)(1779-1848)م[6] الذي كان مستكشفًا سياسيًا متخصّصًا في الأنظمة

---

[1] منصف بوزفور، **مرجع سابق**، ص44.

[2] زكريا هاشم زكريا، **المستشرقون والإسلام**، ط1، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، بيروت،1965م، ص 20.

[3] محمد حمدي الزقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ط1، دار المعارف، القاهرة، د. س. ن، ص48.

[4] إدوارد سعيد، **الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق**، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، تر: محمد عناني، القاهرة، 2006م، ص40.

[5] محمد عبد الله الشرقاوي، **الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر(دراسة تحليلية تقييمية)**، ط1، دار العلوم، مصر، د. س. ن، ص70.

[6] **جوبير**: من مواليد مدينة ايكيس آن بروفانس بفرنسا، انتقل مع عائلته إلى باريس والتحق بالمدرسة المتعددة التقنيات، ثمّ توجّه إلى مدرسة اللغات الشرقية الحيّة التي أنشأت عام 1795م، وشرع في دراسة العربية والفارسية والتركية، ثمّ صار عضوا في هيئة المترجمين ولم يبلغ التاسعة عشر، عُيّن استاذ اللغات الشرقية عام 1800م، وكُلّف بمهمّة لدى دول المغرب العربي عام 1802م، والقسطنطينية عام 1804م لإبلاغهم بارتقاء نابليون لسدّة الحكم... للمزيد ينظر: محمد العربي معريش، **الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية(1822-1872)م**، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م، ص103.

السياسية، وكذلك المستشرق **فونتير دي بارادای** الذي عيّنه **بونابرت** رئيسًا للمترجمين في الحملة الفرنسية ومستشارًا في الشؤون الشرقية[1]، إذن يمكننا القول أن الاستشراق هو الوجه الفكري للاستعمار، وخطاب بعض المستشرقين وُلد في أحضان الاستعمار.[2]

3.2.2. الدافع الاقتصادي:

كانت الحروب الصّليبية ذات طابع اقتصادي ديني، وتبيّن لاحقًا أنّ النّشاط الاستشراقي مرتبط بهذه الحروب، وقد برزت أهدافه واضحة في العصر الحديث، إذ كان دعاة التنصير يرون في بسط النّفوذ الأوروبي على بلاد الشرق؛ فرصة كبرى لتحقيق أهدافهم، ومن ثمّ قدّموا خلاصة دراستهم الاستشراقية لحكوماتهم، لأنّ السبيل الوحيد للسّيطرة هو معرفة أحوال الشّرق ومكامن القوة والضّعف فيه.

كما أنّ الدّافع من الغزو الاقتصادي هو الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسّسات المالية، واستغلال الثروات الباطنية والموارد الطبيعية، وإماتة الصناعات التقليدية، لتكون بلاد الإسلام بلاد استهلاك لما تصنعه الآلة الغربية، وضمن هذا الدافع وَجّهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمّ بالدّراسات الاستشراقية، ليكونوا وسطائهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهمّاتهم ومطالبهم الاقتصادية، وقد ظهر فريق من الباحثين العلميين، اهتموا بالدراسات الاستشراقية، وكان هدفهم الربح المادي من وراء التآليف التي تدرس الشرق وتراثه.[3]

---

[1] عمر جاسم، **فونتير دي باراداي جون ميشال(1739-1799)**م، المركز الإسلامي للدراسات التاريخية، ع1، جوان2012م، ص2.

[2] قبل احتلال الجزائر أوفدت فرنسا إلى تونس عددا من المخبرين المستشرقين في أفريل عام 1830م ممن هم على دراية بالثقافة العربية والإسلامية منهم: **دوبينوسك(Do Binosc)**، **جيراردان(Jirardin)**، وقام هؤلاء بدور كبير لصالح الاحتلال، وتوصّلوا إلى معرفة العوامل الممكنة لنجاح الحملة. ينظر: احميدة اعميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، ط1، دار البعث، الجزائر، 2002م، ص66.

[3] عبد الرحمن حسن الميداني، **مرجع سابق**، ص 131.

4.2.2. الدافع العلمي:

أقبل القليل من الباحثين على الدراسات الاستشراقية، بدافع حبّ الاطلاع على حضارات الأمم الأخرى، فكانت بحوثهم أقرب للمنهج العلمي السليم، ولأنّ موارد هؤلاء المادية قليلة لا تسعفهم إلى الانصراف لمثل هذه البحوث، فقلما يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الدراسات الاستشراقية، نذكر منهم **فونتير دي بارادای**، الذي أرسل إلى الايالة عام 1788م، لمساعدة **دو كيرسي** في التفاوض مع الباي.[1]

3.2. معايير الاستشراق لدى الدول الأوروبية

إنّ الدول الأوروبية في استقبالها وتطبيقها للاستشراق، إنّما عرفت مذاهب وتيارات كثيرة وأنتجت مدارس لها ميزاتها في فهمها للاستشراق معنًى وغاية، كما استخدموا المجلات والدوريات لبثّ أفكارهم، وعرضوا فيها لغاتهم وأديانهم وعلومهم وآدابهم وتاريخهم قديمه وحديثه، ونشروا المخطوطات والوثائق.[2]

1.3.2.الاستشراق الفرنسي:

إنّ من أسباب ظهور الاستشراق الفرنسي هو ما يدخل في سياسة الدول الأوروبية الكبرى، التي تتطلّع وقتئذ إلى التوسّع شرقا لغرض السيطرة والنهب، والتعرّف على ما يمكن أن يكون سوقًا لبضاعتها الفكرية ولإنتاجها الاقتصادي وميدانًا لأعنّة سياستها، وكانت الجزائر أولى أقاليم المغرب الاسلامي[3]، التي تعرّضت إلى حملة قادها مستشرقون أوروبيّون وعلى رأسهم الفرنسيون، إذ هيأوا الأرض الخصبة لنجاح غزو الجزائر.

---

[1] فريد بنور، **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر(1782-1836)**م، ط1، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص107.

[2] « إنّ فكرة الغزو التي تراودهم لا تكفيها القوة العسكرية وحدها لضمان النصر، بل وجب أن تدعمها قوة أخرى إعلامية ودعائية تعمل عملها النفسي تمهيدا للعمل المباشر، وهو مبدأ حربي قديم تنوّعت وسائله وأساليبه، وتعّددت أهدافه مع الزمن». ينظر: عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)**، ط م، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010م، ص21.

[3] **محمد العربي معريش، مرجع سابق**، ص28.

إلى جانب التّنصير كان للاستشراق دوافع اقتصادية وتجارية وعلمية، فبعد أن كانت الكنيسة راعية الاستشراق، انضمّت الدولة وقدّمت له كل ما يحتاجه من دعم مادي، وباتت دراسة الشرق مهمّة رسمية حكومية، تناحرت الدول الأوروبية فيما بينها على تطويرها، بعد أن حلّت مقاييس السياسة الاستعمارية، محلّ المقاييس الدينية في محور العلاقة بين أوروبا والشرق الإسلامي[1]، ولأجل هذا أُنشأت المكتبات منها« مكتبة باريس الوطنية» التي أنشئَت عام 1654م، والتي تحتوي ما يفوق سبع آلاف مخطوط من نفائس الكتب العربية.

كذلك أنشأت المجلات التي تُعنى بالشرق الأدنى وشمال إفريقيا؛ تصدر عن الجمعيات والمعاهد والإدارات الحكومية والهيئات الخاصة، من أشهر هذه المجلات« صحيفة العلماء» 1665م، «المجلة الآسيوية» التي تصدرها «الجمعية الآسيوية» الفرنسية في باريس، والتي تأسّست تحت رعاية **دوق أورليان (Philippe d'Orléans)**(1640-1701)م، ترأسّها **دو ساسي(Silvester de SACY)** (1757-1838)م[2]عام 1820م وتولّى تحريرها **كارتمير**، تُعنى هذه المجلة بتاريخ العرب وطباعته وتصنيفه، حتى عُدّت من أوسع المصادر وأوثقها.[3]

كما أنشأت المطابع التي تُعنى بالشرق، إذ أمر **لويس 13** صانعا ماهرا بحفر سبع لغات، ثم أمر **لويس 14** بمصادرة الأحرف العربية من مخلّفات مطبعة **بريف** وضمّها إلى المطبعة قبيل بدايات القرن 18م[4]، ولما أنشأ نابليون في القاهرة مطبعة عربية وفرنسية عام 1798م، أسند مهمّة الإشراف على مطبوعاتها **لفونتير دي بارادي**، وكانت المطبعة آنذاك تحمل اسم « مطبعة جيش الشرق» ومع انتقالها من الإسكندرية إلى القاهرة أُطلق عليها اسم «

[1] محمد ابراهيم الفيومي، **الاستشراق رسالة استعمار**، ط1، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1993م، ص 180.

[2] **سلفستر دو ساسي:** هو انطوان إيزاك سلفستر ، تلقى تعليمه الخاص في دير بندكي، فبدأ بدراسة اللغات العربية والسريانية والكلدانية ثم درس العبرية، وعيّن في عام 1769م أوّل معلم للغة العربية في مدرسة تسمّى مدرسة اللغات الشرقية الحيّة، ثم صار مديرا لها عام 1824م، في عام 1806م رشح لمنصب الأستاذية في كوليج دي فرانس، مع أنه كان يشغل منذ عام 1805م منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية، على الرغم من تأييده للنظام الملكي قبل العضوية في برلمان باريس ضمن الهيئة القانونية لعام 1808م، منحه نابليون لقب بارون عام 1813م... للمزيد ينظر: إدوارد سعيد، **الاستشراق والمفاهيم** ...، مرجع سابق، ص212؛ محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص 106.

[3] نجيب العقيقي، **مرجع سابق**، ج1، ص147.

[4] **نفسه**، ص 161.

المطبعة الأهلية» واتّخذ لها دار **عثمان بك الأشقر** بالأزبكية على مقربة من بيت الألفي بك الذي نزل به نابليون، ثم تمّ نقلها إلي الجيزة أثناء ثورة القاهرة الثانية عام 1800م، وفي هذه المطبعة كانت تُطبع منشورات نابليون بالعربية.

كانت هناك مطبعة ذات أحرف إفرنجية لصاحبها **مارك أوريل**(**MarkAuréle**)(1780-1805)**م** وهي التي قامت بطبع الأعداد الأولى من جريدة « كورييه دي ليجيبت»، إلى أن تمّ نقل المطبعة إلى القاهرة ولما عاد **مارك أوريل** إلى فرنسا باع مطبعته للحكومة.[1]

وقد كان للجزائر بالغ الأهمية عند المستشرقين الفرنسيين، وذلك من خلال الدراسات التي تعرّض لها بالدراسة مجموعة من الجامعيين ورجال الأعمال والعسكريين والصحفيين والمؤلفين العسكريين والمغامرين، الذين كان هدفهم يقتصر على المناطق التي سيتمّ احتلالها والولوج إلى أفئدة الشعوب المزمع تأمين انقيادها، لأن فهم الذهنية هو تسهيل لإدارتها في النطاق الاستعماري[2]، لأجل هذا تعرّضوا إلى نمط الحياة عند الجزائريين، ووقفوا على نقاط الضعف والقوة، وركّزوا أيضا على الخصوصية الدينية والثقافية ومسألة الهوية، واهتمّوا بمواضيع اللغة واللهجات المحلية والعادات والتقاليد والتمايز الثقافي بين السكان، وعملوا على تأكيد أنّ الجزائر امتداد طبيعي لفرنسا.

ولو عدنا إلى كتابات **ديفونتان** و**بايسونال** و **دي باراداي** سنجد نواةً لذلك الاهتمام، فالجزائر جزأ لا يتجزأ من الشرق الذي كان قِبْلةً ومجالاً لاهتمام واجتهاد المستشرقين، والسيطرة على الأوضاع فيه تُبنى على اقتراحاتهم وتوجيهاتهم، والتوسّع مبني على نتائج دراساتهم.

[1] عمرجاسم محمد، **جان ميشيل فونتير دي باراداي(1739-1799)م**، وحدة الدراسات الاستشراقية، ع1، 2012م، ص1.

[2] محمد ابراهيم الفيومي، **مرجع سابق**، ص 180.

فعندما تأزّم الوضع بين الجزائر وفرنسا عام 1827م، وبدأ التفكير في حملة ضد حكومة الداي[1]، أُرسل جملة من الرحالة للإطلاع على أحوال البلاد بشكل أكثر دقة، اعتمدوا على مؤلفات سابقيهم؛ بل خرجوا بمشاريع لغزو الجزائر.

وهناك من درس مؤلفاتهم دراسة كولنيالية، كما فعل **كليرمونت دوتونير (Clermont de TONNERE)**(1629-1701)م الذي عرض خطّة الاحتلال على البرلمان الفرنسي بحضور الملك **شارل العاشر (Charles X)** (1778-1836) م في أكتوبر 1827م[2]، كما ترجم الفرنسيون أعمال زملائهم الأوروبيين والأمريكيين عن الجزائر، مثل ما كتبه الكتور**شاو** والقنصل الفرنسي **وليام شالر(Challer)**[3]، وفرنسا في استعمارها كانت تراهن على مستشرقيها كما تراهن على جيوشها، بل كانوا في طليعة الجيوش مترجمين وموجّهين، بيد أن ما يميّز الاستشراق الفرنسي هو استخدامهم للهجة الجزائرية بدل الفصحى لاعتبارات توسعيّة بحتة.[4]

2.3.2.الاستشراق الانجليزي:

توافد المستشرقون الانجليز على المشرق الإسلامي بغرض الدراسة كواجهة مبدئية: تحت قناع الغايات السياسية والدوافع النفسية، فاختلفت الاتجاهات والاهتمامات، وساهمت الكنيسة في فتح نافذة التعرّف على العالم الشرقي وإدراك حيثياته ودراسة تفكيره وعاداته وتقاليده، حتى يَسهُل مراقبتهم عن كثب، وبالتالي تهيئة الأجواء للاحتلال الرسمي، ويمكن القول أنّ القرن السابع عشر هو الانطلاقة الحقيقية للاستشراق الإنجليزي.

---

[1] ابو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، دار الغرب الاسلامي، ج6، بيروت، 1998م، ص9.

[2] محمد العربي معريش، **مرجع سابق**، ص136. بالنسبة التي وضعها كليرمونت ينظر: Le Marquis de Clermont TONNERRE, Ministre de la Guerre, et le Renforcement de l'Armée Française sous Charles X (1825-1828), Revue Historique des Armée, p93-104

[3] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص10.

[4] بالنسبة للبيان الفرنسي الذي وُزع على الجزائريين، حرره **كليرمونت** بالفصحى غير أن **دو ساسي** وبمعيّة **دوبيانشي** أعادا صياغته للغة العامية الدارجة، اللغة الجزائرية الدارجة لم تكن اجتهادا من طرف **دو ساسي** وباقي مؤسسي الجمعية الآسيوية، بل كانت كرسيّا منتظما في مدرسة اللغات الشرقية. ينظر: جغلولي يوسف، تالي جمال، **الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل(دراسة نقدية لبعض الأعمال الاستشراقية الفرنسية)**، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مج2، ع6، جوان2017م، ص514؛ محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص ص137، 160.

بيد أنّ الدراسات التي أُقيمت عن الشرق اصطبغت بصبغة الذاتية والميول الفردي في الشرح والتحليل، لأنّها كانت مرتبطة كليّا بالعقيدة الدينية[1]، وفي مطلع القرن الثامن عشر ازدهر الاستشراق متأثّرا بعوامل عدة، منها إنشاء كرسيين جديدين للغة العربية في جامعتي اكسفورد وكمبريدج.

استمرّ هذا الازدهار بفضل ما نشره علماء حملة **نابليون**، وتخريج مدرسة **دو ساسي** جيلا كاملا من المستشرقين[2]، وفي القرن التاسع عشر استمرّ هذا الازدهار خصوصًا الدراسات العربية بفضل إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة لندن وتأسيس الجمعيات الآسيوية وإصدار مجلاتها، وإتاحة الفرصة لمعظم المستشرقين لزيارة الشرق، فتوافدوا من مختلف الجامعات الأوروبية، وتبِعهم عدد كبير من الرحالة والرّواد والعلماء.

4.2.مدارس تكوين الرحالة المستشرقين

نظرا لإدراك الدول الأوروبية لأهميّة الاستشراق في التوغّل داخل الشعوب، أنشأوا المدارس والجامعات، هذه المنشآت الأكاديمية التي تخرّج منها العديد من الرحالة الذي زاروا الجزائر.

1.4.2. المدرسة الفرنسية: أُنشأت مدرسة اللغات الشرقية في باريس عام 1795م، للسفراء والقناصل والتجار والرحالة إلى بلدان الشرق، أُسوة بمدرسة اللغات الشرقية التي أنشأتها أمّ الإمبراطورة **ماري انطوانيت (Marie Antoinette)**(1755-1793)م **الإمبراطورة ماريا تيريزا(Maria Teresa)** (1717-1780)م في فيينا[3]، كما شكّلت هذه المدرسة المنبع الذي يمدّ الإدارة الاستعمارية بالمترجمين والمختصين في مختلف المجالات خصوصا مع ظهور حركة جمع المخطوطات والكتب النادرة التي تخصّ الفترة العثمانية في الجزائر.[4]

---

[1] فاطمة الزهراء ضيف الله ، **التاريخ الإسلامي من منظور الاستشراق الإنجليزي لويس برنارد أنموذجا**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: التأويلية والخطاب، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2020م، ص ص12، 13.

[2] عائشة البيرق، **الاستشراق والاستشراق الإنجليزي أنموذجا**، مجلة المؤرخ المصري، مج3، ع58، جانفي 2021م، ص ص242، 243.

[3] نجيب العقيقي، **مرجع سابق**، ص153.

[4] يوسف جغلولي، جمال تالي، **مرجع سابق**، ص514.

كما لعبت دورًا بارزًا بزعامة دو ساسي الذي شغل منصب المُقيم بالوزارة الخارجية الفرنسية منذ 1806م، والذي انحصر عمله أوّلا على ترجمة النشرات أو البيانات الخاصة بالجيش الفرنسي، مثل البيان الذي أصدره نابليون عام 1806م، وكان الأمل المُرتجى من ترجمته هو إثارة «التعصب الاسلامي» ضد الأرثودوكسية الروسية[1]، وهو المُشرف على البيان المعرّب الذي وُجّه للشعب الجزائري أثناء الحملة عام 1830م، وكان يُستشار في كل المسائل ذات الصلة بالشرق العربي والإسلامي من قبل وزير الخارجية وحتى وزير الحربية[2]".

إنّ الاستشراق الأوروبي اصطبغ بصبغة فرنسية جرّاء تخريج **دو ساسي** جيلا كاملا من المستشرقين الأوروبيين"[3]، أيضا **جوبير** الذين عُيّن رئيسا للمترجمين بعد وفاة **دي باراداي**، وقرّبه **نابليون** منه وكلّفه بالكثير من المهام، وكان كاتبًا ومترجمًا للوثائق الديبلوماسية المتعلّقة بالشرق لدى الحكومة ومقدّما للعرائض، و **دو بيانكي(De bianchi)** (1743- 1864)م الذي استدعي عام 1829م عندما همّت فرنسا بإرسال جيشها للجزائر ليكون مُترجما للقيام بمهمّة صعبة لدى الداي.

بينما **جان شارل زكار(Jaen Charles Zaccar)**(ت 1837)م[4] الذي ساهم في ترجمة البيان الفرنسي بمعيّتهما، وهو من ألقى خطاب القدّاس بعد نجاح الحملة أمام الضّباط الفرنسيين بقيادة **دو بورمون(De BOURMONT)** (1773–1846). لقد وظّف المستشرقون الفرنسيون الترجمة في أغراض الغزو، لما عزمت حكوماتهم على فعل ذلك، كان **دي باراداي**

---

[1] إدوارد سعيد، **مرجع سابق**، ص214.

[2] خطاب فطوم، **التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية (1830/1800)م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: الديبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس،2015م، ص78.

[3] نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ط4، دار المعارف، ج2، د. س. ن، ص80.

[4] **جان شارل زكار**: كاهن كاثوليكي سوري الأصل، أما السبب في تقدم كاهن سوري ليكون ضمن الحملة، هو تكليف الكولونيل **كليرمونت** بتنصيب مترجمين ومرشدين للحملة، ومع انتشار الخبر انضم الكثيرون وحتى الجزائريون من سكان فرنسا طمعا في الحول على منصب... للمزيد ينظر: وداد بليل، **الترجمة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي(1830–1962)م**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: أدب حديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017م، ص38.

على رأس المترجمين في حملة نابليون على مصر[1]، كذلك **بيتي دو لاكروا**[2] في الدّراسات الاستشراقية، فتحت له الأبواب لتقلّد عدة مناصب تتعلّق بهذا المجال، حيث تمّ تعيينه سكرتيرًا للغات الشّرقية بالبحرية من طرف **كولبير**.

2.4.2. المدرسة الألمانية: ركّزت هذه المدرسة جهودها على مختلف الدراسات العربية الإسلامية، وتميّز اهتمامها بالجدّية العلمية في البحث والتقصّي، حيث اشتغل الألمان بالآداب العربية في النصف الثاني من القرن 17م بهمّة ونشاط بين ترجمة ونشر، وبحث وتنقيب، ولعلهم أكثر المستشرقين عملا في نشر الآداب العربية[3]، ومعرفةً بحضارات الشرق كافة القديمة منها والحديثة.

اعتبر العديد من الباحثين أنّ الاستشراق الألماني هو أنموذج جيد للاستشراق العلمي الصحيح الذي لا تشوبه أغراض أخرى، ويمكننا التحفّظ على عبارة "لا تشوبه أغراض أخرى" التي وردت في الكثير من المراجع، ونقلتها طبقا لتكرار ورودها، إذ أن يكون قائما على أساس علمي وارد، لكن دون غايات وأهداف، هذا لا يبدو منطقيّا في وجود عديد من الرحلات الاستطلاعية كرحلة **هابنشترايت** أنموذج الاستشراق الألماني.[4]

3.4.2.المدرسة الروسية: تميّز اتجاه هذه المدرسة بأنه لا يخلو من عمق في النظر، رأي صائب دقيق، تأليفي، وتحليلي في آن واحد، وقد اهتمت في بداية الأمر بمنطقة آسيا الوسطى وحضاراتها القديمة والحديثة وعلاقاتها بالحضارة البيزنطية التي أسهمت بقدر كبير في تكوين العقل الروسي، من خلال المعاملات التجارية والتي فتحت الباب أمام الروسيين

[1] محمد العربي معريش، **مرجع سابق**، ص129.

[2] كان بيتي دو لا كروا من عائلة استشراقية، اهتم بالدراسات الشرقية واللغات العربية والتركية، كما عمل على جمع المخطوطات، ترجمة الرسائل والمعاهدات وكتابة التقارير والملخصات إلى الملك الفرنسي حينها، كُلّف بوظيفة الترجمة في إرسالية إلى مدينة الجزائر من طرف لويس 14، كما تقلد منصب اللغة العربية في الكلية الملكية وهي الوظيفة التي بقيت شاغرة منذ وفاة والده... للمزيد ينظر: **نفسه**، ص 102.

[3] جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، د ط، دار الهلال، ج4، مصر، 1914م، ص 152 .

[4] ساسي الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ط1، دار المداد الإسلامي، ج1، بيروت، 2002م، ص 47.

لاعتناق الإسلام، ثم توسّع مجالها لتهتمّ بدراسة ما يتعلق ببلدان شمال افريقيا، رغبة في تحقيق مصالحها التوسّعية والتجارية، مثل رحلة الضابط **قفريقوفيتش كوكوستوف.**[1]

4.4.2. المدرسة الإسبانية: تميّز الاستشراق الإسباني بعدائه الشديد للعرب والمسلمين، ولم يخلُ في مساعيه من الهدف الاستعماري التوسّعي، أولوا اهتمامًا بالغًا بالحضارة العربية الإسلامية والمغربية بشكل أخصّ، وكرّست فكرة أنّ التراث العربي والإسلامي الموجود في إسبانيا هو جزءٌ لا يتجزّأ من تراث إسبانيا عموما.[2] ومن هذه المطابع في إسبانيا « مطبعة مايستري» « مطبعة المعهد المصري للدراسات الاسلامية» في مدريد، وفي النمسا «المطبعة الامبراطورية» و«المطبعة الشرقية للآباء المختارين»، وفي هولندا« مطبعة ليون».[3]

5.4.2.المدرسة الإيطالية: تُعتبر إيطاليا مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، حيث اهتمّ الباباوات بدراسة اللغة العربية، خدمة لأغراض دينيّة، وكانت إيطاليا أعرق أمم الغرب، اتصلت بالشّرق الأدنى اتصالا وثيقًا منوّعًا، واهتمّت دراستها بمدن الشّرق لاسيّما (العراق، فلسطين ومصر).[4]

كان **هامر برجشتال(Hammer-Purgstall)** (1774-1856)م قد أصدر أوّل مجلة استشراقية متخصّصة في أوروبا« مجلة ينابيع الشرق» في فيينا بين عامي (1809-1818)م، ومع نهاية القرن التاسع عشر باتت هذه المؤلفات والدوريات والبحوث التي كتبها الرحالة بمختلف توجّهاتهم قوّة معرفيّة للغرب في شؤون الشرق[5]، أما بالنسبة للمطابع فقد سبقت إيطاليا غيرها في طباعة التراث الشرقي منذ القرن السادس عشر، واهتمت بطبع الكتب العلمية

[1] رزيقة يحياوي، **الاستشراق الفرنسي وجهوده في نشر التراث الجزائري**، رسالة ماجيستير في الأدب، تخ: تحقيق النصوص ونشرها، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015م، ص22.

[2] نجيب العقيقي، **مرجع سابق**، ج2، ص183.

[3] عمر رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**(دراسة ونقد)، ط1، دار طيبة، ج1، السعودية، د. س. ن، ص53.

[4] رزيقة يحياوي، **المرجع السابق**، ص27.

[5] مجدي فارح، **الثقافة الشعبية العربية في أعمال المستشرقين بين التزوير والتنوير**، مجلة حوليات التراث، مج12، ع12، سبتمبر2012م، ص94.

ثمّ الدّينية، وبفضل الحروف العربية التي نقشها **فرانجون(fragnon)** ، تمت طباعة العديد من الكتب.[1]

المبحث الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية نحو الجزائر خلال القرن 18م

كان رحّالو القرنين 16م و17م يقومون برحلاتهم الإستطلاعية إمّا فرادى، أو ضمن وفود معاهدات الصلح والسلم، أو مع الرهبان وضمن جمعيات تحرير وافتداء الأسرى، بهدف الحصول على الامتيازات، أو لأجل السيطرة على الشريط الساحلي لحماية خطّ تجارتها، ذلك أن المبادلات التجارية كانت تتفوّق على الاستعمار، كما أنّ الهيمنة على الطرق البحرية كما تبدو أفضل من امتلاك أراض تقع خلف المحيطات.[2]

ومع عصر التطوّر الفكري والعلمي وما انبثق عنه من انتشار للأكاديميات والجمعيات العلمية والجغرافية والاهتمام بالتنقيب عن الآثار؛ نمت فكرة التوسّع وإنشاء المستعمرات، وتزايد الاهتمام بالشّرق، الشرق بمفهومه الايديولوجي الذي يختلف تماما عن الشرق الجغرافي، لأنّ الهدف هو تحقيق السيطرة والهيمنة على هذه الشعوب[3]، وهكذا بات هناك رحالة جدد متأثّرون بروح العصر، ودخلت الرحلات الاستطلاعية مرحلة جديدة، ألا وهي الرحلات الاستطلاعية ذات الطابع العلمي، وباتت الرحلة تموّلها جمعيات علمية وجغرافية أو يموّلها الملوك والأباطرة، كما أن ما جنته الدول الأوروبية من خيرات تنقيب الرحالة واستطلاعهم الشامل، أدى إلى الاعتماد الكلي على الرحلات حتى بعد الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر.

---

[1] ظمياء محمد عباس، **دور الرحالة والمستشرقين والديبلوماسيين في سرقة المخطوطات من الوطن العربي**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج1، ع1، ديسمبر2009م، ص ص 9-10.

[2] برينجيه جان وآخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا العام من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر**، ط1، منشورات عويدات، ج2، بيروت، 1955م، ص65.

[3] الواقع أنّ بعضًا من المستشرقين بغضّ النظر عن الهدف الاستعماري، قاموا بنفض الغبار على الكثير من المخطوطات وقاموا بتحقيقها وترجمة بعضها إلى لغاتهم، كما قاموا بدراسة الحركات السياسية والمذهبية والدينية استنادًا إلى مصادر كانت مغيّبة. للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي" تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**"، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999م، ص5.

1..نماذج من الرحلات الاستطلاعية الوافدة للجزائر:

اخترنا مجموعة من الرّحلات الأكثر أهمية وشُهرة، من بين العديد من الرحلات الاستطلاعية الأوروبية التي أرسلت للجزائر طيلة القرن 18م.

1.1.لوجي جاك فيليب دو تاسي(Laugier Jaque Philippe de TASSY) :

رحّالة فرنسي، لم يذكر في أيّ من المصادر شيئا عن تاريخ مولده ووفاته، حتّى في السّيرة الذاتية التي ضمّنها له ألبير **دوفو(Albert Devoulx)**(1826-1876)م، في الكشاف الخاص بأهمّ الشخصيات الفرنسية، لم يذكر سوى بعض أعماله ونشاطاته وبشكل مختصر[1].

عُيّن مستشارا للقنصلية بموجب براءة اختراع يوم 27 جويلية 1717م، وتمّ تعيينه بالجزائر العاصمة يوم 16 جانفي 1718م، بعد إقامة دامت نصف سنة تقريبا، غادر الجزائر يوم 02 جويلية 1718م، تاركًا للقنصل الفرنسي **بوم (BOUM)** عبء ديوان القنصلية2، وفيما يتعلق بموضوع مغادرته كُتب في سجل المستشارية " من بوم، لقد طلب لوجي إجازته وغادر".[3]

شغل **دو تاسي** عام 1725م منصب مفوّض البحرية لملك فرنسا بأمستردام، أين نُشر كتابه «تاريخ مملكة الجزائر»، وبعد سنتين طبع مرة ثانية بباريس عام 1727م تحت عنوان« تاريخ مملكة الجزائر حكومتها وقواتها البرية والبحرية، ومداخيلها، الشرطة، القضاء، السياسة، التجارة»، أعيد طبعه بأمستردام عام 1732م ، وفي عام 1733م نشر **كلاريانا (Clariana)**

---

[1] صغير عبلة، **مرجع سابق**، ص69.

[2] Laugier de TASSY, **Histoire du Royaume d'Alger , avec l'etat Présent de son Government, de ses Forces de Terre & de Mer, de ses Revenus, Police, Justice Politique & Commerce ,** Edition loysel, pref: Noël Laveau, André Noushi, Paris, 1992, pII.

[3] من المرجّح أن مغادرته المفاجئة اجتمع فيها سببان: عبء القنصلية الذي تحمّله بوم بعده، والسمعة السيئة التي ربطت القناصل، إذ أني تتبعت قائمة القناصل الذي ورد ذكرهم **ألبير دولفكس** في« قائمة بأسماء الفرنسيين الذين أقاموا بالجزائر العاصمة من(1686-1830)م»، وحين تتبعت تاريخ القناصل الذي أوفدوا للجزائر، تبين أنهم كانوا يعانون من كونهم الضحية دوما فمنذ عام 1602حتى عام 1700 لم يبقى قنصل واحد على رأس القنصلية إلا وقتل أو سجن أو غادر فجأة ولم يظهر في الجزائر بعدها. للمزيد يمظر:

Albert DEVOULX, **Relevé des Principaux Français qui ont Résidé à Alger de 1686 à1830**, Cité Numérique de la Méditerranée,Paris, p387.

ترجمة له مضيفًا إليه بعض المعلومات المتعلّقة بالاحتلال الثاني لوهران عام 1732م، حيث أعطى لهذه الإضافة عنوان «غزو وهران»، ثمّ طُبع الكتاب مرة أخرى بلاهاي عام 1750م تحت عنوان« الدولة الخاصة والعامة لمملكة مدينة الجزائر»، وفي نفس السنة ترجم إلى الانجليزية من قبل شخص مجهول أضاف إليه معلومات عن تونس والمغرب الأقصى وتُرجم لعدة لغات منها الألمانية سنة 1753م، الإيطالية 1754م، ثم ظهرت طبعة رابعة باريسية عام 1757م.[1]

قسّم **دو تاسي** كتابه إلى جزئين، خصّص الجزء الأول للحديث عن مملكة الجزائر بشكل عام، احتوى على إحدى عشر فصلاً تطرّق فيها إلى العناصر التالية(ثورات المملكة، سكان المملكة، عرب مملكة الجزائر، يهود مملكة الجزائر، أتراك المملكة، مسيحيو المملكة، ديانة المملكة، عادات وتقاليد الجزائريين، تقسيم المملكة، حكومة المملكة(حكومة الشرق)، وقسمها إلى حكومة الغرب(بايلك الغرب)، حكومة المدية(بايلك التيطري).

أمّا الجزء الثاني فخصّصه للحديث عن مدينة الجزائر، وقسّمه إلى عشرين فصلاً، وهي كالتالي: وضعية مدينة الجزائر، مباني مدينة الجزائر، حمّامات المدينة، ضواحي مدينة الجزائر وريفها، انكشارية المدينة، سلطتها وقواتها، الداي والآغا والضّباط الآخرون، العدالة وكيفيّة تسيير الأمور، عملة الجزائر، رواتب الميليشيا، مخيّمات الجنود وسيرهم وطريقة قتالهم، البحرية الجزائرية والأسلحة، الغنائم وبيعها، بيع العبيد وطريقة افتدائهم، الأجانب المقيمون في الجزائر، تجارة الجزائر، مداخيل إيالة الجزائر، فوائد(أرباح) جمهورية الجزائر مع القوى الإفريقية والأمراء المسيحيين.[2]

استعان **دو تاسي** أثناء تدوينه لهذا الكمّ من المعلومات على مصادر أخرى بالإضافة إلى ما شاهده بنفسه، حيث يشير إلى ذلك في المقدّمة بأنّه سيعتمد على ما شاهده وما وجده

[1] Laugier de TASSY, **op.cit**, p11.
[2] **ibid**, pp 18,149,182.

في المذكرات التي جمعت في المنازل المسيحية هناك، كما أصبح هو أيضا مصدرًا للكتابات التي صدرت بعده، وهذا ما نلاحظه في كتاب الإنجليزي **جوزيف مورقان**(**Joseph Morgan**) «الكامل في تاريخ الجزائر» والذي نقل الكثير عنه.

1.1.1. المناطق التي زارها الرحالة:

يبدو أنّ **دو تاسي** الذي أتيحت له فرصة السّفر عبر أراضي ولاية الجزائر العاصمة، لم يزر سوى المناطق المتاخمة لها كمتيجة ولربما قد زار قسنطينة وبعضًا من مدن القبائل، ووصفه للبايلكات الثلاث هو موضع شكّ خصوصا في الحديث عن وادي ميزاب وبسكرة وجيجل، هنا يمكن للمرء أن يتحقّق أنّه جمع صورا نمطية، دون أن ننسى أنّ مدينة الجزائر كانت مركزا حضريا، يحتكّ فيها المغاربة واليهود والأتراك والمسيحيون بمختلف لغاتهم واستخداماتهم وعاداتهم، ويبدو أنّ المعرفة المتراكمة تتميّز بختم القوالب المكرّرة التي تصبح بعد فترة حقائق.

وقد تأكّدت الإدارة الفرنسية بدقّة مما ذكره، لكن تبقى المعلومات الخاصة بالجزائر العاصمة دقيقة أكثر لأنه عاش فيها لفترة، وباقي المعلومات مستقاة مما كتبه **دييغو هايدو**(**Diego de Haedo**)(1555-1613)م[1] و**الوزان ومارمول كاربخال**[2]، يعيب **أندري نوشي** في تقديمه للكتاب على **دو تاسي** حبّه للجزائر ويرفض الأخذ بما كتبه وما جاء به من معلومات، بل أن **دو لامال** يشكّك في زيارته لها، رغم ما جاء به من معلومات.

2.1. توماس شاو(1692-1751)م:

عالم وجغرافي وكاهن، ولد في كندل(Kindle) بإنجلترا[3]، كان **شاو** كغيره من علماء تلك الفترة مهتمّا بالتاريخ الطبيعي، شغَل منصب رئيس كلية الطب بأكسفورد، ثمّ عضوًا في

[1] **هايدو**: مؤرخ وراهب إسباني، عام 1758م تعرّض للأسر من قبل ريّاس البحر الجزائريين، ظلّ في الأسر ثلاث سنوات ثمّ أطلق سراحه، ترك **هايدو** عملا جبارا أسماه« طبوغرافية تاريخ الجزائر العام» (Topography of Algeria's general history)، اعتمد في هذا الكتاب على شهادات حيّة سجّلها من بعض الأسرى... للمزيد ينظر: عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص23

[2] Laugier de TASSY, **op.cit**, pp x,9.

[3] هناك اختلاف في مولد الدكتور شاو، يشير قاموس السيرة الوطنية تاريخ ولادته ب عام 1694م .ينظر

إكليروس الكنيسة، عُيّن كاهنا للكنيسة الإنجليكانية في نهاية دراسته، كما كان منتسبًا للسّلك الديني لدى البعثات والمؤسّسات البريطانية التجاريّة، عُيّن قسيسًا في القنصلية البريطانية[1] بالجزائر لصالح وكالة تجاريّة من عام 1720م إلى 1732م[2] صاحَب في بعضٍ من رحلاته الرحالة الألماني **هابنشترايت**[3]، تعرّف على البلاد الجزائرية من طراوة وتلمسان غربا إلى القالة شرقا[4]، وسجّل ملاحظاته بعناية ودقّة، تاركًا لنا وصفًا ممتعًا ومفيدًا، لا للأوضاع العامة للجزائر فقط، وإنما للبيئة المحيطة والمسالك، وقد ساعده في مهمّته معرفته باللغة العربية والأمازيغية، استقى بعضا من معلوماته **الوزان** وقد أشار إلى ذلك في كتاباته.[5]

زار **شاو** مصر بعد عام من وصوله، وأمضى ثلاثة أشهر في جمع المعلومات عن مصر القديمة، ثمّ زار مناطق مختلفة من بلاد الشّام، وانضمّ إلى مجموعة من ستة ألاف من الحجاج لبيت المقدس، كما زار البلاد التونسية عام 1727م، وجمع روايات دقيقة عنها، ورسم خريطة لها موضّحا فيها المعالم الجغرافية....[6]

Zehor ZIZI, **Thomas Shaw au Proche-Orient, 1721-1722 : élucidation et Défense des Textes Sacrés. In: XVII-XVIII.** Revue de la Société d'études Anglo-Américaines des XVIIe et XVIIIe Siècles. N°67, 2010. p22.

[1] يساعد القنصل الأجنبي موظفون آخرون منهم : نائب القنصل، الترجمان، الموثّقن النائب الرسولي أو الكاهن، يقوم الكاهن القنصلي بمثابة المعاون الديني، وينوب عن القنصل في حال غيابه، ويقوم بدور الموثّق أثناء العطل ويقيم الكاهن مع القنصل. للمزيد ينظر: درعي فاطمة، **أعضاء البعثة الدبلوماسية الأوروبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الناصرية، مج 10، ع01، جوان 2018م، ص ص 452-453.

[2] باتت هناك بعثات إلى بلاد البربر، ثم في وقت لاحق تقرر أن تكون بعثات مقيمة، ولهذا تم تعيين كهنة بالقرب من القناصل كقساوسة منذ عام 1650م. ينظر:

عبلة صغير؛ **مرجع سابق**، ص79..H.D. GRAMMONT, **op.cit**, p196

[3] قام **لودفيج**(Lodvidj) بنسخ العديد من النقوش، ومن المفترض أن العديد من الملاحظات التي نشرها **شاو** قدمها له **هابنشترايت**، لأن العديد من النصوص وجدت متطابقة لكلا الرحالة . ينظر:

Le Roy Christian**. Une Excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII, 1, 11,** B.C.H , Vol 100, livr 1, 1976. p373.

[4] ينظر الملحق رقم 02، 03، 04: خارطة لميناء مدينة الجزائر والجزء الشرقي والجنوبي منها، ص ص 321-322-323

[5] حفناوي بلعلي، **صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين**، ط1، دار اليازوري، الجزائر، 2016م، ص165.

[6] نتيجة الجدل الفلسفي والديني المرير الذي غزا الحياة الفكرية في انجلترا في النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، تقول زهور زيزي : "في الواقع لا الشرق الأوسط ولا شمال افريقيا كانا يثيران فضول الدكتور شاو، إنه ينظر إلى هاته الأراضي على أنها أراضي مسيحية افتكها العرب المسلمون المتوحشون والهمجيون، ولذلك فإن الحالة التي عليها هاته البلدان لا تهمه، بل يهمّه العودة إلى مصادر التاريخ القديم، خصوصا التاريخ، [إنه من الغريب جدا أن ينمو التحيّز الديني في ظل اعتباره مثلبة عند الغير، يقول المؤرّخ رولان مرنسيه في كتابه تاريخ الحضارات العام، وهو يمثل وجهة نظر غربية واضحة، أنه أمام الاستعمار الأوروبي ؛ كان الاسلام في وضع سيء، إذ أن التضامن الديني لا يوفّر وحده الفعالية الكافية]. ينظر: .Zehor ZIZI, **op.cit**. pp.28-35 ،

استقرّ أخيرًا بإنجلترا عام 1742م، تولّى حينها رئاسة كلية إكسفورد برونلي، ثمّ صار عضوًا بالجمعية الملكية بلندن، وحظي بتقدير العديد من المثقّفين والباحثين أمثال: **ديفونتان، وبواري، و**الانكليزي **بروس(Bruce)** [1]، ومع عيوب عمل **الدكتور شاو** يبقى الملخص الذي نُشِر له في اكسفورد[2]، والذي تمّت ترجمته بسرعة إلى الفرنسية، ثم في لاهاي عام 1743م بعنوان تحليلي للغاية« رحلة السيد شاو في العديد من ولايات بلاد البربر وبلاد الشام، تحتوي على ملاحظات جغرافية وفيزيائية وفقهية على مملكتي الجزائر وتونس وعلى سوريا ومصر مع خرائط واشكال». سيؤدي غزو الفرنسيين للجزائر إلى إحياء هذا النص، وفعلا نشر العمل بترجمة جديدة عام 1830م «استعراض إحصائي وطوبوغرافي لدولة الجزائر» (Aperçu Historique Statistique et Topographique sur l'État d'Alger)[3].

حرص **شاو** على تسجيل ملاحظاته ومشاهداته أثناء أسفاره ببلاد المغرب والمشرق، مستعينًا بما كتبه سابقوه[4] من الجغرافيين والمحدثين والمهتمين بالأثنوجرافيا والآثار، ومكنونات الكتابات القديمة ووضع الاستنتاجات، وبنى دراسته المناخية على النباتات الطبيعية والإنتاج الزراعي والحيواني مُستعينًا بعلماء اكسفورد وما تحتويه مكتبات رجالات الدّين الفرنسيين، ونشرها بعنوان« رحلات أو ملاحظات تتعلّق بأجزاء من شمال إفريقيا والمشرق».[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة** ...، مرجع سابق، ص 145.

[2] Pierre MORISOT, **La Naissance de l'Archéologie Romaine en Algérie Histoire et Archéologie Méditerranéennes sous Napoléon III**. Actes du 21e colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 8 et 9 Octobre 2010. Paris : A. In et Belles-Lettres, 2011, P159.

[3] Houda Baïr**, op.cit,** p54.

[4] حول نقطة استعانة الانجليزي بمن سبقوه، إنّ الكثير من الدراسات حول شخصية الإنجليزي، تبين أنه يفضّل أن يكون له قرين في رحلاته، يقول الكاتب والمؤرخ **وليام هازليت(William Hezlet)**« يشعر الإنسان بالاختناق وهو يطوف بالأراضي العربية دونما رفيق، وإذا قدر للرحالة الانجليزي أن يسافر وحده، فإنه يستطيع أن يستمد العون من قراءة إفادات من سبقوه من الرحالة» [هنا نستطيع أن نفهم ذهنية شاو التي تم تقويمها من طرف حكوماته ومدارسه وقراءاته والجهات التي أوفدته، ورغم أن الانجليز كانوا تواقين للاستكشاف، إلا أنّهم لم يستطيعوا التخلّص من الذهنية التي نشأوا عليها، الذهنية التي تزدري وتشمئز من العادات والمفاهيم الأجنبية]. ينظر: رنا قباني، **مرجع سابق**، ص137.

[5] يعتبر **شاو** أكثر الجغرافيين غنى وتنوعا، إلا أنّه يصعب أن يكون قد زار كلّ البلاد الذي تحدّث عنها في مؤلّفه، فحدود تجواله لم تتعدّ حدود طلعاتنا العسكرية، بل لا تصل إليها أحيانا، لقد زوده بجزء من التفاصيل حول مقاطعة قسنطينة جراح هولندي، كان خادما لدى الباي، وحصل على الجزء الأكبر من مخطوط بايسونال الذي أوصله له، ولو أن **ديرو دو لامال** قد انتبه أن **شاو** قد نقل من بايسونال لكنه لم يصرح بما يدين لمخطوطته، لأنه

لمّا توفي **شاو** دُفن في كنيسة براملي، حيث أُقيم نصب تذكاري لذكراه مع نقش لاتيني طويل من قبل صديقه الدكتور **جوزيف براون(Joseph Brown)**(1821-1894) [1]، كما أقيم لوح تذكاري في الكنيسة الإنجليكانية بالجزائر العاصمة، وقد حرّر قبلاً مؤلَّفه« الرحلات أو الملاحظات حول موانئ بلاد البربر والشام» (Rélative Ports of Travels or observations Berbary and Lévant)، والذي تم نشره عام 1738م، وأضيف إليه ملحق نتيجة بعض الاعتراضات، إذ طعن الباحث **ريتشارد بوكوك(Richard Pocock)**(1704-1765)م في دقّته في وصف الشرق (المجلد الثاني، 1745م).[2]

أصدر **شاو** في عام 1746م ملحق تمّ فيه النظر في بعض الاعتراضات التي تمّ تقديمها والإجابة عليها بشكل كامل، وفي العام التالي تمّ دمج كلا المكملين في الطبعة الثانية والأكثر قيمة في لندن عام 1757م، ثمّ تُرجم إلى الفرنسية عام 1743م، تناول من خلاله قاموسًا جامعًا للجغرافيا الفيزيائية والسّياسية والتاريخية والتجارية، ووضع خريطة للجزائر[3] علّق عليها **ماك كارثي**، كما له ترجمة أخرى تحت عنوان« الجزائر قبل قرن من الاحتلال» (L'Algérie un siècle avant l'Occupation Française (ou » siècle) Témoignage de Shaw Religieux Anglais)، حدّد بها حدود الإيالة الجزائرية خصوصا الشّرقية منها.

أضاف ذكر الكثير من المقاطعات التي لم يأت بايسونال على ذكرها، كما زوّده بالمعلومات حول مجمل إيالة تونس فرانكو خيمنيث، ويقول المؤلف نفسه: فيما يخص مقاطعات الزاب ووادي ريغ، وغيرها من المقاطعات شمالي مملكة الجزائر، فإني أخذت كل ما أثبت في الكتاب من سكان تلك المناطق أنفسهم. للمزيد ينظر: إ. كاريت، **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840-1841-1842م العلوم التاريخية والجغرافية(دراسة الطرق التي يسلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وإيالة تونس)**، ط خ ، عالم المعرفة، تر: حمزة الأمين يحياوي، ج2، الجزائر، 2016م، ص ص15-21؛ ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة...**، مرجع سابق، ص ص 145،147.

[1] ينظر الملحق رقم 05: بورتريه للدكتور شاو، رسمه جون كورنر عام 1788م، ص325.

[2] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص125.

[3] حسان كشرود، **بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين والدكتور توماس شاو**، قضايا تاريخية، مج2، ع2، جوان 2017م، ص ص 51-52.

قام بتقسيم كتابه إلى مجموعة من الفصول عنونها حسب المضمون، فتطرّق في الفصل الأول إلى طبوغرافية[1] إيالة الجزائر ومناخها وتربتها وإنتاجها.[2]

أمّا الفصل الثاني فخصّصه للحديث عن الحيوانات[3]، بينما خصّص الفصل الثالث لدراسة العلوم والفنون الحرفية، والعادات والتقاليد[4]، بينما الفصل الرابع فتحدّث فيه عن حكومة الجزائر والداي وآغا الميليشيا والضباط[5]...أما الفصل الخامس، فقام بوصف قوّتها وتركيبتها، ورواتبها ومعسكراتها وطريقة قتالها، أما الفصول الخمسة المتبقّية فقدّم فيها وصفا جغرافيا لمقاطعات الجزائر على النحو التالي: مقاطعة معسكر وتلمسان، الجزائر، التيطري، قسنطينة، ومقاطعة الزاب.[6]

بهذه الطريقة لم يترك الدكتور **شاو** شيئًا من الصّدفة إلاّ وذكره حيث قام بتسجيل جميع الملاحظات وفحصها ودقّقها معتمدًا على تجاربه الشّخصية ومساعدة علماء أكسفورد، وكذلك ما كتبه رجال الدين الفرنسيين[7]، ونظرًا لأهميّة الرحلة فقد أصبحت مرجعًا أساسيًا لمختلف الكتابات التي دُوّنت بعدها.[8]

---

[1] **الطبوغرافيا:** علم يختص بتمثيل جميع الظواهر الطبيعية والصناعية لأيّ منطقة على سطح الأرض، برسومات وأشكال مميّزة، من واقع نتائج محصّل عليها ميدانيا ... للمزيد ينظر: عبد الكريم شوقي، **الاستخبارات الجزائرية من 1492م إلى 1830م**، أطروحة دكتوراه علوم ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016م، ص53.

[2] Dr. Shaw**, l'Algérie un Siècle avant l'Occupation Française,** Tr : J. Mac. Carthy, imprimerie Carthage, Paris, pp07,24.

[3] **Ibid**, pp24, 45.

[4] **Ibidem**, p46,85.

[5] **Idem**, p85-124.

[6] **idem**, pp124-226

[7] كان **شـاو** يحمل صفات تلك الفترة، أين كان الفكر العلمي في خدمة الرأسمالية الأوروبية، كما كان متأثرا بالمذهب الأنغليكاني البراغماتـي (المذهب الذي اعتمدته الملكة اليزابيت واعتبرته الديانة الرسمية) وبالإعجاب الذي يكنه لبلده المزدهر اقتصاديا، وأدي به هذا إلى احتقار أي شكل من أشكال التفكير وحكم عليه بالدنو ، مع أن الفكر العلمي الذي وجب الاعتماد عليه هو كما تحدث عنه **محمد البشير مغلي** في كتابه ولو أنه أراد به التخصيص ورأيت أنه واجب التعميم«أن نشدان الصواب وجب استجلاء التفسير الموضوعي المتمثل في منهج علمي متكامل، لكي يخرج التفسير غير مشوب بالنظرة التجزيئية التي لا تدرك علة الأشياء، فضلا عن وجوب استخدام أدوات غير هجينة ولا منحازة، بحيث لا تفرغ المعطيات من محتوياتها الحقيقية، ولا تشحنها باتجاهات إيديولوجية معينة». للمزيد: ينظر: محمد البشير مغلي، **مناهج البحث في الاسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2002م، ص7 .

[8] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص81.

1.2.1. خط سير الرحالة:

تمثّل الخارطة صورة توضيحيّة وتقريبيّة للمدن التي زارها الرحالة، مُعتمدين فيها على ما جاء في كتابه« رحلة في ولاية الجزائر» من الصفحة(271-406).

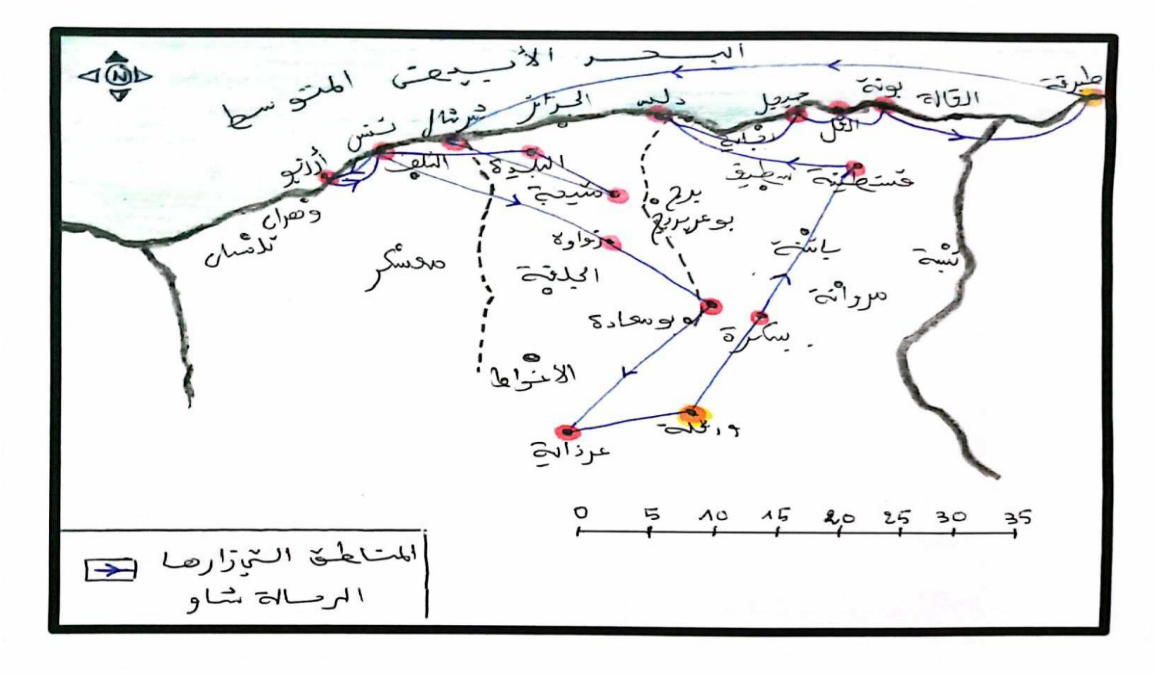

- خريطة01: خط سير الرحالة الدكتور شاو -

2.2.1. المناطق التي زارها الرحالة:

لم يكن باستطاعتنا معرفة خطّ السّير بشكل دقيق، بسبب عدم التّسلسل في ذكر المناطق، إضافة إلى أنّه كلما أراد المقارنة بين ما يتواجد في مدينة وأخرى؛ يسترجع تواجده في المنطقة السّابقة الذكر، وهنا يصبح تتبّع خطّ الرحلة أمرًا صعبًا، لهذا أدرجت المناطق كما ورد ذكرها: شرشال- تيبازة- تبسة- مليانة- متيجة- الجزائر- جرجرة- البليدة- مازونة- زواوة- بوسعادة- بني ميزاب- ورقلة- وادي ريغ- قسنطينة- وهران[1]- أرزيو- القالة- بونة- جيجل- سطيف- طولقة- زريبة الوادي- بريكة- جبال الأوراس.

[1] يظر الملحق 06: ساحل وهران بيد توماس شاو، ص326.

3.2.1.وسيلة التنقّل:

أمّا عن الوسيلة التي استخدمها في التنقّل بين المناطق، مؤلف الدكتور **شاو** وصفي، لهذا لا يمكن استنتاج الوسيلة التي تنقّل بها(في الوصف تُغيّب شخصية الراوي، لأنّ المهم هو استطلاع أخبار البلاد)، عدا قدومه عبر سفينة عن طريق البحر ومغادرته بنفس الطريقة.

3.1.جان أندري بايسونال (Jean André PEYSSONNEL)(1694-1759)[1]:

رحالة وعالم فرنسي، وُلد في مرسيليا، ينحدر من عائلة نبيلة تضمّ العديد من الأطباء بإقليم البروفانس، كما كان والده من مشاهير الأطبّاء في فرنسا، زاول دراسته الإبتدائية بمسقط رأسه، ثم أتمّها بباريس أين وجد العناية من أحد أصدقاء العائلة الذي وجّهه لدراسة التاريخ الطبيعي الكونت **مارسيقلي** (**MARSIGLI**)(1658-1730)م[2]، درس الطب واهتمّ بالتاريخ الطبيعي، وهذا دفعه للقيام بعديد من الأسفار إلى جزر الهند الغربية وصولاً إلى نهر المسيسيبي، وعندما تخرّج من جامعة بروفانس عام 1718م، واصل أبحاثه في علم النبات، وأصبح عام 1723م مراسلاً لأكاديمية العلوم بباريس، ثمّ مراسلاً في أكاديمية مونبولييه.[3]

بأمر ملكي زار بايسونال إيالتي تونس والجزائر بين عامي(1724-1725)م، زار تونس تحديدا من (28 ماي1724م-10 جانفي 1725م)، وانتقل إلى الجزائر من(11 جانفي 1725م-01 أكتوبر 1725م)[4]، بعدما تدخّل لصالحه مستشار الدولة، وأمين المكتبة

[1] يظر الملحق 07: بورتريه للرحالة بايسونال نقشه الفنان إتيان بيسار(Etienne Bissar)، ص 327.

[2] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص 69.

[3] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة...**، مرجع سابق، ص165.

[4] جون أندري بايسونال، **الرحلة إلى تونس 1724م**، ط1، مركز النشر الجامعي، تر، تح: محمد العربي السنوسي، تص: خليفة الشاطر، تونس، 2003م، ص 2.

الملكية **القس بينون**[1]، وقد كانت رحلته لأجل دراسة التّاريخ الطبيعي وتصحيح الأخطاء في خريطة البلاد التي رسمها الجغرافي **غيوم ديلايل** (**Guillaume DELILE**)(1675-1726) م.[2]

أثناء رحلته للجزائر قام **بايسونال** بدراسة طبيعة المرجان، واكتشف من خلال تحليله أنّه ذو طبيعة حيوانية، لكنه لم يستطع إقناع الأوساط العلمية بذلك إلاّ بعد مدة طويلة، يقول **دو لامال** في تقديمه لكتابه:" نحن ندين لبايسونال باكتشاف الطبيعة الحيوانية للمرجان"[3]، كما بحث حول مرض الطّاعون الذّي أودى بحياة والده عندما انتشر بمرسيليا ما بين عامي (1720-1722)م، وقد زار بايسونال الشرق والوسط الجزائري كله تقريبا.[4]

ألّف كتابا حول رحلته شمل العديد من الملاحظات العلمية الهامة(الحيوانات- النباتات- طبيعة الأرض)، بالإضافة الى جرد لأهمّ الآثار والنقوش الرومانية، وكذا النظام السياسي والعسكري بالجزائر، سماه« قصة رحلة على سواحل بلاد البربر »(Histoire d'un Voyage sur les Côtes en Barbarie) ، كما زار عديد المناطق الواقعة بين الشرق ووسط

[1] **الأب بينون:** قس أبرشية سان كوينتان بفرنسا، أشرف على المكتبة الخاصة بالملك لويس الخامس عشر منذ عام 1718م، كما شغل مستشار الحكومة وعضو أكاديمية العلوم وأكاديمية التسجيل وجوازات السفر إلى البلاد البربرية، ومن دون وثائق الملك ووزير الحربية لا يمكن أن يرتحل شخص، لذا ساعده الأب بينون في الحصول عليها، ولولاه ما كان لبايسونال أن يستقبل من طرف سلطات الجزائر وتونس، ولم يكن ليتمكن من التوغل داخل أراضي الإيالتين... للمزيد ينظر: جون أندري بايسونال، **مصدر سابق**، ص 2؛ ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة...**، مرجع سابق، ص70.

[2] **غيوم ديلايل:** رسام خرائط فرنسي، كما أنه كان كبير الجغرافيين الملكيين، شغل لمدة أستاذا للملك لويس الخامس عشر منذ 1718م، بيد أن الخطأ في خطوط الطول والعرض لبعض المستعمرات الفرنسية والانجليزية خلقت نزاعا كبيرا ، وهذا ما دفع بالملك بإرسال بايسونال للتأكد من صحة الخريطة، وقد أدرك فعلا مكمن الخطأ خصوصا بالنسبة للسواحل التي رسمها بدءً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تحدث عن هذا في الرسالة الرابعة المؤرخة في 20 جويلية 1724م والتي أرسلها إلى بينون، وفي الرسالة السابعة المؤرخة بتاريخ 29 أوت 1724م أرسل بايسونال إلى دلايل توضيحا لطيفا لتنقيح الأخطاء قائلا: " أعرف أنكم محبّون للحقيقة، فلا تجدون الراحة إلا إذا ماتم تمكينكم من ملاحظات دقيقة، في وسعها تنقيح الأخطاء التي وقعتم فيها حول الأماكن في خريطتكم... وغايتي إعادة رسم خريطتكم لتكون أكثر دقة، وإن كنت أعترف أني لا أقدر على عمل متقن بمثل ما فعلتم". للمزيد ينظر: جون أندري بايسونال، **المصدر السابق**، ص ص 89-90، 58؛

Evelyne M. Bornier**, Denise Ibrahimi, Voyageurs dans la Régence de Tunis, XVIe-XIXe siècles**, Carthage : Editions Cartaginoiseries, Alabama, 2008, p19.

[3] بالنسبة للرسالة التي كتبها بايسونال حول هذا الاكتشاف ينظر الملحق رقم08: وثيقة تبيّن طبيعة المرجان الحيوانية، الوثيقة متاحة على موقع المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي وعلى صفحة المكتبة الوطنية الفرنسية، ص328.

[4] J.A. PEYSSONNEL, **Voyage dans la Régence de Tunis et Alger**, la decouverte, Paris, 1987, p12.

البلاد، ودامت رحلته ثماني أشهر[1]، جاءت رحلته على شكل رسائل بعث بها الرحالة إلى القس **بينون**، غير أنها لم تنشر إلا بعد ثمان سنوات على الغزو الفرنسي للجزائر أي عام 1838م بباريس، من طرف **دو لامال** الذي نشرها ضمن الجزء الأول من كتابه المعنون ب« بايسونال وديفونتان، رحلة إلى مماليك تونس والجزائر »[2]

تضمّنت رحلة **بايسونال** أربعة عشر رسالة وربما أكثر لأن معظمها ضاع[3]، ظهرت أحيانا على شكل مذكرات سفر، وأحيانا كعروض تقديمية منظّمة وموجّهة **لبينون**[4]، احتوت معلومات هامة وقيّمة عن الجغرافيا والطبيعة والوضع السياسي والاجتماعي لكل من تونس والجزائر.

نجد الرحالة قد خصّص الرسالة الحادية عشر للحديث فيها عن الجزائر بوصف الطريق بين بايلك قسنطينة والقالة، وتحدّث عن النباتات والحيوانات والمسالك والمدن والقرى، أما الرسالة الثانية عشر فيصف لنا فيها رحلته إلى عنابة وإلى مدينة الجزائر مدوّنا كل ما شاهده، ثم ينتقل للحديث عن مدينة الجزائر، فيقدم لنا نبذة تاريخية عنها، كما يصف لنا حكومتها،

---

[1] مملكة الجزائر هي جزء من بلاد البربر في إفريقيا، ولذلك يطلق على شعبها وشعوب الممالك المجاورة بالبرابرة، ويوضح **لوجي دو تاسي** مفهوم البربرية وأصول التسمية بشكل موضوعي ومنصف قائلا: «البربرية وفقا لأفكارنا وتحيزاتنا تحتوي على كل ما هو قاس وظالم والأكثر تعارضا مع الأديان والطبيعة ، ويعتقد غير المستنيرين أن البربري لديه طبيعة وحش إفريقي تقوده غرائزه مثل الوحوش الشرسة، لكن أولئك المتحيزين لصالح الرأي العام سيخلصون بسهولة، لو أخذوا على عاتقهم عناء مطالعة التاريخ وكتابات الرحالة، سيقنعون أن هناك عددا لا نهائيا من الشعوب في العالم والبعض منه في أوروبا يعيشون في جهل أكبر وهم أقرب للوحشية من سكان البربر». ينظر: Laugier de TASSY, **op.cit**, p17؛ محمد الزين، "**نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في اواخر عهد الدايات**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج5، ع2، ديسمبر 2012م، ص 192.

[2] تجدر الاشارة إلى أنّ بايسونال توغّل في الشرق والوسط داخل إيالة الجزائر، لكن الملاحظ أنّ بايسونال ولأنه لم يكن عليما باللغة العربية، قد شوّه أسماء المناطق إلى درجة يجعل تمييزها في الغالب مستحيلا، بفعل التغير المفرط في نقلها إلى الفرنسية، فعلى سبيل المثال غراسيلوي، هي في الواقع غريش الواد، وإين لوات هي في الواقع عين الوحايد. نظر: إ. كاريت، **مصدر سابق**، ص21؛ ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص98.

[3] « كان بايسونال قد تلقّى التوصية من القس **بينون** بعد أمر من السيد **بيار شيراك(Piérre Chirac)** المشرف على حديقة الملك، ويعيد **دولامال** السبب في ضياع الرسائل إلى **بينون** لكثرة مهنه فلم يجد وقتا لقراءتها، وإلى شيراك(شغل طبيبا في الجيش ثم صار مكلفا بحدائق الملك وطبيبه الخاص) الذي تحدث عنه قائلا: "إن إدارته المهملة ستفقد ليس فقط الملاحظات العلمية للرحالة الشاب، بل الأعشاب والبذور التي يكون قد أرسلها". ينظر: PESSONNEL et DESFONTAINES, **op.cit**, p XIX.

[4] Daniel NORDMAN**, op.cit**, pp13-71.

وكيفية انتخاب الداي والمهام المنوطة به، ثم يذكر لنا الموظفين كالخزناجي، بيت المالجي، القاضي، المفتي، المزوار... ويتطرّق أيضا إلى القوة العسكرية بشقّيها البري والبحري، وفي حديثه عن الجيش البري يعدّد لنا بعض الرّتب والمهام والامتيازات والعقوبات المطبّقة عليه، كما يشير أيضا إلى موقع المدينة وتحصيناتها وأبوابها وميناءها، المساجد والعيون، السجون والثكنات الموجودة بها...

يختم هذه الرحلة برسالتين خصّصها للحديث عن مغادرته لمدينة الجزائر راجعًا نحو القل وعنابة[1]، ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها الرحالة **بايسونال** في تدوينه لهذه الرحلة كتاب **لوجي دو تاسي**« تاريخ مملكة الجزائر» كما اتّبع نفس منهجه القائم على دحض ورفع الأحكام المسبقة التي روّجت لها الكنيسة الكاثوليكية.[2]

أثناء عودته إلى مرسيليا شارك مع بعض من أصدقاءه في تأسيس جمعية علمية، أصبحت فيما بعد أكاديمية مرسيليا عام 1726م، بعدها تقلّد منصب طبيب أعشاب دائم للملك بغوادالوبي، استقر بالمنطقة وتزوّج عام 1727م[3]، ولم يقم بعدها بأيّة رحلة أخرى باستثناء الرحلة التي قام بها نحو أوربا عام 1756م[4]، توفي في 24 ديسمبر 1759م في سان برتراند ليل(San Bertrand Lille)، ويقدّم فهرس السيرة الذاتية لأعضاء أكاديمية يومًا عن التاريخ المذكور.[5]

1.3.1. خط سير الرحالة: تمثّل الخارطة صورة توضيحية للمدن التي زارها الرحالة، مُعتمدين فيها على ما جاء في كتابه« رحلة إلى إيالة الجزائر» المنشور بلغته الرسمية من الصفحة(267-485)، أو الذي ترجمه الدكتور لخضر بوطبة، من الصفحة(3-213).

---

[1] جون أندري بايسونال، **مصدر سابق**، ص ص 5، 142.

[2] حميد آيت حبوش، **نظرة المصادر الأوروبية إلى تاريخ الجزار في العهد العثماني**، مجلة عصور، مج1، ع11، جوان2012م، ص119.

[3] جون أندري بايسونال، **المصدر السابق**، ص8.

[4] **محمد الزين، مرجع سابق** ، ص193.

[5] M. Jean SAREIL, **A Propos de Jean-André Peyssonnel (1694-1759**, Dix-Huitième Siècle, N°9, Le Sain et le Malsain , 1977, pp 489,490.

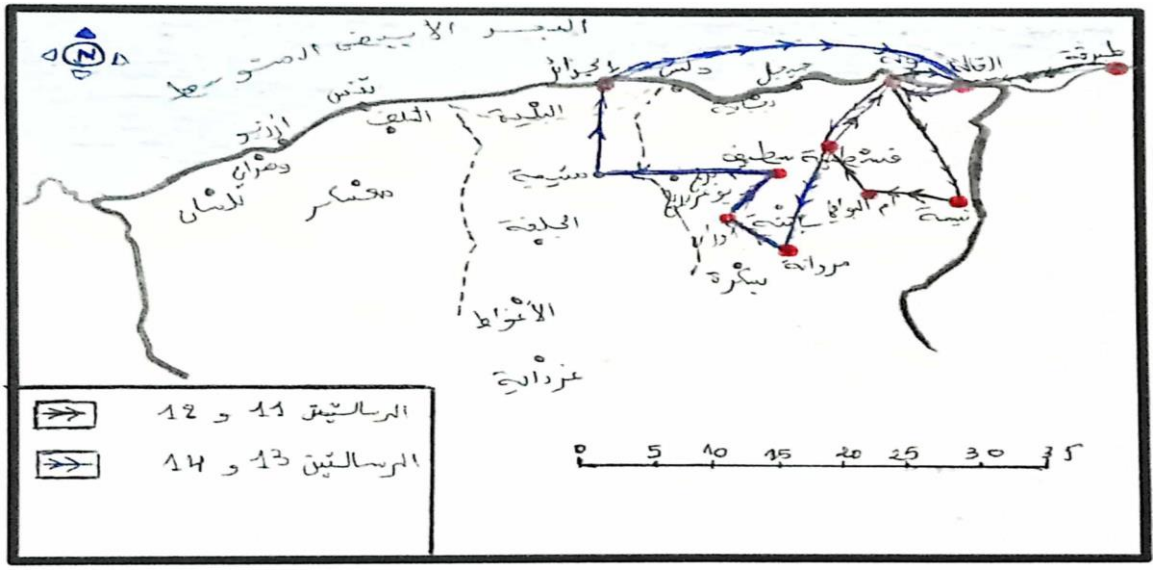

ـ خريطة 02: خط سير الرحالة بايسونال[1] ـ

2.3.1. المناطق التي زارها الرّحالة ووسيلة التنقّل:

زار الرحالة مناطق الشّرق والوسط بالإيالة الجزائرية، وهذا حسب ما عثرنا عليه في رسائله التي بعثها إلى **القسّ بينون، أما وسيلة التنقل** فقد استقيناها من وصفه وذكره للمناطق، بين الخيول التي كانت ضمن المحلة والقوارب الصغيرة لعبور الأنهار والسير على الأقدام .

خط الرحلة	الوصول	المغادرة	وسيلة التنقل
من طبرقة– إلى القالة	10 جانفي	12 جانفي	عبر البحر لأن الطريق البري غير آمن نظرا لتمرّد القبائل
القالة	12 جانفي	21 جانفي	الخيول+ طواف خشبي لعبور نهر بوبياس أما الخيول فعبرته سباحة
بونة	22 جانفي	26 جانفي	قارب لعبور نهر بوجمعة+ الخيول لسهل بونة
تبسة	28 جانفي	29 جانفي	الخيول

[1] يمكن العودة إلى الخرائط بشكل دقيق ومفصل أكثر، كل رسالة على حدى في كتاب جون أندري بايسونال الذي قدمته الكاتبة الفرنسية من أصول تونسية **لوسيت فالنسي**. ينظر: Jean-André PEYSSONNEL**, op.cit** , pp164, 266.

عين البرج أم البواقي	30 جانفي	31 جانفي	الخيول
قسنطينة	2 فيفري	6 فيفري	الخيول
بونة	10 فيفري	11 فيفري	الخيول+ قارب صغير للوصول الى ميناء بونة
القالة	11 فيفري	24 ماي (أمضى فيها الشتاء كله)	سفينة تنقل الخمور
بونة	25 ماي	6 جوان	الخيول
قسنطينة	10 جوان	13 جوان	الخيول+ قارب
مروانة	13 جوان	14 جوان	الخيول عبر طريق جبلي
جبال الأوراس	22 جوان	27 جوان	الخيول
سطيف	14 جويلية	17 جويلية	الخيول رفقة قافلة
زمورة	18 جويلية	23 جويلية	الخيول+ السير دون وسيلة لتسلق الجبال القاسية والشديدة الانحدار
الجزائر	23 جويلية	10 سبتمبر	الخيول+ السير على الأقدام
القالة	10 سبتمبر 1725م		غادر عبر سفينة إلى مرسيليا

- جدول رقم 4: المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقّل-

4.1. رينيه لويش ديفونتان[1] (Réné Louich DESFONTAINES)(1750-1833)م:

طبيب وعالم فرنسي ليبيرالي، ولد 14 فيفري عام 1750م، وهو من مقاطعة إيل فيلان بلدة تريمبلاي(Tremblay) في فرنسا، الفتى الذي تلقّى التوبيخ من معلمه بالفاشل والذي لن يفلح بشيء في حياته؛ لكنّه وخارج التوقّعات درس الطب وتخصّص في دراسة النبات.[1]

[1] [هناك من يطلق عليه دي فونتين أو ديسفونتين تبعا للتهجئة العربية للإسم، أو ديفونشين كما ذكره اعميراوي احميده في (كتابه الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر)، وهو الوحيد الذي استخدم حرف الشين بدلا من السين وأعتقد أنه تتبع أصل الرحالة ولأنه نورماندي أطلق عليه ديفونشين، بل إن بعض المراجع الأجنبية تعتمد التسمية أيضا M. Desfontaines، بدلا منM. Defontaines وهذا ظاهر في العديد منها، كما أن louiche توضّح أنه من أصل نورماندي، لأنهم ينطقون لويس ب لويش]. ينظر الملحق رقم09: بروتريه لرينيه ديفونتان، ص329.

في عام 1781م حصل على الدكتوراه في الطب من كلية ريمس، وفي عام 1782م حصل على دكتوراه في الطب بباريس، عُيّن عضوا في أكاديمية العلوم بفرنسا بدعم من **غيوم لويس غيوم ليمونييه(Louis Guillaume Le MONNIER)**(1717-1799)[2] أستاذ علم النبات في حديقة الملك، وكانت له مساهمة كبرى في تجديد علم الأحياء[3]، وكغيره من علماء الطبيعة والنبات انضمّ إلى الأكاديميات والهيئات العلمية ومراكز البُحوث المتخصّصة في علوم النبات والكشف الأثري.

كُلّف بمهمة علمية في مجال البحث في التاريخ الطبيعي والنباتي في كلّ من تونس والجزائر، وكان **ليمونييه** هو من اقترح ذلك، أُرسل إلى الإيالتين ما بين سنوات 1783 و1786م[4]، زار الجزائر في 04 أفريل عام 1783م وغادرها بعد أشهر بسبب الظروف المناخية وتدهور حالته الصحية.

عاود زيارتها في 01 جويلية 1785م حيث اختار زيارة المناطق الشرقية والوسطى من الإيالة الجزائرية، اهتم بالنبات والأزهار والطبيعة البكر والأرض الخصبة والزراعة، واستطاع تحديد 1520 نوعا من النباتات منها 300 نوع كان مجهولا قبل أن يكتشفه، أخذ معه بعد

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة**...، مرجع سابق، ص179.

[2] **ليمونييه:** كان حامي **ديفونتان** وقاده إلى أعلى المناصب في العلوم في سنّ مبكرة جدا، ينحدر من عائلة نشأت في نورمان بوكاج، ارتقى ليمونييه بسرعة إلى مناصب عالية، مثل كبير أطباء القوات المسلحة، والطبيب الخاص للملك **لويس الخامس عشر** ثم **السادس عشر**، ولأنه كسب ثقة الملك، فقد تم تكليفه بإنشاء حديقة تريانون، وفيها تعرّف على **ديفونتان** وربط صداقة معه. ينظر:

Discours De M. Auguste CHEVALIER, **Inauguration du Buste de René Louiche- Desfontaines de Membre de l'Académie des Sciences**, A Tremply, Ille-et-Vilaine, le dimanche 3 Octobre 1937, p7.

[3] N.Au. **Les Voyages Scientifiques de René Louiche-Desfontaines et Auguste Bachelot de la Pylaie (1780-1820)**, Impremerie Gide, Paris, p78.

[4] يعتبر ديفونتان من أهم علماء فرنسا، وتتبين أهمية هذا الرحالة أن القنصل الفرنسي في تونس راسل حكومته يخبرها بقدومه، وما يقوم به من نشاطات واكتشافات جديدة في علم النبات ينظر: رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا(1782-1814)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: فلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، د، س، ن ، ص54؛ سميرة بوزبوجة، **مرجع سابق**، ص325.

عودته مجموعة هامة من الأعشاب حُفظت بمتحف العلوم الطبيعية بباريس، استعملها في إصدار كتابه.[1]

عن مشروعه يقول: " في نباتات الأطلس 1783م عزمت القيام بمشروع رحلة إلى السواحل البربرية[2] للقيام بملاحظات حول جغرافية العصور الغابرة، وعادات السكان إلى جانب التاريخ الطبيعي وقد تبيّن لي أن هذه المناطق لم يقم بزيارتها أي عالم طبيعيات".[3]

حضي **ديفونتان** بتسهيلات إدارية وعملية للقيام برحلته، بل منحت له ضمانات من قبل **دو كيرسي**، كما أنّه عرض مخططه على أكاديمية العلوم وحصل على تأييد ومُنحت له الأموال اللازمة لمشروعه، تحدّث عن ذلك قائلا: "سيكون باستطاعتي الولوج إلى داخل الأراضي والتجوال في ممالك تونس والجزائر، من حدود طرابلس حتى الحدود المغربية منه"[4]، حتى أن **دو لامال** في تقديمه للكتاب تعجّب من التسهيلات قائلا:" هل لنا أن نحظى بالتسهيلات للتجول داخل افريقيا، كالتي حضي بها رحالة القرن الماضي؟"[5]

---

[1] حسان كشرود، **مرجع سابق**، ص 51.

[2] **البربرية:** تم استخدام هذا الاسم الجغرافي" بربري" والذي تناقله الملاحون والتجار الغربيون في العصور الوسطى، لأوّل مرّة في عملين طُبعا عام 1557م ، بواسطة مؤلف فلامنكي ومؤلّف إيطالي، بينما استخدم المصطلح قبلا، فتعتبر الفترة القديمة الشعوب التي لا تنتمي إلى الحضارة اليونانية واللاتينية ولا تدين بالمسيحية " بالبرابرة"، ومع نهاية القرن السادس عشر انتشر استخدامه على نطاق واسع، فمارمول كاربخال و يوافقه على ذلك ليون الافريقي(حسن الوزان) أعاده إلى " بير" وتعني سكان الصحراء، بينما **لوجي دو تاسي** أعاده إلى أنّ الأوروبي غير المستنير كان يرى أن البربري يتمتع بطبيعة وحش افريقي، ولا شكّ تحت ضغط العلاقات السياسية والاقتصادية مع أوروبا، أضيف معنى آخر «المتوحشون» أو كما تمّ ذكرهم في مؤلّف الأصدقاء العبيد في البلدان البربرية قبل القرن التاسع عشر" حيث يقول: «البشر الأكثر وحشية وقسوة من الوحوش« وقاموا بتصنيف المجموعات من البشر، الذين لم يكونوا حتى ذلك التاريخ على علم بوجودهم بالكائنات البربرية والدونية التي وجب اخضاعها، وفي تعريف جامع ويبدو منحازا لو قُرْأَ قراءة سطحية، وأراه جامعا ما دام يصف المصطلح وما اشتمل عليه عند الغربيين في تلك الفترة، وهو لشارل أندري جوليان حول بلاد البربر«أن سكان شمال افريقيا، يكادون يكونوا جميعا من البربر دون سواهم ، وإن وجد بربر خارجها». ينظر: شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، د ط، الدار التونسية للنشر، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج1، تونس، 1983م، ص13؛ تزفيتان تودروف، **الخوف من البرابرة(ماوراء صدام الحضارات)**، ط1، دار كلمة، تر: جان ماجد جبور، أبو ظبي، 2009م، ص30.

[3] René Louiche DESFONTAINES**, op.cit**, P1.

[4] **ibid,** p2.

[5] Jean-André PEYSSONNEL,,**Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Relation d'un voyage sur les Côtes de Barbarie, fait par ordre du Roi en 1724 et 1725 / Peyssonnel et Desfontaines**,. Libraire de Gide, Paris,1938, pvii.

أسّس **ديفونتان** لمشروع العبور في البلاد البربرية[1]، وتحدث عن مشروعه في مقدمة كتابه « جزء من رحلتي إلى إيالتي تونس والجزائر »(Fragment d'un Voyage dans les Régences de Tunis et d' Alger) طبعت رحلته العديد من المرات، تحدّث عن الكثير من مناطق وقرى الجزائر وخصوصا المنطقة الغربية تلمسان ومعسكر وضواحيها، واصفا سكانها وحكّامها ونمط العيش فيها، وغيرها من الملاحظات التي تخصّ الجانب الاجتماعي.[2]

زار تونس في 16 أوت 1783م، وظلّ بها حتى أفريل 1785م، وانتقل حينها إلى الجزائر، مع عودته من رحلته في أفريل 1786م، قدّم تقريرا للأكاديمية عن عمله، وعُيّن بعدها رئيسًا لعلم النبات في الحديقة النباتية عوضا عن **ليمونييه** الذي شغل الكرسي منذ عام 1755م، والذي كان في مراسلة دائمة معه طوال مكوثه بين تونس والجزائر[3]، وكرّس نفسه بحماسة في التعليم وأعطى له شكلا جديدا.

لم ينشر **ديفونتان** ملاحظاته إلا عام 1798م[4]، وقد شارك بالاتفاق الفرنسي الروسي وكان ضمن طاولة الإمبراطور **نابليون** في تيليست 6 جويلية 1807م[5]، توفي في باريس 16 نوفمبر 1833م.

نشرت رحلته بعد وفاته بسبع سنوات من طرف الجغرافي الفرنسي **ديرو دو لامال** في عام 1838م، الذي قام بجمع رحلة **ديفونتان** مع رحلة **بايسونال** في كتاب واحد، لأنه

[1] عن هذا المشروع يتحدث **دورو دو لامال** في تقديمه لرحلة **ديفونتان** يقول:" عام 1783 شكّل ديفونتان وهو بالفعل عضو في أكاديمية العلوم مشروع عبور بلاد البربر لإبداء ملاحظات حول الجغرافيا والآثار والعمران، خاصة التاريخ الطبيعي...". للمزيد ينظر:

René Louiche Desfontaine**, op.cit,** pnp.

[2] فاتح بلعمري، **تلمسان ونواحيها سنة 1785م من خلال رحلة الرحالة ديسفونتين العلمية إلى الجزائر**، المجلة التاريخية الجزائرية، ع06/ جانفي/ماي2018م، ص112.

[3] يقول السكرتير الدائم للأكاديمية السيد **فلورين(Florin)** في الجلسة العامة لأكاديمية العلوم المؤرخة يوم 11 سبتمبر 1837:" إن الباحثين عن مصير هذا البلد (ويقصد الجزائر)، لن يجدوا معلومات أدقّ عن مناخه ونتاجه الطبيعي وموارده الطبيعية والاقتصادية من رحلة ديفونتان، وقد زاد فعلا الاهتمام بهذه الرسائل مع غزو الجزائر " ويقول أيضا " كان ديفونتان مستكشفا عظيما وماهرا وشجاعا، استطاع وحده من خلال رحلته العظيمة ما بين عامي(1783–1785)م، العبور الى أكثر المناطق انغلاقا في شمال إفريقيا، واجه المخاطر، واضعا نفسه بمهارة كطبيب لهم، معرّضا حياته للخطر في بلد متعصّب يأكل القويّ فيه الضعيف". ينظر:

M.FLOURENSE**, Éloge Historique de R .Louiche Desfontaine,** Secrétaire Perpétual. Lu à la Séance Publique du 11 Septembre 1837, pp13-27.

[4] **ibid**, pp10-13.

[5] Dresden, **Sächsische Landesbibliothek - Staats- und Universitätsbibliothek Dresden (SLUB), Abteilung Sammlungen** / Talleyrand-Sammlung Dr. Eberhard Ernst, Signatur/Inventar-Nr.: Tall.Graf.p II,2,17

رأى أن رحلة **ديفونتان** تكمل رحلة **بايسونال** في المجال الاثنوغرافي، إذ اهتم أحدهما بملاحظة الطبقات الغنية في حين صبّ الآخر اهتمامه في دراسة الطبقات الفقيرة[1]، وجاءت رحلة **ديفونتان** في الجزء الثاني من هذا الكتاب، حضيت رحلته بطبعات عدة آخرها سنة 2016م، أضيف لها « الرحلة النباتية »(Le Voyage Bbotanique) تحدّث فيها الرحالة عن تونس من حيث سكانها، حكومتها، تجارتها، عادات وتقاليد أهلها، مناخها وإنتاجها الطبيعي.[2]

1.4.1. خط سير الرحالة:

تمثل الخريطة رحلة **ديفونتان** عبر المدن الجزائرية، استخلصناها من كتابه «رحلة إلى إيالتي تونس والجزائر» المنشور باللغة الفرنسية ، من الصفحة (718-969).

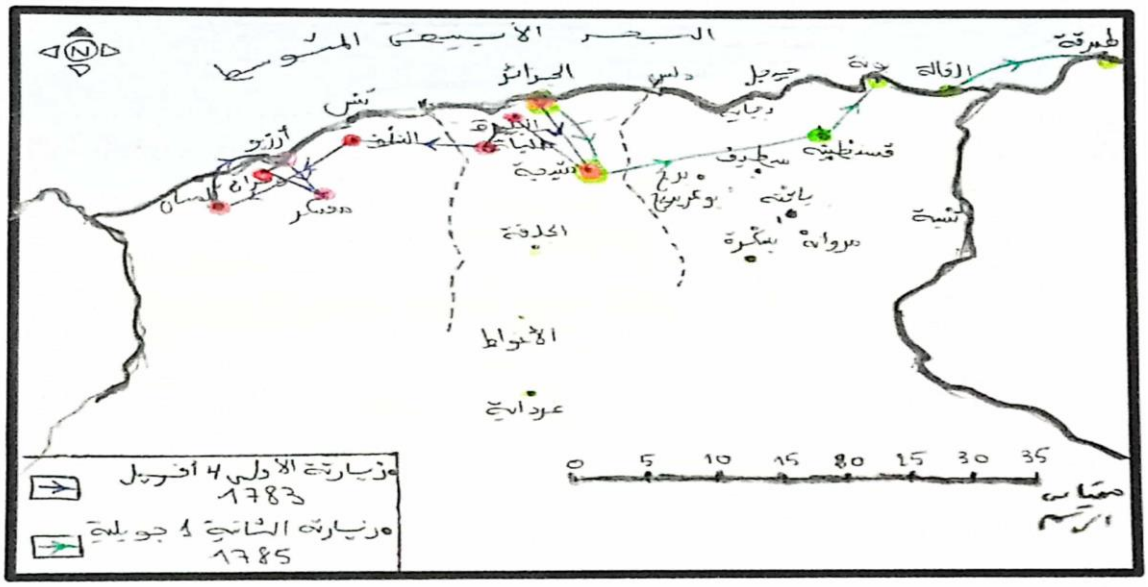

- خريطة03: خط سير الرحالة ديفونتان-

[1] إ. كاريت، **مصدر سابق**، ص22.

[2] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **مرجع سابق**، ص179.

2.4.1.المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل[1]:

زار الرحالة الفرنسي **ديفونتان** في رحلته الأولى مدينة الجزائر، والتي كانت بتاريخ 04 أفريل 1783م، تنقّل بين مناطق الوسط وأغلب مدن الغرب الجزائري، وفي زيارته الثانية التي كانت بتاريخ 01 جويلية عام 1785م زار الجزائر وبعض المناطق المتاخمة لها ثم تنقّل في بعض مناطق الشرق الجزائري.

المنطقة	الوصول	المغادرة	وسيلة التنقل
الجزائر	04 أفريل	4 ماي	الركوب على البغال
متيجة	5 ماي	6 ماي	الركوب على البغال+ السير على الأقدام
البليدة	6 ماي	8 ماي	قارب لعبور النهر+ الركوب على البغال+ السير على الأقدام[2]
مليانة	8ماي	10 ماي	الركوب على البغال+ السير على الأقدام
الشلف	10ماي	12 ماي	قارب صغير+ الركوب على الأحمرة+ السير على الأقدام[3]
تلمسان	12 ماي	24 ماي	الأحمرة + السير على الأقدام وعبور الوادي
أرزيو	25 ماي	27 ماي	ركوب السفينة وتفقد الميناء والمرور حتى الوصول الى سهل هبرة الشاسع
معسكر	27 ماي	04 جوان	السير على الاقدام + الركوب على البغال والوصول حتى الحدود المغربية
جنوب وهران	05 جوان	30 جويلية	السير على البغال

[1] بالنسبة لتاريخ وصول ومغادرة الرحالة إنما استقيناها فقط من وصف الرحالة نفسه للأماكن التي زارها وقد لا تكون دقيقة تماما، لأن ديفونتان لم يذكر سوى تاريخ وصوله لإيالة الجزائر، والباقي إنّما كان يشير إليه بأنه ظلّ في المكان يوما أو يومين أو ثلاث ثم غادره، وكذلك بالنسبة لوسيلة التنقل والتي يذكرها الرحالة عرَضا فقط في الوصف، وأحيانا يشير إليها مباشرة كما سبق وذكرنا ذلك

[2] " كنت قد ترجلت للبحث عن بعض النباتات..."

René Louiche Desfontaine **, op.cit,** p142.

[3] "كانت مسيرتنا دائما بطيئة، مشيت على الأقدام ليسهل عليّ جمع النباتات والحشرات". ينظر:

ibid, p154.

مغادرته للجزائر بسبب الظروف المناخية وحالته الصحية[1]			
الجزائر	01 جويلية 1785م	18 سبتمبر	المرور عبر سفينة+ السير على البغال[2] عبر التلال والالتفاف حول النهر+ السير على الأقدام للمخيم
متيجة	18 سبتمبر	21 سبتمبر	السير على الأقدام+ تسلق الأطلس+ المرور إلى جبال جرجرة
قسنطينة[3]	21 سبتمبر	24سبتمبر	السير على الخيول عبر وادي سيبواز+ السير على الأقدام
بونة	26سبتمبر	28سبتمبر	السير على الخيول في المرتفعات الجبلية+ السير على الأقدام
القالة	30 سبتمبر	5 أكتوبر	قارب صغير + ثم المرور الى طبرقة وغادر المدينة

- جدول رقم 5: المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل-

5.1.جان لويس ماري بواري(Jean Louis Marie POIRET)(1755-1834)م[4]:

راهب وعالم نبات ومستكشف فرنسي، ولد في سانت كوينتان(Saint Quientin) بفرنسا كرّس نفسه لدراسة التاريخ الطبيعي وللسّفر[5]، أرسله الملك لويس السادس عشر إلى ساحل الشمال الإفريقي لجرد الحيوانات والنباتات الخاصة بهذه المناطق، دامت رحلته من ماي 1785م حتى نوفمبر1786م، استغلّها لدراسة التاريخ الطبيعي ومراقبة عادات ودين العرب

[1] يقول ديفونتان عن سبب رحيله: «عندما كنا على بعد ثلاثة أيام من الجزائر العاصمة، علمت أن الإسبان يتفاوضون للسلام مع الإيالة، كنت سأكمل رحلتي، لكن الحرارة الشديدة وتدهور صحتي جعلاني أقرر الرحيل حتى لا أصاب بالمرض... ". ينظر:

René Louiche Desfontaine, op.cit,, p196.

[2] "غادرت الجزائر العاصمة يوم 18 سبتمبر 1785م، لقد تجنبت حواف الطريق، لأنّ الأمواج غمرت أقدام البغال ". ينظر: .**ibid**, p199

[3] "ينتهي السهل الذي سافرنا إليه منذ ثلاثة أيام ... وحوالي الساعة الثامنة وصلنا مدينة قسنطينة». ينظر:.**ibidem**, p214

[4] ملحق رقم10: بورتريه للقس بواري رسمه أمبراوس تارديو، ص330.

[5] أغلب المراجع التي قرأتها تذكر أنه تخلّى عن توجهه الكنسي لأجل دراسة التاريخ الطبيعي، وهذا غير دقيق، فالرحالة نفسه يتحدّث أنّه لما كان عائدا من القالة وحين زار مع علي باي بعض العرب في بونة، اعتقدوا أنه قسّ حصن الباستيون، نظرا للباسه الذي يؤكّد ذلك...للمزيد ينظر: Jean Louis POIRET, **Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'Ancienne Numidie Pendant les Années 1785 et 1786, sur la Religion, les coutumes et les Mœurs des Maures et des Arabes-Bédouins**, avec un essai sur . l'Histoire Naturelle de ce Pays, Lyon,1789, p70.

والبدو بحماس كبير، وقدّم عملاً جيدًا عن الناحية الشرقية للجزائر، التقى في رحلته بديفونتان وعمل معه لمدة أسبوعين.[1]

نشر **بواري** مؤلّفه« رحلة إلى بلاد البربر»(voyage de Barbarie) في باريس عام 1789م، وهي عبارة عن مجموعة من الرسائل مقدّمة إلى الطبيب **فوريستر(FORESTIER)**[2]، عن دِين وعادات مغاربة المور والعرب البدو، وهي أيضا بمثابة مقدّمة للتاريخ الطبيعي لهذا البلد[3].

توقّع **بواري** في رحلته أن يجد رجل الطبيعة الذي يعيش على فطرته، الفظّ على الأرجح لكنّه طيب وشريف، بيْد أنّه أشار إلى أنه التقى بخلاف ذلك، فمعرفته بقبائل البدو في جوار القالة وقريبا من بونة وفي بايلك الشرق، تُؤكّد أن الرجل البدويّ حسب رأيه هو الرجل الأكثر غدرا ومكرًا وفسادا[4].

وهكذا وجد **بواري** نفسه مقتنعا أن العرب البدو لا علاقة لهم برجل الطبيعة الأسطوري الذي اختلقته فلسفة روسو[5]، لقد أثرت أفكار جان جاك روسو في الفرنسيين وقد كان **القس بواري** متأثّرا به ومولعا بأفكاره، حتى أنّه لما زار الجزائر كان يبحث عن رجل الطبيعة، الذي لم تفسده الثقافة والفنون، إذ يعتبر روسو أنّ الفنون والعلوم تُفسد الأخلاق، وأنّ الفضيلة لا أثر لها في غير الحال الطبيعية حيث لا علوم ولا فنون، هذا ما جاء في كتابه أصل «التفاوت

---

[1] Jean Louis POIRET**, op.**cit, p2.

[2] يوضّح **القس بواري** السبّب في توجيه رسائله إلى هذا الطبيب الذي يسكن في نفس المنطقة التي يعيش فيها، حيث تربطه به علاقة صداقة وهو أوّل من شجعه على دراسة التاريخ الطبيعي، كما أنه سيقوم بتقييم الملاحظات وتنقيتها، حتى يستطيع إرسالها إلى الجهات المعنية في حلّة جيدة، والواضح حسب حديث **بواري** أنه يستقبل أيضا رسائل من صديقه يطلب منه التحقيق أكثر في بعض الأمور وزيارة بعض الأماكن... للمزيد ينظر: **ibid**, p32.

[3] Denise IBRAHIMI, **Un informateur de l'Abbé Raynal : l'Abbé Poiret, Auteur du « Voyage en Barbarie »>. In** : Dix-Huitième Siècle,Edition corner frère, N°4, 1972. pp. 237, 238.

[4] نقلت رأي **بواري** كما هو، بيد أن المطّلع على الرسائل سيلحظ كمّ التعالي والروح العدائية الذي يتصّف بها الرحالة، وعلى حسب وصفه للحياة في أوروبا واضح أنه من عائلة ثرية، لهذا يشعر بالاشمئزاز من مختلف ما شاهده.

[5] إن ما أثّر على ذهنية **بواري** كرجل من النخبة هو ما اصطبغ في الذهن الأوروبي في تلك الفترة، فمع بزوغ عصر النهضة بدأت رحلات المغامرين الغربيين إلى الشرق، بيد أنّ الصورة التي رسمها البرتغاليون المستكشفون الأوائل لقطع حبال الرغبة في الاستكشاف والتوغّل، أن الأفارقة أقوام ألفوا القسوة، والبعض الآخر حربيّ الطابع من أكلة لحوم البشر، تعتمل فيه فكرة الاستعمار التجاري والاستغلال، ولعل هذا سبب آخر يضاف إلى فكر **بواري** كأوروبي يؤثّر ويتأثر. ينظر: Jean louis Marie Poiret**, op.**cit, p2؛ رولان موسنيه، أرنست لابروس، **مرجع سابق**، ص 310.

بين الناس» والذي تلاه كتاب «العقد الاجتماعي» الذي ظهر عام 1726م، ونظرًا لما نادى به هذا المؤلف من دفاع عن حقوق الانسان، وأنّ هدف كل نظام اجتماعي أو سياسي هو حفظ حقوق كل فرد، بات هذا الكتاب إنجيل الثورة.[1]

يذكر النقيب **إرنست كاريت(Ernest CARETTE)** (1808-1889)م أنّ أغلب من طالع ما كتبه **بواري**، يلاحظ الفرق الشاسع بينه وبين **ديفونتان**، فملاحظاته ملآى بالمبالغات الصبيانية، كما أنها مزيج من الانفعالات الساذجة والمقاربات التي يشوبها التضخيم[2]، أيضًا أضفى على عمله إسهابًا دينيًا، كما كان **بواري** ورغم تخليه عن الكهنوت وحبّه للاستكشاف في حذر دائم رغم الحماية والتّوصيات التي قدّمها له مضيفوه، والواقع أنّ في ما ذكره بعض الصّحة من ناحية اصطباغه بالصبغة الدينية، أما أنّ ملاحظاته ملأى بالمبالغات فهذا غير دقيق، إذ اطلعنا على الرسائل وأسلوبها بديع وممتعة لمن يقرؤها، ولا غرابة في ما ذُكر من أوصاف.

1.5.1. خط سير الرحالة:

خارطة توضيحية للمدن والمناطق التي زارها **القس بواري** ، استقيناها من مؤلّفه المنشور باللغة الفرنسية « رحلة في بلاد البربر » ، من الصفحة (33-368).

[1] إنّ المكانة التي حضي بها هذا الكتاب؛ تعود إلى ما امتاز به من قوّة العواطف، وسلاسة العبارة، ومتانة الحجّة، ورشاقة الأسلوب، مع أنّ الكثير من نظرياته لا تبرّرها الوقائع التاريخية ولا تستقيم البتّة مع الطبائع البشرية، قال **نابليون بونابرت** عن الكتاب« لولا كتاب العقد الاجتماعي لما قامت للثورة الفرنسية قائمة». ينظر: جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص29؛ محمد قاسم، حسين حسني، **تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا وما يليه حتى نهاية الحرب العظمى**، ط4، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1914م، ص26.

[2] يضيف ساخرا من سذاجة ما كتب في الملاحظات في نفس الصفحة« أنك تشعر وبشكل جليّ أنك أمام نتاج كاتب من أهل المدينة، قد أصابه دوار الغربة والضياع». إ. كاريت، **مصدر سابق**، ص22.

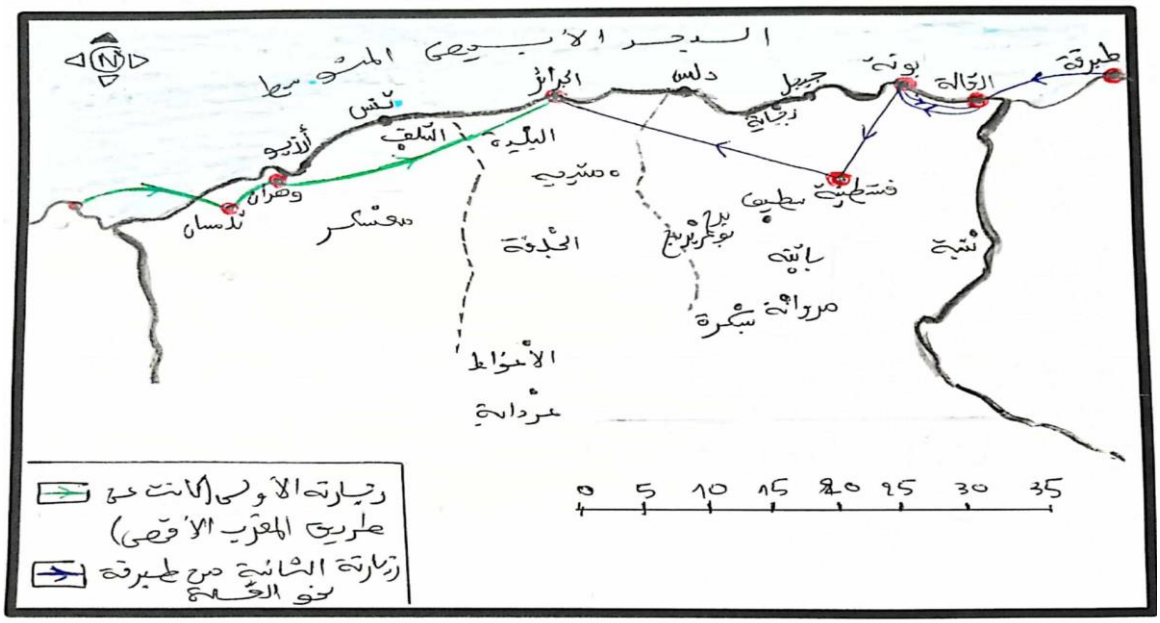

ـ خريطة رقم 04: خط سير القس بواري ـ

2.5.1.المناطق التي زارها الرحالة:

زار **بواري** أغلب إقليم الشرق، ومن المناطق التي زارها القالة، بونة، وقسنطينة، بينما تلمسان ووهران والجزائر، فالمتوقع أنّه زارهم عن طريق المغرب الأقصى قبل قدومه للجزائر، أو أنه ذكرهم فقط قبل كتابة الرسائل وهذا مستبعد، تماشيا مع السّرد حين كان يصف بعض المناطق الجميلة " أنا فقط أعطي بعض الأفكار العامة عن المناطق الجميلة قبل البدء في وصف مناطق بلاد البربر"[1]

زار القالة في 12 ماي 1785م قادمًا من تونس، وفيها كتب رسالته الأولى، أما باقي الرسائل فكانت دون تواريخ.

[1] Jean louis POIRET**, op.**cit, p34.

خط الرحلة	وسيلة التنقل
من طبرقة– إلى القالة	عبر البحر لأن الطريق البري غير آمن نظرا للظروف الداخلية والصحية السيئة
القالة	مكث بها فترة طويلة وكان يسير راجلا في تنقله بين خيام البدو
بونة[1]	الخيول لسهل بونة+ الترجّل بين خيام البدو
القالة	العودة بسبب الجو الحار وتدهور صحته
بونة	الترجّل بين الخيام+ قارب صغير للوصول الى ميناء بونة
قسنطينة	الترجّل في الطبيعة لتحديد المزروعات والبراري+ قارب للمرور عبر النهر
الـ جـ زائـ ر	الخيول+ الترجّل على الأقدام
أما بالنسبة لزيارته لمناطق الغرب فالواضح أنه زارها قبل قدومه إلى القالة وهذا يوضّح أنه زار الجزائر على فترتين ، قدم إليها أولا عن طريق المغرب الأقصى وزار فيها تلمسان ووهران ومعسكر ثم عاد إلى فرنسا، وعاود زيارتها عن طريق تونس من ميناء طبرقة	

– –جدول 6: المناطق التي زارها الرحالة –

6.1.جون ميشال فونتير دي باراداي(Jean Mickel Venture de Paradis)(1739-1799)م:

مستشرق ورحالة فرنسي، ولد بمدينة مرسيليا(Marsilia)، ينحدر من عائلة نبيلة من أم يونانية وأب كان يعمل ترجمانًا في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق، ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى استفاد من منحة دراسية إلى باريس لتعلّم اللغتين التركية والعربية، إضافة إلى اللاتينية بمعهد اللغات الشرقية، بدأ حياته المهنية في القسطنطينية بمكتب الترجمة ، ثم

[1] لا يذكر الرحالة المدة التي قضاها في القالة، لكنها بدت طويلة بسبب انتشار الوباء، لكنه ذكر أنه بعد خروجه منها ظل ثلاثة أيام يترجّل بين الحدائق والسهول ويقارن بين المزروعات قبل وصوله إلى بونة.

تقلّد مناصب عديدة في صيدا والقاهرة والمغرب، كما عُيّن كقنصل مفوّض في تونس(1780-1786)م.[1]

لعب دورًا في مستقبل الاستشراق الفرنسي، وكان متمرّسا في اللغات التركية والعربية والفارسية، ويعتبر من أفضل الخبراء الفرنسيين في شمال إفريقيا والمشرق في نهاية القرن الثامن عشر[2]، رافق **البارون فرانسوا دو توت(François de TOTT)** (1777-1778)م في المهمّة التفتيشية إلى موانئ الشرق، والتي كان الغرض منها دراسة إمكانية غزو مصر، قام **لويس السادس عشر(Louis XVI)**(1754-1793) م[3] برفعه إلى منصب مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية.

أُرسل **دي بارادي** إلى الجزائر سنة 1788م، بغرض إنجاح مفاوضات تتعلّق بأمور تجارية، حيث مكث سنتين[4] واستفاد من أوقات فراغه بمتابعة بحوثه حول اللغة الأمازيغية التي أثمرت تأليفه لكتاب في قواعدها ومفرداتها[5]" ألّفت قاموسا كاملا مليئًا بالجمل التي ستكون بمثابة دعم للقواعد النحوية واللغوية، وسيفيد العلماء الذين يودّون معرفة اللغة، في حال رغبت الحكومة بطباعة هذا العمل".[6]

---

[1] فونتير دي باراداي، **مصدر سابق**، 2022م، ص7.

[2] Thomson Ann RAYNAL**, Venture de Paradis et la Barbarie**, Dix-Huitième Siècle, N°15, 1983, p 330.

[3] **لويس السادس عشر:** ملك فرنسا ونافارا، آخر ملوك فرنسا قبل الثورة التي أدت بالإطاحة بالحكم المطلق، ساعد الثورة الأمريكية بإرسال فرقة بقيادة لافايت، بعد سنوات قليلة من الثورة حاول الفرار رفقة زوجته، لكنّ الثوار تمكّنوا من الإمساك به وأعدم الزوجان في الساحة العامة عام 1793م. ينظر: إ. كاريت، **مصدر سابق**، ص7.

[4] هناك مغالطة بشأن تواجد **دي باراداي** في الجزائر بين ما أرّخه الكثيرون حول تواجد الرحالة وبين ما تحدّث به هو نفسه، فبينما يذكر المؤرّخون أنه أقام عامين في الجزائر (1788-1790)م، وبين أنّه تحدث في كتابه« الجزائر خلال القرن الثامن عشر» في الصفحة 17: «عن فرقاطة فرنسية في 28 أكتوبر عام 1780م نزلت في الميناء وتعرضت لعاصفة، وذكر عام 1784م عن فرقاطة هولندية تعرضت للمصير نفسه، وأيضا حدث مع سفن أخرى عام 1787م»، وهذا نرجّحه لأمرين إما: أنه يذكر فقط الحوادث الذي تتعرّض له السفن في الميناء من باب المعرفة السابقة، أو أنّه كان متواجدا فعلا وما نقل من تأريخ عن فترة تواجده غير ثابت.

[5] زكريا العابد، **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007م، ص112.

[6] Mohamed MOAK, **Langues, Société et Histoire d'Alger au XVIIIe Siècle d'Après les Données de Venture de Paradis (1739-1799)**, I.R.L.C, Tunis, 2004, p329.

عام 1798م أثناء حملة **بونابرت** على مصر، اسْتُدعي **دي باراداي** للسير في صفوف الحملة كمترجم ومستشار في الشؤون الشرقية، بل كان من يكلّم عموم المصريين عِوضا عن **نابليون** وكاتبًا لبلاغاته باللغة العربية، وكان له الفضل في التفاف الكثير من القبائل العربية حولهم[1]، بيد أنّه توفي إثر مرض الدوسنتاريا أثناء حصار الجيش الفرنسي لمدينة عكا، وكان لوفاته آثارًا وخيمة على مغامرات **نابليون** وخسارة كبيرة لرجل يعرف المشرق.[2]

خلّف **دي باراداي** العديد من الترجمات للمصنّفات العربية، والكثير من المؤلّفات بعضها طُبع وبعضها لازال محفوظا بالمكتبة الوطنية بباريس[3]، كما ألّف كتابه «الجزائر في القرن 18م» مقسّم إلى خمس مجلدات تحدّث فيه عن الجزائر(موقعها، أحياؤها، تجارتها، ثكناتها، ديوانها، وعلاقاتها).[4]

نشرت تقارير كثيرة في المجلة الافريقية عبر أعداد كثيرة حول مؤلّفه، أشرف على تجميعها والتعليق عنها الفرنسي **جوزيف كوك (Joseph CUOQ)**(1860-1947)م، تمّ طبعه عام 1983م رفقة الرحلة الخاصة بتونس تحت عنوان« تونس والجزائر في القرن 18م» Tunis et Alger au XVIII).[5]

1.6.1.خط سير الرحالة:

تمثّل الخريطة المناطق التي زارها الرحالة، معتمدة في تتبّعها على كتابه (الجزائر خلال القرن الثامن عشر)، من الصفحة (7-184)، ويتضّح من خلال ما جاء في المصدر، أنّ الرحالة قد زار أغلب مناطق الجزائر، يستطيع المطّلع على الكتاب أن يستنبط خط سيره مع بعض الغموض أحيانا، لكنه أقلّ حدّة مما احتوى عليه مؤلّف الدكتور شاو.

---

[1] فونتير دي باراداي، **مصدر سابق**، ص8.

[2] هنري لويس، **بونابرت والاسلام* بونابرت والدولة اليهودية**، د ط، تر: بشير السباعي، دار مصر العربية، القاهرة، 1998م، ص23.

[3] Thomson Ann RAYNAL, **op.cit**, p 329.

[4] احميدة اعميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري** ...، مرجع سابق، ص 11.

[5] Mohamed MOAK, **op.cit** , p331.

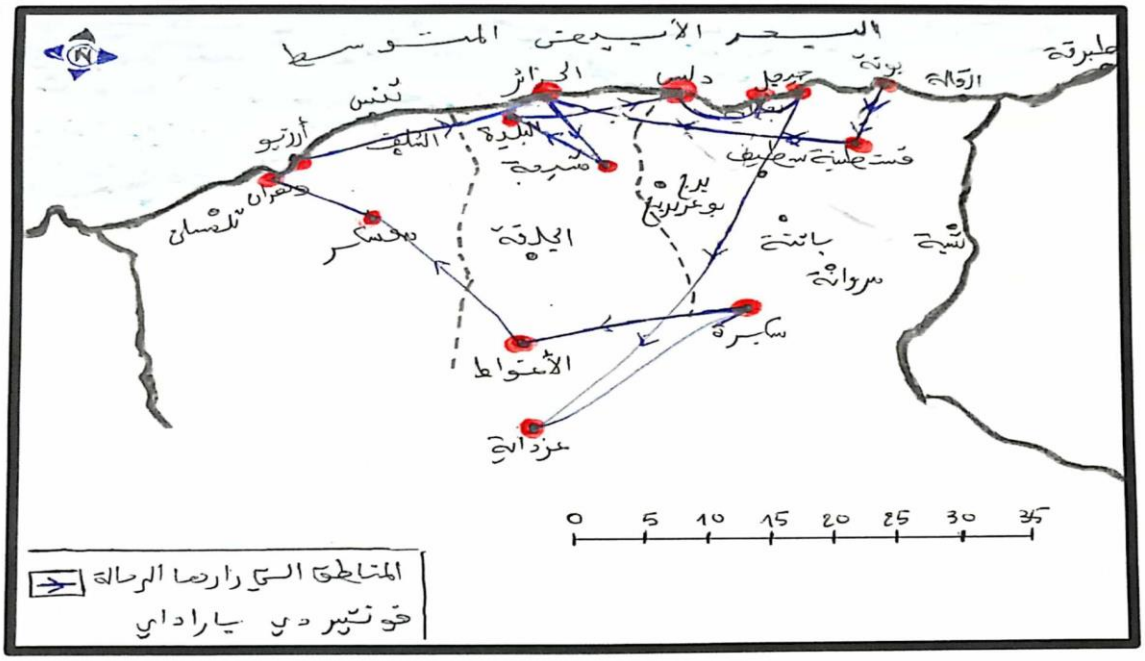

- خريطة05: خط سير الرحالة فونتير دي باراداي-

2.6.1.المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل[1]:

لم نذكر تاريخ تواجد الرحالة في المناطق، لأنّه لا يذكر تاريخ تواجده في أيّ منطقة، بل يذكر الأبعاد فقط، وكأنّه يتركها دليلاً لمن أراد زيارة الإيالة، مثال ذلك قوله:" تستغرق الرحلة من بونة إلى مدينة الجزائر 10 أيام، وهناك رحلات سريعة لا تتجاوز 7 أيام، وهناك رحلات لا تستغرق سوى أربعة أيام إن اخترت السهول... وتقع قسنطينة على بعد يومين إلى الغرب،.. ومسيرة يومين من زواوة إلى مدينة الجزائر، ويوجد طريقان وطريق البحر هو الأقصر".[2]

خط الرحلة	وسيلة التنقل
بونة	اتخذ الطريق البحري+ الخيول
قسنطينة	الخيول+ السير الأقدام

[1] بالنسبة لوسيلة التنقّل ليست دقيقة، لأن الرحالة لم يذكر الوسيلة التي تنقل بها عبر المناطق، لذلك فالوسيلة استقيتها فقط من وصف الرحالة لمنطقة ما، فحين يذكر أنه مرّ بسهل أتوقع أن الوسيلة تكون الخيول، وحين يذكر جبالا وعرة أتوقع أن الوسيلة إما على الأقدام لتسلقه الجبال، أو عبر الحمير والبغال، وأحيانا يذكرها بشكل عَرضي(أي في خضمّ الحديث عن منطقة ما).

[2] فونتير دي باراداي، **مصدر سابق**، ص57.

الجزائر	الخيول
أرزيو	الخيول
وهران	الخيول
متيجة	قارب عبر وادي الحراش+ الخيول
البليدة	الخيول
دلس	قارب ميناء دلس
فليسة وزواوة	الحمير+ سير على الأقدام
جيجل	الخيول
بني ميزاب	الخيول
بسكرة	الخيول+ السير على الأقدام
الأغواط	السير علة الاقدام+ الخيول
معسكر	الخيول

-جدول رقم 7: المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقّل-

2.7.هابنشترايت (Johan Ernest Habenstreit)(1702-1757)م:

طبيب وعالم نبات ألماني[1]، وُلد في نوشتادار أون أورلا الواقعة بمنطقة الساكس بالممالك الجرمانية، درس الطب في شبابه بجامعة بينيا واستقر بلايبزيغ(Leipsig)، تحصّل على عمل بفضل توصية من عالم النبات **ألبرت ريفيناس (Albert Ravenes)**، حيث اشتغل عند أحد التجار الأغنياء، وأُوكلت له مهمّة العناية بالنباتات النادرة، وهذا ما سمح له بمواصلة

[1] – ذكر مترجم هذه الرحلة الذكتور **ناصر الدين سعيدوني** "أن التعريف بشخصية هذا العالم النباتي ظلت مجهولة لدى القراء والباحثين، رغم بحوثه المستفيضة في مجال الطبّ وعلم النبات، فلا يكادون يعرفون عنه سوى معلومات متواضعة من خلال رحلته" وذلك لأن المعلومات أحادية المصدر، لكون النص الوحيد الذي عرف به هو النص الأصلي للرحلة، الذي تُرجم من الألمانية إلى الفرنسية، ولا توجد معلومات تعرّف بالرحالة غير تلك التي أوردها المترجم إيري (Eyirés). ينظر: ج. أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص ص 12،13؛ سعاد آل سيد الشيخ، **مرجع سابق**، ص 115.

دراسته والحصول على مؤهّل يسمح له بمزاولة مهنة الطب [1]، تحصّل على الدكتوراه في عام 1729م، وفي جوان عام 1731م عُيّن في الأكاديمية الألمانية للعلوم في تيو بوندينا.

أُرسل من طرف الملك البولوني وناخب الساكس **أغسطس الثاني**[2] على رأس فرقة بحث إلى بلدان شمال إفريقيا(الجزائر، تونس، طرابلس) بغرض اكتشاف النباتات وطبيعة تلك المجتمعات لإثراء المجموعة الملكية وتزيينها بنوادر إفريقيا، وكانت التعليمات التي أعطيت **لهابنشترايت** أن يرسل التقارير دوريًا.[3]

أبحرت الفرقة من مدينة **درسدن(Derdsen)** في 23 أكتوبر عام 1731م، متوجّها نحو مرسيليا التي وصل إليها في شهر نوفمبر، ثمّ ركب السفينة متوجّها إلى الجزائر بتاريخ 24 جانفي عام 1732م[4]، قام بمقابلة الداي **عبدي باشا** حال وصوله، وأعلمه بمهمته والمتعلّقة بأبحاث علمية يجمع فيها النباتات والحيوانات النادرة[5]، فأجابه الداي بأن بلاده مفتوحة لهم في رحلتهم، وأنهم يستطيعون الاعتماد على حمايته.[6]

صاحبه في بعض رحلاته **الدكتور شاو**، قال **هابنشترايت** عن هذا في رسالته المؤرخة في جوان 1732م" لقد أبقيت بعض المرافقين لي في رحلتي في مدينة الجزائر، ليتمكّنوا من

---

[1] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص80.

[2] **أغسطس الثاني القوي (Augustus II the Strong)** : ولد بدرسدن في ألمانيا، كان أمير سكسونيا المؤهّل لاختيار رأس الإمبراطورية الرومانية المقدّسة (باسم فريدرش أوغسطس الأول) ونائب الإمبراطور وأصبح ملك بولندا ودوق ليتوانيا الأعظم لقّب باسم (أغسطس الثاني، و القوي، وهرقل ساكسونيا، واليد الحديدية)، اعتنق الكاثوليكية حتى يصير ملكا على بولونيا، خلع عن العرش عام 1704م من قبل شارل xii، لكنه أعيد إليه بعد تدخل الجنود الروسي، توفي يوم 1 فبراير عام 1733م بفرصوفيا، وبموته تلقى هابنشترايت الأمر بقطع الرحلة والعودة فورا إلى درسدن بعد أن زار كل من الجزائر وتونس وطرابلس، وكان يتأهب للسفر نحو السنغال . ينظر: فاطمة الزهرة تدرس، **مرجع سابق**، ص139.

[3] Christian Le Roy, **Une Excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII, 1, 11**), Bulletinde Correspondence Hellénique. Vol100, livr 1, 1976 , P373.

[4] عبلة صغير، **المرجع السابق**، ص76.

[5] في الجانب العلمي والبحثي فإن أبحاث هابنشترايت تعتبر من أهم الأبحاث في الطب عامة وعلوم النبات خصوصا من بين تلك التي قام بها أطباء أوروبا في القرن السادس عشر، رفقة علماء آخرين مثل **لافوص (la Fooze) ألبيرتي(Alberti) دوفو (Devaux)**، وهذا يحيلنا إلى ما ذكرناه سابقا حول المدارس الألمانية، وليس هذا وحسب، إنّما كانت له ميولات في البحث في التاريخ القديم الإغريقي واليوناني[التحفظ على عبارة كانت لديه ميولات، لأن **هابنشترايت** كان ضمن علماء تلك الفترة المتأثّرين بالمرجعية اليونانية والبحث في التاريخ القديم] حتى أنه ألف كتابا باللغة الألمانية في أصول الكلمات اليونانية المتعلقة بأمراض الإنسان. للمزيد ينظر: سعاد آل سيد الشيخ، **مرجع سابق**، ص116.

[6] إلياس السبوعي، **الرحلة مصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مجلة العصور الجديدة، مج9، ع3، نوفمبر 2019م، ص 253.

تسجيل الملاحظات في غيابي، وكي يحافظوا على الأشياء التي تخصّ سيادتكم... وقد التقيت **الطبيب شاو** كاهن القنصلية الانجليزية الذي تحصّل هو أيضا على رخصة السفر".[1]

انصبّ اهتمام **هابنشترايت** بعادات و تقاليد سكان الجزائر وأوضاعهم الاجتماعية و الثقافية و كذا الدينية، كما اهتمّ بجمع الآثار الرومانية[2]، هذه الآثار التي كانت الشغل الشاغل للكثير من الرحالة بمختلف تخصّصاتهم، فحرصوا على الوقوف عليها وفهم أصولها، قبل أن تتكفل البعثات الأثرية في أواخر القرن التاسع عشر بالتنقيب عليها ودراستها.[3]

نجح **هابنشترايت** إلى حدّ كبير في مهمّته الاستكشافية، حتى أنّه عَرف كيف ينال ثقة حكام شمال إفريقيا (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، كما أظهر حسن التّصرف خلال إقامته هناك، غير أنّ الظروف لم تساعده بعد أن سادت روح العداء للوجود الأوروبي نتيجة الاحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير سنة 1732م، مما اضطره إلى تحديد تحرّكاته و إنهاء مهمته بسرعة...[4]

جاءت رحلته في شكل رسائل وجّهها الى راعي الرحلة **أوغسطين الثاني** يُطلعه فيها على ما شاهده أو تعرّف عليه أو جلب انتباهه في زيارته للجزائر[5]، تضمنّت رحلته أربعة رسائل أدبية ذات طابع تاريخي وصفي لطبائع المجتمعات وواقعهم الديني والسياسي، جاءت

---

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص54.

[2] عادة ما تعترضني هذه العبارة (إن اهتمام طبيب رحالة مهتم بالنباتات والتداوي بالآثار الرومانية، ما هو إلا بحث في المجد الغابر، ومحاولة لجمعه وإحيائه)، المتتبع لصفات رحالة القرن 18م يرى أنهم رحالة موسوعيون، تلقوا تدريبا وتلقينا للكثير من العلوم، كما أن الحكومات كانت في تلك الفترة تهتم بإحياء التراث القديم والتنقيب عن الآثار، وبالتالي أغلب الرحالة على اختلاف دوافعهم المعلنة، هناك دوافع أخرى خفية تظهر في ملاحظاتهم أو اهتماماتهم البعيدة عن التخصّص والهدف.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **الرحلات الاستكشافية– مقاربة فكرية** ...، مرجع سابق، ص68.

[4] ج. أ.هابنسترايت، **المصدر السابق**، ص ص 12– 13.

[5] كان يركّز في كل مدينة يدخلها على موقعها وتضاريسها والمعالم التي تشتهر بها كالحمامات أو المعادن والمنتجات الزراعية والحيوانية، وحتى معتقداتهم الدينية وتركيبتهم الاجتماعية ومعاملة الحكام و نوعية العقوبات، ويصف أحوال الناس (معيشتهم، سلوكهم، عاداتهم وتقاليدهم...)، [إن هذا التركيز على دقائق الأمور هو ما يجعل الكتابات الأوروبية عن الجزائر مصدرا هاما ملمّا بتاريخها، عكس الكتابات التي كتبها المغاربة، والتي اهتمت بالجوانب العامة على اعتبار أنّ التفاصيل الصغيرة تعتبر مواضيع عادية وغير هامة، ولعل **دوغرامون** محقا في قوله حين نادى بضرورة الاعتماد على المصادر الأجنبية التي تُعنى بتاريخ الجزائر، والمقصود الأخذ بها موازاة مع النقد والتحليل]. ينظر: فاطمة الزهراء تدرس، **مرجع سابق**، ص7.

الرسالة الأولى وصفيّة لأحوال مدينة الجزائر الإجتماعية، وسرد لأهم الأحداث لاسيّما الظروف التي تميّزت بها محاولة الإسبان استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير بعد أن طُردوا منهاعام1708م.

أمّا الرّسالة الثانية فقد تضمنّت أخبار جولته في بعض المدن، بينما الرسالة الثالثة فوصف لنا فيها مشاهداته وانتقاله من مدينة الجزائر الى تونس مرورًا بقسنطينة والقالة، كما احتوت الرسالة الرابعة على بعض الملاحظات أثناء سفره من تونس الى طرابلس في أكتوبر 1732م.[1]

لم يكتمل مشروع رحلته بسبب وفاة الملك **أوغسطين الثاني** الذي كلّفه بهذه الرحلة، فعاد عام 1733م ليحظى مجددًا برعاية الملك الجديد **أوغسطين الثالث (Augestin III)** (1693-1763)م الذي عيّنه أستاذا للطب في لايبزيغ، مما ساعده على كتابة عدة مؤلفات منها رحلته هذه، لكنها لم تنشر بسبب وفاته أثناء تأديته واجبه الطبّي في حرب السبع سنوات[2]، توفي يوم 05 ديسمبر سنة1757م.

أمّا مؤلفاته فقد نُشرت بعد وفاته بعشرين عاما، وكان أوّل من نشرها عالم الأثار **غوستاف بيرنولي (Patrice Brun)**(1750-1878)م باللغة اللاتينية في مدينة برلين سنة 1780م، تحت عنوان « قائمة بالأثار الرومانية المكتشفة بإفريقيا الشمالية» ، ثم أعاد نشرها ضمن مجموعته المختصرة عن الرحلات« مجموعة الأسفار الصغيرة»(sammlung kleiner reisen)قام بترجمتها إلى الفرنسية المهتمّ بالرحلات الضابط **ايريس (Eyris)** سنة 1830م.[3]

[1] احميدة اعميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر** ...، مرجع سابق، ص 09.

[2] استدعي لتقديم الإسعافات لجيش أمير سكسونيا في حرب السبع سنوات، التي تسبّب فيها الملك لويس الرابع عشر وتحديه للتحالف الأوروبي، أثناء الحرب أصيب هابنشترايت بحمى معدية أدت إلى وفاته. ينظر: ج. أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص14؛ إلياس السبوعي، **مرجع سابق**، ص 255.

[3] ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، **أبحاث حول قسنطينة**...، مرجع سابق، ص154.

1.7.1.خط سير الرحالة: تمثّل الخريطة المناطق التي زارها الرحالة، معتمدة في تتبّعها على كتابه الذي ترجمه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني «رحلة العالم الألماني ج.أ.هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)».

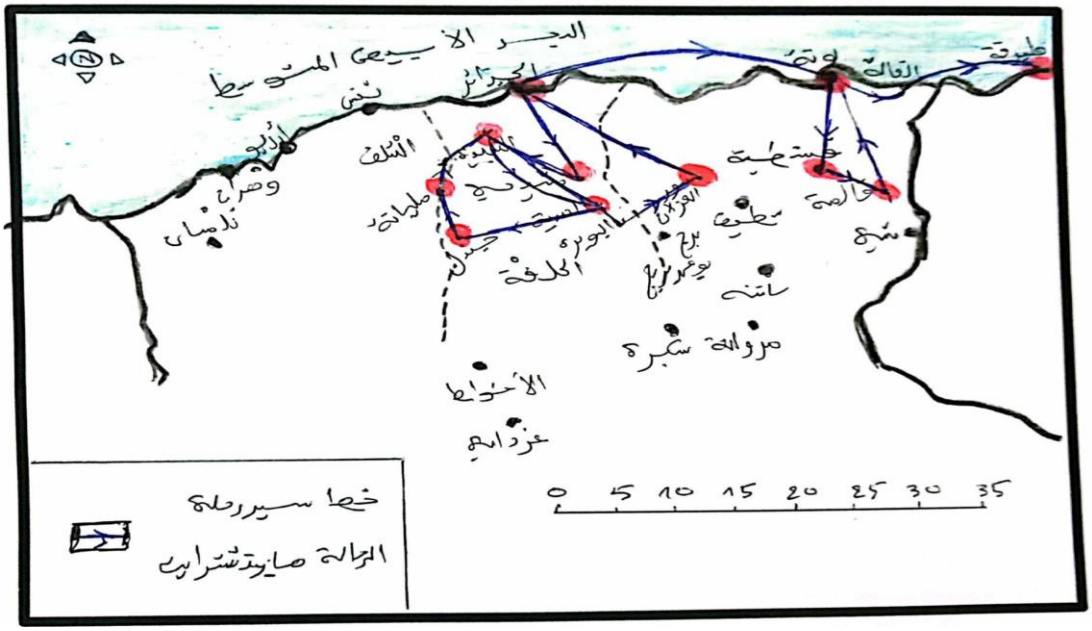

- خريطة06: خط سير الرحالة هابنشترايت -

2.2.7. المناطق التي زراها الرحالة ووسيلة التنقّل:

زار هابنشترايت مناطق الوسط والشرق الجزائري وكان يريد مواصلة السير والتوغّل، إلاّ أن الظروف المتمثلة في الغزو الاسباني لوهران عام 1732م حالت دون ذلك، وتنقلاته جميعها كانت إما مع فرقة المحلّة لجباية الضرائب، أو مع مجموعة فرسان لهذا أغلب تنقلاته كانت بالأحصنة.

خط الرحلة	الوصول	المغادرة	وسيلة التنقل
الجزائر	16 فيفري	23 أفريل	الوصول إليها بالسفينة، ثم السير حتى مقر الداي
متيجة	23أفريل	23 أفريل	الأحصنة مع المحلّة
البليدة	23 افريل	26 أفريل	الوصول مع المحلة+السير على الأقدام وتسلق الجبال الوعرة

موزاية	27 أفريل	29 أفريل	الأحصنة+ حمل الأمتعة على البغال
مليانة	30 أفريل	01 ماي	الأحصنة
قبيلة جندل	02 ماي	03 ماي	الأحصنة+ السير على الأقدام
قبيلة وامري	04 ماي	05ماي	الأحصنة مع المحلة
المدية	05 ماي	14 ماي	الأحصنة + السير وتسلق الجبال
البويرة	15 ماي	16 ماي	الأحصنة+ السيرعلى الأقدام
سور الغزلان	16 ماي	25 ماي	الأحصنة
الجزائر	06 جوان	12 جوان	الابحار في سفينة انجليزية نحو بونة
بونة	12 جوان	12 جوان	الإبحار في سفينة+ أحصنة للسير في المناطق السهلية
قسنطينة	02 جويلية	12 جويلية	السير مع قافلة صغيرة+ الإبحار في قارب
قالمة	13 جويلية	14 جويلية	الأحصنة
بونة	14 جويلية	15 جويلية	قارب صغير(يحمل اسم طنجة)
القالة	15 جويلية	21 جويلية نحو طبرقة	الوصول إلى طبرقة بزورق يسير بالمجاديف

-جدول رقم 8: المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل -

2.8.ماتفي قفريقوفيتش كوكوستوف(Matvei Grigorie Vitch Kokostov):

ضابط في البحرية الروسية، انظمّ إلى صفوف البحرية عام 1760م إلى أن أصبح عام 1764م قائدًا لإحدى سفنها، قام برحلات في البحر الأبيض المتوسط ما بين سنتي 1765 و1768م على السفن المالطية، ثمّ على الفرقاطة الروسية الإفريقية، وشارك في عام 1770م بمعركة تشيزمي(Tshesmé)، وفي عام 1780م قام برحلة نحو الأرخبيل وسواحل إفريقيا الشمالية وإسبانيا، وما بين عامي 1780و1781م اتجه من كرونستادا إلى ليفورنة وعاد منها ما بين 1782 و1784، ليصبح عميدًا للأسطول.[1]

[1] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص125.

أُرسل إلى البحر الأبيض المتوسط بعد الحرب الروسية التركية(1768-1774)م، بأمر من رئيس القيادة البحرية **إيفان إيفانوفيتش(Ivan Ivanovitch)** (1745-1784)م وبتفويض من الملكة **كاترين الثانية (Catrine II)**(1729-1796)م[1] التي كانت تسعى لإقامة قواعد عسكرية في المنطقة، والتي كانت ترى بأنّ النفوذ التركي فيها قد أوشك على الإندثار.

كُلّف **كوكوستوف** برحلة استطلاعية لبلاد المغرب ما بين عامي(1776-1777)م، حيث اقتصرت زيارته على سواحل تونس ومدينتي الجزائر وعنابة، أقام خلالها بتونس حوالي ثلاثة أشهر من 24 ماي إلى 8 أوت من عام 1776م، أين لقي الدعم من القنصل الإنجليزي الذي كانت بلاده تدعم الامراطورية الروسية للخلاف الحاصل بينها وبين الدولة العثمانية.[2]

أما رحلته لمدينة بونة فقد كانت على متن سفينة فرنسية تدعى مارتنقال (Martengal) في زيّ مساعد قائد السفينة من جنسية فرنسية، مما سمح له بالتحرك بأرياحية ووفّر له حماية خاصة، كانت فترة إقامته بمدينة بونة قصيرة مقارنة بإقامته في تونس، حيث استمرت من07 جويلية إلى 14 أوت 1777م[3].

أمّا تاريخ زيارته لمدينة الجزائر فهو من 14 أوت إلى 7 سبتمبر 1777م، وبفضل معرفته للغة العربية استطاع **كوكوستوف** جمع العديد من الوثائق التي تمكّن من الوصول إليها[4]، وأشار إلى كلّ الرحالة العرب، والملاحظات التّي سجّلها كلّ من **مارمول كربخال والدكتور شاو** دون التخلّي عن تسجيل ملاحظاته الخاصة، كما لم يتمكن من إخفاء موقفه العدائي من الأتراك، حيث أنّ العداوة التقليدية بين روسيا والدولة العثمانية قد أثّرت بشكل واضح على انطباعاته.

[1] **كاترين الثانية:** إمبراطورة روسيا الثانية عشر من(1762-1796) م، تولّت السلطة بعد اغتيال زوجها في حرب السبع سنوات، عرفت طوال فترة حكمها صراعا كبيرا مع الدولة العثمانية... للمزيد ينظر: عبد الكريم شوقي، **مرجع سابق**، ص 259.

[2] عبد الكريم شوقي، **مرجع سابق**، ص 259.

[3] عبلة صغير، **مرجع سابق**، ص126.

[4] عبد الكريم شوقي، **المرجع السابق**، ص260.

أبدى تعاطفه مع السكان المحليين واصفًا الحكم العثماني بالمتوحّش والمتخلّف، ويردُّ بؤس وتخلّف المناطق التّي تعرّف عليها في رحلته إلى جهل واضطراب الحكام العثمانيين، ونظام حكمهم الذي لا يشجّع على نشر العلوم والفنون.

بعد مرور عشر سنوات من رحلته، قام الكاتب **تيودور فازيلوفيتش (Theodor VasiliVetch)** بنشر الكتاب الأول لضابط البحرية تحت عنوان« وصف الأرخبيل وساحل بربارية» والذي ضمّ 14 فصلا، تناول فيه تاريخ مدينة الجزائر وتحصيناتها، الجيش البري ورؤساءه وتسليحه، بيع الأسرى، وسياسة الجزائر الخارجية.[1]

كان الهدف من رحلته هو الاستعلام عن القوات البحرية الجزائرية التي ستنظمّ إلى الأسطول العثماني في حالة نشوب صراع بين روسيا والدولة العثمانية، وإن فشل فعليه جمع معلومات حول الجيش البحري وسبل وضع حدّ لعملياتهم.[2]

1.2.8. المناطق التي زارها الرحالة:

اقتصرت رحلته على ساحل عنابة ومدينة الجزائر فقط، ولأن رحلته لم تتجاوز أياما، فلا يمكن الاستعانة بخارطة توضيحية توضح خطّ سيره ما دام تنقّل فقط بين مكانين.

البلد	الوصول	المغادرة
بونة	07 جويلية 1777م	14 أوت1777م
الجزائر	14 أوت 1777م	7سبتمبر 1777م

– جدول رقم 9: المناطق التي زارها الرحالة –

[1] Marcel Emerit, **Description de l'Algérie en 1787 par l'officier Russe kokovtsov** , R.H.M, N°4 ,Tunis , 1975, **op.cit**, pp 210-212.

[2] **ibid** , pp 209 ،210.

2.علم الجغرافية وتأثيره على وصف رحالة القرن 18م

ظلّت الجغرافيا حتى القرن الثامن عشر وصفيّة بحتة؛ تفتقر إلى الحسابات الدقيقة خصوصًا بالنسبة لدرجات تحديد الطول، رُغم اكتشاف العديد من أدوات القياس، وحسب **نوما بروك** فإنّ القرن الثامن عشر يتوافق مع مرحلة ضرورية في تطوّر الجغرافيا(يقصد الجغرافيا الاقليمية)، والتي بدونها ما كانت لتزدهر في نهاية القرن التاسع.[1]

إذن التساؤل الذي وجب طرحه هو حول تأثير تطوّر الجغرافيا في الكتابات الرحلية، وهل الرحلات الاستطلاعية التي استمرّت حتى القرن العشرين كان السبب في استمراريتها هو التطوّر الحاصل في علم الجغرافيا الذي استفاد منه الرحالة؟ أم أنّ اتساع خبرتهم في الرحلات والاستفادة من معلومات من سبقوهم هي من أوجدت الفارق في ضبط المقاييس والأطوال؟

أغلب الرحالة الذين زاروا الجزائر على اختلاف تخصّصاتهم، إنّما كانوا جغرافيين قبل كلّ شيء، لأنّ هدفهم الأساسي هو التحقّق من جغرافية المكان، ولوضع وصف دقيق للأماكن، كانوا بحاجة دائما إلى وصف بمقاييس أكثر دقة، معتمدين على التطوّر الحاصل في علم الجغرافيا، يقول **ديرو دولامال** في تقديمه لرحلة **بايسونال**" كان معه بصرف النظر عن كتبه النباتية، تاريخ كنسي، وخطّ سير أنطونيوس، وجدول بوتينغر، وتاريخ مملكة الجزائر بقلم لوجي دو تاسي ، ومختلف الخرائط الجغرافية، دون أن نغفل الشيء الذي كان على مسافرنا أن يرسمه بنفسه، لم يكن عملا جغرافيا وصفيّا لشمال إفريقيا، ولكن لجمع مواد للعلماء الذين يرغبون في القيام بذلك من بعده".[2]

هذا الضعف الجغرافي انتقل إلى رحلات القرن 19م التي كانت تعتمد كليّة على رسم الخرائط والقياسات، ومع ذلك من كانوا ضمن الحملة العسكرية الفرنسية أكّدوا أن هناك

[1]Houda BAIR**, Travelers Cartographers in XVIIIth and XIXth Century in Tunisia**, Open édition,vol 39-40, 2017, p54.
[2] PEYSSONNEL et DESFONTAINES, **op. cit**, pXII.

اختلافات ونقصٍ في ضبط المقاييس، ولعلّ هذا هو السبب ذاته الذي وقف عليه أغلب من كتبوا عن الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر(أنهم لم يكونوا على علم حتى بالسواحل) والصحيح لم يكونوا متأكدين تماما من القياسات التي عندهم حول السواحل.

هذا القصور في فترة الانتعاش والتطوّر الصناعي والتقني، يحيلنا إلى أنّ الغرب أخذوا الفكر الجغرافي عن العرب وظلّوا لفترة متأخرة يأخذون عن علماءهم، وهذا ما وضّحناه في بعض محاور الدراسة أن أغلب رحالي القرن 16م و17م، أخذوا عن **الوزّان** و**الإدريسي**، بينما رحالو القرن 18م ولأنّهم مشبعون بالمرجعية الرومانية فكانوا يتبعون خط سير **بطليموس** الروماني، وعلى الرغم أنّهم تلقوا تدريبًا جغرافيًا، إلا أنّهم كانوا يحتاجون إلى نوع آخر من الجغرافيا(الجغرافيا الاقليمية)[1].

وحول الاختلاف الراجع لتطوّر علم الجغرافية وتأثيرها على وصف الرحالة، يمكننا أخذ نماذج من وصفهم للإيالة، فـ**بايسونال** في رحلته يصف الجانب الطبيعي لإيالة الجزائر قائلا:" يجب أن أخبركم أنه توجد جبال صعبة التضاريس تمتدّ من البحر جهة بجاية من الشمال إلى الجنوب حتى الصحراء".[2]

بينما يتحدث **ماك كارثي** في تقديمة لكتاب **شاو:** "من بين عدد قليل من الأعمال التي نمتلكها في شمال إفريقيا رحلة الدكتور **شاو**، الذي أقام لمدة اثني عشر عامًا في الجزائر العاصمة كقسيس للوكالة الإنجليزية، على الرغم من مرور أكثر من قرن من الزمان، لا زال يقدّم أفضل أطروحة لدينا عن الجغرافيا القديمة وحتى الحديثة لمقاطعات الجزائر العاصمة وتونس، علاوة على ذلك في بلاد البربر خلال التواجد العثماني لم يتغيّر شيء كما في جميع الدول تقريبًا".[3]

[1] ينظر الملحق رقم 11: مقارنة بين خريطتين رسمتا في القرنين 17م و18م، ص331.

[2] جون أندري بايسونال، **مصدر سابق**، ص 106.

[3] Thomas Shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger...,** op.cit , p np.

لم يكن **مكارثي** مخطئًا حين تحدث أن **شاو** بالنسبة لوصفه لجغرافية الأماكن، إنما كان يصفها وفقًا للجغرافيا المقارنة التي كانت سائدة تلك الفترة، فهو يتتبع خط سير بطليموس، وكلما أراد وصف مكان عاد إلى الجداول التي رسمها هذا الرحالة الروماني، بينما يستخدم في القياس (الفراسخ والبطولات)، كما أنه في وصفه للمناطق دائما ما يضعها محلّ مقارنة بينها وبين مناطق أخرى، ويربطها بالتسمية القديمة التي ذكرها الرحالة السابق.[1]

في حين بوادر وملامح الجغرافيا الإقليمية بدأت في الظهور أواخر القرن الثامن عشر وزاد الاهتمام بالمسافات والإحصاء، ويتّضح ذلك جليًا في غزو **نابليون** لمصر، حيث ضمّت حملته (1798-1801)م مجموعة من علماء الآثار والتاريخ والجغرافيا، وتمّ المسح الشامل لمصر من كل الجهات[2]، نجد هذا عند **وصف دي باراداي** الذي كان مترجمًا للحملة، إذ كان يربط وصفه دائما بحساب الأبعاد وإحصاء البعد بين المناطق، فبعد وصفه للمناطق يذكر البعد بينها، ويستخدم أطوال (الفرسخ[3]، القدم، الميتر جيومتري) مثال على تقديره للمسافة بين بونة ومدينة الجزائر

من بونة ⟵ الجزائر ⟵ 10 أيام ، فإذا حسبنا أن الخيول تقطع 8 فراسخ في اليوم

فإن المسافة ⟵ 80 إلى 85 فرسخا[4] ⟵ 320 كلم إلى 340كلم

بينما يصف **بايسونال** الذي يبدو مختلفا عن **دي باراداي** في ذكره فقط للمنطقة التي هو فيها وربطها بالمنطقة التي كان فيها سابقا واستخدامه لقياس على (مرمى طلقة بندقية)

---

[1] ، يذكر القس **بواري** اعتماد **شاو** على خط **بطليموس** في كتابه قائلا:" يعتقد **شاو** أن تلمسان هي لانيقارا حسب بطليموس" للمزيد حول فهم الجغرافيا المقارنة في وصف الدكتور شاو للمناطق ينظر: Jean louis Poiret, **op.cit**, p34. ؛Thomas shaw **, op.cit**, p263-300.

[2] إنّ استحواذ التيار الوصفي الكلاسيكي على المسار الجغرافي لفترة طويلة، انعكست آثاره على صورة الجغرافيا الحقيقية، وجعلتها في مصاف العلوم الاجتماعية، مع أنّها تتمتّع بميزات وخصوصية مختلفة، لأنّها تعتمد على ثوابت وأسس، ولا تتغيّر بتغيّر الزمن والتكنولوجيا، والذي يتغير فقط التقنيات. ينظر: خلف الديلمي، **الاتجاهات الحديثة في البحث العلمي الجغرافي**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2007م، ص15.

[3] الفرسخ= 4 كلم، 100 قدم= 30م، الجيومتري أو الجيومتريك =وهو حساب هندسي متطور يحسب الأطوال الأربعة.

[4] الفرسخ= 4 كلم ، المسافة التقديرية من بونة إلى مدينة الجزائر تبدو قريبة جدا من المسافة الواقعية.

وعلى بعد أربع فراسخ من المكان الذي أمضينا فيه الليلة الماضية وثمانية فراسخ من مدينة القالة، عبرنا نهر بوبياس وعرضه على مرمى طلقة مسدس... وصلنا أخيرا إلى بونة التي تبعد بثلاثة عشر أو أربعة عشر فرسخا عن القالة[1] " وعلى بعد مرمى طلقتي بندقية توجد خرائب هيبون(بونة)...".[2]

المبحث الثالث: قراءة في رحلات القرن 18م من حيث(طبيعة الرحلة- التخصّص - الظروف البيئية وتداعياتها على الرحالة)

بعد استعراضنا لأشهر الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 18م، توجّب تحليل طبيعة هذه الرحلات مُقارنةً بالقرنين السابقين، وتبيان الظّروف التي تمّت فيها الرحلة، ومدى تأثير تخصّص الرحالة الوافدين على المعلومات التي تمّ تدبيجها عن الجزائر، وكذا البحث في إمكانية تأثير الظّروف البيئيّة التي كانت ترزح تحت طائلتها أغلب مناطق الجزائر، وبين كونِها مانعًا وحائلاً لإيفاد الرحالة أو توقيف الرحلة، وحتى يتسنّى لنا ذلك أجرينا قراءة تحليلية لما جاء في الرحلات التي ذكرناها، ولتيسير هذه القراءة لاستنباط نتائج أفضل، نضع جدولاً للرّحلات التي أوردناها، يشمل جميع المعلومات المتعلّقة بالرحالة.

الرحالة	البلد	الفترة	مدة الإقامة	التخصص
لوجي دو تاسي	فرنسي	1718م	ستة أشهر	مستشار في القنصلية
توماس شاو	إنجليزي	(1720-1732)م	12 عاما	طبيب وعالم وكاهن
جوهان أرنست هابنشترايت	ألماني	1732م	10 أشهر	طبيب وعالم نبات
جان أندري بايسونال	فرنسي	1725م	ثمانية أشهر	طبيب وعالم نبات
رينيه لويش ديفونتان	فرنسي	1783م-1785م	ثلاثة أشهر في كل رحلة	طبيب وعالم نبات

[1] جون أندري بايسونال، **مصدر سابق**، ص 45.

[2] **نفسه**، ص 25.

القس بواري	فرنسي	(1785-1786)م	18 شهرا	كاهن وعالم نبات
فونتير دي باراداي	فرنسي	(1788-1790)م	سنتان	مستشرق ومترجم
قفريقوفيتش كوكوستوف	روسي	1777م	شهران	ضابط في البحرية

-جدول رقم 10: فترة زيارة الرحالة وتخصّصاتهم ومدّة إقامتهم-

من خلال الجدول وطبقًا لأشهر الرحلات الأوروبية خلال القرن 18م، والتي اتخذناها كأنموذج لتتبّع سيرورة الرحلة خلال هذا القرن، سنتعرّض بالتحليل لطبيعة هذه الرحلات ومسبّباتها ودوافعها، ففي خضمّ ما يُعرف برحلة الاستكشاف العلمي والبعثات العلمية وتبعات عصر الأنوار كيف كانت طبيعة الرحلات الوافدة إلى الجزائر؟

1.طبيعة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية:

عُرف القرن 18م بعصر التطوّر العلمي والتقني في البلاد الأوروبية، كما عُرف ببزوغ وتشّكل الأكاديميات العلمية والجغرافية وضرورة التنقيب عن الآثار الرومانية، وكثرة الرحالة الباحثين، الذين كانت تحرّكهم أسباب كثيرة منها: الرغبة الأصيلة في المعرفة، والتّسهيلات والتّمويل الذين يلْقونه من الأكاديميات والجمعيات المُرسِلة.

1.1. التّسهيلات والتّمويل المالي:

أنست التسهيلات والتمويلات المالية الكثير من الرحالة مشقّات وأهوال السّفر، وراحوا يتقاطرون للانخراط في الجمعيات العلمية كأعضاء ومُراسلين، وارتحلوا تحت توصية الملوك والأباطرة لجلب النباتات والحيوانات الغريبة والجديدة[1]، مثلما حدث مع الرحالة **هابنشترايت**

[1] يقول صلاح الدين الشامي في كتابه (الرحلة عين الجغرافية المبصرة)حول هذه النقطة: " لأنّ الرحالة يتمتع بالكسب الذي يجنيه من الرحلة، فلقد اجتهد وخاطر وسافر لحساب الكسب المادي ... "، أما حول العائدات التي يحصل عليها المموّلون من هذه الإرساليات فيقول:" لا يمكن أن يقدم تمويلا دون هدف أو غاية، من الواضح أنّه ينتظر مردودا مرتقبا أو عائدا متوقّعا... " للمزيد ينظر: صلاح الدين الشامي، **مرجع سابق**، ص ص149 ،177.

الذي أرسله ناخب سكسونيا وأوقف رحلته وعاد إلى ألمانيا بسبب وفاته[1]، وأُرسل البعض منهم في رحلات استطلاعية لخبرته ومعرفته على رأس بعثات علمية للبحث في التاريخ الطبيعي والتنقيب عن الآثار، الذي كان سمة بارزة للثمانين سنة الأولى من القرن 18م.

يذكر **دو لامال** حول هذه النقطة "تحت رعاية الأكاديمية العلمية ستقوم مجموعة من العلماء الشباب، والذين سنضمن سلامتهم بالكثير من الدّعم والمُرافقة لاستكشاف إفريقيا بأكملها، من شواطئ البحر الأبيض المتوسط حتّى حدود الصحراء"[2]، هذه الرحلات التي كانت تهدف في الأساس إلى الدراية بما تحتويه أرض الجزائر، من ظروف طبيعية وأوضاع اجتماعية وإمكانات اقتصادية، مما سيوفّر للسياسيين والعسكريين في فترات لاحقة معلومات تساعدهم في تحقيق مشروعهم التوسّعي وخصوصًا الاقتصادي[3]، وقد أورد **هابنشترايت** عندما أراد الخروج من مدينة الجزائر، أنّه أبقى بعض المرافقين له ليستطيعوا تسجيل الملاحظات في غيابه.[4]

يروي **دو لامال** في تقديمه لكتاب (رحلات في ولايتي تونس والجزائر) عن **بايسونال** قائلا:" إنه ليس بتقرير رحلة عادية، إنّه سلسلة من الأطروحات التي يسعى المؤلّف من خلالها، إلى المناطق والمدن التي زارها المؤرخون وقدّمها الجغرافيون إليه، الجغرافيا والتاريخ الطبيعي والحكومة وأحوال البلاد هي الموضوعات المهمّة التي عالجها الرحالة".[5]

إذن نستنتج أنّ طبيعة الرحلات في هذه الفترة هي رحلات علمية السّبب الظاهري هو استطلاعي علمي بحت، والخفيّ وهو الذي ظهر جليًا في الرحلات التي أوفدت في العشرين سنة الأخيرة من الفترة المذكورة، هو محاولة التأكّد والتأصيل لفكرة الحصول على أرض

[1] ج. ا. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص14.

[2] PEYSSONNEL et DESFONTAINES**, op. cit**, pVIII .

[3] ج. أ. هابنسترايت، **المصدر السابق**، ص18.

[4] **نفسه**، ص54.

[5] PEYSSONNEL et DESFONTAINES**, op. cit**, pVIII .

الجزائر، نتيجة لما اكتشفه الرحالة من كنوز طبيعية فيها، والتي آمنوا كثيرًا بمرجعيّتها الرومانية ووجوب استعادتها.

2.1.الكشف عن الثروات الطبيعية:

يقول **ديفونتان** وهو يرجو باي معسكر، وكان يودّ التأكد مجدّدا من أرض المناجم (التي خيّم فيها في زيارته الأولى مدة ثمانية أيام):" تحدّثت إليه عن المناجم، وتوسّلت إليه أن يعطيني دليلاً ليأخذني إلى هناك، زاعمًا أن التّربة في أرض المناجم مختلفة، وسأجد نباتات جديدة هناك... وخوفا من إثارة استياءه، أخبرته أني لا أهتم إلا بالنباتات، لأنّ هؤلاء الناس غيورون جدا عن المعادن الموجودة في بلادهم".[1]

ولو عدنا إلى الرحلات التي استخدمناها كأنموذج لدراسة الفترة، سنجد أن أغلبية الرحلات كانت بهدف البحث في التاريخ الطبيعي للجزائر، مثال ذلك **الدكتور شاو** وعلى الرغم من كونه كاهنا للكنيسة الأنجليكانية، إلاّ أنّه درس المناخ والنباتات والحيوانات ونقّب عن الآثار ورسم خرائط طبوغرافية لجميع الأماكن التي زارها، بل إنّ مُؤلّفه صار مرجعا هامًا لمن تلاه من الرحالة، وكان مصدرًا دقيقًا وممتازًا اعتمدت عليه السلطة الفرنسية في حملتها العسكرية للجزائر عام 1830م.

بايسونال أيضا الذي قدِم في مهمّة علمية مرسلاً من طرف أكاديمية العلوم، قدّم عملا تضمّن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية وحتّى سياسية وعسكرية، والمتتبّع لرحلته يجد أنّه إنّما يستخدم النباتات كذريعة لزيارة الأماكن، وهذا ما يؤكده **هابنشترايت** بقوله: " لقد لاحظت أنّ حمل باقة من النباتات هو بمثابة جواز مرور ووسيلة ممتازة، لأن من يحمل النباتات يُنظر إليه على أنّه متطبّب ومُتداوي بالأعشاب"[2] كانت رحلته بغرض جمع المعلومات عن النباتات والحيوانات النادرة لأجل حديقة الملك، لكنّه لم يتوقّف عندها بل

[1] PEYSSONNEL et DESFONTAINES**, op. cit** , pp178 , 186 .

[2] ج. أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص56.

وصف الحياة الاجتماعية والمنشآت العمرانية والدّفاعية وصحّح الأخطاء التي وقع فها **دو تاسي ومارمول** حول تاريخ المدينة واهتم بالآثار الرومانية.

وكذلك عالم الطبيعيات **ديفونتان** والذي كانت مهمّته هو البحث عن كلّ ما يتعلّق بالطبيعة من نباتات وحيوانات " لقد وَجدتُ العديد من النباتات النادرة... وقتلت اثنين من الغربان كانت أقدامهما ومنقارهما ذات لون مرجاني، ثمّ حَشوتهما لضمّهم لمجموعتي... ".[1]

عدا رحلة **دو تاسي** التي كانت في عام 1718م ولم يُعرف عن توجهه العلمي شيئا، سوى أنه أُرسل كمساعد للقنصل **بوم** وأنهى مهمّته بعد أشهر قليلة، عائدًا بمعلومات تمّ طبعها في كتاب تناول الجانب التاريخي والسّياسي والعسكري لمدينة الجزائر، ولم يُشر المؤلف للطبيعة ولا للآثار في مؤلّفه، وهذا ينبئ عن توجهّه السّياسي لا العلمي، وأنّه كان مبعوثا في رحلة استطلاعية لأجل هدف آخر، يقول **ديفونتان** حول فهم الجزائريين للهدف وراء زياراتهم الاستطلاعية ذات الطابع العلمي أو غيره " البلد خصب لدرجة أن الجزائريين لا يحبّذون زيارة المسيحيين، خوفًا من أن تصبح هدفًا للغزو".[2]

أمّا بالنسبة للعشرين سنة الأخيرة من القرن 18م، فقد أوفِد رحّالة مستشرقون وديبلوماسيون، ولعلّ العلّة تكمن في المعلومات التي وردت طيلة السنوات الأولى من القرن المذكور، التباين في المعلومات والمسمّيات، والفارق الكبير بين من يُتقن اللغة العربية واللغات المحلّية وبين من يعتمد على تُرجمان في معلوماته، إنّ فهم لغة الأهالي هي أيسر السّبل للتّغلغل الداخلي، وإنّ هذه الرحلات التي يقومون بها بين حين وآخر، ليست بعثات علمية، وإنما بعثات سياسية تطوف باسم العلم منقّبة وباحثة؛ حتّى إذا ما ملأت حقائبها عادت إلى وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات تصبّ فيها معلوماتها[3]، وقد نادى **دي باراداي** بضرورة تعلّم

[1] René Louiche DESFONTAINES**, op. cit**, p VIII.
[2] **ibid**, P 163.
[3] إدوارد سعيد، **الاستشراق والمفاهيم**...، مرجع سابق، ص40.

اللغات الشرقية لفهم الشعوب العربية ولتيسير الولوج لها والسيطرة عليها، كما أنّه ديبلوماسي ومعروف أنّ الذي ينتسب لهذه المهمة يكون دقيق الملاحظة متيقّنا من أخباره.[1]

2.أهمية تخصّص الرحالة الأوروبيين:

للبحث في مدى تأثير تخصّص الرحالة في التقارير والرسائل والمذكرات الواردة عن الرحلة، وعلاقتها بالأحداث والتطوّرات التّي شهدتها تلك الفترة، نضع الجدول التالي:

الرحالة	التخصص
لوجي دو تاسي	مستشار في القنصلية
توماس شاو	طبيب وعالم وكاهن
جوهان أرنست هابنشترايت	طبيب وعالم نبات
جان أندري بايسونال	طبيب وعالم نبات
رينيه لويش ديفونتان	طبيب وعالم نبات
بواري	كاهن وعالم نبات
فونتير دي باراداي	مستشرق ومترجم
كوكوفستوف	ضابط في البحرية

- جدول رقم 11: تخصّصات رحالة القرن 18م-

المُلاحظ حسب الجدول أنّ رحالي الدول الأوروبية خلال القرن 18م، الذين أُوفدوا لاستطلاع أوضاع الجزائر إنّما كانوا في الغالب أطبّاء وعلماء نبات أو رجال دين في الثمانين سنة الأولى فـ **بايسونال** كان طبيبًا في مرسيليا، و**ديفونتان** كان أستاذ علم النبات في حديقة الملك، أمّا **شاو** فقد قال عنه **بايسونال:**« دكتور في جامعة اكسفورد، رجل ذو علم كبير في علم النّبات وفي التاريخ الطبيعي».[2]

[1] فاتح بلعمري، **تلمسان ونواحيها**...، مرجع سابق، ص75.

[22] PEYSSONNEL et DESFONTAINES**, op. cit**, p11.

1.2.الرحالة العلماء والمهتمّون بالتاريخ الطبيعي:

إن إيفاد رحالة علماء ومتخصّصين في التاريخ الطبيعي يوضح التغيير الحاصل في الفكر الأوروبي أولا، إذ كان الغالب على الأوروبيين مع انبعاث عصر المَدنيّة الأوروبية والثورة التقنية والصّناعية ومع نموّ البرجوازية، الاهتمام المتزايد بجمع الخوارق والعجائب من النباتات والحيوانات لتزيين حدائق الملوك والمتاحف، بل واُعتبرت مقياسًا للثراء والغنى، وبتدعيم من حكوماتهم، رسَموا للرحلة قواعد وقوانين تأتي في مقدّمتها حصر الرحلات التي تُنجز للتاريخ والأدب، وفتح المجال لما دون ذلك من دراسات الجيولوجيا والنباتات والعلوم الأخرى.

ولأنّ الطبّ كان من أكثر التخصّصات علوّا مقاما ورفعة مدنيّة، فكان العديد من العلماء وإن لم يتخصّصوا فيه، أجروا تدريبات وتعليمًا طبيّا يُمكّنهم من دراسته، ومثال على ذلك **توماس شاو** الذي يطلق عليه (الدكتور شاو) لكنه لم يكن طبيبا، بل لقب دكتور أطلقه اليهود على حاخام الشريعة اليهودية، وأخذه المسيحيون عنهم وأطلقوه على عالم اللاهوت، لهذا في انجلترا هذا اللقب لا يطلق على الأطباء فقط وإنّما يمنح أيضا لأعضاء الإكليروس(clergé) والمحاميين الذين حصلوا على هذه الشهادة في الجامعات، وكان **شاو** عضوًا في إكليروس الكنيسة.[1]

لو عدنا للحديث عن الاهتمام بالتّاريخ الطبيعي سنجد أن عدوى الاستكشاف العلمي قد وصلت للعرب أيضا ولنا مثال على ذلك: **ابن زاكور الفاسي، عبد الرحمن بن عبد الله الفاسي** (1648-1722)م، **عبد الرزاق ابن حمادوش**(1695-1780)م والذي عُرف باسم الطبيب وله قاموس كبير في الكثير من أسماء الأعشاب الأوروبية والعربية.

[1] Dr. Shaw, **op. cit**, p pn.

2.2. الرحالة المستشرقون:

بما أنّ الفترة الأولى من القرن 18م، تضمّنت مجموعة الرحالة المهتمين بالتاريخ الطبيعي والباحثين في الآثار؛ تضمّنت العشرين سنة الأخيرة منه الرحالة الوافدين المستشرقين، وذلك لأنّ مصطلح الاستشراق في حدّ ذاته ظهر متأخّرا في إنجلترا عام 1789م، ليعمّ بعدها بقيّة أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.[1]

ولأنّه ارتبط بالاستعمار وما هو إلا خدمة له، أُنشئت المدارس والجامعات الاستشراقية، وباتت هناك كراسي دائمة للغة العربية، ومن أهم هذه المدارس مدرسة اللغات الشرقية في باريس عام 1795م، التي أعدّت خصيصا لتكوين السفراء والقناصل والتّجار والرّحالة وإعدادهم للولوج إلى بلدان شمال إفريقيا بيسر وسهولة، ثمّ ظهر الديبلوماسيون المستشرقون وضبّاط البحرية، لأنّ الغزو يحتاج منفذًا للدّخول بعين الرحالة المتخصّص الحربي، الذي يستطيع استقراء المعلومات المقدّمة إليه بكاميرا الرّجل العسكري المُحارب، الذي يبحث عن نقاط الضّعف في خصمه.

عمومًا وبالنسبة لأهمية التخصّص في الاستطلاع ، يمكننا الاستخلاص أنّ التخصص مهمّ في توجّه الرحالة ولو أنّ أغلب من أُوفدوا قد أخفوا تخصّصاتهم قدر المستطاع، ويخبرنا **هابنشترايت** أنّه كان يخفي مهنته كطبيب قدر المستطاع، ومزاولته له أحيانا كان فقط لأجل الحفاظ على حياته[2]، فالدكتور **شاو** و **دي باراداي** لمَّا كانا عليمين بالعديد من اللغات ومنها العربية واللهجة القبائلية، بل إن الرحالة الأخير استفاد من أوقات فراغه بمتابعة بحوثه حول اللهجة الأمازيغية التي أثمرت تأليفه لكتاب في قواعدها ومفرداتها، استطاع الرحالان الكتابة عن المناطق بذكر أسمائها الصحيحة، فكان ما كتبوه مصدرًا مهمًا ودقيقًا.

[1] لخضر شلبي، **مرجع سابق**، ص28.

[2] ج. ا. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص57.

فمهما يكن من أمر الرحالة وما يقدّمه من معلومات مستفيضة وقيّمة حول المنطقة التي ارتحل إليها، تكون المعلومات التي تندرج ضمن تخصّصه أدق وأعمق وأفضل، لهذا لمّا قررت فرنسا أخيرا غزو الجزائر، إنما أوفدت رحالة برتبة ضابط زودته بمعلومات من رحالة آخرين بتخصّصات مختلفة، وأمرته بمسح المدينة بعين القائد العسكري، وكان العمل حينها مكتملا.

3.الظروف البيئية داخل الجزائر وتداعياتها على الرحالة:

للبحث في السنوات التي انتشرت فيها الأوبئة وتوافد الرحالة إلى الجزائر، وضعنا جدولاً يوضّح سنوات الوباء وفترات تواجد الرحالة، لتسهيل عملية المقارنة واستنباط النتائج.

الفترة	الانتشار الجغرافي	فترة تواجد الرحالة
(1717-1718)م	الجزائر	1718م
(1720-1722)م	الجزائر	1720م
—	—	1725
(1730-1732)م	الجزائر	1732م
1732م	الجزائر	—
—	—	1777م
1785م-1786م-1787م	الجزائر – بايك الشرق	1784-1785-1786
—	—	(1788-1790)م

- جدول رقم 12: سنوات الوباء وفترات تواجد الرحالة -

عرفت الجزائر خلال القرن 18م العديد من الأوبئة التي كانت في أغلبها وافدة؛ بسب حركة الموانئ، ونتيجة الحركية التجارية بينها وبين الدول المجاورة، ومنه باتت الجزائر

مستوردًا للأوبئة، تمركزت تقريبًا في المناطق الشمالية وذلك بسبب ارتفاع نسبة الكثافة السّكانية وتوفّر العوامل الداخلية (المناخ – الحركة التجارية).

في عام 1718م قرّر **دو تاسي** المغادرة، لكنه طلب إجازة مما يعني أنّه كان يريد العودة، ورجّحنا أنّ السّبب لم يكن عبء القنصلية وحده؛ بل الظّروف الدّاخلية والصّحية الصعبة، نتيجة الوباء والمجاعة التي اشتدت واستفحلت بالجزائر، يذكر **دو غرامونت** أنّه وبعد استلام **محمد بن حسن** (1688–1724)م[1]منصب داي الجزائر عام1718م، إضافة إلى ما كان موجودًا في بلاد الجزائر من الاضطرابات السياسية، والعلاقات الخارجية المتقلّبة ظهر قحط شديد ومجاعة، إلى الحدّ الذي بيع فيه لحم البشر في الأسواق، هذه المجاعة التي اشتدّت واستمرّت لثلاث سنوات كاملة.[2]

حول وباء عام 1785م يذكر **القس بواري** أنّه أوْقف رحلته نحو قسنطينة والتي كانت مبرمجة في شهر مارس، وذلك لِمَا رأى فيها من مخاطر انتقال الوباء وصعوبة السّيطرة على التّواصل مع السّكان المصابين، والذي يجعل أمر إصابته بالوباء كبيرة.[3]

بينما **ديفونتان** في رحلته إلى القالة وهو يتحدّث عن حصن الباستيون يقول:" عام 1785م بينما كان الطّاعون يجتاح البلاد، جاء الناديون[4] وألقوا بقطع القماش التي كان يلبسها ضحايا الطاعون في الميادين، لقد عانوا بشدة من هذا المرض القاسي... "[5]، وفي حديث آخر عن انتشار الأمراض يقول:" الحمى التي تنتشر هي الحمى الطولية، تبدأ في شهر جويلية وتنتهي حتى شهر أكتوبر".[6]

---

[1] **محمد بن حسن:** أو محمد أفندي الخزناجي، تولى الحكم عام 1718م، وعرفت فترة حكمه بتعرّض الجزائر لأزمة اقتصادية حادة، بسبب انتشار الوباء والقحط وتمرّد الرعية وعدم دفعهم للضرائب... 1724م. للمزيد ينظر: خيرة بن بلة، **حكام الجزائر في العهد العثماني من خلال الكتابات الأثرية**، مجلة آثار، مج11، ع2، ديسمبر2013م، ص37.

[2] H. De GRAMMONT , **op.cit**, p278.

[3] Jean louis POIRET, **op.cit**, p191.

[4] **الناديون**: أهل قبيلة نادس، يصفهم **ديفونتان** بأنهم أهل الجبال في القالة وهم مسلّحون ويكرهون الفرنسيين، لا يرضخون لأيّ سلطة، لا لداي الجزائر ولا لتونس، وصفهم **بواري** بنفس الصفات وبما أنهما التقيا فالواضح أنّهما زارا القالة معا، لذلك كان انطباعهما واحدا

[5] René Louiche DESFONTAINES**, op. cit**, P226.

[6] **Ibid**, p226.

يتحدّث عن الأمراض أنها كثيرة وتنتشر في الجزء الأكبر من الأماكن التي يعيش فيها السكان، كانت هذه الأمراض مميتة لدرجة أنّها قضت على حامية بأكملها في القالة[1]، لم تسجل عودة الطاعون إلا عام 1778م وهو يمثّل المرحلة الثانية، وكان شديد الوطأة على السكان يقول **بواري** عنه:" إن المريض بهذا الوباء يظهر عليه صعوبة في التّنفس، يصاحبها آلام حادة وصداع عنيف في الرأس، وكثيرا ما تكون هذه الأعراض مصحوبة بالحمى التي تستمر معه حتى الموت...".[2]

نلاحظ أيضا أنّ الرحالة الذين أوفدوا في فترات انتشار الأوبئة واستقرّ بهم المُقام في الجزائر لفترة تراوحت بين السنتين و 12 عاما كما هو الحال عند **الدكتور شاو** هم في الغالب أطباء ورجال دين، أمّا من تراوحت فترة إقامته من أيام إلى سنة واحدة فقط، ففي الغالب هم مستشارون أو مترجمون...

يقول **هابنشترايت** بخصوص المرحلة الأولى: " إنّ حالة الغموض التي تعيشها مدينة الجزائر ونواحيها قضت على كلّ أمل لي، في أن أضيف أشياء جديدة إلى مجموعتي، وبدأتُ كباقي المسيحيين في الاستعداد للرّحيل، وأخذتُ جانب الحيطة والحذر حتى لا يبدو مني ما يدلّ على نيّتي في الهرب»[3]، وهو التاريخ نفسه الذي غادر فيه الدكتور **شاو**، ومع ذلك هناك تخوّف كبير **فالقس بواري** أوضح قائلا: " في هذه الظروف المقلقة أنا صبور، لحد الآن لم أواجه أيّ خطر، لأنّي حتى في زياراتي للخيام أتجنّب الاتصال، ومع ذلك آمل أن أكون على دراية بكيفية تجنّب العدوى للسّفر بأمان...."[4] كما أنّه في تجواله يكون برفقة طبيب، ويذكر في زيارته لقبائل البدو القريبين من القالة، أنّه كان رفقة طبيب جراح.

[1] René Louiche DESFONTAINES**, op. cit**, p235.
[2] Jean louis POIRET, lettre N27, **op.cit**, p126.
[3] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص76.
[4] Jean louis POIRET, **op.cit**, pp36, 62

خلاصة الفصل:

عَرف القرن 18م توافد العديد من الرحالة الأوروبيين بمختلف جنسيّاتهم، مشحونين بروح عصر التطور العلمي، متأثّرين بما استجدّ في هذه الفترة من اهتمام بالغ بالتّاريخ الطبيعي والبحث في الآثار الرومانية القديمة، تحثّهم وتدعمهم في ذلك الأكاديميات العلمية والجغرافية التي تشكّلت ظاهريا لهذا الغرض، بحثًا عن النّوادر من النباتات والحيوانات لإثراء الحدائق الملكية والمتاحف، وتتبّعا لأحقية واستعادة مجد الرومان الغابر، فانطلقت البعثات العلمية نحو الجزائر، وبفضل التراخيص التي قُدّمت لهم، استطاعوا الولوج لأغلب المناطق ، وقدّموا الرسائل والتقارير وكتبوا المذكرات واليوميات إلى مُرسليهم.

إلا أنّ التقارير الواردة لم تكن تعكس البحث عن التاريخ الطبيعي والنّصب الأثرية فحسب، وإنما كانت أعمق من ذلك، تناول فيها الرحالة جميع الأوضاع في الجزائر سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية، ورسموا الخرائط الطبوغرافية وحدّدوا الأبعاد والمسافات، بل إنّ منهم من بيّن المناطق المناسبة لعملية إنزال ناجحة، وهنا يظهر السبب الباطني للاستكشاف العلمي، الذي كان حجّة للتغلغل لا أكثر.

ومع ظهور الاستشراق والمدارس والمطابع الاستشراقية، باتت عملية التغلغل الداخلي والحصول على هذا البلد الغني بالثروات التي اكتشفوها مهمّة سهلة، فتمّ ارسال الديبلوماسيين المستشرقيين للتفاوض والضباط للتقصّي، فهل كان ما جادت به هذه التقارير والرسائل والمذكرات والمؤلفات كافيًا، أم أنّ رحلات القرن 18م كانت مبدأ رحلات استطلاعية خلال القرن 19م تعتمد استراتيجيات جديدة؟

الفصل الثالث:الرحلات الاستطلاعية الأوربية خلال القرن 19م ومساهمة رحلات القرنين(18-19)م في التمهيد لاحتلال مدينة الجزائر

المبحث الأول: الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م والطابع الاستطلاعي التجسّسي

1 . الفرق بين رحلات الاستطلاع و رحلات الاستخبار(الجوسسة).

2. نماذج من الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م الوافدة إلى الجزائر

3. علم الجغرافية وتأثيرها على وصف رحالة القرن19م

المبحث الثاني: علاقة الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين (18-19)م بالتوسّع الاستعماري

1. أثر الرحلات الاستطلاعية في تيسير المدّ الاستعماري

2. الرحالة المستشرقون وخدمة الاستعمار

3. أهمية كتابات الرحالة في بناء المشاريع الاستعمارية.

المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوربية خلال القرنين(18-19)م ومساهمتها في الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر

1. فرنسا ودوافع الحملة العسكرية على مدينة الجزائر

2. مراسلات الرحالة خلال القرنين(18-19)م حول مواقع الإنزال العسكري

3.الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر

إنّ حركيّة الأحداث في المجتمعات وإن طالت، فهي إنما تؤثّث دوما لشيء جديد، تظهر حكومات وتختفي أخرى، وتُستعمر دول، وتزدهر وتقوى دول أخرى، والمتتبّع لتاريخ بلاد الجزائر ومنذ ارتباطها بالتاريخ العثماني، سيدرك أنّ نظام الحكم فيها قد حمل بذور ضعفه وتقهقره منذ البداية، فالموريسكيون الذين قدموا فارّين من التعسّف الإسباني ومحاكم التّفتيش، ملاحقة الإسبان لهم كانت سببًا في احتلال العديد من المناطق الساحلية للإيالة، بل وبنوا القلاع والحصون لحماية استقرارهم في المناطق التي سيطروا عليها، أيضا فئة اليهود الذين قدموا مع مسلمي الأندلس وشكّلوا ما يقارب ثلاثين ألفا، واستقرّوا في العديد من المدن الجزائرية، احتكروا الاقتصاد وتحكّموا في المبادلات التجارية بين الحكام والدول الأوروبية[1]، هذه المعاملات التي أفضت أخيرا إلى توريط حكومة الجزائر في ما يُعرف بحادثة المروحة.

المبحث الأول: الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م والطابع الاستطلاعي التجسّسي

إنّ مسألة الاستحواذ والسيطرة الأوروبية لبلاد الجزائر، لم تتعرّض في مجملها للتغيير طيلة الثلاث قرون، رغم ما غزا هذه الدول من تطوّر تكنولوجي، فلا زالت الرغبة الأولى في الحصول على هذه المنطقة ذات الموقع الاستراتيجي، والإمساك بمخازن حكومة الداي سارية المفعول، ومع مطلع القرن 19م وتغيّر الظروف الدولية، توافد مبعوثون فرنسيون في رحلات استطلاعية ذات طابع ديبلوماسي تجسّسي واضح الأهداف منذ البداية(الاستخبار وإعداد المشاريع الاستعمارية التوسّعية)، لأجل هذا كانوا ضباطا ومهندسين وجغرافيين ومستشرقين... مُستندين في مهمّتهم على التطوّر الحاصل في الجغرافيا الحديثة، وعلى

[1] للمزيد حول هجرات اليهود والمدن التي تمركزوا بها خلال الفترة العثمانية بالجزائر. ينظر: نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700-1830)م- الهجرات واماكن الإقامة-**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع1، جوان2013م، ص ص25-40.

المعارف التّي استقوها من الرحلات السابقة، لإيمانهم أنّ ما تأتي به الرحلات من معلومات هو زُبدة الحصول السهل على مستعمرات.

1.الفرق بين رحلات الاستطلاع و رحلات الاستخبار(الجوسسة):

يتوجّب علينا التفرقة بين رحلات الاستخبار التي اتّسمت بها رحلات العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر ضمن محور الدراسة، وبين رحلات الاستطلاع التي اتّسمت بها رحلات القرن الثامن عشر ذات طابع الاستطلاع العلمي وبين من سبقتها من الرحلات خلال القرنين السابقين، والتي تمّ الاستفادة منها جميعًا في التحضير للحملة الفرنسية ضدّ مدينة الجزائر.

إن مهمّة الاستخبار عرفت تطوّرات وتسميات عدة منها: (الاستعلام والاستخبار والاستطلاع...)، والمُبصر لهذا التقارب المفاهيمي للكلمة يدرك أنّ الجذور واحدة، والواقع أنّ الأهداف واحدة أيضا، وهذا ديدن الدّول الغربية في قديم عصورها وحديثها، تضع الباحثة **دينيس إبراهيمي** تساؤلاً في مقدمة أطروحتها« الرحالة الفرنسيون خلال القرن 18م في بلاد البربر»: لماذا نقرأ كتابات الرحالة؟ إنّ الجواب ليس هيّنا على ما يبدو، لأنّه ليس فقط بهدف اكتساب المعرفة، بل هو العثور على شيء آخر، هو أكثر مما هو مثير للتّساؤل(تقصد الاستخبار والتجسس).[1]

غير أن الاختلاف الحاصل يكمن في الهدف منه، فالاستخبار يكون هدفه مقرّرا منذ البداية ولا يحتاج صاحب مهمّة الاستخبار مدة طويلة في البلد المُستخبَر عنه، كما أنّه يكون سرّيا، حيث يزور الرحالة البلد متنكّرا في زيّ تاجر أو عالم آثار... في حين أنّ الاستطلاع يكون علنيًا ويمكن الاستفادة من المعلومات التي يأتي بها المستكشف في ظروف أخرى لا ترتبط إطلاقا بالسيطرة والتوسّع، كما أنّ المدّة التّي يستعلم فيه الرحالة المُستطلع عن أحوال البلاد لا تخضع لزمن محدّد، إنّما تتحكم فيها الجهة المُرسِلة أو ظروف الرحالة نفسه، أو

[1] Evelyne M. Bornier, **op. cit**, p126.

ظروف البلد (انتشار الأمراض والأوبئة، الحروب...)، كما أوردنا في حديثنا عن رحلات السابقة، دون أن ننف صفة الاستخبار على الرحالة المستقدمين الأوائل سواءً(في القرنين 16-17)م، أو الرحالة الذين زاروا بلاد الجزائر خلال القرن 18م تحت غطاء البحث والتنقيب عن الآثار والتاريخ الطبيعي، فالعبارات العدائية والفجّة أحيانا التّي يصفون بها الجزائريين في مذكراتهم ورسائلهم، والدعوة للقضاء على ما عُرف عندهم (عشّ القرصنة) كان دائما يتخلّل ثنايا كتاباتهم.

وحتّى نتحرّى الصدق في الرأي نورد أن بعض الرحلات الاستطلاعية وإن اسْتخدمت لغرض التجسّس لكنّها كانت تتمّ عن رغبة حقيقية في البحث والتقصّي من طرف صاحبها، ونتيجة لأن عصر التطوّر الفكري والتقني الأوروبي كان يزخر بظهور تيارات فكرية، تنادي برفض الذهنية الموروثة وإعادة النظر في تقييم غيرنا، تاركين جانبا الأحكام المسبقة[1]، تأثّر العديد من الرحالة به، حيث أنّ المتتبع لرحلة **بايسونال** بغضّ النظر عمّا جاء فيها من معلومات، وأنّه رحالة مبعوث بمهمّة معينة، لكن من طالع الرحلة سيدرك أنّها بعيدة عن الاستطلاع لأجل هدف(التجسّس)؛ وإن استعملت فيما بعد لأجل الهدف السالف الذكر، وذاك ربّما خارج عن رغبة الرحالة الأساسية، والتي تتضمّن المهمة التي أرسل من أجلها، ونفس الشّيء فيما يخص الرحالة الألماني **هابنشترايت** الذي أنهى مهمّته وغادر البلاد مع الاحتلال الإسباني لوهران عام 1732م قائلا: " أصبح السكان ينظرون إلينا كأننا قدّمنا إلى البلد لاستطلاع أوضاعه".[2]

التّساؤل الذي قد يطرحه المطلّع على ثنايا الدراسة هو: لمَ التأخير في التفريق بين الاستخبار والتجسّس؟ في حين أنّ المفاهيم الاصطلاحية تتخّذ بدايات البحوث والدراسات

[1] عائشة غطاس، **نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني**، مجلة الدراسات التاريخية، مج3، ع2، أوت 1988م، ص127.

[2] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص65.

العلمية، في واقع الأمر نراه تأخيرا منطقيًا؛ لأنّه يدخل ضمن متغيّرات الفترة فالرحلات الاستطلاعية(التجسّسية) والتي تهدف في أساسها إلى بناء المشاريع الاستعمارية لهدف الغزو، إنّما كانت سمة مميزة للعقود الثلاثة الأولى من القرن 19م محلّ الدراسة.

2. نماذج من الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م الوافدة إلى الجزائر

عَرف القرن 19م كغيره من القرون السابقة، توافدًا كبيرا للرحالة بهدف استطلاع بلاد الجزائر، هذه الرّحلات التي اتخّذت شكلاً مُغايرًا لسابقاتها، كما تَعرف انفرادًا وحيد الوجهة من طرف فرنسا والتّي بدأت بالفعل في تغيير خطّ الرحلة القائم على الاستطلاع وحده، إلى الاستطلاع المبني على بناء مشاريع توسعيّة[1]، نتيجة تغيّر الظروف في أوروبا وبداية عصر التكتّلات(التحالفات) الأوروبية، وضمن تحالفات متبادلة تُحارب القوى الأوروبية ضد انتشار الأفكار الثورية وتوسّع الجمهورية الفرنسية التي يقودها **نابليون بونابرت** منذ عام 1799م.

على الصّعيد الأوروبي تظهر النّمسا وبريطانيا العظمى التي تعزّز هيمنتها البحرية والاستعمارية، وترتقي إلى أقوى دولة تجاريّة وصناعية في العالم، وعبر سِلم **أميان** عام 1802م[2] تتنازل بريطانيا عن كلّ توسّعاتها الاستعمارية مقابل تخلّي فرنسا عن مصر، أمّا باقي الدّول كإيطاليا فقد كانت تُسيطر عليها فرنسا، وفي نفس السنة يدعو **بونابرت** إلى تنظيمِ جديد لها، تستسلم النّمسا في مدينة أوْلم ويدخل **نابليون بونابرت** إلى فيينا، أمّا روسيا

[1] سيكون هناك تساؤل جوهري، هل من الواقعي أن نذكر أن فرنسا انفردت بتوجهها نحو الجزائر وقيامها ببناء المشاريع الاستعمارية دون الدول الدول الأخرى؟ في حين أنّ سيل الرحلات الاستطلاعية، لم ينقطع والأسرى والقناصل على مختلف جنسياتهم لازالوا يبعثون بالتقارير والمذكرات والرسائل إلى دولهم، وينجزون الخطط والمشاريع للفتك ببلاد الجزائر؟ الجواب أن فرنسا كانت دولة عظمى في تلك الفترة وحسب ما ذكرنا فهي قد حصلت على اتفاق جميع الأطراف لتتفرّغ وحدها للجزائر.

[2] **سلم أميان:** هي معاهدة وقعت بين فرنسا وبريطانيا في 18مارس 1802م، وذلك لأجل وقف الاعتداءات العسكرية بين البلدين مقابل تنازلات بين الطرفين، لكن هذا السلم لم يدم طويلا، إذ اندلعت الحرب مرة أخرى بينهما عام 1803م... للمزيد ينظر: فطوم خطاب، **مرجع سابق**، ص50.

فيتمّ التحالف معها على إثر معاهدة **تيليست** عام 1807م والذي يعتبر ذروة النّجاح الثانية لسياسة **نابليون**.[1]

وهكذا تُفتح السّاحة أمام فرنسا لتتّجه نحو المرور في مشروع السّيطرة على شمال إفريقيا، في نظرة مُغايرة تماما لإنجلترا، فالاقتصاد المركنتلي عندها(أي فرنسا) لا يقوم على الثّروة وحدها وعلى الصناعة والتجارة؛ بل هو الحصول على الأرض التّي تحقّق كلّ ذلك.[2]

1.2.رحلات استطلاعية في عهد نابليون بونابرت

بعد أن فقدت فرنسا مُستعمراتها في الهند وأمريكا خلال القرن 18م، راحت تفكّر بالتعويض عنها، وسعيًا وراء هذه الغاية فكّرت بحملة عسكرية على مصر لقطع مواصلات انجلترا البحرية عن محطاتها التجارية في الهند، وقد تحدّث **بونابرت** مع وزير الخارجية **شارلز موريس تاليران(Charles Maurice TALLEYRAND)**(1752-1838)م[3] قائلا:« إنّ إعادة التفوّق الفرنسي في المشرق يعدّ إحدى ضرورات الصّراع مع انجلترا»، لكنّ الحملة باءت بالفشل، وعاد **نابليون** إلى فرنسا متنكّرا واستقال **تاليران** في ظلّ الاضطراب العام الذي غزا فرنسا حول المتسبّب في الحملة[4]، أوْجَد هذا الفشل عُقدة عند القادة الفرنسيين، وأصبحت لغة الحملات العسكرية على بلدان الشّمال الإفريقي حلقة مهمّة من حلقات الفكر الغربي نتيجة هذه الظروف كان على **نابليون** أن يبحث عن فوز جديد يمحو به فشَل الحملة.

---

[1] هيرمن كندر، فيرنر هيلغيمين، **أطلس dtv تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر**، ط1، المكتبة الشرقية، تر: إلياس عدو الحلو، لبنان، 2003م، ص 303.

[2] بالنسبة لفرنسا وانجلترا والسياسة المتّبعة، يجب أن نفهم أن الذهنية الانجليزية تجارية بحتة، في حين الذهنية الفرنسية توسعيّة استعمارية، وربما هذا هو الفارق الذي جعل من انجلترا تقوم برحلات استكشافية في دواخل افريقيا، بينما يتجّه الفرنسيّون إلى شمال إفريقيا.

[3] **تاليران:** سياسي وديبلوماسي وقائد عسكري ولد في باريس، ولأنه من عائلة نبيلة أدخله والداه إلى مدرسة سان سولبيس من أجل أن يصبح قسيسا عام 1769م، ثم أوكلت مهمة تعليمه إلى المعلم لانجلو، عمل في رتبة عليا في فترة حكم لويس السادس عشر، وفي عهد نابليون وحتى شارل العاشر... للمزيد ينظر: Philip G. Dwyer, **TALLEYRAND**, Gide, London, 2020, p 8

[4]Ammar MAHMOUD, Siham Hamid, **Charles Maurice de Talleyrand and His Political Role in France1797-1799** ،Journal of Tikrit University for Humanities, vol 29, T 10, October 2022, p255.

أغلب المراجع تُخبرنا أنّه اتّجه بأنظاره نحو الجزائر خصوصًا بعد قرار **الداي أحمد**(ت1698)م تجريد فرنسا من جميع امتيازاتها ومنحها لإنجلترا، ومنه بدأ بإنشاء المشاريع الاستعمارية، هذه المشاريع التي كان يَحرص على وصولها إليه مباشرة[1]، وهو حديث عام، قد نتفّق فيه فقط في زيادة الضغط على فرنسا، حين تمّ تجريدها من جميع امتيازاتها، أمّا أنّه اتجّه بأنظاره للجزائر فهو تكريس لفكرة أنّ الغزو لم يكن سوى ردّ اعتبار وكرامة فرنسا، في حين أنّ الرحلات الاستطلاعية السابقة، وما دوّنه الرحالة يُثبت عكس ذلك تماما، وأنّ هذه الأرض التي تنعم بخيرات عميمة ستكون قارب النّجاة لفرنسا وشعبها، وفي ظلّ الظروف التي تعيشها الأخيرة خصوصًا مع ظهور انجلترا كقوّة منافسة، بدأت فرنسا في تغيير نمطيّة الرّحلات، إلى رحلات استطلاعية تقوم في أساسها على بناء المشاريع لغزو ناجحّ.

قبل الانتقال إلى سرد الرحلات نودّ توضيح فكرة التغيّر في نمطيّة الرحلات من رحلات علميّة إلى رحلات مبنيّة على بناء مشاريع استعمارية، مع أواخر القرن 18م دخلت الولايات المتحدة الأمريكية مُعترَك الصّراع الدولي؛ رغبةً منها في الدّفاع عن مصالحها الحيوية، وشرعت في اتّباع سياسة إرسال التقارير والمُكاتبات للكونغرس ضدّ البحريّة الجزائرية، أمّا الإنجليز فقد اتّسمت علاقتهم مع الجزائر بالسّلم في الغالب واتّخذتها كحليف ضدّ الولايات المتّحدة الأمريكية التّي تُنافسها ببحر المانش وسواحله، بل إنّهم استغلّوا صداقتهم مع الجزائر وَسَعوا لدفعهم لإعلان الحرب على فرنسا، وألّحوا على السلطان العثماني التأكيد على إعلان هذه الحرب للقضاء على عدوّها القوي والمُنافس(فرنسا).

[1] جوزيف صقر، **مرجع سابق**، ص 137.

حين لم يتسنَّ لهم ذلك أعدّ القنصل الانجليزي **هنري ستينفورد بلانكلي (Henry Stafford Blankley)**(1784-1884)م مخطّطًا لاحتلال السّواحل الجزائرية عام 1812م[1]، الأمر نفسه مع إسبانيا والبرتغال ثمّ أخيرًا فرنسا.[2]

هنا نستطيع أنّ نفهم التغيّر الحاصل في خطّ الرحلة إنّما وقع تماشيا مع تَغيّر الظّروف الدولية، وعلى اعتبار أنّ الاقتصاد المُركنتلي (في الذّهنية الفرنسية) كما ذكرنا لم يعد يعتمد على الثّروة فقط؛ إنّما بات يعتمد على الأرض(المُستعمرة) التّي تمكّنه من الحصول على القوّة والثّروة، شرعوا في إستقبال المشاريع والمخطّطات من مُختلف الأطياف، وتحفيزهم بمبالغ ماليّة وأوسمة الشّرف لمن يقدّم مشروعًا جيّدا، ومنه تقاطرت مشاريع القناصل المُقيمين في الجزائر وأُوفِد مبعوثون(في رحلات استطلاعية) ذَوُو خبرات عسكرية وبحرية اخترنا البعض منهم كأنموذج للعقود الثلاثة الأولى من القرن 19م التي سنختصّها بالدراسة.

1.1.2.بيير هولان(Pierre HULIN)(1758-1841)م[3]:

ضابط فرنسي وديبلوماسي سياسي محنّك، ولد في باريس في 6 سبتمبر 1758م، بدأ حياته العسكرية حين تمّ تجنيده في فوج المشاة كجندي، تمّ تسريحه في عديد من الفرق التي انضمّ إليها، ومع انطلاق الثورة الفرنسية، عُرف **هولان** بعلوّ الروح الثورية، و كان من الذين قادوا الشعب الفرنسي للهجوم على حصن الباستيل رمزًا للعبودية يوم 14 جويلية 1789م[4]، أُرسل مع البعثة الفرنسية المتوجّهة لمدينة الجزائر بقيادة الأميرال الفرنسي إفريم

[1] **هنري ستينفورد بلانكلي:** تم تعيينه وكيل وقنصل بريطانيا في الجزائر من (1806-1812)م، يعد من القناصل الناجحيين ديبلوماسيا ، إذ انتقلت الشراكة الاقتصادية في فترته ، أو ما يعرف بحقوق استغلال حصن الباستيون، من فرنسا إلى بريطانيا... للمزيد ينظر: محمد الأمين بوحلوفة، **الجزائر العثمانية- سياسيا – في مذكرات القناصل البريطانيين، مذكرات اليزابيت بلانكلي بروغتون ابنة قنصل بريطانيا في الجزائر من 1806م-1812م نموذجا**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 18، ع خ، ديسمبر2022م، ص 217.

[2] عبد الكريم شوقي، **مرجع سابق**، ص ص325-336.

[3] ينظر الملحق رقم 12: بورتريه للضابط بيير هولان، ص333.

[4] George SIX, **Dictionnaire Biographique des Généraux et Amiraux Français de la Révolution et de l'Empire : 1792-1814**, Librairie Historique et Nobiliaire, T1, Paris, 1934, p582.

ليسييغ(**Ephraim lessiéeg**)(1729-1781)م، للتّفاوض مع الداي حول تجاوزات البحارة الجزائريين ضدّ السفن الأوروبية[1]، وإجباره على احترام راية إيطاليا لأنها باتت تابعة لفرنسا[2]، وقبل الإقلاع من ميناء طولون أعطى **نابليون** تعليمات تقتضي بالإرساء في مكان لا يكون عُرضة لمدافع الحصون، وإذا أساء الدّاي التصرّف مع **هولان** ورفض تقديم الترضية المناسبة فإن **ليسييغ** يُحاصر مدينة الجزائر[3].

وفي 22 جويلية عام 1802م، وصل **هولان** إلى طولون وركب في سفينة الدوكين[4] وصلت القطعة من الأسطول إلى مدينة الجزائر في 5 أوت من نفس السنة، واسْتُقبل كلاّ من **ليسييغ وهولان** من قبل القائم بأعمال الجمهورية **ديبوا تانفيل(Dubois TANNVILLE)**، وكان قد أبدى تخوّفه من فشل المهمة، إلا أنّ الداي خالفَ التوقّعات ورحّب بالمبعوثين، وأظهر استعدادات للتّرضية الكاملة وقدّم لهما حصانين كهدية.[5]

- **مشروعه الاستطلاعي:** أثناء فترة تواجده أجرى استطلاعا شاملا وجمع معلومات مكّنته بعد عودته إلى باريس من إعداد مشروع احتلالي بعنوان« ملاحظات حول الجمهورية الجزائرية»، يحتوي هذا المشروع على إحدى عشر ورقة مكتوبة على الجهتين، سلّم المشروع مباشرة إلى **نابليون** وأرفقه بنسخة إلى وزير الخارجية **تاليران،** أرفق مشروعه بصور لمدينة الجزائر، وضمّن تقريره معلومات تاريخية عن عدد سكان العاصمة، الذين قدّرهم بنحو تسعين ألف نسمة، بينما القوّات العسكرية فقدّرها بنحو أربعة عشر ألف جندي مُشاة وما بين ثلاثة آلاف و 4 آلاف فارس، وبإمكان الحكومة تعبئة ما بين خمسين إلى ستين ألف جندي في

[1] لم يشر المؤلف في السيرة الذاتية أنّ هولان قد أُرسل للجزائر في تلك الفترة، والشيء ذاته في سيرة بيرج التي سنتناولها بالدراسة.

[2] Corespendence de Napoleon, vol : 07, letter n: 6183.

[3] ينظر الملحق رقم 13: صورة مرسومة لهولان مع داي الجزائر رسمها شالرز ماومنت(Charles Moment)، ص333.

[4] في رسالة واضحة أن الترضية إن لم تكن سيكون القصف كما كان عام 1682م، 1683م بقيادة دوكين .

[5] كان الداي يعلم بالتخطيطات لحصار المدينة من خلال جواسيسه، لهذا قَبل بالترضية وتعامل بشكل جيد مع المبعوثين. ينظر: فريد بنور، **مرجع سابق**، ص ص 327،329.

حالة حرب، أمّا القوّات البحرية فقدّرها بنحو ستّة عشر سفينة إلى جانب خمسين زورقًا مخصّصة للدّفاع عن الميناء، بينما يتوافر الأسطول في مجموعه على 423 فوهة مدفعية.[1]

2.1.2. فرانسوا بيرج(François BERGE)(1779-1832) م[2]:

جنرال وضابط مدفعية فرنسي، وُلد في كوليور بفرنسا، بدأ حياته العسكرية بالتحاقه بمعهد الفنون التطبيقية في نوفمبر عام 1794م، عمل كملازم في فوج المشاة، ثمّ رائدا في جيش المشرق عام 1798م، ثمّ كنقيب في حصار القاهرة، أُرسل في مهمة بتاريخ 06 مارس عام 1802م بهدف استطلاع تحصينات ودفاعات مدينة الجزائر[3]، واختيار مكان مناسب والإنزال والهجوم، وصل إليها بعد 10 أيام من وصول الضّابط **هولان** على متن سفينة لاميتين (la Mutine)، ثمّ سلّم رسالة توصية إلى الدّاي، وشرع في القيام بالمهمّة التي كُلّف بها، واستطاع في وقت قصير استطلاع مدينة الجزائر، تحرّى ساحلها والميناء، ووصف القلاع والأبراج، ورسم خريطة لضواحي المدينة وسواحلها، وعاد **بيرج** إلى فرنسا وسلمّ مخططه إلى **نابليون** مباشرة، لكنّ هذا الأخير أجّل تنفيذ هذا المشروع في تلك الفترة، لأنّ الدّاي قدّم ترضية على جميع مطالب الفرنسيين(التأجيل لانعدام وجود عذر).

عام 1805م اختلقت فرنسا عذرًا جديدا(تاريخ حافل باختلاق الأعذار)، واغتنموا فرصة تعرّض القباطنة الجزائريين للسّفن الايطالية، وحينها حانت الفرصة لتحقيق المخطّط،

---

[1] حنيفي هلايلي، **النظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى 1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2004م، ص ص 145، 147.

[2] هناك بورتريهات كثيرة للضابط بيرج ، مرسومة من قبل فنانين كثر على موقع أوروبيانا https://www.europeana.eu/en ، كما أنّ هناك تشابها كبيرا في الاسم والسيرة الذاتية بينه وبين الكاهن القس فرانسوا بيرجي(François Bergè)، إلا أن هذا الأخير من مواليد عام 1829م، أي أنه ولد قبل وفاة بيرج بثلاث سنوات، وإن لم يكن هو الشخص ذاته مع خطأ في كتابة تاريخ الولادة والوفاة ، فالأب فرانسوا زار الجزائر أيضا، يقول المؤلف: خلال خدمته الرسولية في الجزائر، تكثر الشواهد والأدلّة عن تفانيه في العمل... نفس الشيء حصل في بونة حينما ساعد فرقاطة انجليزية تتجه نحو القرم... للمزيد ينظر:

Loiseau Grandhantz, **Biographie de M. l'Abbé François Bergé**, impr. de P. Girardot, Orléans, 1889, p6.

[3] يذكر المؤلّف أنه أرسل إلى طرابلس في مهمة بالتاريخ الذي ذكرناه، والملاحظ أن الكاتب يتحاشى ذكر اسم الجزائر في ذكر سيرته ، وهذا يوضّح أن الرحلة إنّما كانت سريّة. للمزيد ينظر: George SIX, **op.cit**, pp 80-81.

أرسل **نابليون** أخاه **جيروم** (**Giroum**)(1784-1860)م على رأس حملة عسكرية بحجّة تحرير الأسرى الإيطاليين، لكنّ الداي تفادى الصّدام مرّة أخرى وأطلق سراح 230 أسيرًا.[1]

كان **بيرج** ضمن اللجنة الخماسية التي كلّف بها وزير الحربية الجديد **دي كو**(**De Caux**) لأجل دراسة المسائل المتعلّقة بحملة ضد الجزائر وتقديم خطّة كاملة للعمل، وتعيين الوسائل الضّرورية لتنفيذها بعد ما فشلت كلّ أبواب التّفاوض مع حكومتها.[2]

3.1.2. فنسنت إيف بوتان(vincent yve BOUTIN):

ولد في جانفي عام 1772م في قرية صغيرة تُدعى لوروبوترو(Loropotro) الواقعة بضواحي نانت على المجرى الأدنى لنهر اللّوار، تنتمي عائلته للطّبقة البُرجوازية المثقّفة، أنْهى تعليمه عام 1791م وتحصّل على شهادة معلّم في الفنون، وفي سنة 1793م دخل مدرسة مزيار العسكرية برتبة ملازم، وفي عام 1794م ترقّى إلى رتبة ملازم أوّل ثمّ نقيب وأُسندت له مهام عدّة لمصلحة بلاده.

عام 1808م التحق بالقوّات الفرنسية كضابط سلاح بالهندسة العسكرية، ثمّ كملحق بقسم الاستخبارات العسكرية، كلّفته وزارة الحربية الفرنسية بمهمّات سريّة في القسطنطينية عام 1807م، والجزائر وتونس عام 1808م[3]، وبعد انتهاءه من مهمّته تعرّض للأسر من قبل فرقاطة إنجليزية، ولم يجد **بوتان** حلاّ سوى أن يلقي بأهمّ رسوماته وأوراقه في البحر، نُقل إلى مالطا وهرب بعد شهر متنكّرا في زيّ بحار وعاد برًّا إلى فرنسا، ونظرًا لحدّة ذكاءه

[1] عبد القادر قندوز، **المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741-1802)م**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج06، ع14، جوان 2018م، ص75.

[2] كان الهدف من التفاوض هو إنهاء الحصار بطريقة مشرّفة، كانت فرنسا مرغمة على التفاوض في ظلّ التكاليف الباهظة التي كلّفتها مذ بدأت الحصار والتي فاقت تسع ملايين فرنك سنويا، وأيضا الخوف من تحول الحصار إلى حملة عسكرية واشتعال الحرب مع بريطانيا أو اسبانيا. ينظر: ابو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)**، ط3، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976م، ص28.

[3] **نفسه**، ص21.

وصحّة عقله تمكّن من حفظ ثلاثة عشر رسما كبيرا[1]، لقي حتفه على يد بعض البدو عام 1813م أثناء قيامه بمهمّة مُماثلة في مصر وسوريا.[2]

وإن كانت أعماله ترنو إلى رسم الخرائط، إلا أنّها كانت أيضا عسكرية واشتملت على وصف للجيش والحصون والموانئ، بعدما تمكّن **نابليون** من السيطرة على مناطق هامة وواسعة في أوربا جدّد اهتمامه بمنطقة المغرب وعقد العزم على غزو الجزائر[3]، وذلك لأنّ الجزائر في نظره من أهمّ الأسواق الخارجية لتطوير اقتصاد فرنسا من جهة، ومن جهة أخرى تُعدّ الجزائر أقوى الحصون المنافسة لبريطانيا، وهذا ما يفسّر نيّته المبيّتة بأنّ الجزائر لا بدّ أن تكون من ممتلكاته.[4]

بمجرّد أن تدهورت العلاقات الجزائرية الفرنسية وانقطاعها سنة 1807م؛ بعد استرجاع الداي للمنشآت التّي كانت تستغلّها السلطات الفرنسية، وطُرد القنصل الفرنسي منها، بدأ **نابليون** يحضّر لاحتلال مدينة الجزائر وإنهاء النظام القائم، وصار يحلم في إنشاء قاعدة بحرية على ساحل الجزائر، يوازي بها قواعد الإنجليز بجبل طارق ومالطا.

لتحقيق الغرض سابق الذكر أرسل لوزير البحرية **دوكري** رسالة للتفكير جدّيا في شنّ حملة مزدوجة برّية وبحرية لاحتلال الجزائر، كما أمره بجمع المعلومات الضّرورية عن الإيالة، وبناءً على هذه الأوامر يقوم **دوكري** في شهر ماي عام 1808م بإعطاء أمر بالقيام برحلة استطلاعية استخبارية، ويُوكِل تنفيذها لقائد الفيلق **بوتان** لاستطلاع مواطن الضّعف والقوّة، بأخذ التّصاميم ووضع الرسومات لكلّ التّحصينات الموجودة في المدينة وفي المنطقة

---

[1] [إنّ قصة الضابط **بوتان** تجعلنا نطرح الكثير من الأسئلة حول مدى صدق هذه المعلومة، فكيف للضابط **بوتان** الذي تمّ أسره ورمى بجميع الأوراق المهمّة في البحر، وظل شهرا وهو أسير قبل هروبه، أن يحفظ جميع ما كتب ورسم ويعيد رسم ثلاثة عشر رسمة من الحجم الكبير، وقد نقلت هذه الرواية عن **روسيه كاميه** لأنّي لم أجد في المراجع الفرنسية ما يفنّدها، وإلاّ فإن الكاتب في حدّ ذاته محطّ جدلّ من طرف المثقفين الغربيين]. للمزيد حول سيرة بوتان ينظر: Camille ROUSSET, **op.cit,** p105.

[2] فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 400.

[3] رشاد الإمام، **مرجع سابق**، ص 43.

[4] احميدة اعميراوي، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827- 1840)**م ، ط1، دار البعث، الجزائر، 1987م، ص29.

المجاورة لها واستيفاء جميع المعلومات ذات الطابع العسكري، إلى جانب المعلومات ذات الطابع جيو سياسي واستكشاف المناطق المحيطة بالعاصمة لتحديد مكان أفضل للإنزال، وذلك للسّؤال الذي فرض نفسه حول مشروع غزو الجزائر، على أيّ الطرق يمكن النّفاذ إليها وسبيل البحر مسدود لأنّ تدمير الأسطول الفرنسي في أكتوبر عام 1805م قد قضى على التّواجد البحري الفرنسي في المتوسط.[1]

زار **بوتان** الجزائر على متن سفينة حربيّة صغيرة تُدعى (لوركان) في 24 ماي 1808م إلى 17 جويلية من نفس السنة، مُتنكّرا في زيّ مدني على أساس أنّه من هواة الآثار[2]، واسْتُقبل من طرف القُنصل **بيير دوفال (Pierre DUVAL)**(1758-1829)م، فحص مدينة الجزائر من تامنفوست إلى سيدي فرج وحصل على معلومات خارج الحدود المَسموح لها للأجانب[3]، واستطاع أن يقدّم لفرنسا عملا شاملاً كان من المصادر التي عَوّل عليها منظّمو الحملة عام 1830م[4]، المذكّرة الأصليّة لهذا العمل بعنوان« استطلاع لمدن وحصون وسفن الجزائر العاصمة وما حولها» بناءً على أوامر **دوكري** وزير الحربية والمستعمرات بتاريخ 1و2 مارس 1808م لخدمة مشروع الإنزال النّهائي في هذا البلد...

ولأنّ القنصل **ديبوا تونفيل**[5] ساعده في مهمّته الاستطلاعية، بعد وفاة **بوتان** بخمس سنوات أعدّ مشروعه الاستعماري الأوّل أيضا، والذي أكّد فيه على ضرورة الاستيلاء على الجزائر ومنها يتمّ استعمار الأراضي المجاورة، ومشروعه الاستعماري الثاني عام 1827م الذي تطرّق فيه إلى

---

[1] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية(1790-1830)م**، ط خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1991م، ص ص200 ،201.

[2] استخدم بوتان فكرة البحث عن الآثار، لأنّها ديدن أغلب الرحالة الأوروبيين الذين سبقوه، يذكر الجغرافي البريطاني **سيمون لوكاس**" أنه كان سعيدا بحصوله على ترخيص من الباشا بحجّة البحث عن الآثار وجمع الأعشاب العلاجية التي لا تتواجد في أوروبا" وبالتالي البحث عن الآثار كان حجّة منطقيّة ومعروفة لرحّالة أجنبي.

[3] جمال خرشي، **الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر (1830-1962)م**، ط1، دار القصبة للنشر، تر: عبد السلام عزيزي، الجزائر، 2009م، ص42.

[4] أحمد سليماني، **مرجع سابق**، ص ص71،72.

[5] في ملاحظة كتبها الدكتور **جمال قنان** حول القنصل **دوتونفيل** الذي كانت له علاقات جيّدة من المقربين للداي، تحججّ بأنّ الظّروف السيّئة والمصاعب الداخلية تكثر، وطلب بأن يُغادر البلاد ويلتجأ إلى فرنسا، وأنّ الداي كان على علم بالسّفينة الراسية في الميناء والتي تنتظر **بوتان** حتى إنهاء مهمته، والتي أخبرهم القنصل أنها تحت تصرّفه. ينظر: جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية...** ، مرجع سابق، ص 200.

أهمّ الأحداث التّي عاشها وعاصرها كقنصل في الجزائر، بطلب من وزير الحربيّة والمستعمرات الفرنسية **برتراند كروزيل(Bertrand CROUZEL)**(1772-1842)م.[1]

- **مشروعه الاستطلاعي:** يُعتبر مشروع **بوتان** من أهمّ المشاريع التي وُضعت للاستطلاع عن الجزائر خلال القرن 19م، نتيجة المعلومات الغزيرة التي قدّمها رغم المدّة القصيرة التي زار فيها الجزائر والتّي لم تتجاوز الشهرين، وخرج فيها بتقرير قدّمه لوزير البحرية بتاريخ 18 نوفمبر 1808م عنونه ب« كشف استطلاعي شامل عن مناطق وضواحي مدينة الجزائر وحصونها وأسلحتها المدفعية ...» عنونه «الاستعمار».

احتوى مشروعه على 39 ورقة و5 رسوم تخطيطية موجود بالشكل الكبير في أرشيف وزارة الحربية بفانسان، ركّز في مشروعه على عدد من النقاط من بينها اختيار مكان لائق للإنزال وحدّده، وعلى عُدّة وعتاد الجيش[2]، ورأى أنّ العمليات العسكرية للعاصمة لن تستغرق أكثر من شهر، وحدّد وقت الإنزال بين شهري ماي وأكتوبر وأفضل فترة هي الواقعة بين(10 ماي- 10 جوان).[3]

2.2. في عهد شارل العاشر

بعد سقوط نابليون[4] وانعقاد معاهدة باريس الثانية في 20 نوفمبر 1815م، والتي جرّدت فرنسا من كثير من المزايا إزاء التحالف بين انجلترا والنمسا وبروسيا، كانت فكرة الحملة الفرنسية على الجزائر إلزامية في ظلّ الظروف الدوليّة والتنافس القويّ، وثانيا لأنّ

[1] قدّم مشروعه الاستعماري أيضا في 2 أوت 1827م، دعا فيه إلى احتلال الجزائر بقوّة عسكرية وضمّها للتاج الفرنسي. للمزيد ينظر: فريد بنور، **مرجع سابق**، 559م.

[2] للمزيد حول خطة الإنزال التي عرضها بوتان ينظر الملحق رقم 15: خريطة للجزائر وضواحيها رسمان فانسان بوتان، ص335.

[3] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية** ..، مرجع سابق، ص200.

[4] منذ عام 1814م بدأت قوة نابليون تتضاءل تدريجيا بسبب التحالفات الأوروبية، إضافة إلى أنّ جيوشه التي كان يعتمد عليها في حروبه ضمّت جنسيات أخرى من الجنود المرتزقة، في حين قبلا كان جميعهم فرنسيين تدفعهم الحميّة الوطنية... للمزيد ينظر: فائق طهبوب، محمد دحمان، **تاريخ العالم الحديث والمعاصر**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2007م، ص54.

الملك **شارل العاشر**[1] الذي اعتلى عرش فرنسا عُرف بحكمه الجائر والظالم، ومنْحهِ العديد من الامتيازات للإكليروس وطبقة النبلاء، هذا أوْجدَ معارضة قويّة من طرف جميع الأطياف السياسية، وأرهق البلاد الفرنسية التي باتت تعيش أوضاعًا داخلية متفجّرة؛ بسبب الظروف الاجتماعية السيّئة التي عانى منها الغالبية السّاحقة من السكان.

كان التّفكير في صَرف أنظار الرأي العام إلى غزو الجزائر البلد الغنيّ والثريّ ضروريا لحلّ الوضع المتأزّم، بحيث تجعل من غزو الاستعمار الفرنسي انتصارا سياسيا يكون بالمرصاد للمعارضة التي لا تترك مجالا للطعن في سياسة الحكومة وتخدم في نفس الوقت أغراضه، ولأجل تحقيق هذا قام بالاتفاق مع رئيس وزراءه **جول دو بولينياك(Jules de POLIGNAC**[2]**)**(1780-1847)م للتباحث في إعداد مشاريع استعمارية ناجحة لاحتلالها والخروج من الأزمة.[3]

1.2.2. رينيه كاييه:

أو رينيه كايلي[4] كما هو موجود في مؤلفه «رحلة إلى تمبوكتو»، والشائع عند أغلب المراجع والمصادر التّي أطلعنا عليها، أنّ هذا الخطأ بسبب والده الذي نسي حرفًا واحدا فسجّله كايلي بدلاً من **كاييه(caillié.caillé)**، وبعد التقصّي والاطلاع على وثيقة مولده المنشورة، تبيّن أن والدته هي من سجّلته وأنّ والده كان مسجونًا، ولا وجود للخطأ في الكنية

[1] **شارل العاشر:** آخر ملوك أسرة البوربون، تولّى حكم فرنسا عام 1824م، عرف في فترة حكمه معارضة قوية من طرف جميع الأطياف السياسية، لأن نظام حكمه جائر وظالم، بالإضافة إلى منحه العديد من الامتيازات للإكليروس وطبقة النبلاء، ورغم احتلال الجزائر أو ما يسمى ب(ثورة تموز) تم تنحية شارل العاشر ليغادر إلى انجلترا... للمزيد حول سيرته ينظر: مونيقورس، **تاريخ ملوك فرنسا من مبدأ ملكهم إلى الملك لويز فيليب**، مدرسة الألسن، تع: حسن أفندي قاسم، مصر، 1999م، ص356.

[2] **بولينياك:** هو جول أوغست ماري دو بولينياك، سياسي فرنسي، تم تعيينه وزيرا للخارجية في عهد الملك شارل العاشر، لعب دورا كبيرا في الحملة العسكرية الفرنسية عام 1830م... للمزيد ينظر: فائق طهبوب، محمد دحمان، **مرجع سابق**، ص30.

[3] جوزيف صقر، **قصة وتاريخ الحضارات العربية- تاريخية- جغرافية- حضارية- أدبية(تونس- الجزائر)**، د ط، د. د. ن، ج21-22، لبنان، 1998م، ص 138.

[4] ينظر الملحق رقم 16: بورتريه لرينيه كاييه، ص336.

العائلية، والخطأ الحاصل في الكُنية في الكتاب إنّما هُو مطبعي لا أكثر[1]، وُلد في 19 نوفمبر عام 1799م في مدينة ماوزي قرب مقاطعة دي سيفر بفرنسا، في 7 أكتوبر عام 1811م صار **كاييه** في عُهدة جدتّه بعد وفاة والدته.

بدأ مبكّرًا بحبّه للمغامرة وكلّ ما يتّصل بها فطالعَ الكثير من رحلات المستكشفين، لكنّ نشأته الفقيرة لم تُمكّنه من تحقيق رغبته في السّفر، ممّا اضطرّه إلى العمل كإسكافي، لكنّه سُرعان ما تخلّى عن العمل بعد موت جدّته وقرّر السّفر إلى إفريقيا وعمره لم يتجاوز السادسة عشر بعد، سافر عام 1816م متوجّها إلى سينلوي في سفينة لالوار وتمكّنوا من الوصول إلى السودان، ولسوء الحظّ غادر الحاكم الفرنسي الذي شجّع محاولاته الأولى وشعر **كاييه** بخيبة الأمل، بعد مُقام استمر لعدّة أشهر توجّه إلى إندر حيث كان الإنجليز يوجّهون رحلة استكشافية داخل إفريقيا برئاسة الرائد **ألبرت بدي (Alpert Peddie)**.

بيد أنّ هذه المهمة فشلت بسبب موت قائدها، ولأنّ الإنجليز كانوا مصرين على استكمال رحلاتهم، وظّفوا **روبرت غراي(Robert Gray)**(1755-1826)م العليم بأمور البحار عام 1818م لإنهاء مهمّتهم، استعدّ **كاييه** للّحاق به، بيد أنّ الفرنسيين عارضوه لتغيّره ولاستخدامه الزيّ الانجليزي، وأقنعوه بعدم المشاركة فيها ليكون ضمن فريق البحث الاستكشافي، الذي ستموّله الجمعية الجغرافية في باريس عام 1821م.[2]

بين عامي (1824-1825)م قام **كاييه** برحلة عبر الضّفة اليمنى لنهر السينغال، عاش فترة مع البدو وتعلّم لغتهم وما بين عامي(1825-1827)م، حاول الوصول إلى تمبكتو، ولأنه لم يلقَ الدّعم استقرّ في مدينة جيني، ولأنّ الرحلة ستكون على نفقته الخاصة،

[1] غياب والد رينيه كاييه كان سببه أن كان مسجونا لمدة 12 عاما، للمزيد حول حياة رينيه ينظر الملحق رقم17: صورة لشهادة ميلاد رينيه كاييه، ص373، وللاطلاع على سبب غياب الوالد حين تم تسجيله يمكن الاطلاع على سيرته الذاتية. ينظر:
Réné CAILLIE, **Voyage Réné Caillié au Toumbouktou et a Travers l' Afrique1824-1828**, pub: Jacques Poulonger, libérairie Plon, Paris, 1932.

[2] René CAILLIE, **Voyage d'un Faux Musulman à Travers l'Afrique : Tombouctou, le Niger, Jenné et le Desert**, E. Ardant, Limoges, 1885, p22.

صادق التّجار المسلمين وادَّعى أنّه من الاسكندرية ذو أصل عربي أُسِر في حملة **بونابرت** على مصر عام 1798م، وأُخِذ إلى فرنسا في عمر صغيرة، وتمّ نقله إلى السنغال للقيام بتجارة الأكفان، ولا يريد شيئًا سوى العودة إلى مصر والعثور على عائلته، قرأ عليهم بعضًا من السّور التي حفظها من القرآن الكريم، وكان ينضمّ إلى الصلاة معهم في المسجد، وهذا ما دفعهم إلى تصديقه.

تمكّن **كاييه** أخيرا من الوصول إلى تومبكتو في أفريل عام 1828م، استقرّ بها فترة قصيرة ودوّن كل شيء عنها في مذكّراته، في 4 ماي غادر إلى الجنوب الغربي بالصحراء الجزائرية وزار توات وعين صالح، ثمّ مدينة تلمسان بأقصى الشمال الغربي وغادر بعدها إلى المغرب الأقصى عبر مدينة فاس ثمّ توجّه إلى فرنسا[1]، في ظروف أكثر من قاسية، ومع وصوله أخبرت الجمعية الجغرافية وزير الخارجية **جان دو مارتيناك(** Jean de MARTINAK**)** (1778-1832)م، **وهيد دي نوفيل(Heyd de Neuville)** (1776-1857) م ووزير الحربية، وتمّ منحه وسام جوقة الشرف ومبلغا ماليًا، عاد مجدّدا إلى موزاييه عام 1832م، بعدما سحب معاشه من وزارة الخارجية ووزارة الحربية، ونظرًا لمرض السلّ الذي صاحبه في رحلته مات **كاييه** في 15 ماي عام 1838م.[2]

- **مشروعه الاستطلاعي:** تُعتبر رحلته ذات بعد استطلاعي تجسّسي تجاري لأجل إيجاد طريق من الجزائر حتى تومبكتو، تعدّ رحلته من أهمّ الرحلات التي استطلعت في جنوب الصحراء، وقد شجّعت رحلته بريطانيا إلى معاودة استكشافها، كما بيّنت رحلته أنّ

[1] ينظر الملحق رقم18: خط سير رينيه كاييه، رسم كاييه على الخريطة فقط المناطق التي زارها، لذلك نرى الجزء الشمالي والجنوبي الغربي للجزائر فقط، ص338.

[2] للاطلاع على الشهادة التي منحت لرينيه كاييه نتيجة اكتمال مهمته، والرسالة التي أرسلها السيد **جومارد(GEMARD)** مسؤول المكتبة الملكية ورسام الخرائط إلى السيد **جون باراو (John Baro)** اعترافا بعمله الجبار ونجاح رحلته ينظر:

René CAILLIE, **Diplôme de chevalier de la Légion d'Honneur ; Lettre de l'Abbé Dinomé Demandant la Parution rapide du journal de Caillié**, 17 décembre 1828; Réné Caillie**, journal d'un Voyage du Toumbocto et a Jénné dans l' Afrique Centrale**…, T: 03, Impremerie Royale, Paris, pp 397-398

الجزائر شاسعة مساحة جنوبا باتجاه افريقيا، وهي بوابة للتوغّل نظرًا لأهمّيتها التجارية وتاريخها المعنوي(يقصد المرجعية الرومانية) الحافل، ولأنّ رحلته عُنيت باهتمام الجمعية الجغرافية الفرنسية، وحظيت بتمويل كبير من الإدارة الاستعمارية، قدّم خريطة للجزائر وجنوبها الكبير[1]، اعتمدها الفرنسيون لاحقًا في التوسّع، كما كانت تقاريره قاعدة لتأليفات هامة على رأسها مؤلف دوماس« الصحراء الجزائرية» بتشجيع من المارشال **توماس روبير بيجو**(**Thomas Robert BUGEOUD**)(1784-1849)م.

2.2.2.جاك ماك مكارثي(Jack MacCarthy):

هُناك من يكتبه جاك مكارتي، والكتابة بالعربية إنّما يتغيّر فيها النطق بسبب التّرجمة من الإنجليزية أو الفرنسية[2]، من مواليد عام 1785م، مستكشف جغرافي من أصل إيرلندي، عَارف باللّغات الشرقية، امتهن الترجمة ووقع اختياره على دراسة الجزائر والتخصّص بكلّ ما يتعلّق بتاريخها المجتمعي، استقبله الفرنسيون ووظّفوه خدمة لمصالحهم، ساعد الفرنسيين في ضبط خطّتهم ومشروعهم، بمعرفة خصائصهم السوسيو أنثروبولوجية، وضبط الخصائص الجغرافية للتوزيع السّكاني، وركّز على المسالك وقيود التنقّل، كما كان مختصّا في التاريخ المجتمعي للجزائر.

كان له أيضا دور كبير في حسابات إدارة الحرب بطريقة علمية، كان متمرّسا في اختصاصه كجغرافي وعارفًا باللغات الأوروبية والشرقية، هاجر **مكارثي** إلى فرنسا وواصل اهتمامه وتتبّعه للمخطوطات التي وفّرتها الرحلات الاستطلاعية السابقة، وخاصة تلك المتعلّقة بمجال الدراسات والوثائق الجغرافية والأنثربولوجية[3].

---

[1] ينظر الملحق رقم19: خريطة للجزائر والمغرب رسمها رينيه كاييه، ص339.

[2] إنّ المتتبّع لسيرة جاك ماك مكارثي، سيجد أنّ هناك تشابهًا في التّسمية بينه وبين ابنه **أوسكار ماك مكارثي (Oscar MacCarthy)**(1815-1894)م، الذي يكنّى بنفس اسم والده " ماك كارثي" وهذا نجده في أغلب المؤلّفات المنشورة، خصوصًا أنّ أوسكار مكارثي قد زار الجزائر وله مؤلفات عدّة حولها ، والعديد من الخرائط التي تخصّ مناطقها منورة على موقع أوروبيانا https://www.europeana.eu

[3] سعيد عيادي، **مرجع سابق**، ص306.

- **مشروعه الاستطلاعي:** بنى مشروعه حول استغلال المعلومات في الجزائر وترجمة الوثائق ووضعها تحت تصرّف القيادات العسكرية والإدارية، قام الفرنسيون بتوظيفه وتجنيده في جهاز الاستخبارات الفرنسي وألحقوه عام 1800م بمجموعة خبراء جهاز المتابعة للملف الجزائري، ثم عيّنوه بعدها ملحقًا بمركز معالجة المعلومات الحربيّة، وهو ما يعني إدماجه في الفريق المتنقّل لجمع المعطيات والسّير والتخطيط للتهيئة لاحتلال الجزائر، برز بقوّة عام 1822م وقام بنشر ترجماته منها « المدقق في التاريخ السياسي والعسكري لأوروبا» للباحث بيغلاند، وترجم « رحلة إلى إيالة الجزائر» للدكتور **شاو**، توفي مكارثي عام1833م[1].

3.2.2. دو لابروتونير(La Cauldre De la BRETONIEERE) :

قرّرت الحكومة الفرنسية تكليف قائد عمارة الحصار الفرنسية **دو لابروتونير** بمهمّة لدى الدّاي في شهر سبتمبر من سنة 1828م، انحصرت مهمّته الأولى في الطلب من الداي إيفاد مبعوث إلى فرنسا لإقرار السّلم من جديد، ولإعطاء تفسيرات مقبولة عن مسلك الداي اتجاه القنصل ونواياه اتجاه فرنسا، أمّا الثاني فتمثّل في إلزام الدّاي بإطلاق سراح جميع الفرنسيين، والواقع إنّما فرنسا كانت تريد الاستسلام لا التفاوض، وأيًّا من الأمرين لم يقع إذ عاد **لابروتونير** خائبا وفارّا لضرب سفينته بالمدفعية، ونال أحد أجزاءها العطب.[2]

- **مشروعه الاستطلاعي:** بعد الرسالة التي بعث بها وزير الحربية والمستعمرات **هيد دونوفيل** في 20-23 أفريل عام 1829م، أعدّ **لابروتونير** مشروعه الاستعماري الذي احتوى على 13 ورقة مكتوبة على جهة واحدة، إذ رأى أنّ الحصار على الجزائر غير كاف، فاقترح تجميع قوّات بحرية كافية ويكون تدخّلا بحريًا كسابق الحملات، مع اختيار

[1] سعيد عيادي، **مرجع سابق**، ص307.

[2] فريد بنور، **مرجع سابق**، ص ص 573،576.

أشخاص كفء لهم باع كبير في الحروب والأزمات، وأن تكون الحملة البحريّة في شهر ديسمبر عام 1829م حتّى تكون في أتمّ الاستعداد في شهر ماي من السنة المقبلة عام 1830م، ونَصح بالعبور على جزر الباليار وبالذّات على ميناء ماهون لتسهيل مهمّة نقل العتاد العسكري والجيش وهو آخر مشروع على عهد الملك **شارل العاشر**، ويبدو أنّما جاء في تقريره قد تمّ اتخاذه بحذافيره، وقد مرّت الحملة بجزر الباليار مرورا بميناء ماهون وانتهت بالإنزال العسكري وغزو مدينة الجزائر.[1]

3. علم الجغرافية وتأثيرها على وصف رحالة القرن19م:

إنّ الكشف الجغرافي حتّى أواخر القرن 18م كان كشفًا جغرافيًا فرديًا، ثمّ صار كشفًا تدعمه جمعيّات جغرافية تنظمّه، وترعى الحالة المستكشفين(والأصح أنها تبنّت مسؤولية الاجتهاد الجغرافي الذي جمع الهواة والمحترفين)[2]، بل قل إنّ أوروبا أحسنت استخدام الكشف الجغرافي في مُباشرتها للعمل الاستيطاني وللسّيطرة على التجارة الدولية والتبشير بالحضارة الأوروبية على أوسع نطاق.

لم يتجسّد هذا بالفعل إلاّ بعد نضج الجغرافيا الحديثة واهتمام الدّراسات الأكاديميّة بها[3]، وبات هذا التطوّر لا يشمل تغطية المساحات تغطية متعجّلة بقصد الكشف الجغرافي، وإنّما يهدف إلى تغطية المساحات تغطية عميقة متأنّية بقصد الاستعمار[4]، وهذا استوجب رحّالة متخصّصين جغرافيًا وعسكريًا مدرّبين على العمل الميداني، يذكر الجغرافي **راؤول توني(Raul Tony)** حول أساسية العمل الميداني قائلا:" أنّ ما يحتاج إليه الرحالة للبحث في جغرافية المكان هو أحذية متينة(أي العمل الجادّ والميداني)" وذلك من أجل جمع المعلومات اللاّزمة لوزارة الحربية.[5]

---

[1] حمدون بن عتو، **مرجع سابق**، ص 226.

[2] عبد الدايم أحمد، **الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين**، مجلة قراءات إفريقية تاريخية، ع21، سبتمبر 2013م، ص7.

[3] صلاح الدين الشامي، **مرجع سابق**، ص17.

[4] **نفسه**، ص200.

[5] جريفث تايلور، **الجغرافية في القرن العشرين**، د ط، المكتبة العربية ، تر: محمد السيد غراب، محمد مرسي، ج2، القاهرة، 1975م، ص23.

هذا التطوّر في الجغرافيا يظهر جليّا في الخرائط التّي رسمها **فنسنت بوتان** بل حتّى في وصفه لها، وقد كان **بوتان** خريج المدارس الحربية، هذه المدارس التي تُعنى برسم الخرائط الدّقيقة للمناطق، مثلاً في وصفه لموقع الجزائر يقول:« تنقسم جبال الأطلس إلى فرعين، يعبّر أحدهما المنطقة من الغرب إلى الشّرق وينتهي عند خليج بونة، بعدها ينظمّ إلى جبال غدامس التّي تحيط بخليج سرت الأقرب للبحر الأبيض المتوسط في ما يسمّى بالأطلس الصّغير، بينما الآخر المكوّن من كُتل صخرية، يأخذ إسم الأطلس الكبير، ترتبط هاتين السلسلتين ذات الشكل والاتجاه المختلفتين بدعامات تترك بينهما سهولاّ خصبة غنيّة وصحاري متناثرة".[1]

ويمكن للمقارنة أن تظهر أكثر إن أخذنا مقطعًا لميناء مدينة الجزائر في الخريطتين السابقتين (ينظر الملحق رقم11 ، ص334)

مقطع من خريطة01

مقطع من خريطة02

إنّ المتأمّل في الخريطيتين اللّتين رسمهما كلاّ من الرّحالة **توماس شاو** والضّابط **فانسان بوتان**، يُلاحظ الفارق بينهما، فالرّحالة **شاو** أورد فقط الجبال والسهول على سطح الخريطة ورسم الميناء دون معالم توضحه عدا المرسى، بينما **بوتان** فأوردَ الأقاليم ومصبّات

[1] مقطع من الوصف الموجود على الخريطة التي رسمها الضابط والرحالة **بوتان**، والتي نشرت بتاريخ جوان 1830م، خريطة منشورة في موقع المكتبة الوطنية الفرنسية.

الأنهار والجبال والأشجار والحصون وأوْضح ميناء الجزائر وصوّره بدقّة غير مُتناس أي تفصيلة فيه.

هذه الأوصاف والتطوّر الحاصل في الجغرافيا والفراغات التي وُجدت في أغلب البعثات التي أُوفدت للجزائر، تكلّلت بظُهور نوع جديد من الجغرافيا مع بداية الغزو الفرنسي للجزائر أساسه المقارنة بين الظواهر والأوصاف وتفسيرها، هذا النوع من الجغرافيا الذي سيظهر جليا في النصف الأول من القرن التاسع عشر تحت مسمى «الجغرافيا المقارنة».

المبحث الثاني: علاقة الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين(18-19)م بالتوسّع الاستعماري

إنّ الاستعمار في مجمله هو امتداد لنفوذ دولة ما إلى دولة أخرى، على أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ[1]، هذا الاستغلال الذي عبّر عنه ورفضه إجمالاً **مارتن لوثر كينج**(Martin Luther King)(1929-1968)م في خطاب أوسلو قائلا:" أرفض جازما أن أسلّم بفكرة أنّ الإنسان ليس أكثر من قطعة خشب هشّة، تَحوطها العواصف من كلّ جانب، كما أرفض أن أسلّم بفكرة أن مآل الإنسانية المُفجع هو لَيل الاستعمار والحروب"[2]، إنّ هذا الطابع هو الوجه الفعلي الذي عايشته بلدان شمال إفريقيا وخصوصا الجزائر؛ بداية من الثلث الأول من القرن 19م، إذ اعتمد المستعمرون فيه على مسبّبات ونتائج كثيرة لتسهيل احتلالهم منها الرحلات الاستطلاعية.

أمّا فيما يخصّ علاقة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرنين 18م و19م محور الدراسة بالتوسّع الاستعماري، نجد أنّ عديد الدراسات الأوروبية تؤكّد على عَرَضيّة الأحداث دون تخطيطات مُسبقة، اخترنا منها ما أدلت به الباحثة الفرنسية ذات الأصول

[1] زاهر رياض، **مرجع سابق**، ص6.

[2] مارتن لوثر كينج، **خطاب أوسلو**، 10ديسمبر 1924م.

التونسية **لوسيت فالنسي**(**Lucette Valencé**)(1958-)م في مقدمة كتابها (رحلة في إيالتي تونس والجزائر- ديفونتان وبايسونال)[1] والتي تلفت انتباهنا إلى مخاطر التفسير غير المبرر الذي من شأنه أن يجعل هؤلاء الرحالة ملهمي الاستعمار، بل وتدعونا إلى تجاهل أيّ رؤية غائية من شأنها أن تقودنا إلى البحث في الماضي عن العلامات الأولى لعملية الغزو(الجزائر)، إذ لم يكن الرحالة في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، يعرفون أنّ أوروبا ستبني أنظمة استعمارية في المناطق التي كانوا يزورونها.[2]

1 .أثر الرحلات الاستطلاعية في تيسير المدّ الاستعماري:

من خلال ما عالجناه في الدراسة، صرنا متأكدين تمام التأكّد، أن إيفاد الرحالة إلى بلدان شمال إفريقيا للاستعلام والاستخبار لم يكن بهدف الاستعلام فقط والتعرّف على البلدان البعيدة؛ خدمةً للاستكشاف العلمي كما في رحلات القرن 18م، ولا لأجل ربط العلاقات وأواصر الصداقة في ظلّ التحالفات والتكتّلات الأوروبية كما في رحلات القرن19م.

وهذا قد تتبّعنا تطوّراته في مراحل بحثنا السابقة، والتي أظهرت وعلى طول الصّفحات التي تتبّعنا فيها سير الرحلة، والمعلومات التي جاء بها الرحالة، أنها كانت دوما إمّا أرضية الحملات التي شنّتها الدول الأوروبية، أو سببًا في تيسير التفاوض وعقد المعاهدات وتحرير الأسرى، أو لأجل تيسير طرق التجارة والحصول على الامتيازات في إطار السّعي المحموم للحصول على المستعمرات، وهذا جميعه يقع من منظور (السمك في الماء لا يخلقُ الصيد، بل يتطلّب العتاد والصياد).[3]

---

[1] عرّب جزءَ من كتاب الباحثة لوسيت فالنسيّ رحلة في إيالة تونس – بايسونال" المؤرخ محمد العربي السنوسي، والكتاب موجود في دار الكتب الوطنية في تونس لمن يودّ الاطلاع عليه.

[2] Jean-André PEYSSONNEL, **op. cit,** pv.

[3] هذا المثل يضرب لمن يومن بالنتائج دون المسببات، وقد ذكرته لتبيان العلاقة بين الرحلة والتخطيط للتوسع الاستعماري، إذ لا وجود لحرب ناجحة دون معلومات تقوم عليها خطط ومشاريع الاحتلال.

تؤكّد هذه المقولة **إيف لاكوست(Yves Lacoste)**(1929-)م في كتابها« الجغرافيا في المقام الأول صُنع الحرب» (La Géographie, ça sert, d'Abord, à Faire la Guerre)، أن الرحلة الاستطلاعية كمساهمة في المعرفة الجغرافية، مفيدة وبشكل مباشر في الغزو الاستعماري وإدارة المستعمرات، وبالتالي وجب أن نعرف أنها موجّهة لهذه الاستخدامات منذ البداية.[1]

يؤيّد هذا **أدريان باربروغر (Adrien Berbrugger)**(1801-1869)م في تقديمه للملحقات في كتابه « رحلة إلى معسكر عبد القادر» عام 1837م: "لقد قرأنا للتوّ بعض المعلومات القديمة التي قدّمها خط سير رحلة كلاّ من **بايسونال** و**ديفونتان** و**شاو**، وسيكون مثيرًا للاهتمام مُقارنة هذه الروايات المكتوبة من وجهات نظر مختلفة والتي تكمّل بعضها البعض؛ في الوقت الذي وصلتنا فيه معلومات حول الشروع بعمليات عسكرية على أراضي الجزائر، إنّ العثور على هذه التقارير والمذكّرات غير المعروفة لدينا سيفيدنا كثيرا في هذا الوقت".[2]

يعطينا **إرنست مرسييه(Ernest MERCIER)**(1878-1955)م رأيًا مغايرًا في ما يخصّ غزو مدينة الجزائر، أظهر أنّه لم يمنح فرنسا مُستعمرة فقط، ولكنه فَتح إفريقيا الشمالية جميعِها على العلوم، والجغرافيا، والتاريخ، والاثنوجرافيا...وبدأت أسرار هذه القارة تُفتح واحداً واحداً من قبل الباحثين، وأكّد أنّ هذا الاحتلال لن يكون مربحًا لفرنسا فقط؛ بل سيكون مفيدًا للتاريخ والفنون والجغرافيا والعلوم الطبيعية.[3]

إنّنا هنا نفتتح زاوية مهمّة يقوم عليها أساس ومحور الدراسة، وهي دراسة العلاقة بين الرحلة الاستطلاعية وخدمة الاستعمار، هذه الرغبة التي نمت ببطء وعلى مدى قرون،

[1] Michel CHAUMET, **Yves Lacoste, La Géographie, ça sert, d'Abord, à Faire la Guerre**, Norois, N°93, 1977, pp119-120.
[2] Adrien Berbrugger, **Voyage au Camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux Montagnes de Wannourhah (Province de Constantine), en Décembre 1837 et Janvier 1838** ,Toulon, 1839, p59.
[3] Flourens Pierre, **op. cit**, p viii.

مُستعينة بجميع ما كُتب من تقارير ورسائل ومذكرات وما طُبع من مؤلفات...إلخ، بل وتطوّرت ونضجت على مدى سنوات التطوّر الحاصل في أوروبا، والتقهقر والضعف الذي بات يدبّ في أوصال بلدان شمال إفريقيا، والذي فجّر المطامع للحصول على هذه البلدان الغنية طبيعيًا والثريّة باختلافها السكاني، والعريقة في أصولها التاريخية، وحتى يتسنّى لها النجاح؛ كان لا بد لها من رحالة وعلماء ومستكشفين وجواسيس يتقصّون الأخبار، يدرسون المناطق يقيّمون المناخ ويحسبون التوزيع الديمغرافي ويعرفون الأنظمة والمناطق الدفاعية والحصون، بل ويتسرّبون إلى المناطق التي لم يسمح لأحد الولوج إليها كما حدث مع **بوتان**، وحتى يتمّ النجاح الحقيقي كان لا بدّ من كسر حاجز اللغة فجاء الرحالة المستشرقون.

2. الرحالة المستشرقون وخدمة الاستعمار:

كان **دي باراداي** مؤمنًا أنّ معرفة اللّغة؛ مهمّ لاختراق مجتمعات السكان الأصليين بشكل أفضل، حتى أنّه وبعد عودته إلى باريس مباشرة من رحلته في الجزائر، بدأ في تأليف مذكّرات بعنوان« ضرورة تشجيع دراسة اللّغات الشرقية في فرنسا»، ووجد نفسه مرتبطًا بإعادة الهيكلة من « مدرسة اللغات»[1]، والمطّلع على فترة ظهور الاستشراق كظاهرة أوروبية عامة، سيدرك أنّها إنّما اشتغلت في الطّابع العام في العشرين سنة الأخيرة من القرن 18م، وعلى الرغم أنه قبل هذه الفترة كان هناك رحالة مترجمون وعارفون باللغة العربية أمثال **شاو** و**بيتي دو لاكروا**... إلّا أنّ الاقتناع بالدّور الفعال الذي تلعبه اللغة في اختراق المجتمعات وتسهيل مهمّة استعمارها، كان مع التعامل مع الاستشراق كظاهرة استعمارية وظهور المدارس والجامعات التي تحتفظ بكراسي دائمة للغة العربية وإيفاد رحالة مستشرقين.

[1] Pierre FLOURENS, **op. cit**, p330.

ولأنّ الرحلات نحو الشرق وسيلة المستشرقين الميدانية للاستكشاف من مصادره، لفهم ومعرفة الواقع الجغرافي والتّاريخ الطبيعي للبلدان، جاب الأوروبيون (الفرنسيّون خصوصًا) الشّرق سواءً في شكل إرساليّات أو رحّالة أو تجّار مُكلّفين بمهام علمية لاستكشاف النُّصُب والآثار، هؤلاء الذين رسموا صورًا ملأوا بها مجلّدات لا تُحصى خصوصًا في اللّغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، وذلك من موقعهم القويّ على خارطة العالم والعلم، من مُنطلق المُستأثر بالأشياء والمتهيّئ للترويج وتمهيد الرأي العام للغزو الفكري والاستعماري.

لعلّ حملة **نابليون بونابرت** على مصر هي الأنموذج الأتمّ، فقد دخلت المطبعة العربية وراء مقطورة عربة المدفع الفرنسي لتؤسّس للظاهرة الاستعمارية بشقّيها الفكري والعسكري[1]، وقد كان **توماس شاو** يقف على ما جاء في رحلة **الإدريسي** في زيارته للجزائر، وكلما عثر على شيئ قارنه بما جاء في أخباره ومرويّاته، **فونتير دي باراداي** أيضا قد اعتمد عليه وله ترجمة لكتابه« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وكذلك نجد **دو لاكروا** يضع كتابًا لتعلّم اللّغة العربية، وهو كتاب ميسّر وسهل يضع الكلمة بالعربية، ثمّ يكتبها كما هي باللّغة الفرنسية، ثمّ يكتب ما يعادلها في أصول اللّغة الفرنسية من أجل سلامة النطق وفهم المعنى.[2]

مهّد الاستشراق للرّحالة طريقهم نحو الشّرق، وكانت الرّحلة النّاجحة في نظرهم هي التّي تقتضي الإقامة في بلد ما، ثمّ أخذ الوقت اللاّزم للارتباط برجالاتهم كي يتسنّى لهم فهم الأمور عن كثب، لتعميق البحث والاكتشاف.

[1] محمد الخضر حسين وآخرون، **خمس رحلات إلى الجزائر(1904-1932)م**، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، تح، تق: محمد صالح الجابري، الأردن، 2004م، ص7.

[2] الكتاب متاح في المكتبة الوطنيية الفرنسة لمن يريد الاطّلاع عليه، تحت عنوان «طريقة لتعلم اللغة العربية بسهولة»

هذا يوضّح جليًا أن الاستعمار الأوروبي إنّما درس أوضاع المستعمرات وأدرك مواطن الضّعف فيها قبل احتلالها، مُستعينًا بالدّراسات الاستشراقية بالبحث والتّنقيب في مكتبات أوروبا، أو عن طريق البحث الميداني من خلال الرحلات الاستطلاعية[1] بإيفاد رحالة مستشرقين، لا يوقفهم حاجز اللغة ، ولا يورّطهم عامل اللسان في الأغلاط والأخطاء.

عامل اللغة يحيلنا إلى القنصل الفرنسي **دوفال** وحادثة المروحة التّي تمايزت واختلفت بشأنها مراجع كثيرة، وقد نقلتُ ما أخبرنا به **حمدان خوجة** لأنّ رأيه فيه شقّين أحدهما منطقي جدا، والآخر بدى لنا فيه بعض الغموض الذي يحتاج إلى العودة للفترة التي كُتب فيها النّص حتّى نعلم سببه، ذكر **حمدان خوجة** أنّ **دوفال** لم يكن عليمًا باللّغة العثمانية، وردّه المُسيء إنّما جاء على قلّة دراية وجاء على نحو آخر منافٍ تمامًا لما يريد قوله[2]، وهذا الرأي صائب لأنّ كاتبه قد عايَش الأحداث.

هذا يحيلنا إلى عديدٍ من الأسئلة، على اعتبار أنّ المستشرق هو الوسيط لآداء مهام بلده الديبلوماسية، ويترتّب نجاحه أو فشله على مستوى براعته وقدرته على أداء دوره، وتبليغ مطالب بلده، ونيل مقاصده بطريقة يكسب بها رضا مُفاوضيه، وبما أنّ **دوفال** يُتقن اللغة العثمانية، **وشارل العاشر** إنّما وظّفه كسفير لأنّه يُتقن اللغتين العربية والعثمانية، فالواضح أنّه قد تعمّد الإساءة ولم يكن السّبب هو ضعفه في اللّغة.

في المُقابل نجد الدّور الرّيادي الذي لعبه **بوتان** في إبرام تحالف بين فرنسا والدولة العثمانية لأنّه يحسن اللغة التركية، وذلك بعدما ساءت الأمور بين فرنسا ودول أوروبا المتحالفة(بريطانيا وروسيا)، لهذا تمّ التحالف مع الدولة العثمانية بسبب الحصار الإنجليزي عليها، بل إنّ **بوتان** ظهر في حربهم مع روسيا يرتدي الزيّ التركي[3]، هذا التكتيك الذي مكّنه

[1] محمد العربي معريش، **مرجع سابق**، ص ص 163-168.

[2] حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص76.

[3] يحيي بوعزيز، **مرجع سابق**، ص107.

من الولوج للجزائر بسهولة، بل إنّ السفينة التي أقلّته من فرنسا، ظلّت في الميناء لمدّة شهرين انتظارًا لمغادرته.

إذن نستنتج أنّ للاستشراق دورًا مهمًا في دفع عجلة الممارسة الاستعمارية، بل استخدم كأداة استخبار وكشف جديد لمواطن شعوب بوصفه حقلاً جغرافيًا سيعمل الاستعمار لضمّها لممتلكاته، بدءًا بالحملة الفرنسية على مصر عام 1798م بقيادة نابليون، فقد أقدم على تشكيل هيئة من تسعة مستشرقين (مترجمو جيش مصر) حيث تولّى **فونتير دي بارادي وأميدي جوبير** التّرجمة والإشراف على الطباعة، وكان منهم ومن أبناءهم من كانوا ضمن الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر، دون أن ننسى الدّور الرّيادي الذي لعبه عميد المستشرقين **سيلفستر دو ساسي**، الذي تخرّج على يده مئات الرحالة المستشرقين، وهو من قام بكتابة المناشير التي وُزّعت في كلّ من تونس والجزائر لدعم التأييد الشعب[1]، وقد بلغ عدد المترجمين في الحملة العسكرية على الجزائر إلى 95 عنصرا مقسّمين إلى ثلاث أصناف، في كلّ مرة كانت هذه الخطوة الضرورية والحاسمة تتصدّر قائمة أولويات العملية الاستطلاعية، والخطّة الاستراتيجية في سبيل غزو الميادين والعسكرية المستهدفة، ولا شكّ أن تكفّل وزارة الحربية بتوظيف المترجمين وضمّهم للسّلك العسكري، أكبر دليل على الصّفة الاستعمارية للمهام المُوكلة إليهم.[2]

لخّص **إدوارد سعيد** هذه المهام:" لقد كان المستشرقون على اتّصال بوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات يتردّدون على رجالاتها، لمعرفة ما جدّ وتغيّر من القرارات، وإنّ هذه الرحلات التي يقومون بها إلى بلاد الشرق بين حين وآخر، ليست بعثات علمية كما

[1] محمد الصغير بوسبتة، **دور الاستخبارات الفرنسية في احتلال الجزائر(1830-1844)م**، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج1، ع3، جوان 2016م، ص84.

[2] صورية فروجي، **عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة(الجزائر أنموذجا)**، مجلة إنسانيات، مج19، ع 67، مارس2015م، ص54.

يزعمون، وإنّما بعثات سياسية تطوف أنحاء الشرق باسم العلم منقّبة وباحثة حتى إذا ما ملأت حقائبها بما تريده؛ عادت إلى وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات تصبّ فيها معلوماتها".[1]

3. كتابات الرحالة و بناء المشاريع الاستعمارية

أعدّ الرحالة مؤلّفات ومخطّطات وتقارير استفادت منها الدولة الأوروبية وفرنسا خصوصًا في تحقيق غزوها للجزائر، أغلب هذه التقارير كان أصحابها مُلزمون بإعطاء صورة سيّئة للبلاد التي زاروها.[2]

يُورد **بايسونال** عند زيارته للجزائر ما يؤيّد هذا قائلا:"لقد شاهدت نظامًا حسنًا وقوانين عادلة ومُنصفة، ولا أعرف كيف أشرح وجهة نظر مناقضة تمامًا لما هو شائع عندنا حول هذه الحكومة"[3]، وهي وجهة النظر نفسها ل**هابنشترايت** الذي اعتبر وصف سكان الجزائر بالبرابرة غير مبرّر، لأنّهم أبعد ما يكونون عن حالة التوحّش[4]، إنّ الهدف من هذا التّحامل واضح وهو اختلاق حجج وذرائع، هدفها إقناع الرأي العام(الفاعل الأول لتحريك الأحداث) أنّ الغزو الاستعماري قضيّة عادلة.

ومن جملة الأسباب التي طرحها المؤرّخون كثيرًا واعتبروها أرضية الاحتلال، نجد أنّ أغلب الأسباب الظّاهرية قد تمّ انتقادها مؤخّرا كما حدث لمعركة نافارين التّي لم يشارك فيها الأسطول الجزائري، وإنّما تأثّرت الجزائر بالحصار لا بالمعركة.

---

[1] إدوارد سعيد، **الاستشراق والامبريالية**...، مرجع سابق، ص123.

[2] هذا ديدن أغلب الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين 16م و 17م (تقارير الرهبان والأسرى)، ومع رحلات الاستكشاف العلمي كان على الحكومات أن لا تغفل عن اشتراط استمرارية الكتابات المفعمة بالأحقاد والكره للحكومة والبلد المُزار في تقارير الرحالة ومؤلفاتهم تهيئة منها للاستعمار.

[3] جون أندري بايسونال، **مصدر سابق**، ص113.

[4] مفهوم البربرية في حدّ ذاته عرف تغيرا فبدلا من أنّه كان يصف المناطق صار مرتبطا بالسلوك العدواني والوحشي، أمّا عن الرحالة فهو إنسان يؤثر ويتأثر، فرغم ما يحمله من أفكار وما أرسل من مهمّات، تبقى آراؤه الشّخصية ملك له.

1.3.رحلات القرن الثامن عشر وقيمتها الإخبارية

لقد كانت كتابات الرحالة ذات قيمة إخباريّة كبيرة، ففي الحرب التي شنّها الاسبان على الجزائر في جويلية عام 1775م والتي مُنّيت بالفشل، كتب أحد النقّاد الإسبان" إنّ الحملة قد تمّت على معرفة ضئيلة بالميدان وبعدد العدو".[1]

وحول هذه القيمة تحدّث **دولامال** في تقديمه لكتاب«رحلات إلى ولايتي تونس والجزائر» الذي جمع فيه ملاحظات **بايسونال وديفونتان**، أنّ احتلال القوّات الفرنسية للسّواحل الشّمالية لإفريقيا لم يضِف سوى القليل من المعرفة التي كانت لدينا سابقا عن المناطق الداخلية(يقصد المعارف التي استقاها من مؤلفات الرحالة)[2]، يؤيّد هذا **إرنست ميرسيه** في تقديمه لكتابه (تاريخ قسنطينة) " لما زرت قسنطينة عام 1871م، لفت انتباهي الماضي المجيد لهذه المدينة، وحتّى أعمل على التّحقيق فيه، كان عليّ العودة إلى العشر سنوات الأخيرة من القرن الماضي(يقصد عام 1770م)، والذي يتوفّر على وثائق ذات قيمة كبيرة، وسمحت لي تحقيقاتي الشّخصية بوضع يدي على قطع ذات أهمية حقيقية، وتمكّنت من خلالها ملء عدد معيّن من الفراغات التي تعسّر علي ربطها في التاريخ الماضي".[3]

إنّ المعلومات الطبوغرافية هي جزء مهمّ في نجاح أيّ عمل عسكري، فعمليات الاستطلاع على إقليم معين تستدعي رسم العديد من الخرائط العامة والخاصة، وفي جميع العمليات العسكرية، تعود الدول إلى مكتبات حفظ الخرائط التّي تحتفظ بها مكاتب الاستطلاع، للحصول على الموقع الطوبوغرافي الذي يتضمّن التضاريس والطّرق والتّحصينات والمناخ والحرارة وشدّة العواصف.[4]

---

[1] جون.ب. وولف، **الجزائر واوروبا(1500-1830)م**، ط خ، عالم المعرفة، تر: أبو القاسم سعد الله، ، **الجزائر**، 2009م، ص404.

[2] Jean André PEYSSONNEL, **Relation d'un Voyage sur les Côtes de Barbarie : fait par Ordre du Roi en 1724 et 1725**, pref : Dureau De la Malle, Librairie de Gide, Paris, 1838, p VII.

[3] Errnest MERCIER**, Histoire de Constantine**,J. Marle et F. Biron ,Constantine,1903, pv.

[4] محمد الصغير بوسبتة، **مرجع سابق**، ص76.

إنّ محو نشاط القرصنة لصالح الصادرات يسمح لنا بعد ذلك بالحديث عن **قرن من القمح** (1695-1725) بعد **قرن من القرصنة** (1580 - 1695) كان الطلب الفرنسي هو القوة الدافعة الرئيسية وراء الإنتاج للتصدير، وكانت التّجارة الفرنسية هي الوسيط الرئيسي في تسويق هذا القمح في أوروبا.

يقول هابنشترايت:« أراضي الجزائر صالحة جدّا لزراعة الحنطة، وسكّان سهل متيجة الجميل وعرب بايلك وهران، يزوّدون مخازن الداي بهذا المنتوج، ليقوم ببيعه للأجانب الذين أصبحوا بفعل هذه المُبادلات من كبار التّجار بفرنسا وإسبانيا وجبل طارق»[1]

يقول **شاو** حول تجارة القمح" قرية حميس تقع عند مصبّ مجرى مائي، وهي سوق قمح يقبل فيه الأوروبيون ويتمتّعون فيه بحرية التجارة"[2] يتّفق الفرنسيون على أهمية هذه الأرض، إذ يوضّح الفرنسي **فرانسوا مارمونتيه(François MARMONTEl)**(1723-1799)م أنّ أرض الجزائر تتميّز بخصوبة مدهشة، يكفي فقط تنظيفها برفق بواسطة محراث مكوّن من قطعتين من الخشب بطول خمسة أو ستة أقدام، تجرّها بقرة واحدة ودون وضع السّماد، إنّ محاصيل القمح والشّعير التّي تنتجها هذه الأرض متفوّقة عن محاصيل أفضل الأراضي في فرنسا، ويمكننا أن نتخيّل على ما يمكن أن تنتجه هذه الأراضي إن منحت لمزارعين أذكياء يمتلكون الثقافة التّي تناسبها ويخصّبونها بالأسْمدة المُلائمة.[3]

أمّا عن المناخ فيقول **هابنشترايت:** تتمتّع الجزائر بمناخ صحّي وصاف، باستثناء الرّطوبة والحرارة في مناطق انتشار المستنقعات والبِرك المائية حيث تسود الحمى، « إنّ رطوبة الشتاء التّي تتعمّق كثيرا في التّربة، تعوّض انقطاع المطر الذّي يصبح نادرا جدا منذ

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص50.

[2] Thomas Shaw, **Voyage dans la Régence…**, op. cit, p263.

[3]Margeridon, **Colonisation de la Régence d'Alger**, de F. Didot Frères, Paris, s.d.é, p4

شهر أبريل وحتّى شهر أكتوبر، فالزّهور والنّباتات التّي شاهدناها في هذا الفصل ساعدت على نموّها رطوبة الأرض».[1]

بينما يصفه **شاو**" هناك جزء من الوصاية يقع بين خطي 34 درجة و5 درجات مؤية يتمتّع المرء فيه بهواء صحي ورطب، وطوال الإثني عشر عاما التي عاشتها في الجزائر، أدركت أنّ الفصول تتبع بعضها البعض بشكل غير محسوس.

أكثر الرياح شيوعا هي القادمة من البحر من الشمال الشرقي والغربي، تسود الرياح الشّرقية من مايو إلى سبتمبر، أمّا القادمة من الغرب فتسود باقي العام، وبالنّسبة للأمطار لا تمطر في الجزائر العاصمة إلاّ يومين أو ثلاث مُتتالية، وبعدها عادة ما يكون من 8 إلى 15 يوما من الطقس الجيد.[2]

لقد لاحظ **شاو** مرة واحدة فقط خلال 10 سنوات التي قضاها في الجزائر، أنّ الحرارة توقّفت عند درجة التّجمد(يقصد ثبات الزئبق)...»[3]

هنا يمكننا الاستنتاج أنّ **شاو** ظلّ تلك المدة الطويلة وهو يحتسب المناخ ويحدّد ارتفاع وانخفاض درجة الحرارة، وفي هذا الصدد يقول **ديفونتان**: " تحافظ المياه النقية التي تنحدر من جبال الأطلس على خُضرة الأرض في جميع فصول السّنة تقريبا، ويتنفّس المرء فيها هواء منعشًا للغاية، إذا كان هذا البلد السّعيد ينتمي للأوروبيين، فإنّهم سيقيمون فيه إقامة ممتعة.[4]

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص50.

[2] Dr Shaw, **op.cit**, p10

[3] ينظر الملحق رقم 22: خريطة الجزائر وضواحيها التي رسمها فنسنت بوتان واستخدمت في استخبارات البعثة، ص342 .

[4] Pierre FLOURENS, **Éloge Historique de R. Louiche, Desfontaine,** Secrétaire Perpétuel. Lu à la séance publique du 11 septembre 1837, pp32-33.

3.2.رحلات القرن التاسع عشر وتأثيراتها الاستعمارية:

إنّ التّسليم بأنّ الرحلات سهّلت مهمة الاستعمار، هي فرضية قائمة طالما أن المعلومات والواردة في هذه الرحلات، قد نقلت جلّ ما يحيط بالبلاد المُراد استعمارها، ولعلّ هذا ما يميّز الرحلات خلال القرن الثامن عشر ذات المعلومات الموسوعية، بينما الرّحلات في القرن التاسع عشر أخذت منحاً جديدًا، فالاهتمام لم يعد يتلّخص في التعريف بالجزائر وطبيعة مناطقها بل من خلال كونها مشروعًا استعماريًا.

الارتحال قبل القرن التاسع عشر يحمل في طيّاته معلومات وآراء ذاتية، تأثيرها لا جدال فيه خصوصًا حين يكون الجمهور مولعًا بالاستكشاف، والمستكشفون إنّما يأخذون جزءً مهمّا في نشأة الخيال الجماعي الذي أفضى إلى غزو الجزائر.[1]

هذا التّأثير يظهر في سفر شخص كان متأثّرا بما كتبه **ألفونس دو لامارتين(Alphonse de la martine)**(1790-1869)م في كتابة« رحلة إلى الشرق» بحثا عمّا تخلل الكتاب من حكايات عن سحره، ويورد انطباعه عندما زارها، إنّها واحدة من أعظم وأروع الانطباعات التّي عرفها في رحلاته الطويلة، هي الأرض التي تتجه إليها كلّ أفكاري كرحالة وكإنسان، هذه التربة التي جئتها من مسافة بعيدة بحثا عن آثار إنسانية قديمة.[2]

يقول **ناصر الدين سعيدوني** حول التّأثير الاستعماري:" تُظهر الرحلة مدى اهتمام الأوروبيين بعالم البحر المتوسط، وخاصة الولايات العثمانية منه، وتوجّههم لدراسة الأوضاع الطبيعية والأحوال الاجتماعية والإمكانات الاقتصادية السائدة به، مما سيوفّر للسياسيين والعسكريين في فترة لاحقة معلومات تساعدهم على تحديد سياستهم ومخططاتهم العسكرية".

[1] Michèle SALINAS, **Voyages et Voyageurs en Algérie : 1830-1930 : aux Sources d'un Imaginaire Collectif Français,** Éditions Privât, Toulouse,1989,p p09-10.

[2] سمير عطا الله، **قافلة الحبر- الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج(1762-1850)م**، ط1، دار الساقي، لبنان، 1994م، ص 7.

بينما رحلات القرن 19م فقد كان الاستطلاع ليس بهدف الاستكشاف فقط، بل بهدف إنجاز المشاريع التي تيسّر الاحتلال، لهذا رجّحت فرنسا و حين أرادت الغزو العسكري أن يكون الرحالة ضابطا عسكريا، لأنّها باتت تمتلك المعلومات الطبوغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية... لكنها أرادت أن تجد منفذًا للدخول بعين الرحالة المتخصّص الحربي، الذي يستطيع استقراء المعلومات المقدّمة إليه بكاميرا الرجل العسكري المحارب، الذي يبحث عن نقاط الضّعف في خصمه.

لهذا حين طلب **نابليون** من وزير الحربية والمستعمرات الفرنسية السيد **دوكري** إعداد خطّة عسكرية دقيقة لاحتلال الجزائر، وتنفيذا لأوامره جمع **دوكري** كلّ ما يتعلّق بالجزائر، وكلّ ما أعدّ بشأنها ووضعه تحت تصرّف **بوتان**، وطلب منه تحقيقه ميدانيا، والخروج بخطّة جديدة يمكن بواسطتها الغزو في أفضل الظّروف وبأقلّ تكاليف.

المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين(18-19)م ومساهمتها في الغزو الفرنسي للجزائر

كانت أوروبا خلال القرن 19م، تمثّل مركز ثقل العلاقات الدولية من خلال تزعمّها العالم سياسيا واقتصاديا، ومن خلال هيمنتها على مصير شعوبه بحركة استعمارية واسعة، والتي واكبت الانقلاب الصّناعي الذي كان السّبب المباشر في ظهور الاستعمار الحديث، والذي كانت ممتلكات الدّولة العثمانية في إطار تقسيم تركة الرجل المريض أحد فرعيه، بالإضافة إلى ما أفرزه مؤتمر إكس لاشابيل، والذّي عزّز التّنافس الاستعماري، ومنه سارعت فرنسا لتنفيذ مشروعها الذي طالما خطّطت له، بالإعتماد على كلّ ما جادت به تقارير وكتابات ورسائل الرّحالة والمبعوثين لاحتلال مدينة الجزائر.

1.فرنسا ودوافع الحملة العسكرية على مدينة الجزائر

لم نجد خلافا عند جلّ المؤرخين الغربيين والعرب، بأنّ اهتمام فرنسا بالجزائر لم يكن وليد القرن 19م، وإنّما كان ثمرة سياسيّة استعمارية اختمرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا، تعود أصولها إلى الملك الفرنسي **لويس التاسع(Saint louis)**(1226-1270)م، الذي وضع مشروعًا للقضاء على القرصنة المغاربية واحتلال مراكزها الأساسية(طرابلس، تونس، الجزائر) وكان ذلك بالنسبة للفرنسيين بداية في التفكير لاحتلال الجزائر[1]، وبعدما حصلت على امتيازات تجاريّة في بعض المراسي الجزائرية خلال القرن 16م، والذي لم يمنعها من

[1] [كثيرا ما تمرّ هذه الجمل في جميع الكتابات الحديثة والمعاصرة، أن احتلال الجزائر كان مشروعا قديما، وقد ذكرته كما وجدته لأنه لا يوجد بديل ، بينما رأينا ماذا نتوقع من فرنسا أو غيرها من الدول الأوروبية التي أرهقها الجهاد البحري الجزائري، إلا أن تفكّر باحتلاله، ولها أسبابها الكثيرة ، هذه الأسباب التي كان الهدف منها ضيّقا (كسر عش القرصنة) واتّسع (الجزائر البلد الثري والغني بحكومة ضعيفة)، النتيجة حتما ستكون التحضير للحصول عليه في ظلّ التطورات وظرفية الضعف الجزائري والقوة الفرنسيّة]. ينظر:عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1962)م**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016م، ص36.

استخدام القوّة العسكرية للحفاظ عليها وشنّ العديد من الحملات خلال القرنين 17م و18م، حيث تأكّدت الرغبة في الحصول على هذه الأرض الثريّة والدّوافع عديدة.[1]

1.1.الدّوافع الظاهـــرة

كان لفرنسا دوافع أو أسباب عديدة لتتجّه بأنظارها للجزائر، أو لتفكّر وبجدّية في احتلال الجزائر، منها دوافع ظاهرة يستشفّها متتبّع مسارات الظّروف السّياسية والاجتماعية والاقتصادية السيّئة التي كانت تعيشها فرنسا، والذي كانت بلاد الجزائر(الذي بدأ يجتاحه الضعف) أحد الحلول التي يمكن من خلالها درءُ المصاعب والمشاكل الداخلية والخارجية.

1.1.1.الثـــورة الفرنسية:

أحدثت الثوة الفرنسية فوْر قيامها عام1789م انقلابًا بموازين القوى السياسيّة والاجتماعية وظهرت مفاهيم وأفكار فلسفية جديدة، فبينما كان أغلب الشعب يعاني الفقر والجوع؛ ازدادت الارستقراطية نوعًا من الثّراء الفاحش في معظمه، ولأنّ الفرنسيين لم يكونوا بعيدين عن العالم الجديد وأحداثه المُلتهبة، فإنّ بلادهم تأثّرت بما يَدور في المستعمرات الأمريكية، لا سيّما بريطانيا التّي كانت تتجّه بأنظارها صوْب شراء المستعمرات الفرنسيّة لتأمين مستعمراتها في العالم الجديد وتوسيع رقعتها.[2]

كان من نتائجها أن ظهرت فرنسا كأقوى دولة إلى جانب إنجلترا، واستطاعت السّيطرة على أجزاء كبيرة من أوروبا، وأثناء أحداثها ومُضايقة الأنْظمة المُحافظة لها، تقرّب نظام الحكم الفرنسي من نظام الحكم في الجزائر، للتزوّد بما يحتاجه من الحبوب واللّحوم والجلود والزيتون...وأضافت قروضًا ماليّة لمساعدتها للخروج من الأزمة، هذا التّقارب الذي أقلق

[1] محمد الخداري، **الجزائر خلال القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية**، د ط، بحوث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العر العثماني، استانبول، 2013م، ص 114.

[2] نغم ابراهيم، أسيل حاجم، **مفهوم الاصلاح لدى علماء عصر النهضة وأثره في الثورة الفرنسية جان جاك روسو نموذجا**، مجلة بحوث كلية الآداب، مج29، ع113، أفريل 2018م، ص ص 2491-2492.

بريطانيا وطالبت داي الجزائر بالتوقّف عن تقديم المساعدات، لكن الداي استمرّ في تقديمها متجاهلاً تماما المقترحات الانجليزية.[1]

2.1.1.مشكلــة الدّيـــون:

بلغت الدّيون الفرنسية لحكومة الجزائر ما يقارب ثلاثة عشرة مليون ونصف مليون فرنك فرنسي، والغريب أنّها لم تسْعَ لتسديدها، بل فعلت ما هو أنْكى وأعظم بتقديمها الشّكاوي باستمرار للباب العالي ضدّ الجزائر عبر سفيرها، الذي لم يكن يتوانى في تشويه صورة الجزائريين لدى سلاطين الدولة العثمانية ووزرائها، ولعلّ أكبر الدّوافع للحملة الفرنسية العسكرية هو التخلّص من تسديد ديونها المتبقيّة، وتتلخّص قضيّة الديون في العلاقة المشبوهة التّي كانت تربط اليهوديين **بكري وبوشناق**[2] والقنصل الفرنسي **دوفال**[3]، وقد اعترف **بوتان** في تورّطهما مؤكّدا بأنّ لليهود في جميع الأوقات تأثير كثير على هذا البلد، و سوء التّفاهم الحاصل بين الجزائر وفرنسا؛ اليهوديان ليسا ببعيدين عنه.[4]

كان السّبب كما أسلفنا سابقًا هو الأزمة التي عاشتها فرنسا، والذّي أحدث التقرّب الفرنسي من حكومة الجزائر، ولو أنّ علاقة الصّداقة والتّعاون مع الجزائر قديمة تعود إلى عام 1561م، والتّي مُنحت فرنسا بموجبها عدّة امتيازات، ورُغم عدم الاستقرار الذي شابَ هذا التّعاون، تدعّمت هذه العلاقات خلال الثورة الفرنسية، إذ اعترفت الجزائر بحكومة الثورة وفتحت الأسواق التجارية أمام التّجارة الفرنسية[5]، ومنحتها القروض المالية لمساعدتها في

---

[1] محمد الخداري، **مرجع سابق**، ص 114.

[2] هما **نفتالي بوشناق** و**بكري كوشين** يهوديان فدِما من إيطاليا عام 1770م، وفي عهد الداي حسن استطاع هذان اليهوديان أن يقنعاه باحتكار الحبوب ودفع علاوات عالية، وفي نفس الوقت أقنعا **تاليران** وزير الخارجية الفرنسي باستيراد القمح الجزائري من شركتهما، بدلا من استيراده من الوكالة الافريقية (شركة فرنسية)، وقد تواطأت شركة اليهوديين مع قنصل فرنسا بالجزائر ووزير خارجية فرنسا في مسألة دفع الديون المتراكمة ... للمزيد ينظر: عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص87.

[3] رامي سيدي محمد، **قراءة مقارنة في خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس**، مجلة القرطاس، مج5،ع1، جانفي 2018م، ص183.

[4] Vincent-Yves BOUTIN, **op.cit**, p8.

[5] عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية(1830-1962)م**، د ط، منشورات سيدي نايل، الجزائر، د. س. ن، ص11.

الخروج من الأزمة، وزوّدتهم بما يحتاجونه من الحبوب خصوصًا القمح، الذي لَعب دورًا مهمًا في تموين العديد من المناطق، والتّخفيف من المجاعات، وساهم أيضًا في الاقتصاد الفرنسي(نتيجة الجودة العالية)، لهذا كانت الحكومة الفرنسيّة تسعى دائما لدى السّلطات الجزائرية، للحصول عليه من خلال نشاط ممثّلي الشركة والمؤسسات لدى الحكومة الفرنسية للترخيص لها بشراء القمح من عنابة قبل أن يستحوذ عليه منافسيهم.[1]

على حدّ تعبير **ليونارد ماسون(Leonard MASON)**(1913-2005)م، أنّ إقامة المؤسّسات الفرنسية بشرق البلاد لصيد المرجان ما كان إلاّ حجّة، إذ أنّ الهَدف الأساسي هو الحصول على القمح[2]، وفي حديث **ديفونتان** مع باي معسكر ما يؤيّد ذلك "عندما استفسر عن زراعتنا، أخبرته أنّ العالم المسيحي يوفّر كمية من الحبوب أكبر من بلده، تفاجأ وسألني لماذا أتوا لتحميلها من البراري هنا... ".[3] ويؤكّد هذا **بواري** في حديثه عن القمح في الجزائر أنّه يشبه ما هو موجود في أوروبا، لكنّ فرنسا تنتج بوفرة وقمحها أغنى غذائيا.[4]

3.1.1.حادثــة المروحــة:

هناك العديد من المؤرخين يعطون انطباعا في مؤلّفاتهم أنّ الذّريعة التي قدمتها السلطات الفرنسية رسميًا لغزو الجزائر؛ تعود إلى الحادثة الديبلوماسية الشّهيرة« ضربة المروحة» بين **الداي حسين**(1764-1838)م[5] وقنصل فرنسا بالجزائر **دوفال** في 30 أفريل

---

[1] ظلّت التجارة محلّ اهتمامات الفرنسيين طيلة تواجدهم على السواحل الجزائرية في القالة وبونة ولعلّ أهمّ دوافع التجارة هو أقوى الدوافع للاستئثار بالجزائر لأنها الشريان الرئيسي الذي يربط بين مستعمراتها اقتصاديا من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي. ينظر: سميرة دعاشي، **رحلة بونمان فرانسوا لويس من تقرت إلى غدامس ودورها في الكشف التجاري للصحراء**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج3، ع11، مارس 2017م، ص 149.

[2] محمد بن سعيدان، **علاقات الجزائر مع فرنسا(1070/1170-1659/1756)**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: تاريخ حديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، غرداية، 2012م، ص107.

[3] René Louiche DESFONTAINES**, op. cit**, P 186.

[4] Jean louis POIRET, **op.cit**, p72.

[5] **الداي حسين:** آخر دايات الجزائر(آخر ملوك الترك حسب وصف الزهار)، وُلّي في الحكم بعد عي خوجة، باشر في تنظيم الإدارة والجيش وبناء دار الصناعة، وتم في عهده الغزو الفرنسي للجزائر، وبعد توقيعه لمعاهدة الاستسلام غادر إلي نابولي ثم استقر به المقام في الاسكندرية ، توفي عام 1838م... للمزيد حول سيرة الداي ينظر: محمد بوشنافي، **الداي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية(1818-1830)م**، مجلة عصور، مج4، ع1، جوان 2005م، ص97-105.

عام 1827م[1]، حسب ما نُشر في مجلة باريس عام 1831م حول اعترافات الدّاي في ما يخصّ الحادثة "أردت أن أفرض عليه السّكوت ولكنّه تمادى فقلت: " أخرج أيّها البّائس فلم يبالِ، فلم أتمالك نفسي وضربته بالمروحة هذه هي الحقيقة، وهناك الكثير من الشّهود الذين يستطيعون إخباركم إلى أيّ درجة تمّت استثارتي، وكمّ الصّبر الذي تحلّيت به لتحمّل الشتائم"[2]، حتّى أنّ الصّحافة الفرنسية كتبت منذ الحادثة وحتى بدايات عام 1829م، مُلقية اللّوم على الحكومة الفرنسية في تباطؤها وتردّدها في الرد على الإهانة، التي تعرّضت لها من قبل الداي على خدّ قنصلها **دوفال**.[3]

إنّ البلبلة التّي حدثت حول« ضربة المروحة» أو«تلويحة المروحة» إنّما تزامنت مع رغبة فرنسا الحقيقية في الاحتلال، واختلاقها لسبب وذريعة ليس إلاّ، وحتّى يُضيف القنصل **دوفال** للمسرحية مؤثّرات، ادّعى أنّه ورُغْم تلقّيه ثلاث ضربات عنيفة بمقبض المروحة على جسده وأخبره أن يتقاعد، لم ينسحب، حافظ على هدوءه ولم يخرج من الاحتفال، بل تابع وكأنّ شيئا لم يكن"[4]، وبالتّالي فإنّ الحملة العسكرية كانت إلزامية لردّ الاعتبار وتحقيق العدالة، بعد

[1] هذا غير واقعي ولا منطقي لكاتب التاريخ والباحث الذي يتقصى الأمور من منابتها، فالمتتبع للحوادث والمتغيرات التي حصلت بين البلدين، يمكنه بديهيا التوصل إلى أن هناك عدة أسباب خفية، وأن جهات رسمية تعاونت فيما بينها لاحتلال الجزائر. ينظر: عمار بوحوش، **مرجع سابق**، ص80.

[2] حسب ما نشر في مجلة باريس عام 1831م حول اعترافات الداي في ما يخصّ حادثة المروحة، يظهر في هذا الاعتراف مدى الاستخفاف والسخرية من شخص الداي الذي تحدث وكأنه العبد الذي أخطأ في حضرة سيده، ويمكن الاستناد أيضا إلى ما قاله الرحالة الألماني **هرمان هاوف** في مقدمة كتابه الذي أصدر عام 1835م «الجزائر كما هي» يستبعد ان تكون فرنسا قد اقبلت على تلك التضحيات الجسام فقط بسبب إهانة موظف صغير، ما الذي يدفعها إلى تفويت إهانات **الدون ميكيل (Don Mickeal)** ولم تعلن الحرب على البرتغال؟ لأنها تعلم أنه لن يكون بمقدورها ذلك، لقد مسحت فرنسا أثر المروحة على خد القنصل دوفال بالدم". ينظر: أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855)م**، د دط، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص29؛ محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين(تاريخ الجزائر1830-1954)م**، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2017م، ص20.

[3] في وقت لاحق لما تم اتخاذ قرار بشأن الحملة حدث العكس، نفس الصحافة التي أظهرت نفاذ صبر كبير ووطنية عالية، لم يكن لديها الحجج القوية للتحذير من مخاطر ورعونة المشروع. ينظر:

Jean Pierre BONAFONT, **Douze ans en Algérie 1830-1842**, libraire de la Société de Gens de Lettre Palais-Royal, Paris, 1880, p11.

[4] Camille ROUSSET, **la Conquètte d' Alger**, éditeur e. pi. on, Paris, 1879, p 31.

قرون من الصّبر والاخفاقات العديدة التي عانت منها جميع القِـوى، كان الأمر متروكًا لفرنسا وحدها لتحقيق هذه المهمّة المحفوفَة بالمخاطر مُنتصرة.

إذن بات الكلّ يعرف الدّوافع التي دفعت فرنسا إلى إعلان الحرب على داي الجزائر، كان يجب تحقيق العدالة، وكان على فرنسا أن تُقاتل وقاتلت وانتصرت رغم المعارضة الخارجية وخصوصا انجلترا[1]، وفي الرّسالة المؤرخة في28 جويلية 1830م، أجاب السّفير الفرنسي وهو يشتكي من الطريقة الفضّة للوزراء الأتراك، مُضيفًا أنّ داي الجزائر أهانَ ملك فرنسا والأمة الفرنسية برمّتها ورفض كلّ إرضاء، وأنّ الملك والأمّة الفرنسية أُجبروا على الدّفاع عن شرف فرنسا بالسّلاح[2]، علّق **أندري لاراني** (**André Larané**) عن هذا في مقال له عن الانزال الفرنسي بالجزائر في 14 أفريل 1830م، لقذ نزلت الجيوش الفرنسية في رحلة عقابيّة صغيرة لاستعادة هيبة الدولة، التي نتجت عن مأزق تافه.

هذا بعض ما تكلّم به الأوربيون، بينما من عايش الفترة وشاهد الحادثة من المحليّين يُورد عكس ذلك، إذ أنّ حديث القنصل **دوفال** وصل لحدّ المُشاتمة، بل وحرّك سيفه لضرب الداي[3]، وهناك الكثير من الكتابات العربية التي تُدين الفعل الذي قام به القنصل، وكشَفت أنّ الموضوع لا يعدو أن يكون مُخادعة لإيجاد عذر يُفضي إلى التدخّل العسكري، وكانت التوقّعات صحيحة، وهذا يظهر في التطوّرات التي تلت الحادثة، اذ اتّخذت شكل نزاع بين الجانبين بدأت أُولَى مظاهره بقرار فرنسا إرسال وحدات من أسطولها البحري لمحاصرة مدينة الجزائر ومنع خروج أو دخول السفن منها وإليها، وعلى الرغم أنّهم كانوا ميّالين للصلح خشية الإخفاق كما في حملاتهم السابقة، كان الحصار عبارة عن إحاطة عن بعد وجسّ للنبض.[4]

---

[1] Jean Pierre BONAFONT
, **op. cit**, p 9.

[2] لورا فيشيا فاقلييري، **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر والحروب الصليبية المجهولة**، د ط، عالم الأفكار، تر: حميد عبد القادر، الجزائر، 2013م، ص83.

[3] أحمد أفندي الجزائري، **كيف دخل الفرنسيون الجزائر**، د ط، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م، ص12.

[4] **نفسه**، ص43.

بدأ الحصار يوم 11 جوان 1827م، ومع بدايته بدأت مصالح الاستخبارات الفرنسية ترصد حركات السّفن الجزائرية، وتَجمع المعلومات حولها من المصادر المختلفة(تقارير ورسائل ومذكّرات ومؤلّفات الرحالة)، وتتّخذ بشأنها الإجراءات العسكرية التي تمنعها من الخروج من ميناء الجزائر أو العودة إليه.[1]

2.1. الأسبـــاب الخفيـــة

لكلّ مشروع استعماريّ هناك أسباب خفيّة غير معلنة ، تضمرها الجهة القائمة بفعل الإحتلال كنتيجة لقيامها بهذا التوسّع.

1.2.1. مشروع نابليون بونابرت:

اختمرت خطّة احتلال الجزائر ومن ثمّ احتلال شمال إفريقيا في ذهن **نابليون** منذ عام 1801م، وذلك ليتسنّى لفرنسا فرض سيطرتها على كامل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وحتى تكون خطّته ومشروعه الاحتلالي موضع تنفيذ؛ طلب من جميع المواطنين الفرنسيين الذين لهم دراية بالشّؤون الخارجية أو الذين عاشوا فيها(أي من سكن الجزائر) تزويده بما لديهم من معلومات.[2]

في المقابل بعثَ للجزائر برحلات استطلاعية استخباراتية للتعرّف بدقّة أكثر على أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقوتها الدفاعية والعسكرية، مُلزما أصْحابها برسم الخرائط الطبوغرافية وبناء مشاريع لغزو ناجح[3]، وحتّى يستطيع النّجاح في خطّته كان لا بدّ له من ذرائع(حكومة مولعة باختلاق الأعذار)، كما لا بدّ من وجود أحلاف، لهذا دعا **نابليون** الدّول الأوروبية لأكثر من مرّة لمحاربة بلدان شمال إفريقيا، والقضاء على قرصنتها

[1] خليفة حماش، **مرجع سابق**، ص95.

[2] في مكاشفة لنابليون مع أحد مقربيه قال: لدي طموحان ، أن أرفع فرنسا إلى أعلى الدرجات القوة الحربية والغزو الكاسح، ودفع كامل أعمال الفكر إلى مستوى لم تشهده منذ لويس 14، إن هذه البلاد لم تعد تستطيع أن تستغني عن إعمال الفكر والعقل بقدر ما هي لا تستطيع الاستغناء عن الهواء. ينظر: مالك بن نبي، **مرجع سابق**، ص128.

[3] عمار هلال، **مرجع سابق**، ص 38

التي انتعشت أثناء الحروب الأوروبية بين أعوام(1792-1815)م، من ذلك أنّه بعث برسالة إلى ملك روسيا **ألكسندر الأول(Alexandre l)**(1777-1825)م يستفزّه للتحرّك، إذ من العار على الدول الأوروبية أن تسكت على القرصنة المغربية[1]، كما من العار التخاذل عن استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية، فبلدان شمال إفريقيا مدمّرو الإمبراطورية، كان لديهم دائمًا الطموح للاحتفاظ بها، وهذا غير جائز فالإمبراطورية ليست لهم.[2]

لما وُقّعت معاهدة **تيليست** في 09 جويلية عام 1807م وانتهت الحرب القارّية وعاد السّلام إلى أوروبا أظهر الإمبراطور **نابليون** اهتمامه بالجزائر[3] في الاتّفاق السّري الذي عقده مع قيصر روسيا **ألكسندر الأول** حول تقسيم العالم، ونتيجة لهذا الاستقرار ولهذا التقسيم ظنّ أنّه قد وفّر للوضع الجديد الأمن والاستقرار، فليس هناك ما يمنعه لتحقيق حلمه القديم في بناء إمبراطورية واسعة على الضفّة الجنوبية للمتوسط، ومنه وجّه **نابليون** أنظاره مرة أخرى نحو الجزائر عام 1808م[4]، على اعتبار أنّ مناطق حكمه لا تحتاج حماية من الجزائر، ولن يرضى بأن تدفع لهم الأقاليم التابعة له الإتاوة.[5]

أمّا السبب الآخر فهو أنّ الجزائر في نظره من أهم الأسواق الخارجية لتطوير اقتصاد فرنسا من جهة، ومن جهة أخرى تعدّ من أقوى الحصون المنافسة لبريطانيا وهذا ما يفسّر

---

[1] احميدة اعميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)**، د ط، دار الهدى، الجزائر، د. س. ن، ص22.

[2] **Revue des études Napoléoniennes**, F. Alcan, Paris, 1918, p5.

[3] في الواقع كان نابليون بونابرت مهتما بجميع ولايات الشمال الافريقي، إلى درجة أنه كان يطمح للسيطرة عليها، بيد أنه كان مهتما أكثر بالجزائر وبشكل خاص لأن فيها من الأسواق الهامة التي تساعد على تطوير الصناعة الفرنسية، زيادة على احتواءها لأقوى الحصون التي ستكون قوة منافسة لبريطانيا في حوض المتوسط، ولأجل هذا أرسل أخاه جيروم عام 1805م بحملة عسكرية ضد الجزائر كان من نتائجها إطلاق سراح 231 أسيرا. ينظر: احميدة اعميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري ...**، **مرجع سابق**، ص 13.

[4] عُقدت جلسة ثانية للمعاهدة عام1808م ، وقد حضرها **ديفونتان** ، لمن أراد الاطلاع على مشاركة ديفونتان في معاهدة تيليست التي عقدها نابليون، الصورة منشورة على موقع المكتبة الوطنية الفرنسية.

[5] الرسالتان بين الداي مصطفة ونابليون حول هذا التعارض منشورتان في كتاب الدكتور شاو يمكن الاطلاع عليهما... ينظر: Dr Shaw, **op.cit**, pp305-306. ؛ فريد بنور، **الجواسيس الفرنسيون ...**، مرجع سابق، ص333.

نيته المبيّتة بأنّ الجزائر لا بد أن تكون من ممتلكاته[1] حتّى أنّه أرسل إلى **الداي مصطفى** قائلا:" سوف أُنْزل ثمانين ألف رجل على سواحلكم، وسأدمّر بلادكم"،

كتب الضّابط **لويس تبارك(Louis Tabark)** في مذكراته التي قدمها إلى **لويس السادس عشر**، لما كان ينظّم الرحلة الاستكشافية الى مصر" أنه سينظّم سُبل التجارة على السّواحل البربرية وسيضعها في موقف يناسبهم، وسيصبح الجزائريون أعداء الفرنسيين اللدودين صغارا جدًا ،ويمكن للمرء في أيّ لحظة قمع وقاحتهم، وستحكم فرنسا بلاد البربر، وسيُحترم علمها، وسيكون تجارنا في مأمن من الاهانة والضّرب، وستكون فرنسا سيّدة البحر الأبيض المتوسط".[2]

بسبب الصّراعات التي كانت تتهدّد نابليون وجيشه، لم يكن لديه وقتًا كافيًا لوضع تهديده موضع تنفيذ[3]، لكنّه بالمقابل طلب من وزير الحربية والمستعمرات الفرنسية السيد **دوكري** إعداد خطّة عسكرية دقيقة لاحتلال الجزائر، جمع هذا الأخير أغلب ما كُتِب عنها ووضعه تحت تصرّف الضّابط **بوتان**، وطلب منه القيام برحلة استطلاعية وبناء مخطّط ومشروع استعماري، يمكن بواسطته القيام بحملة عسكرية ناجحة في أفضل الظّروف وبأقلّ التكاليف[4]، واستطاع **بوتان** فِعلاً ومن خلال المعلومات الكثيرة التي قُدّمت له، والزيارة الميدانيّة الذي تلقّى فيها المساعدة من خلال أطراف كُثُر للولوج حتّى للمناطق الممنوعة والمحظورة عن الأجانب، تقديم عمل شامل لفرنسا كان من المصادر التّي عوّل عليها منظّمو الحملة عام 1830م.[5]

---

[1] احميدة عميراوي، **دور عثمان خوجة ...**، مرجع سابق، ص29.

[2] أحمد سليماني، **مرجع سابق**، ص70

[3] Camille ROUSSET, **op. cit,** p14.

[4] عمار هلال، **مرجع سابق**، ص40.

[5] أحمد سليماني، **مرجع سابق**، ص ص 71-72.

2.2.1.سيادة الدين المسيحي:

اِعْتبر الإسلام (مشكلة) من قبل العديد من المؤرخين الأوروبيين الاستعماريين، إذ سبّب اندثار المسيحية في شمال إفريقيا، وقد شرح **إدوارد سعيد** هذه المشكلة وسماها بـ«الموقف الأوروبي الإشكالي اتجاه الإسلام» لأن العالم الإسلامي كان هو الوحيد الذي واجه أوروبا وتحدّاها على الصعيد السياسي والفكري والاقتصادي، وكما يقول المنصّر **لورانس براون(Lawrance Brown)**(1940-2018) م، وهو أحد أقطاب المنصّرين في العالم: "... إنّ الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوّته على الإخضاع، إنّه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي..."[1].

كذلك فإنّ المجال الإسلامي كان دائما هو القريب لأوروبا وكان يشكّل تهديداً في شكله العربي والعثماني منذ نهاية القرن السابع حتى معركة ليبانتو عام1571م [2]، إذًا فقد وُظّفت الأحقاد التاريخية من قبل الكتاب الغربيين للتّحامل على الإسلام وكانت للمؤثّرات التي خلّفتها الحروب الصليبية نصيبا مهمًا في ذلك.[3]

إذن فالدول الأوروبية في استعمارها كان الحافز الديني هو الركيزة الأساسية للمضيّ قُدما لتحقيق أهدافهم، وفي جزء من مقال للباحثة **زهور زيزو** ، تتحدّث عن أهمية زيارة الدكتور **شاو** الطويلة لبلدان شمال إفريقيا التي لم تكن تثير فضوله، بقدر ما تهمّه المهمة المكلّف، يدفعه الحافز الديني على أنّها أراضي مسيحية افتكّها العرب المسلمون[4]، وقد أورد الدكتور **شاو** نفسه تعليقًا مباشرًا في مؤلّفه «رحلة إلى إيالة الجزائر» حول إيمانه القاطع

---

[1] أحمد سليماني، **مرجع سابق**، ص ص 75.

[2] **معركة ليبانتو:** تعتبر هذه المعركة من أقوى المعارك خلال القرن 16م، بين المسلمين والتحالف المسيحي(الحلف المقدس) والهدف منها هو وضع حدّ للمدّ الاسلامي، خصوصا مع فتح العثمانيين لجزرة قبرص التي كانت تابعة آنذاك للبندقية، كان للأسطول الجزائري بقيادة علج علي دورا كبيرا ، حيث استغلّ ابتعاد القائد دوريا عن بقية الأسطول وانقضّ على السفن المالطية، وتمكن من الحصول على سفينة القيادة... للمزيد حول المعركة ينظر: عبد القادر فكاير، **دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو عام 1571م**، مجلة مواقف، مج6، ع1، ديسمبر 2011م، ص416.

[3] عز الدين موزو، **مرجع سابق**، ص22

[4] Zehor ZIZI, **Op.cit**, p.22

بسيادة المسيحية على العالم، وأنّ المسلمين يؤمنون أيضا بذلك، لذلك يغلقون المدينة يوم الجمعة منذ العاشرة صباحا حتّى الظهر خوفًا من وقوع هذه الكارثة[1]، وفي الرسالة السابعة التي بعث بها **بايسونال** إلى الجغرافي **السير دو لايل** والمؤرخة في 29 أوت 1724م" الناس يا سيّدي مدينون لكم بأن حافظتم على التّسميات والمواقع التي ترعرعت فيها المسيحية، والتي اشتهرت بالقديسين والقساوسة الذين شرّفوها".[2]

وفي تقرير وزير الدفاع **كليرمون تونير(Clermont de TONNERRE)**(1749-1830)م يؤكّد أنّ الحافز الديني هو الذي جعل ابن سان لويس ينتقم للدّين وللبشرية على أمل تمدين الأهالي وتمسيحهم، وقد وصف الحملة بأنها حرب صليبية هيّأتها العناية الإلهية لينفّذها الملك الفرنسي.[3]

كما أفصح **شارل العاشر** ملك فرنسا يوم أعلن في مارس عام 1830م " إنّ التّعويض الحاسم الذي أُريد الحصول عليه وأنا أثْأر لشرف فرنسا، أن يتحوّل بمعونة الله لصالح المسيحيّة، وهو ذات التّقرير الذّي رفعه وزير الحربية الفرنسية يوم 14 أكتوبر 1827م"[4]

بينما ينفي الإسباني **الدون فينيت مورينو(Don Vignette Moreno)** أولوية التّنصير على الاستعمار، وعرَض أنّ الفرنسيين في احتلالهم للجزائر لم يهتمّوا باعتناق الشّعب الدين المسيحي، بل بنوا الأرصفة والسكك الحديدية التّي هي شريان الحياة بالنسبة للتجارة والصناعة(التي تهمّهم لتطورهم) بدلاً من بناء الكاتدرائيات.[5]

---

[1] Dr. shaw, **op. cit**, p143.

[هذا الايمان الراسخ قد أخفى على ما يبدو حقيقة الأشياء، إذ كيف بشخص عاش في الجزائر اثنتي عشر عاما، لا يدرك أن يوم الجمعة يوقف الناس أعمالهم للصلاة والعبادة، إلا إن كتب شاو هذه الملاحظة في بداية تواجده بالجزائر ولم يصححها لاحقا، أو كان وضعها متعمّدا بهدف تأليب العالم المسيحي وتأجيج رغبته في الحصول على هذه الأقاليم، لأنه أورده بابتهاج واضح على أنه حدث رائع لم يرد حذفه لأنه سيتحقق يوما ما].

[2] جون أندري بايسونال، **الرحلة إلى تونس...**، مرجع سابق، ص89.

[3] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ...**، مرجع سابق، ص62.

[4] عمار بوحوش، **مرجع سابق**، ص80.

[5] Don Vignete Moreno de la Tejera, **op. cit**, p39.

3.2.1. خزينة الدولة:

تتواجد خزينة الجزائر في أحد الغرف المُلحقة بقصر الجنينة، وكانت تضمّ العديد من الأموال والنفائس، حَرص الحكام الذي تتابعوا على حكم الجزائر، عدم الانْفاق منها إلاّ في الحالات الاضطرارية والتي غالبا ما تكون نادرة، حتّى بعد تحويلها إلى أعلى المدينة بأمر من الداي **علي خوجة** ظلّت تحوي على ثروات طائلة يصعب تقديرها[1]، مع أنه ومع الاحتلال ذكرت الحكومة الفرنسية تقديرًا 150 مليون فرنك(يظلّ موضع شك)، لأنّ أغلب ما جاء فيها قد سُرق.

في 6 جويلية 1830م نشر القائد العام في المقرّ الرئيسي للقصبة، أنّ الهدف الأساسي من الحملة هو الاستيلاء على مدينة الجزائر، لتدمير هذه البلاد التي أرهق وجودها أوروبا لثلاثة قرون، وفعلا عشرون يوماً كانت كافية لذلك، والتألّق الذي سينعكس على الاسم الفرنسي سيعوّض إلى حد كبير تكاليف الحرب؛ عن طريق الفتح والخزانة التي ستثْري الخزانة الفرنسية.[2]

لعلّ هذا ما كان يرمي إليه **الدون فينيت مورينو** الذي ذكرنا مقطعاً من حديثه سابقًا، فلا تحطيم البلاد التي أتعبت أوروبا، و لا التنصير وحده السبب، بل كانت الكنوز التي في الخزينة، وهذا يبرّر حفرهم للأرضيات وهدمهم الجدران في الحملة العسكرية على الجزائر بحثًا عن الكنوز المدفونة.[3]

هذه الكنوز المتراكمة والتي فاقت أيّ مدينة أخرى في العالم حسب رأي **جوزيف كوك** في تقديمه لرحلة الدكتور **شاو**[4]، إذن الطّمع في خزينة حكومة الداي كان أكبر المطالب في

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص42.

[2] Prince Sixte de Bourbon**, La Dernière Conquête du Roi (Alger 1830)**, Calmann-Lévy, Paris, 1930, p193.

[3] حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص264.

[4]Thomas Shaw**. op. cit,** p 210.

العدوان العسكري، والأعذار حول كرامة وشرف فرنسا، والقضاء على البلد الذي أرهق أوروبا، إنّما هو كذرّ الرماد في العيون ليس إلاّ.

ولأنّ جميع التقارير والكتابات كانت تتحدّث عن الأموال وصُنوف الذهب والمعادن النّفيسة المتراكمة في الخزينة، أورد **هابنشترايت** أنّ السّبب في تراكمها يعود إلى حبّ الحكام لجمع الأموال" إنّ خبر اقتراب الأسطول الإسباني عام 1732م؛ أفزع حكومة الجزائر، حتّى أنّ الداي نفسه ارتأى إرسال مُختلفَ الأشياء الثّمينة إلى قنصل السويد ليحتفظ بها"[1] هذا الداي الذي كان من الواجب أن يحرص على السّكان، اكتفى بالحرص على ممتلكاته خشية ضياعها، وكأنّما هذه البلاد التّي يحكمها لا يربطه بها إلاّ الأموال التي جمعها منها.

2.مراسلات الرحالة خلال القرنين(18-19)م حول مواقع الإنزال العسكري

إنّ رحلة التّغلغل الداخلي بعد أن أُرسل الرحالة بمختلف تخصصاتهم(عالموا الآثار والطبيعة والمستشرقين) ليستكشفوا أرض الجزائر جميعها، ومن ثمّ يبنون المشاريع الاستعمارية باتت مكتملة.

كما أنّ المتتبّع لهذا التّكتيك المتكامل، والذّي يتماشى ظاهريًا مع متطلبّات تلك الفترة؛ يدرك أنّ الدول الأوروبية وفي سعيها لاحتلال الجزائر، قد اختارت هذه التشكيلة من الرحالة ليستطلعو الأرض، ويبحثوا في الآثار الرومانية للتأكيد على أسبقيتهم على هذه الأرض، وتشكّلت الأكاديميات العلمية والجغرافية لتموّل هذه الأبحاث وتدعم هذه الرحلات، فرحالة القرنين 18م و19م، لم يتكبّدوا ويلات السفر، ولا مخاطر سكان الجزائر الرافضين للأجنبي، إلاّ وهم حاصلون على تكوين جغرافي وعلمي وأثري وتمويل مادي، يسمح لهم بمتابعة عملهم الاستطلاعي بأريحية.

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص75.

1.2.نماذج من مراسلات الرحالة خلال القرن18م

من خلال دراستنا لرحلات القرن 18م، واطّلاعنا على ما جاء في مؤلّفاتهم، اتّضح أنّ هذه الرحلات لها أسبابها المُعلنَة (الاستكشاف العلمي)، وأسبابها المُضمَرة (تسهيل التوسّع والاحتلال)، بل إنّ منهم من أدرجَ الخطط، ووضع الاقتراحات الآمنة لغزو ناجح.

1.1.2.الرحالة الدكتور شاو:

تحدّثت عديد المصادر والمراجع عن أهميّة المعلومات التي كتبها الدكتور **شاو**، بل أكّدوا أن الرحالة الذي أوصل معارفهم إلى ما وجدوها عليه عام 1830م، هو **توماس شاو** الذي شغل منصب كاهن لساحل الجزائر التجاري لمدة اثني عشر عاما.[1]

كما يمدح القنصل الفرنسي **وليام شالر** ما ألفه **شاو**، بل ويدين له بسببيّة إنشاء مذكّراته، حتى أنّه يعتبره الدليل الوحيد الذي يستحقّ صفة الرحالة المستكشف في جغرافية وتاريخ الجزائر البشري والطبيعي، كما لاحظ أنّ ما جاء به من معلومات لم يطرأ عليه تغيير رغم مرور قرن من الزمن.[2]

امتدح أيضا **ديرو دولامال الدكتور شاو** في تقديمه لكتاب **بايسونال** و**ديفونتان**، بأنه لم يكن فنانًا ولا عالم آثار؛ لكنه كان يمتلك قدرًا كبيرًا من العلم، تلقّى دراسة شاملة عن العصور القديمة، وله معرفة واسعة باللغة والجغرافيا والآثار والأدب والتاريخ الطبيعي والسياسة والطب، وخلال إقامته كان قادرًا على السّفر في جميع الاتجاهات في المناطق الشّاسعة التي تتكوّن بين الأطلس والبحر الأبيض المتوسط، وإذا صدّقنا تمامًا بالمسارات التي تمّ تتبعها على خرائطه، فإننا يجب أن نؤمن أنه لم يُضيّع وقته حقًا.[3]

---

[1] إ. كاريت، **مرجع سابق**، ص15.

[2] وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)م**، تع، تق، تعل: إسماعيل العربي، ش. و. ن. و، الجزائر، 1982م، ص21.

[3] PEYSSONNEL et DESFONTAINES, **op.cit**, pxx.

أمّا **ماك كارثي** في تقديمه لكتاب **شاو** الذي طبع عام 1830م، ذكر أنّ ما ألّفه لا زال يقدّم أفضل أطروحة لدى الفرنسيين عن الجغرافيا القديمة وحتى الحديثة لمقاطعات الجزائر العاصمة، علاوة على ذلك سيكون من الصّعب العثور في مكان آخر على مزيد من الدّقة وسعة الاطلاع، لقد عايَن الرحالة كلّ شيء، وقمنا فقط بإجراء تغييرات طفيفة على عمله فيما يتعلّق بترسيم الحدود والتّقسيم السياسي وهي تختلف اليوم قليلاً، عما أظهرته في وقته.[1]

أما عن مناطق الإنزال فعلى اعتبار أن رحلة الدكتور **شاو** كانت وصفية وهذا ما استنتجناه في سابق فصول الدراسة، كان يصف دائما المناطق والمناخ فيها والأمطار والرياح التي تهبّ فيها، دون أن يشير مباشرة إلى مكان دون آخر، فعن ميناء سيدي فرج يقول "عبارة عن برج دائري مبني على رأس يبرز ما يقرب من مائة قدم في البحر، ويسمى في خرائطنا الحديثة البرج الصغير، يسميها المغاربة سيدي فرج من اسم المرابط المدفون هناك، داخل هذا الخليج يوجد رأس تنزل فيه السفن أحيانا للاحتماء من رياح الشرق، الملاحة في هذا الخليج أقلّ خطورة.[2]

2.1.2.الرحالة ديفونتان:

يختتم **دو لامال** في تقديمة لرحلتي بايسونال وديفونتان أنّ هذا الأخير كان من الفرنسيين الأوائل الذين رغبوا في حماية بلادنا على مناطق شمال إفريقيا، من المؤكّد أنّه لم يتوقّع غزو الجزائر بأكملها في يوم ما، لكنه اكتفى بالتّوصية باحتلال طبرقة الجزيرة التي تقع على الساحل الغربي لتونس.

وبعد أن شاهد في رحلته للجزائر، البؤس وانعدام الأمن والاستبداد واللصوصية التي يرزح تحت طائلتها السكان، هذا الاستغلال الذي صدم **ديفونتان** منذ 150 عاما، وكان يأمل

[1] Thomas shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger...** , op.cit, p np.
[2] **ibid**, p291.

أن تأتي فرنسا في أقرب وقت ممكن لإبادة (عشّ القراصنة) الجزائريين وتعديل أعراف الأمم البربرية لتحقيق السلام والعدالة لهذا كان الغزو الذي انجزته فرنسا في أقل من قرن. [1]

في هذا الصدد يتحدث الألماني **موريس فاغنر**(Moritz Wagner)(1813-1887)م[2] في الكلمة التي بعث بها إلى الدوق أورليانس **لويس فيليب**، حين أهداه كتابه مفتخرا بمشاركة بلاده في تأسيس المستعمرات الأوروبية في الشّمال الأفريقي، وتعاضد الجنود الألمان مع الجنود الفرنسيين، وتكاتف الفلاحين والعلماء الألمان مع نظرائهم الفرنسيين، سعيًا منهم كل في مجاله الخاص إلى استكشاف تاريخ إفريقيا قديما، وهذا كله بُغية تحضير الإنسان الجزائري وتنويره، وتحرير أراضيه، وأنّ فرنسا جاءت إلى الجزائر لتعليم سكانها بأنّ وظيفة الإنسان لا تتمثل في محاربة أخيه الإنسان[3]، وإهمال أراضيه الخصبة المعطاء.[4]

يصف **ديفونتان** ميناء سيدي فرج" في غرب الجزائر خليج صغير، على ضفافه أرض رملية صافية ، من إبجابيات هذا الميناء أنه يمكن من خلاله الهيمنة والسيطرة على مدينة الجزائر".[5]

3.1.2.الرحالة بايسونال:

تحدّث الرحالة عن ميناء طبرقة وأهميته في التّجارة أولا، وفي كيفية الاستحواذ على كلّ من تونس والجزائر، وأعْربَ أن هذا الميناء لن يكون مناسبا لسفن الشركة ولكنّه سيكون مكانا

---

[1]. Auguste CHEVALIER, **Inauguration du Buste de René Louiche- Desfontaines Membre de l' Académie des Sciences**, a Trembly , Ille-et-Vilaine, le Dimanche 3 octobre 1937.

[2] **موريس فاغنر:** عالم طبيعة ورحالة ألماني، كتب العديد من القصص والمقالات في صغره، ولأنه أبدى ميولا لمراقبة الطبيعة من حيوانات ونباتات، طلب منه أخوه رودولف ان يعمق معلوماته في علم الحيوان ، التحق بوظيفة تجارية في مرسيليا، مكنته من القيام بزيارة قصيرة للجزائر عام 1835م، ثم عاد بعد سنة كجامع للطبيعيات، وهذا ما سمح له للانضمام فيما بعد الى اللجنة العلمية التي كلفت بإعداد بحوث عن الجزائر، شارك في حملة قسنطينة والبليدة والرغاية ومعسكر، ألف فاغنر كتابا عن الجزائر بعنوان" رحلات إلى ولايات الجزائر في سنوات 1836-1837-1838)، صدر في مدينة لايبتسغ سنة 1841م. للمزيد ينظر: أبو العيد دودو، **مرجع سابق**، ص31-32.

[3] لم يعارض فاغنر احتلال فرنسا للجزائر، تحت ستار الدين والتضامن الأوروبي، وافتكاكها من الذين كانوا يجسدون القوة التي وقفت في وجه الغزاة، وأخذت تقاومهم من خلف الأسوار والهضاب والمرتفعات، ومع ذلك كان ضد الهمجية والتعسف الذي مورس عليهم في تلك الفترة، وحذر مواطنيه الالمان من اللجوء إلى الجزائر. ينظر: حفناوي بلعلي، **مرجع سابق**، ص223

[4] محمد حمودي، **صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحالة الألماني موريتس فاغنر**، مجلة الموروث، مج2، ع2، ماي2013م، ص300.

[5]Louiche René DESFONTAINES, **le Voyage Botanique de Desfontaines dans la Régence de Tunis et d'Alger(1783-1786), cartaginoiséries**, pref: Denise Ibrahimi, intr: de Claudine Rabaa, Tunis, 2010, p125.

لراحة السفن الفرنسية في وقت الحرب، وسيكون لفرنسا مكان تستطيع فيه فرض القوانين على جميع بلاد البربر، إذ يكفي وجود سفينتين فقط لجلب كلّ من داي تونس والجزائر.[1]

كان **بايسونال** متحمّسا بشأن استغلال طبرقة، حتى أنه أخبر أنه سيكون شرّا على فرنسا لو استغلها الإنجليز، وفي الرسالة الحادية عشر والمؤرخة في 25 أفريل عام 1725م والتي بعث بها وهو بمدينة القالة ما يؤكّد هذا " إن اقتناء جزيرة طبرقة له نتائج كبيرة لفرنسا، وستجني تجارتها فوائد كبيرة... إن تجارتها شبيهة بتلك التي في القالة، ونظرا لعدم وجود ميناء مضمون في بلاد البربر، فإنه من السهل بناء ميناء محكم في طبرقة"[2]، وفعلاً نظرا لأهميته افتكه الفرنسيون وأنشأوا به مركزًا تجاريا عام 1781م.

بينما الرسائل التي بعث بها إلى القس **بينون** تم طبعها عام 1830م في إطار التحضيرات الجارية لغزو الجزائر، بُغية الاستفادة من معلوماتها في المجالات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.[3]

4.1.2.الرحالة فونتير دي بارادي:

لم يقع الاختيار على دي باراداي عشوائيًا ولا اعتباطيًا، وهو الذّي يحسن اللغات التركية والعربية والأثينية واليونانية، وانضمّ إلى مدرسة اللّغات الشرقية وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر، هذه المدرسة هي مؤسّسـة ملكيّة متخصّصة في تكوين ديبلوماسيي المستقبل (الجواسيس).[4]

[1]Denise IBRAHIMI, **Témoignages sur l'lle de Tabarque du XVIIIe Siècle ,** Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N°7, 1970. p10.

[2] جون أندري بايسونال، **الرحلة إلى تونس...**، مصدر سابق، ص ص145-146.

[3] جون أندري بايسونال، **رحلة إلى إيالة ...**، مصدر سابق، ص10. هذا الرأي يبدو غير منطقي، هل فرنسا تعرّضت لغزو الجزائر هكذا فجأة ، حتى تطبع رسائل بايسونال لتستفيد من معلوماتها؟

[4] Marcel EMERIT **, Déscription de l'Algérie en 1787** , R.H.M, N°4 , Tunis , 1975, PP 209-210

درست الباحثة **دينيس ابراهيمي** في أطروحتها« الرحالة الفرنسيين في الجزائر خلال القرن18 عشر» (voyageurs Français du 18e Siècle en Barbarie)، وقارنت اهتمامات **دي بارادي** بتلك الخاصة **ب تومسون رينال(Thomson RAYNAl)**(1733-1833)م، وتكشف عن موقف أكثر انفتاحا من جانب **دي بارادي**، إذ تؤكّد أنّ تصريحات **رينال** جميعها تميلُ إلى التّسريع باحتلال الجزائر وتحرير السكان من نير الأتراك، ويشير إلى أنّ شرشال[1] هو المكان الأفضل للإنزال.

بينما **دي بارادي** يُثبت العكس "طريق شرشال غير جيّد، فلماذا لا يكون الجانب الغربي من العاصمة هو المكان الأفضل للإنزال"[2] يؤيّده في ذلك **شاو** " أن خليج شرشال ذو عمق كبير جدا، يوجد في أقصى الخليج مصبّ لا يكون كبيرا في الصيف، لكنّه عميق في الشتاء، لا يحبّذ هذا الخليج لأنّه سريع وخطير لمن أراد المرور.[3]

يعطي **فونتير دي بارادي** خطّة للإنزال قائلا:" أنّ من يريد مهاجمة الجزائر فعليه بالشاطئ المواجه لباب الواد، هذا المكان هو حقًا أقلّ تحصينًا، والمكان الأفضل للنزول، الشاطئ الواقع بين منارة كاب كاسين وسيدي فرج، من هناك يأتون للجزائر من الخلف، وهي ليست محصّنة بأيّ حال من الأحوال، إنّ خليج باب الواد حيث أقترحَ النزول يتمّ الدفاع عنه بواسطة حصن الانجليز عن طريق بطارية والتي يجب تفكيكها، تتكوّن هذه البطارية من ستة بنادق، أربعة منها عيار 24 والأخريان 16، وهي مواجهة للبحر ويبدو أنّها بُنيت فقط للدّفاع عن مدخل هذا الخليج، ومع ذلك يُمكن أن تتلف ببندقيتين على جانبها الأيمن لعكس جزء

[1] تقع مدينة شرشال على بعد 100كلم غرب مدينة الجزائر ، وهي مدينة ساحلية تمن أهميتها في اطلالتها البحرية، اتخذ أندريا دوريا ميناءها كموقع للانزال بعدما فقدوا حصن البنيون، وكثرت شكاوي الأهالي من خطر القراصنة الأتراك، كانت التحصينات القائمة في هذا الميناء من جهود الرايس عروج.

[2] Thomson Ann**RAYNAL, Venture de Paradis et la Barbarie**, Dix-huitième Siècle, N°15, 1983, p 329..

[3] Dr Shaw, **op. cit**, p267.

من الشاطئ حيث يقترح النزول، لذلك من الضروري التغلّب على هذا الحصن وتفكيك مدفعيّته، وهو أمر لن يكون صعبًا للغاية لأنّه باربيتي(يقصد حجر الباريت).[1]

هذه الخطّة بالذّات متوازية تماما مع رسالة القنصل الأمريكي في الجزائر أثناء الغزو الفرنسي قائلا:" يمتد الطريق من سيدي فرج إلى مدينة الجزائر 12 ميلا، يسير خلالها بحذاء قاعدة النتوء الجبلي المنتهي عند رأس كسكين(يقصد كاب كاسين) يمكن السير عليه بالخيّالة والمدفعيّة بسهولة، وعلى الرغم أن **دو بورمون**[2] لم يلق إلاّ مقاومة غير نظاميّة، إلاّ أنّه استغرق خمسة عشر يومًا للوصول إلى مدفع القلعة التي تكون نقطة الدّفاع الرئيسي(يقصد حصن الانجليز)".[3]

5.1.2.الرحالة هابنشترايت:

يذكر **هابنشترايت** أنّ دفاعات مدينة الجزائر تتفوّق عن غيرها، بفضل قلاعها وحصانة موقعها الطّبيعي بفعل الجبال العالية التي تحيط بها، لذا يتحتّم على كلّ مهاجم احتلال تلك المرتفعات قبل القيام بأيّ عمل عسكري ذي أهميّة، فالإمبراطور **شارلكان** رغم قوّته لم يتمكّن منها، كما تتوفّر على أبراج منها برج في أعلى المدينة يسمى حصن الامبراطور وبرجين آخرين يمكن مهاجمة الميناء منهما.[4]

كما توجد على شاطئ البحر بين مدينة الجزائر وحصن ماتيفو، قلعة مزوّدة بمدفعية صغيرة، وعلى كل حال فإنّ الاقتراب من الشاطئ يشكّل خطرًا على السّفن بسبب الصخور التي تغمرها المياه، وهذا ما يبعد المدينة عن أيّ سفن معادية.

---

[1] Venture de PARADIS, **op.cit**, pp168-169

[2] **دو بورمون:** هو لويس أوغست دو بورمون؛ التحق بالجيش عام 1791م، ثم انتقل إلى لندن فارّا من دعاة عودة الملكية في فرنسا لكنه قبض عليه وسجن عام 1801م، عاود الفرار مجددا عام 1804م ليلتحق بجيش نابليون..للمزيد ينظر: Commissariat Générale du centenaire de l'Algérie**: l'Armée d'Afrique 1830-1930**, librairie de l'armée, Alger, 1930, p22.

[3] عثر على هذه الوثيقة منصور أحمد بوحمسين، وعربها ونشرها في مجلة حوليات كلية الأدب عام 178-188م. ينظر: محمد الهادي الحسني، **احتلال الجزائر من خلال نصوص معاصرة**، د ط، عالم الأفكار، الجزائر، 2006م، ص15.

[4] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق**، ص75.

بينما ميناء مدينة الجزائر فهو معرّض للرياح الجنوبية الغربية التي تشتدّ في شهر جانفي ويمكن أن تتلف معها الكثير من السفن، أمّا من الجهات الأخرى فإن الميناء يعتبر آمنا.[1]

2.2.نماذج من مراسلات الرحالة خلال القرن 19م

إنْ كان كما ذكرنا سابقا أن رحلات القرن 18م لها أهداف مُعلنة وأخرى خفيّة، لأن رحلات القرن 19م كانت ذات أهداف محددة منذ البداية، ورحلاتهم قائمة على مشاريع استطلاعية تجسسية، تهدف في أساسها إلى إحتلال الجزائر ومن أهم هذه المراسلات

1.2.2.الرحالة بوتان:

المطّلع على مذكّرات الضابط **بوتان** يرى أنّه اقترح أن يكون نزول الجيش الفرنسي بشبه جزيرة سيدي فرج، لتوفّره على شروط مساعدة وسهلة، وقُربه من قلعة مولاي حسن، وهي القلعة التّي يجب مهاجمتها أوّلا لضرب المدينة وحصن باب عزّون، وإمكانية النّزول إلى مسافات ملائمة لإقامة البطّاريات، ويُعسكر الجيش في أقرب النّقاط الهامّة والصّعبة المنفّذ، لكي يكون في مأمن من سلاح فرسان العدو، ويكون هذا المعسكر في الرقعة الفاصلة بين قلعة مولاي حسن وقنصليّات السويد واسبانيا وهولندا وما خلفها، لانعزالها عن القلعة وحماية جناحيها بالوهاد والمنحدرات، أما مؤخّرة الجيش فبإمكانها قطع الأشجار لسدّ الطريق على العدو، خاصّة وأنّ هذه النّاحية تسمح بحفر الخنادق بسهولة.[2]

وحول دفاعات المدينة إن أرادُوا النّزول في الميناء، وفقًا **لبوتان** فالمدينة محصّنة ومُحاطة بقلاع وحصون، مع ثغرات بلغ مجموعها مائتان وأربعة عشر مدفع، هذا الحاجز الذّي يبلغ سُمكه من مترين إلى ثلاثة أمتار سخر من قذائف المدفع التي يتمّ إطلاقها من

[1] ج.أ. هابنسترايت، **مصدر سابق** ، ص36.

[2] ينظر للمقطع الأخير في الملحق رقم 15: خريطة الجزائر وضواحيها لفنسنت بوتان، ص335

الميناء أو البرّ الرئيسي، تم دُعّم هذا التّحصين بواسطة الخندق الآخر الفعال بنفس القدر، سيعيق المهاجمين إلى حدّ كبير من خلال زيادة الصّعوبات التّي يُواجهونها في تحرّكاتهم في الاقتراب، خصوصا أنّ الأسوار ضُوعفت بعمق ثمانية إلى عشْرة أمتار، لن يصل المهاجمون إلى أبواب المدينة إلاّ بمعجزة.[1]

3.الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر

كانت أوروبا خلال القرن التاسع عشر، تُمثّل مركز ثقَل العلاقات الدّولية من خلال تزعمّها العالم سياسيا واقتصاديا، من خلال هيمَنتها على مصير شعوبه بحركة استعماريّة واسعة، ونتيجة لما أفرزه مؤتمر **إكس لاشابيل**، الذّي عزّز التّنافس الاستعماري، سارعت فرنسا من خلاله لتنفيذ مشروعها الذّي طالما خطّطت له ألا وهو احتلال الجزائر، وحتّى يتسنّى لهم ذلك، كان عليهم القيام بالجمع والتّنقيب والفرز لكلّ ما يتعلّق بها من معلومات منشورة وغير منشورة؛ خلّفها الرّحالة الذين تواتروا على الجزائر طيلة ثلاث قرون ضمن رحلات استطلاعيّة.

1.3.الرحلات الاستطلاعية أرضية الاحتلال الفرنسي للجزائر:

هل سيكون لدينا قليل من الشكّ، في أنّ الرحلات الاستطلاعية الأوروبية (الفرنسية خصوصا) نحو الجزائر سواءً رحلات القرن الثامن عشر، القائمة لأجل المعرفة العلمية وجمع النباتات والتنقيب عن الآثار والمدعومة بالجمعيات العلمية والجغرافية، والمعلومات التّي كتبوها والتّقارير التّي أرسلوها والخرائط التّي رسموها، ورحلات القرن التاسع عشر والمشاريع الاستعمارية التي قدّموها لم تحضَ باهتمام فرنسا؟

[1]Moulay BELHEMISSI, **Marine et Marine d'Alger (1518 - 1830)**, T2, B.N.A, Alger, 1996, p8.

وهل يمكن التّصديق بما تناولته **ميشيل ساليناس(Michèle Salinas)** في أطروحتها أنّه فقط مع نهاية القرن التاسع عشر، تمّ الاعتراف بأهمية الرّحلة ودورها الاستعماري[1]، وأنّ الجزائر لم تكن مجهولة في عام 1830م؛ ظهرت بعض تقارير السّفر المتعلّقة بها في فرنسا، رحلة **بايسونال** إلى سواحل بلاد البربر (1724-1725)م، رحلة إلى بلاد البربر بواسطة الأب **بواري**؛ تاريخ إفريقيا وإسبانيا تحت سيطرة عرب كاربون1756م والتاريخ الفلسفي والسّياسي **للآب راينال** 1828م، لكن قلّة عددهم وانتشارهم الضّعيف جدًا لم يفد الاحتلال في شيء.[2]

هذه المُغالطات وغيرها كثير ممن يفنّد قيمة الرحلة والمعلومات التي أتت بها، لكن هناك ما يُدحظها، يقول **شارل فيرو(Sharles FIROUD)**(1829-1888)م: "عندما وطئت قوّاتنا شاطئ سيدي فرج عام 1830م، لم تكن شمال إفريقيا معروفة كثيرا لبلدان العالم الأوروبي، كان العلماء بالمعنى الكامل للكلمة، مشغولين تقريبًا بالكتب التّي كتبها **هيرودوت** و**سالوست** ومؤرخين آخرين من العصور القديمة، لم يكن لدينا سِوى مفاهيم غير مكتملة عن الفترة الرومانية وغزو الوندال والتّرميم البيزنطي، أمّا بالنسبة لقرون السّلالات العربيّة والبربريّة، مكتباتنا باتت تحتوي على وثائق ثمينة غير منشورة، لكن كان من الضّروري الاستيلاء على الجزائر، لتحويل هذه الوثائق غير المنشورة إلى منشورات عرضيّة يتمّ تسليمها للجمهور.[3]

يؤيّده **ألفرد نيتمنت(Alfred NETTMENT)**(1805-1869)م حين تحدّث عن ظروف التّحضير للحملة قال:" كانت أمام أعينا جميع المعلومات الإدارية، وكلّ التّقارير وكلّ الوثائق التي أحاط بها القائد العام نفسه، من أجل لا شيء يترك للصّدفة في هذه المهمّة الصّعبة، مُعتمدين على المراسلات مع المبعوثين المسؤولين عن المهمّات السريّة في إفريقيا وتقاريرهم،

[1] Michèle SALINAS, **op.cit**, p23.
[2] Michèle SALINAS, **op.cit**, p13
[3] Charles Féraud**, op. cit,** p1.

ولم تُعفنا المصادر غير المنشورة من الرجوع إلى الكتابات المنشورة[1] واللجوء طبعا إلى ما أنتجه الرحالة من وصف للوضع في الجزائر وموقعها وموانئها وتحصيناتها ومحيطها والتّضاريس التي اكتشفها بعناية؛ يقدّر بلا شكّ من قِبَل الضّباط، وسيساعد كثيرًا في توجيهِ العمليات العسكرية."[2]

هذه المعلومات التي أُعدّت لها فرقة كاملة لتجميعها وترتيبها وفقا للموارد الأكثر فائدة للجيش في إفريقيا، ووفقًا للتصنيف الذي وضعته وزارة الحربية، أمّا الجانب الطوبوغرافي، فلم يكن هناك أفضل من الخرائط والخطط والأقسام والملامح الاستطلاعية التي وضعها الضّابط والمهندس **بوتان**، والتي يمتلك مستودع الحرب النسخة الأصلية منها، مع إجراء بعض التصحيحات من أجل التوافق مع المعلومات الأحدث.[3]

وقد قدّم الكونت **دو بورمون** تقارير من قبل أكثر الرجال كفاءة، حول طبيعة الصّعوبات التّي كان على وشك مواجهتها، وعن أفضل الوسائل للتغلّب عليها، كان أمام عينيه تقرير مدينة وحصون الجزائر من قبل رئيس كتيبة المهندسين **بوتان**، وقام بفحص هذا التّقرير وإخطاره باستخدام المعلومات التي تلقّاها من البلاد، واستخلص أنّ معالم الساحل مختلفة قليلاً عمّا وضعته آخر تحريّات الأسطول البحري، خصوصًا بين كاب كاسين ونهر مازا، حيث القياسات التي استخدمها وقياس الارتفاع تقريبية لأنّه لم يستخدم المنساخ، بل استخدم جهاز النحاس[4]، في الوقت نفسه أعاد قراءة وتأمّل الوثائق الموجودة في أرشيفات وزارة الحرب، في الرحلات الاستطلاعية الكبرى التي تمت في القرن الماضي، والتي كان على الجيش والبحرية تضافر جهودهما فيها.

---

[1] Alfred Nettement, **op.cit**, p xiv.

[2] William Shaler, **Esquisse de l'État d'Alger, Considéré sous les Rapports Politique, Historique et Civil : Contenant un Tableau Statistique sur …Récens de ce Pays**),tr: Thomas-Xavier , éditer Bianki, Paris, 1830, piv.

[3] ينظر الملحق رقم 21: الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر، ص341.

Vincent BOUTIN, **Plan d'Alger et de ses Environs / d'après Boutin**, Darmet jeune, Paris, 1830, pxi.

[4] **ibid**, pxii.

2.3.الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر:

يذكر **حمدان خوجة** في كتابه المرآة " أنّ الكتّاب الغربيّين الذين نشروا مؤلّفات عن الجزائر لم يقدّموا إلاّ بعض المعلومات المشكوك في صحّتها، وقبل الغزو لم يكن الأوروبيّون على علم حتّى بالجزء السّاحلي لمملكة الجزائر[1]، وقراءتنا لأطروحة الباحثة **ميشال ساليناس** تورد أنّ هبوط الجيش الفرنسي في سيدي فرج يوم 14 جوان عام 1830م، هو الخطوة الأولى في معرفة هذه المناطق التي لا تزال مجهولة[2]، وهناك من ردّ المعرفة بأرض الجزائر إلى الغزو الفرنسي الذي يسّر أمر استكشافها، لأنّه كثيرا ما لازم الشّعور بالحاجة إلى مُرشد في الجزائر، لفترة طويلة وبطريقة مُلحّة، لأنّه لَم يُكتب سوى القليل عن هذه المنطقة والتي لا يُعرف عنها إلا القليل.[3]

هذه التصريحات والكثير من الأفكار التي تشرّبناها حول فكرة أنّ الحكومة الفرنسية لم تكن تنوي أيضا الاستيطان في الجزائر، وأنّ الفرنسيين أطلقوا على الفترة الواقعة بين (1830-1834)م فترة التردّد والتقلّبات كما سماها **روبير أجيرون**(**Robert AGERON**)(1923-2008)م، لذلك أُرسلت اللجنة الإفريقية بغرض التحقيق، فأوصت هذه الأخيرة بالإبقاء على الجزائر، وبناءً على توصياتها قرّرت الحكومة الفرنسية إصدار قرار 22 جويلية 1834م، الذي اعترف بالاحتلال كحقيقة حتمية.[4]

لا يتعارض ما ذكرناه مع الفكرة التي طرحها **فيليب لوكاس** (**Philippe LUCAS**)(1953-)م و**جون كلود فاتين** (**Jean-Claude VATIN**)(1923-2021)م وكأنهما يجيبان على هذه التساؤلات، بأنّ المشكلة تكمن في الاحتلال، ومن ثمّ يتّضح أنّ الخصم يمكن تحديد موقعه وبالتّالي فهمه، ويقصد أنّ المعرفة الشاملة تأتي لاحقا، يكفي

---

[1] حمدان خوجة، **المرآة**، د ط، منشورات Anep، تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري، 2005م، ص271. أثير جدل كبير حول كتاب المرآة حتى أن البعض شكك في أن حمدان خوجة لم يكن مؤلفه، وإن كان هذا الشك صائبا، فهذا سيكون منصفا لشخصية كمثله

[2] Michèle SALINAS, **op. cit**, p 23.

[3] N.Au, **Guide du Voyageur en Algérie**, L. Maison, Paris, 1848, pi.

[4] حنيفي هلايلي، **الوضع الصحي العام في الجزائر(1830-1837)م**، الحوار المتوسطي، مج13، ع1، مارس2022م، ص 286.

التعرّف على موقع الانزال الناجح والاعتماد على تكتيك حربي جيّد، دون أن ننف أنّ التردد الذي كان حاصلا هو تكاليف الاحتلال(لهذا كانت أعينهم على الخزينة)، ومنه ندرك لما كان المارشال **بيجو(Robert BUGEAUD)**(1784-1849)م معارضًا في البداية لاحتلال الجزائر والتي اعتبرها صعبة ومكلّفة.[1]

وعليه يمكن القول بأنّ حالة التردد والفتور التي ميّزت سلوك بعض القادة والنواب، سببها الوضع الاقتصادي المتردّي والتكاليف الكبيرة التي خسرتها فرنسا في احتلالها للجزائر، كما أن الاتجاه المُنادي بضرورة البحث في تاريخ الجزائر، دُعّم برؤى تاريخية فرضت واقع التأريخ الجديد للمستعمرة، من خلال جرد وإحصاء شامل للآثار الرومانية في محاولة لربط الجزائر الفرنسية بإفريقيا الرومانية.

أمّا ما يؤكّد أنّ فرنسا كانت عليمة بأحوال الجزائر وثرواتها، تقرير وزير الحرب **كليرمونت تونير** الذي لم يزر الجزائر، لكنّه تحدّث في تقريره لشارل العاشر، الذي أرسله في ديسمبر عام 1827م حيث يقول فيه:" توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة، التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدًا لفرنسا، وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص، وتزخر بكميّات هائلة من الملح والبارود، كما توجد في سواحلها ملاحات غنية...".[2]

لا يمكن للصدفة والعبثية أن تُؤْتي أُكلَها في شعبِ أدرك خبايا الحروب طيلة ثلاث قرون، فكيف يمكن لذي عقل أن يُصدّق أنّ الحملة الفرنسية كانت تعتمد على الحظّ في غزو الجزائر، وعلى افتراض أنّ المعرفة الفرنسية بالجزائر كانت ضعيفة، وحتّى المصادر كانت قليلة وإن كان يقول **ألفريد نيتمنت** عن الحملة الفرنسية لغزو الجزائر:" تم إرسال **دو بنيوس(de BENIOS)** و **جيراردين(JIRARDIN)**(1805-1855)م إلى تونس خلال شهر

[1]Jacques Frémeaux, **Pierre Montagnon, La Conquête de l'Algérie, les Germes de la Discorde 1830-1871**, R. F. d'Histoire d'autre Mer, T 75, N°281, 4e Trimestre 1988 , p477 .
[2] Alfred Nettement, **op.cit**, p 20..

أفريل 1830م، من أجل التعرّف على تصرّفات باي تونس، لفتح مصدر خصب للإمدادات للجيش، وللعمل على معنويات السّكان المغاربة للانفصال عن داي الجزائر العاصمة تونس والمغرب، وإذا أمكن وهران وقسنطينة، كان هؤلاء المبعوثون الثلاثة يعرفون جيدًا البلد الذي كانوا مسؤولين عن العمل فيه، السّيد **رايمبرت** رجل عملي يتمتّع بحكم سليم وكان لديه العديد من العلاقات مع القبائل التي كانت تُتاجر مع حصن فرنسا.[1]

بل إنّ فرنسا عقدت تحالفات مع كلّ من إسبانيا والولايات المتحدة، وأرسلت سفيرها للدولة العثمانية لإظهار أنّ حملتها لتأديب الداي ولاقت القبول، ولتخوّفها من إنجلترا التي قد تتحالف مع الباب العالي، والرّافضة لأن يتمّ تمديد التوسّع في كلّ من تونس وطرابلس، وردّت الحكومة الفرنسية بأنها ستقدّم البراهين لحسن نيّتها[2]، إذا كان التجسّس الحالي سيكون بالأحرى مقيّدًا وموجهًا بمزيد من الطاقة، ففي حالة النجاح لن تعارض الحكومة البريطانية بكلّ قواها إقامة الفرنسيين على تلك الشواطئ، التي شكّلت منذ فترة طويلة نفاثًا عن تعاطفهم الجشع[3]، أمّا النّمسا فقد باركت هذا التدخّل لدافع سياسي، يتمثّل في تحويل أنظار الحكومة الفرنسيّة إلى بلدان غير أوروبية.

يطرح الكاتب الفرنسي **بيير مونتيه (Pierre MONTEL)**(1885-1966)م تساؤلاً هل من الممكن تصوّر ما سيحدث لو أنّ فرنسا لم تحتل الجزائر؟ ثمّ يجيب: من الواضح أنّ إنجلترا كانت فعلت ذلك... بدى لي تساؤلاً منطقيًا في ظلّ الظروف التي كانت سائدة تلك الفترة، وهذا يُحيلني إلى تساؤل في السّياق ذاته، لو عدنا إلى ارتباط بلاد المغرب الأوسط بالدولة العثمانية، ما الذي سيحدث لو لم ترتبط بالدولة العثمانية؟

الإجابة حتمًا كانت إسبانيا فعلت ذلك...!الأمر لا يقع من منظور أنّ بلاد الجزائر في جميع الأزمنة كانت مُعرّضة لاحتلال جهة ما، الأمر بكلّ بساطة هو السيطرة للأقوى

[1] Alfred NETTMENT, **op.cit**, p 262.
[2] **ibid**, p279
[3] ABT Bercazú, **op. cit,** p45.

والغالب، الفارق فقط أننا حتى في أوجّ قوّة البحرية لم نفكر في التوسّع مُطلقا، وهذا ما كانت تفعله الدّول الغربيّة بما فيها الأوروبية دائما، والمؤرخ والدكتور **ناصر الدين سعيدوني** له السّابقة في ربط الاحتلال الأول والثاني قائلا: «تركّز الاحتلال الاسباني في المدن الساحلية وكاد أن يعيد بها كارثة الأندلس مأساة انهيار الوجود الإسلامي مرة أخرى، كما شهدت الغزو الاستعماري الفرنسي وما انجرّ عنه من ظلم وتعسف".[1]

يمكن أن نفهم ببساطة أنّ هذه الأمم، صنعت لنفسها مستعمرات كي تستفيد منها، وأمّا نحن فلِمَا كنّا نترفّع عن مثل ذلك؟ إنّ شأننا في العالم هو أن يحمل إلى أمم الأرض نِعَم الحضارة، نودّ أن نحكم الشعوب بأنظمتنا ومبادئنا،لا بأنظمتهم ومبادئهم.[2]

يقول **فنسنت بوتان** في حديثه عن فشل الحملات" لقد خدعتهم ذكرى تونس وأفسدتهم(يقصد عام 1531م والجرائم التي ارتكبها شارلكان فيها)" وأوضح أنّ سبب فشلهم إنّما لأنّهم كانوا مهتمّين بالفريسة لا العمل، ولم يستطيعوا دراسة الأوضاع المحيطة سواء المناخية أو التحصينية.[3]

في 31 جانفي عام 1830م ، تبنّى مجلس الوزراء الفرنسي قرارا يقضي لقيام بحملة تأديبية لداي الجزائر، ووقّع الملك شارل العاشر قرار تعبئة الجيش والأسطول، وأصدر مرسوما ملكيا في 07 فيفري عام 1830م، عيّن فيه **دو بورمون** قائدا للحملة، ومن هذا التاريخ بدأت التحضيرات التي استغرقت قرابة ثلاثة أشهر.

غادر الأسطول الفرنسي ميناء طولون في 25ماي 1830م باتجاه مدينة الجزائر، ونتيجة للظّروف المناخيّة السيئة؛ اضطرّ للتوقّف في جزر البليار، وفي 14 جوان من نفس السّنة وقع الانزال بسيدي فرج، يصف بوتان هذا الخليج، بأنّه عبارة عن شبه جزيرة تمتدّ

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر**، د ط، الجمعية التاريخية المصرية، مج25، مصر، 197م، ص149.

[2] غوستاف لوبون، **مرجع سابق**، 161.

[3] Vincent-Yves BOUTIN, **op.cit**, p32.

على نحو 2 ميل بحري، لا توجد بها نتوءات ولا انكسارات بالطّبيعة لساحل الميناء، يوجد على مستوى هذا الخليج حوضان كبيران، أحدهما في الجهة الغربية، والآخر في الجهة الشّرقية، ويتميّزان بمياههما العميقة والقريبة من اليابسة، والتي تعطي إمكانية رسو السفن والبواخر خاصّة في الصّيف، وخلال ظروف الطّقس الجيّدة يصلح الميناء بالإبرار البحري، أما الشاطئ فهو رملي لا يساعد على إقامة تحصينات، أو تحريك العربات والعتاد، يوجد في الجهة الشرقية مسجد وزاوية المرابط (اتخذته الحملة الفرنسية كمركز للتخييم والقيادة).[1]

الرحلة بين سيدي فرج والجزائر العاصمة مع طاقم من الحصار، لا تشكل عقبات لا تقهر، إذ لا توجد تحصينات على الجانب البري، لأكثر من ثلاثة أسابيع ضد الهجمات الموجّهة جيدا من مدفعية بحجم ما، يمكن الانتهاء من الاستعدادات للبعثة في غضون ستة أشهر، في اليوم الذي يبحر فيه الأسطول، لن يستغرق الأمر أكثر من شهرين لغزو الجزائر العاصمة ؛ وفقًا للنصيحة التي قدمها **أندريه دوريا** إلى **شارلكان**.[2]

وهكذا تمّ للفرنسيين غزو الجزائر، وبمجرد أن تمّ الاحتلال ازداد اهتمام باقي الدول الأوروبية بها، بل حتّى من الدول غير الأوروبية كالأمريكان، وبدأت حملات التّشجيع للهجرة إليها قصد استثمارها تحت شعار" ليكن الاحتلال فرنسيا، ولكن الاستيطان فليكن غير ذلك"

بينما يرى **جول كامبون(jules CAMBON)**(1845-1935) **م** الذي ترأّس الحكومة العامة بالجزائر، أنه لا يمكن للجزائر باعتبار التصنيف الأنموذجي للمستعمرات أن تصنّف لا مع مستعمرات التجارة ولا مع مستعمرات الاستيطان، إنّها مستعمرة ذات طابع تركيبي مختلط، فهي ليست مستعمرة للاستيطان فقط ولا مستعمرة استغلال اقتصادي فقط، بل هي امتداد لفرنسا يتعيّن عليها تلقّي القوانين وأجهزة الحكم وأساليب الإدارة المتّبعة من البلد المستعمر.

[1] بوذراع أحمد، **مرجع سابق**، ص86.

[2] ينظر الملحق رقم 23: ميناء الجزائر في مواجهة الحملة الفرنسية، ص 343. للمزيد حول تفاصيل الحملة ينظر: Alfred NETTMENT, **op.cit**, p np

ملخص الفصل:

لقد تمّ احتلال الجزائر بتعاضد مسبّبات كثيرة، كانت الركيزة الأساسية فيها هو استفادة فرنسا من جميع ما كُتب حولها، بدءًا بجميع ما دوّنه الرحالة خلال القرن 18م التي لم تترك تفصيلا صغيرا عن طبيعة الأرض والسكان والتحصينات والأوضاع العامة للبلاد إلا وتحدّثت عنه، وانتهاءًا بالمشاريع الاستعمارية والمخطّطات التي أنجزها رحالي العقود الثلاثة من القرن 19م، والتي كانت فاتحة رحلات استطلاعية داخلية توغّلت حتى الصحراء في الفترات التي تليها، ولم يكن عليها أخيرا إلا أن تتحيّن الفُرَص وتختلق الأعذار، وتخلق الجوّ الدولي المناسب للقيام بحملتها العسكرية، وهذا ما حصل أخيرا إذ تمّ لها ذلك ووقع الإنزال الناجح بسيدي فرج، وتمّ الاستيلاء على مدينة الجزائر.

ومنه نستخلص أخيرًا أنّ الدور الكبير الذي قامت به الرحلات الاستطلاعية، والتآليف التي دوّنها الرحالة، والتي زادت بعد الاستعمار الفرنسي؛ طمعًا في الاستيطان في هذا البلد الغنيّ بالثّروات، قد أفادت الحكومة الفرنسية كثيرا، لهذا راجت بعد الاحتلال الفرنسي كتب الدّليل أو الارشاد، التي تشرح للسّواح كيفية السّفر وسبل الإقامة، فلا أحد يزور الجزائر من الفرنسيين أو الأوروبيين إلا وفي يده دليلا يرشده.

الخاتمـــة

بعد معالجة إشكاليّة الدّراسة والمُتمحورة حول إبراز مساهمة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرنين18م و19م في بناء المشروع الاستعماري الفرنسي لغزو الجزائر خرجت بمجموعة من الانطباعات والنتائج لخّصتها في النقاط التالية:

- مع تتبعّي للرّحلات الوافدة للجزائر في بداية العصر الحديث، تبيّن أنّ انبعاث عصر النّهضة وما تبعه من ازدياد الرّغبة في الحصول على الثّروات، ونقص في المواد التي تطلّبتها التطوّرات الحاصلة في الجانب التّقني، وتردّد أخبار الكشوفات الجغرافية وحكايا الثروات التي كان يردّدها التّجار والبحّارة، كانت جميعها بداية للتطلّع الأوروبي خارج القارة بهدف الاغتناء والحصول على الثروات.

- توصّلت إلى أنّ انضواء بلاد الجزائر تحت الرّاية العثمانية وبروزها كقوة بحرية في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كان حلقة مهمّة في تغيّر مجرى الأحداث على مستوى أوروبا، إذ كانت مضطرّة لإزاحة هذا الخطر المستجدّ الذي يهدّد مصالحها التجارية ومجموعاتها البشريّة، لهذا باشروا بإرسال الوفود تحت غطاء التفاوض، منهم رهبان وقساوسة فُرادى أو ضمن جمعيات للجنوح إلى السّلم تارة، ولافتداء الأسرى تارة أخرى، كما دعّمت هذه الوفود برحالة على اختلاف تخصّصاتهم في محاولة يائسة للاستعلام عن سواحل هذا البلد وتحصيناته الدفاعية ابتغاء السيطرة عليه وكسر شوكة بحارته.

- استنتجت أنّ الرحلات الاستطلاعية خلال الثلاث قرون من الفترة الحديثة، لم تختصّ بها دول أوروبا فحسب، وإنّما كان ديدن تلك الفترة سواءً عند المسيحيين أو المسلمين، كما كانت الحروب والانتصار فيها هي التي تحدّد الأقوى، لهذا ظلّ إيفاد الرحالة في رحلات استطلاعية على اختلاف تخصّصاتهم وتوجّهاتهم ساري المفعول بدءًا من القرن 16م واستمرّ حتى القرن 20م.

- أن الرحلات الأوروبية نحو الإيالة الجزائرية في القرنين16م و17م، كانت رحلات استطلاعية تحت غطاء ديبلوماسي وسياسي، وكانت الإرساليات تتمّ وفقًا للاعتداءات من الجانبين، وتسعى الدول المُرسلة للرّحالة للاستعلام عن التحصينات وقوّة الأسطول البحري؛ لأنّ منظور التوسّع الداخلي كان ضيّقا، تتحكّم فيه أمور عدّة، من بينها المعلومات البسيطة وغير الدقيقة التي تأتي بها كتب الرحالة، والمعلومات المُبالغ بها التي كانت تزخر بها مؤلّفات الأسرى والرهبان.

- خلَصت إلى أنّه يمكن لمتتبّع مدى تأثير القرن 18م على المعلومات التي جاء بها الرحالة، أن يُرْجع السبب الرّئيس إلى انبعاث عصر الأنوار وتقدّم العلوم، وازدياد الاهتمام بالتّاريخ الطبيعي والآثار الرومانية الذّي كان سمة بارزة لتلك الفترة، وتشكّل الجمعيات العلمية والأكاديميات والجمعيّات الجغرافية، التّي عمدت إلى توجيه الرحالة وتمويلهم للاهتمام بالطّبيعة البريّة والحضرية مع التّركيز على جميع جوانب الحياة السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية والدينية، بدلاً من حصر الاهتمام بالجانب الدّفاعي فقط، لأنّ الإحاطة بما يجري داخل البلاد أمر مهمّ لفهم مواطن الضّعف والقوة، خصوصًا مع وجود الدّافع الأقوى ألا وهو الثّروة، وهنا يبدأ الانتقال من الاستكشاف البحري إلى الاستكشاف البرّي القائم على الولوج داخل الأراضي والتوغّل إلى أقاصيها.

- استنتجت أنّ رحلات الاستكشاف العلمي التي عُرف بها القرن 18م، إنّما هي رحلات استطلاع و استكشاف لطبيعة الأرض وثرواتها بقصد احتلالها، وجلّ ما جادت به الرّسائل خصوصا التي أُرسلت من طرف رحالة فرنسيين، إنّما تؤثّث لفكرة الحصول على هذا البلد(الجزائر) الثريّ طبيعيًا.

- تأكّدت أنّ الاستشراق إنّما كان أحد أذرع الاستعمار، التي يسّرت التغلغل داخل بلدان شمال إفريقيا عمومًا والجزائر خصوصًا، فدراسة كلّ ما يتعلّق بالشّرق، لم تكن لأجل المعرفة بل لكسر حاجز اللغة والثراء المعلوماتي حول البلاد والعباد.

– توصّلت إلى استنتاج بعد استقراء لطبيعة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرن 18م، أنّها رحلات علمية ظاهرها استطلاعي علمي، وباطنها هو محاولة التأكّد والتأصيل لفكرة الحصول على الإيالة، نتيجة لما اكتشفه الرحالة من كنوز طبيعية في الجزائر، والتي آمنوا كثيرا بمرجعيّتها الرومانية ووجوب استعادتها، بينما الرحلات الاستطلاعية في القرن 19م فقد كانت ذات طبيعة تجسّسية قائمة على بناء المشاريع الاستعمارية.

– وخلصت إلى استنتاج بالنسبة لأهمية التخصّص في الاستطلاع لرحاليّ القرن 18م، أنّ التخصص مهمّ في توجّه الرحالة، ولو أنّ أغلب من أُوفدوا قد أخفوا تخصّصاتهم قدر المستطاع.

– أيْقنت أنّ الرحالة الذين أُوفدوا في فترات انتشار الأوبئة واستقرّ بهم المُقام في الجزائر لفترة تجاوزت السنة وأكثر، هم في الواقع أطبّاء وجراحين، أمّا من تراوحت فترة إقامته من أيام إلى سنة واحدة فقط، فهم في الغالب رهبان أو ذوي اختصاصات إدارية.

– استنتجت أنّ طابع بناء المشاريع الاستعمارية؛ التي كرّس الرحالة أنفسهم لإنشائها مع مطلع القرن 19م، إنّما هي تقع ضمن متطلبّات الفترة والظّروف الدولية التي أصبحت فيها فرنسا من أكبر القوى وأعظمها موازاةً مع إنجلترا، أوّل المشاريع كانت **لنابليون بونابرت** الذي كان يطمع أن يسيطر على الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبنى مشروعه الاستعماري على ذلك، فأوفد ضباطا متمرّسين وجغرافيين عارفين بالمناطق، وتمّ منحهم جميع المعلومات السابقة، ثمّ أوفدوا في بعثات إلى الجزائر للتفاوض والاستطلاع التجسسَي، بيد أن انشغال **نابليون** بالحروب ووفاته بعد ذلك أخّر تنفيذ هذه المشاريع، واستُفيد منهَا لاحقًا في الترتيب للغزو العسكري.

– خلصت إلى أنّه بناءً على عودة أسرة البوربون، واعتلاء **شارل العاشر** سدّة الحكم، ونظرا للظروف الاقتصادية والاجتماعية المتردّية، كان صرف نظر الرأي العام إلى فوز جديد يمحو به سلسلة الخسارات، هو الهدف من توجيه الأنظار مرّة أخرى إلى حكومة

الجزائر، فتبنّى أيضا سلسلة من المشاريع وأوفد ضباطا في رحلات استطلاعية تجسّسية لا تختلف عن سابقتها، إلا أنّه وبعد حملة اللورد إكسموث ونجاحه، عرفت توجها آخر لتكون رحلات استطلاعية تجسسية تجارية، بغرض الوصول إلى ثروات السودان، وإيجاد طريق من الجزائر (على أساس أن احتمالية سقوطها واردة) وصولا إلى تمبكتو للحصول على الذهب.

– كما استنتجت أنّ المصادر والمراجع الفرنسية التي تؤرّخ لفترة الغزو وبعد الغزو، دومًا تؤطّر لفكرة أنّ الجزائر لم تكن معروفة لدى الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وأنّهم في احتلالهم للجزائر إنما لم يكونوا على علم بالسواحل حتّى، وحينما تم الغزو بدأت رحلات الاستكشاف العلمي وكأنّ الرحلات الاستطلاعية العلمية السابقة لم تكن كافية، وطبقا لكل هذا، هناك أمران إما وجب التوجّه إلى مصادر غير أوروبية في تناول فترة الغزو على اعتبار أن المصادر المحلية قليلة، وإلاّ يمكننا أن نفهم أن المصادر الأوروبية إنما تؤسس دوما لفكرة أن احتلال الجزائر إنما كان حدثا اضطراريا، ودفعا للإهانة التي تلقّاها القنصل الفرنسي في حادثة المروحة، ولم يكن على فرنسا أن تترك شرفها يداس بضربة من مروحة.

– واستخلصت آخيرا، أنّ ما جاءت به الرسائل والتقارير والمذكرات... التي دوّنها الرحالة تمّ استغلال ما جاء فيها كاملا في الحملة الفرنسية لغزو مدينة الجزائر.

- **آفاق وتوصيات الدراسة:**

إنّ البحث في موضوع الرحلات الاستطلاعية الأوروبيّة خصوصًا رحلات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعلاقتها ببناء المشروع الاستعماري الفرنسي لغزو الجزائر، لازالت حقلاً خصبًا للبحث، خصوصًا فيما تعلّق بمدى نجاح الرحلات الاستطلاعية العلمية في تأجيج الرغبة في احتلال الجزائر، ومدى نجاح المشاريع الاستعمارية خلال القرن19م في الحملة العسكرية الفرنسية، وأيضا حول الكشف عن مدى التمايز والاختلاف بين رحلات الاستكشاف العلمي قبل وبعد الغزو، وحول حقيقة علاقة الرحلات الاستطلاعية بوصف الأوضاع الداخلية للجزائر ومدى مصداقيتها، جميع هذه الزوايا للموضوع يمكن أن تكون مواضيع للبحث، خصوصا وأن جزئية البحث في علاقة الرحلات الاستطلاعية الأوروبية

خلال القرنين 18م و19م لم يتطرّق إليها الباحثون كثيرا، إلاّ في مَواضع متفرّقة وغير مُكتملة الجوانب، ولأنّ غالبيّة المصادر خصوصًا الأوروبية؛ لا تعطي صورة صادقة عن قيمة الرحلات، رغم اعتمادها طيلة ثلاثة قرون على العائدات المعرفية لهذه الرحلات، تجعل من البحث في الموضوع صعبًا ويحتاج جهدًا مضاعفا، ويكون الباحث فيه، دائم الاعتماد على الاستقراء والتحليل والنقد والمقارنة.

وفي الختام، كان لي شرَف السّعي والبحث في كلّ تفاصيل الموضوع، وبقدر المشقّة والتعّب كانت المتعة في أنني استطعت أن أكون من زمرة الباحثين في تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة، راجية أن أكون قد وُفّقت ولو قليلا، في الإحاطة بجميع تفاصيل الموضوع، ولم أترك شاردة ولا واردة إلا وأوضحتها وبيّنتها للقارئ والباحث الذي يتقصّى المعلومة في موضوع «الرحلات الاستطلاعية للأوروبيين خلال القرنين 18م و19م ودورها في التمهيد لاحتلال الجزائر».

إن أصبت فذاك المُبتغى والمُراد، ومن عثر لي عن سقطة، فليكن العاثِر عاذرًا، فكلّ عمل إذا ما تمّ فيه نقصان، وإنّ السعيد من عُدّت سقطاته، وقُوّمت أخطاؤه، وصُوّبت أغلاطُه، وثُمّن عمله، والله سبحانه وليّ التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

1.**القرآن الكريم:** برواية ورش عن نافع.

2.المخطوطات:

1.Seyyid Mourad, **Récit des expéditions maritimes de Khaïr ed-Din Pacha, ou Barberousse**,1740.

3.المصـــادر

- **العربية:**

1. الأندلسي، محمد الغساني، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير1690-1691م**، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، تح: نوري الجراح، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.
2. بن العربي، محمد، **قانون التأويل**، ط1، مؤسسة علوم القرآن، تح: محمد سليماني، بيروت، 1986م.
3. الجزائري، أحمد أفندي، **كيف دخل الفرنسيون الجزائر**، د ط، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م.
4. الذهبي، محي الدين، **سير أعلام النبلاء**، ط1، مؤسسة الرسالة، ج22، تح: شعيب الأرنؤوط ، علي أبو زيد، بيروت، 1983م.
5. الفاسي، ابن زاكور، **نشر أزاهر البستان ومن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، د ط، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. س. ن.
6. المسعودي، أبو الحسن علي، **مروج الذّهب ومعادن الجوهر**، د ط، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، ج1، تح: سعيد محمد اللخام، ، بيروت، 2000م.
7. الهمذاني، أبو الفضل بديع الزمان، **مقامات**، د ط، المكتبة الأزهرية، تع: محمد محي الدين، القاهرة، 1923م.

- **المصادر المعرّبة:**

1. بايسونال، جون أندري، **رحلة إلى إيالة الجزائر**، د ط، كوكب العلوم، تر، تعل: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م.

2. (ـــــ ، ـــــ)، **الرحلة إلى تونس 1724م**، د ط، مركز النشر الجامعي، تر، تح: محمد العربي السنوسي، تص: خليفة الشاطر، تونس، 2003م.

3. خوجة، حمدان، **المرآة**، د ط، منشورات Anep، تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري، الجزائر، 2005م.

4. دي باراداي، فونتير، **الجزائر خلال القرن الثامن عشر**، د ط، كوكب العلوم، تر، تعل: لخضر بوطبة، الجزائر، 2022م.

5. كاربخال، مارمول، **إفريقيا**، د ط، مكتبة المعارف، تر: محمد حجي وآخرون، ج1، الرباط، 1984م.

6. شالر، وليام، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تع، تق، تعل: إسماعيل العربي، الجزائر، 1982م.

7. هابنسترايت، جون أرنست، **رحلة العالم الألماني ج.أ.هبنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، د ط، دار الغرب الاسلامي، تر: ناصر الدين سعيدوني، تونس، 2008م.

- **المصادر باللغة الأجنبية**

1. Bercazú, ABT, **Notica Topographica é Historico Del Reinoy de la Ciudad Acompananda (un Mapa general del reino y de la Vista de la Ciudad y Alrededores con Todos los fuertes y Preparativos de Defensa para Contrarestar la espedicion Francesa Traducida de la Segunda Edicion)**, La Viuda é Hijos de Gorchs con licencia, Barcelona, 1883.

2. BOUTIN, Vincent-Yves, **Aperçu Historique, Statistique et Topographique sur l'état d'Alger, à l'usage de l'Armée Expéditionnaire d'Afrique : avec plans, vues et Costumes**, publié par ordre de Son Excellence le Ministre de la Guérre 2e éd, Paris, 1830.

3. Bruce, James, **Travels**. Abridged edition. Horizon Press, New York, 1964.

4. D'Arvieux, Chevalier, **Mémoire de Chevalier D'Arvieux envoyé Extraordinaire du Roy à la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et Autres échelles du levant**…, R.P. Jean Baptiste Labat, Paris, 1830.

5. DAN**,** Pierre**, Histoire de Barbarie et de ses Corsairs**, libr. ordin. du Roy, au Palais, aux Armes du Roy & de la Ville. M. DC. XXXVII. Avec privilege du Roy, Paris, 1637.

6. De PARADIS, Venture et d' Autres**, Recueil de Voyages et de Mémoires** ,la Société de géographie, T5, Tr: Jaubert Amédée, Imprimerie Royale, Paris, 1824.

7. DESFONTAINES, Louiche Réné, **le Voyage Botanique de Desfontaines dans la Régence de Tunis et d'Alger(1783-1786**), cartaginoiséries, pref: Denise Ibrahimi, intr: de Claudine Rabaa, Tunis, 2010.

8. De TASSY, Laugier, Philippe Jacques, **Histoire du Royaume d'Alger , Avec l'etat présent de son Gouvernment, de ses Forces de Terre & de Mer, de ses Revenus, Police, Justice Politique & Commerce** , Henri Du Sauzet, Paris, 1725.

9. (**——**, **——**), **Alger au XVIIIe siècle**, édité E. Fagnan, Alger.1889.

10. (**——**, **——**), **Histoire de Royaume d'Alger**, Diplomate Français a en Alger1724, prev: Noël laveau, André Noushi, Edition lysais, Paris, 1992.

11. (**——**, **——**), **Tunis et Alger au XVIIIe Siècle**, édition Sindbad, Paris, 1983.

12. Hees**,** Thomas**, Journal d un Voyage à Alger 1675-1676**, Tr: G.H.Bousquet, G.w.Bousquet, R.A, vol101, Alger, 1975.

13. Lithgow, Wiliam, **Discourse Of The Rare Adventures And Painefull Peregrinations of Long Nineteene years Travayles from Scotland to the most kingdom inEurope , Asia and Africa, London, 1614**,Tr, Pub; Pierre Grand champ, R.A ,T91,1947.

14. PEYSSONNEL et DESFONTAINES, **Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger, Fragment d'un Voyage dans les Régence de Tunis et d' Alger fait de 1783à1786**, pub: De La Malle, Libraire de Gide, Paris, 1838.

15. PEYSSONNEL, Jean-André, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger. Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie, fait par ordre du Roi en 1724 et 1725 / Peyssonnel et Desfontaines,**. Libraire de Gide, Paris,1838.

16. (—, —), **Voyage dans la Régence de Tunis et Alger**, la Decouverte, Paris, 1987.

17. POIRET, Jean Louis Marie, **Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les Années 1785 et 1786, sur la Religion, les Coutumes et les Mœurs des Maures et des Arabes-Bédouins**, avec un essai sur l'Histoire Naturelle de ce Pays, Lyon,1789.

18. (—, —)**, Leçons de Flore Cours de Botanique, Explication des Principaux Systèmes, Introduction à l'étude des Plantes**, C.-L.-F. Panckoucke , Paris, 1823.

19. Caillieé, Réné, **Voyage Réné Caillié au Toumpocto et a Travers l' Afrique1824-1828**, pub: Jacques Boulonger, libérairie Plon, Paris, 1932.

20. (—, —), **Diplôme de Chevalier de la Légion d'Honneur** ; lettre de l'Abbé Dinomé demandant la Parution rapide du Journal de Caillié, 17 Décembre 1828.

21. (—, —), **Voyage d'un faux Musulman à Travers l'Afrique : Tombouctou, le Niger, Jenné et le Desért**, E. Ardant, Limoges, 1885.

22. (—, —), **Journal d un Voyage du Toumpocto et a jénné dans l' Afrique Centrale**…, T: 03, Impremerie Royale, Paris, s.d.é.

23. Couché, Louis François**, [Illustrations de Voyage à Temboctou et à Jenné, dans l'Afrique Centrale, précédé d'Observations Faites chez les Maures Braknas, les Nalous et d'autres Peuples, pendant les Années 1824, 1825, 1826, 1827, 1828]**, s.m.é, Paris, 1830.

24. Shaw, Thomas, **Voyage dans la Régence d'Alger, ou D2scription géographique, Physique, Philologique, etc. de cet état,** Tr: Mac Maccarthy, Paris, 1830.

25. (——, ——), **l'Algérie un Siècle avant l'Occupation Française**, Trad: J. Mac. Carthy, Edition et Imprimérie de Carthage, Paris, 1838.

26. Shaler ,William, **Esquisse de l'État d'Alger, Considéré sous les Rapports Politique, Historique et Civil: Contenant un Tableau Statistique sur …Récens de ce Pays**), Tr: Thomas-Xavier , éditer Bianki, Paris, 1830.

27. Fox, George**, Slavery of Friends in the Barbary States, Towarde the Close of the Seventeenth Century**, s.m.é, London, 1848.

5.المراجع

- **المراجع العربية:**

1.ابراهيم، عيسى علي، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، د ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.

2. اعميراوي، احميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيندا أنموذجا)**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2003م.

3. (——، ——)، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، د ط، دار البعث، الجزائر، 2002م.

4. (——، ——)، **دور حمدان خوجة في تطوّر القضية الجزائرية(1827-1840)م**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987م.

5.انساعد، سميرة، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2009م.

6.بالحميسي، مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

7. براهامي، نصر الدين، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، د ط، منشورات ثالة، الجزائر، 2001م.

8. بعلي، حفناوي، **صورة الجزائر في عيون الرحالة الغربيين**، د ط، دار اليازوري. الأردن، 2019م.

9. بن ابراهيم، الطيب، **الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامه، المجلس الإسلامي الأعلى**، الجزائر، 2009م.

10. بن ابراهيم، رضوان عمر، آراء **المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره(دراسة ونقد)**، د ط، دار طيبة، ج1، السعودية، د. س. ن.

11. بن صحراوي، كمال، **بايلك الغرب الجزائري في المجلة الإفريقية**، ط1، دار المحددة، الجزائر، 2018م.

12. بن نبي، مالك، **القضايا الكبرى**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م.

13. بنور، فريد، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر(1782-1830)م**، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، د. س. ن.

14. (ـــ، ـــ)، **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر(1782-1836)**م، مؤسسة كوشكار للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

15. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د ط، د. د. ن، القاهرة، 1961م.

16. بوحوش، عمار، **التاريخ السّياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

17. بورايو، عبد الحفيظ، **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، د ط، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، 2013م.

18. بوزفور، منصف، **المدارات الشرقية والاستشراق**، د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2014م.

19. بوشعيب، السّاوري، **صورة الآخر في رحلات عربية من القرن العاشر ميلادي إلى القرن الواحد والعشرين**، ط1، دار النايا للدّراسات والنشر، لبنان، 2014م.

20. تازي، عبد الهادي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، د ط، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ج1، الرياض، 2005م.

21. جبور، الدويهي، **الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن 18م**، د ط، دار الفكر العربي، الأردن، 1983م.

22. الجليند، محمد السّيد، الاستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة، د ط، دار قباء، القاهرة، 1999م.

23. جمال الدين، محمود و نوار، عبد العزيز، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دط، دار الفكر العربي، مصر، 1999م.

24. الحاج، ساسي، **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ط1، دار المداد الإسلامي، ج1، بيروت، 2002م.

25. حاطوم، نور الدين، **تاريخ القرن السابع عشر في أوروبة**، ط1، دار الفكر، الموسوعة التاريخية الحديثة، دمشق، 1986م.

26. حسني، محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس، لبنان، 1983م.

27. حسين، محمد الخضر وآخرون، **خمس رحلات إلى الجزائر(1904-1932)م**، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، تح، تق: محمد صالح الجابري، الأردن، 2004م.

28. الحسني، محمد الهادي، **احتلال الجزائر من خلال نصوص معاصرة**، د ط، عالم الأفكار، الجزائر، 2006م

29. حمادي، علي، **أصوات من الأدب الجزائري الحديث**، د ط، دار البعث، قسنطينة،2001م.

30. حماش، خليفة، **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية،1236-1243 / 1821-1827م**، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2021م.

31. الخداري، محمد، **الجزائر خلال القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية**، د ط، بحوث النّدوة الدوليّة حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العهد العثماني، استانبول، 2013م.

32. دودو، أبو العيد، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان(1830-1855)**م، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

33. الديلمي، خلف، الإتجاهات الحديثة في البحث العلمي الجغرافي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.

34. راشد، زينب، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، د ط، دار الفكر العربي، ج1، القاهرة، د. س. ن.

35. رمضان عبد العظيم، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، مصر، د. س. ن.

36. الريامين، كمال، **مشاهير الرّحالة العرب**، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

37. رياض، زاهر، **استعمار إفريقيا**، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

38. الزقزوق، محمد حمدي، **الاستشراق والخلفيّة الفكرية للصراع الحضاري**، د ط، دار المعارف، القاهرة، د. س. ن.

39. زكريا، هاشم زكريا، **المستشرقون والإسلام**، د ط، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، بيروت، 1965م.

40. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، د ط، دار الهلال، ج4، مصر، 1914م.

41. طهبوب، فائق و دحمان، محمد، **تاريخ العالم الحديث والمعاصر**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2007م

42. سمايلوفتش، أحمد، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

43. سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)م**، ط1، دار الغرب الاسلامي، ج2، لبنان، 1998م.

44. (ـــــ، ـــــ)، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

45. سعيدوني، ناصر الدين، **النّظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)م**، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

46. (ـــــ، ـــــ)، **طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر**، د ط، الجمعية التاريخية المصرية، مج25، مصر، 1997م.

47. (ـــــ، ـــ)، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

48. (ـــــ، ـــــ)، **من التّراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي" تراجم مؤرخين ورحّالة وجغرافيين"**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

49. (ـــــ، ـــــ)، سعيدوني، معاوية، **أبحاث حول قسنطينة والدّراسات التّاريخيّة(ذاكرة مدينة الجزائر من خلال النصوص التاريخية)**، د ط، البصائر للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2016م.

50. (ـــــ، ـــ)، **ورقات جزائرية**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

51. سيسالم، عاصم، **جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر الباليار)**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.

52. الشّاروني، جيب، **فلسفة فرانسيس بيكون**، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1981م.

53. الشامي، صلاح الدين، **الرّحلة عين جغرافية المُبصرة في الكشف الجغرافي والدّراسة الميدانية**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

54. (ـــــ، ـــــ)، **الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

55. شايب، لخضر، **نبوّة محمد في الفكر الاستشرافي المعاصر**، د ط، دار الفكر المعاصر، الجزائر، 2006م.

56. الشرقاوي، محمد عبد الله، **الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر(دراسة تحليلية تقييمية)**، د ط، دار العلوم، القاهرة، د. س. ن.

57. صالح، هاشم ، **مدخل إلى التنوير الأوروبي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م.

58. الصباغ، عبد اللطيف، **تاريخ أوروبا الحديث**، د ط، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1995م.

59. الصباغ، ليلى، **معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1997م.

60. الصقار، سامي، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس هجري- مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب القزويني**، د ط، دار المريخ للنشر، تص: منير الدين أحمد، الرياض، 1981م.

61. عزتلو بك، أوصاف ، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م.

62. العطار، عدنان، **الدولة العثمانية من الميلاد**، د ط، دار الأصالة، جم: محمد قباني، الجزائر، 2009م.

63. عطا الله، سمير، **قافلة الحبر- الرّحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج(1762-1850)م**، ط1، دار الساقي، لبنان، 1994م.

64. العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ط3، دار المعارف، ج1، مصر، 1964م.

65. (ـــــ، ـــــ)، **المستشرقون**، ط4، دار المعارف، ج2، مصر، د. س. ن.

66. العلوي، سعيد، **أوروبا في مرآة الرحلة: صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية**، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، أكدال، 1995م.

67. عميـرة، عبد الرحمان، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، د ط، دار الجيل، بيروت، د. س. ن.

68. عيادي، سعيد، **مخطّط احتلال الجزائر من مشروع الضابط بواسوني إلى مشروع قسنطينة**، د ط، دار تفتيلت، الجزائر، 2015م.

69. عنان، محمد عبد الله، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1996م.

70. الغزالي، أبي حامد أحمد، **إحياء علوم الدين**، ط 2، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، 1986م.

71. فكاير، عبد القادر، **الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية وآثاره(910-1206هـ/1505-1792م)**، د ط، دار هومة ، الجزائر، د. س. ن.

72. فهيم، حسين محمد، **أدب الرحلات**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

73. الفيومي، محمد إبراهيم، **الاستشراق رسالة استعمار**، دط، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1993م.

74. قاسم، محمد، حسني، حسين، **تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا وما يليه من الحوادث حتّى نهاية الحرب الكبرى**، ط4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1914م.

75. قدّاش، محفوظ، **جزائر الجزائريين(تاريخ الجزائر1830-1954)م**، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2017م.

76. قنان، جمال، **العلاقات الفرنسية الجزائرية(1790-1830)م**، ط خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1991م.

77. (ـــــ، ـــــ)، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، د ط، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1994م.

78. قنديل، فؤاد، **أدب الرحلة في التراث العربي**، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م.

79. كروم، عبد الله، **الرحلات بإقليم توات (دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات)**، د ط، دار حلب، الجزائر، 2007م.

80. محمد، الأسعد، **مستشرقون في علم الآثار- كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ**، د ط، الدار العربي للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.

81. المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م**، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2014م.

82. المنوّر، مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، دط، دار القصبة للنشر، ج1، الجزائر، 2002م.

83. معريش، محمد العربي، **الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية(1822-1872)م**، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م.

84. مغلي، محمد البشير، **مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2002م.

85. مقلاتي، عبد الله، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية(1830-1962)م**، د ط، منشورات سيدي نايل، الجزائر، د. س. ن.

86. الميداني، عبد الرحمن حسن ، **أجنحة المكر الثلاث وخوافيها، الاستشراق، التبشير، الاستعمار**، ط8، دار القلم، دمشق،2000م.

87. نايت بلقاسم، مولود قاسم ، **شخصيّة الجزائر الدّولية وهيبتها العالمية قبل 1830م**، ط1، دار الأمة، ج1، الجزائر، 2007م.

88. راغب، نبيل، **أدب الرحلات**، د ط، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1996م.

89. رضوان، عمر بن ابراهيم، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**(دراسة ونقد)، دط، دار طيبة، ج1، السعودية، د. س. ن.

90. زوزو، عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)م**، ط م، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010م.

91. النساج، سيد حامد، **مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا**، د ط، مكتبة غريب، الإسكندرية، د. س. ن.

92. نواب، عواطف محمد ، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين- دراسة تحليلية مقارنة-**، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

93. هريدي، فرغلي علي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر(الكشوف – الاستعمار- الاستقلال)**، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2008م.

94. هلال، عمار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1962)م**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016م.

95. وهبة كامل، مجدي، **معجم المصطلحات في اللغة والأدب العربي**، ط1، د. د. ن بيروت، 1984م.

96. يارد، نازك سابا، **الرحالون العرب وحضارة الغرب في النّهضة العربية الحديثة**، ط2، دار نوفل، بيروت، 1992م.

97. ياغي، عبد الفتاح اسماعيل، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، د ط، دار المريخ للنشر، الجزائر، 1984م.

98. يحيى، جلال، **التاريخ الحديث والمعاصر حتّى الحرب العالمية الأولى**، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. س. ن.

99. يوغلا، أحمد، **الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص**، ط1، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، المغرب، 2008م.

•المراجع المعرّبة:

1. كاريت، إرنست، **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840-1841-1842م العلوم التاريخية والجغرافية(دراسة الطرق التي يسلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وإيالة تونس)**، ط خ، عالم المعرفة، تر: حمزة الأمين يحياوي، ج2، الجزائر، 2016م.

2. أورتيث، أنطونيو دومينيث، فانسون، بيرنارد، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، ط1، تر: محمد بنياية، هيئة أبو ظبي للسّياحة والثقافة، الإمارات، 2013م.

3. برون، جفري، **تاريخ أوروبا الحديث**، ط2، دار الأهلية، تح: علي المرزوقي، بيروت، 2009م.

4. برينسييه، لورانس. إم ، **الثورة العلمية**، ط1، مؤسسة هنداوي، تر: محمد عبد الرحمن إسماعيل، مصر، 2014م.

5. برينجيه، جان وآخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا العام من القرن الرابع عشر حتّى نهاية القرن الثامن عشر**، منشورات عويدات، ج2، بيروت، 1955م.

6. تودروف، تزفيتان، **روح الأنوار**، ط1، دار محمد علي للنشر، تع: حافظ قويعة، تونس، 2007م.

7. (ـــــ، ـــــ)، **الخوف من البرابرة(ماوراء صدام الحضارات)**، ط1، دار كلمة، تر: جان ماجد جبور، أبو ظبي، 2009م.

8. تايلور، جريفث، **الجغرافية في القرن العشرين**، د ط، المكتبة العربية ، تر: محمد السيد غراب، محمد مرسي، ج2، القاهرة، 1975م.

9. جوردا، بيير، **الرحلة إلى الشرق، رحلات الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الاسلامية في القرن التاسع عشر**، ط1، دار الأهالي، تر: مي عبد الكريم، علي بدر، الإسكندرية، 2000م.

10. وولف، جون. ب، **الجزائر و أوروبا(1500-1830)**، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1986م.

11. جوليان، شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشّمالية(تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)من الفتح الإسلامي إلى نهاية عام 1830م)**، د ط، الدار التونسية للنّشر، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، ج2، تونس، 1978م.

12. سارتر، جان بول، **عارنا في الجزائر**، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. س. ن.

13. ديورانت، وايرلت، **قصة الحضارة- عصر لويس الرابع عشر**، د ط، دار الجيل، تر: فؤاد أندرواس، ج1، مج8، بيروت، د. س. ن.

14. سبنسر وليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، د ط، دار القصبة للنشر، تر: عبد القادر زبايدية، الجزائر، 2007م.

15. سعيد، إدوارد، **الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق**، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، تر: محمد عناني، القاهرة، 2006م.

16. (ـــــ، ـــــ)، **الثقافة والامبريالية**، ط3، دار الآداب، تر: كمال أبو ديب، بيروت، 1998م.

17. فاقلييري، لورا فيشيا، **أرشيف الفاتيكان السرّي حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر والحروب الصليبية المجهولة**، د ط، عالم الأفكار، تر: حميد عبد القادر، الجزائر، 2013م.

18. قباني، رنا، **أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد**، ط3، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، تر: صباح قباني، دمشق، 1993م.

19. كام، جوزفين، **المستكشفون في إفريقيا**، د ط، دار المعارف، تر: سيد نصر، القاهرة، 1983م.

20. كندر، هرمن و هيلغيمين، فيرنر، **أطلس dtv تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر**، ط1، المكتبة الشرقية، تر: الياس عدو الحلو، لبنان، 2003م.

21. كوران، ارجمنت، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، د ط، منشورات الجامعة التونسية، تر: عبد الجليل التميمي، تونس، 1970م.

22. كوينتن سكنر، **أسس الفكر السياسي الحديث عصر الإصلاح الديني**، ط1، المنظمة العربية للترجمة، تر : حيدر حاج إسماعيل، ج2، بيروت، 2012م.

23. لوبون، غوستاف، **روح السياسة**، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، تر: عادل زعيتر، مصر، 2012م.

24. مجهول المؤلف، **رحلتان عبر ليبيا رحلة فيديريك من القاهرة إلى مزرق- رحلة ورسائل الرائد الكسندر جوردن لينج**، ط1، مكتبة الفرجاني، تع: دار الفرجاني، ليبيا، 1974م.

25. موسنيه، رولان و لابروس، أرنست، **تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر- عصر الأنوار)**، ط3، منشورات عويدات، تع: يوسف أسعد داغر، فريد داغر، ج5، بيروت، 1994م.

26. غيرهارد، غولفس، **إقامتي الأولى بالمغرب(السّفر جنوب الأطلس1861م)**، د ط، جامعة العلوم الإنسانية بنماسيك، تر: إدريس الحاجي، الدار البيضاء، 2002م.

27. هندريكس، سكوت إتش، **مارتن لوثر**، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، تر: كوثر محمود محمد، مصر، 2014م.

28. هنري، لويس، **بونابرت والاسلام* بونابرت والدولة اليهودية**، د ط، دار مصر العربية، تر: بشير السباعي، القاهرة، 1998م.

29. هازار، بول، **أزمة الوعي الأوروبي1680-1715**، ط1، مكتبة بغداد، تر: يوسف عاصي، بيروت، 2009م.

- **المراجع** الأجنبية:

1. ABDELAZIM**,** Hamdi**, l'Egypte dans voyage en Orient de Gérard de nerval et la France dans l'or de Paris de Rifaà a al Tahtàwi**, Université du Québec à Montréal, Paris, 2008.

2. Advielle**,** Victor, **Notice Historique sur Nicolas de Nicolay et sur sa"Description du Berry**, [s.n.][s.n.], Monographie Imprimée,1861.

3. Barlia, Venezia**, une Franc Parmi les Arabes Parcours Oriontal et decouverte de l'Autre chez le Chevalier d'Arvieux**, uga édition, Grenoble, 2015.

4. Bent**,** Theodor**, Early voyages and Travels in The Levant, the dairy of Master Thomas Dalam (1599- 1600), 2.** Extract from the dairy of Dr. Jhon Covel (1679 -1670)with some **Account of the Levant Company of Turkey Merchants**, The Hakluyt Society, London,1893.

5. Berbrugger, Adrien, **Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux Montagnes de Wannourhah (Province de Constantine), en Décembre 1837 et Janvier 1838** ,Toulon, 1839.

6. BONAFONT, Jean Pierre, **Douze Ans en Algérie 1830-1842**, éditeur.L.S.G.L, Palais-Royal , Paris, 1880.

7. Boulenger, Jacques, **le Voyage de René Caillé à Tomboucto et à Travers L'Afrique (1824-1828)**,4éme édition, Paris,1932.

8. BRAUDEL, Fernand**, la Méditiranée et le Monde Méditérrané a l'époque de Phillipe II**, 3éme édition, vol2, Paris, 1976.

9. Commissariat Générale du Centenaire de l'Algérie**, l'armée d'Afrique 1830-1930**, librairie de l'armée, Alger, 1930.

10. De Bourbon**,** Prince Sixte, **La Dernière Conquête du Roi (Alger 1830)**, Calmann-Lévy, Paris, 1930.

11. DEVOULX, Albert ,**Archives du Consulat Général de France à Alger, recueil de Documents inédits Concernant, soit les Rélations Politiques de la France, soit les Rapports Commerciaux de Marseille, avec l'Ancienne Régence d'Alger**, Monographie Imprimée, Alger, 1865.

12. DONDIN, Payre Monique, **Les Conséquences de la découverte scientifique de l'Afrique du Nord sur la Perception de l'identité Européenne, L'Europe à la Recherche de son identité Congrès National des Sociétés Historiques et Scientifiques, « L'Europe »**, CTHS, Paris, 2002.

13. Hauser, Henri, **Paolo Giovio,** le Sourse de l'Histoire de France, Seiziéme Siecle(1494-1610), Collection Numerique de Serbonne, Paris, 1906.

14. Hugo, Adolve, **Ce que Nous entendions par l'Orient**, Revue de l'Orient ،T 1 ،Cahier Si à IV, Paris, 1843.

15. IBRAHIMI, Denise, **Un informateur de l'Abbé Raynal: l'Abbé Poiret, Auteur du « Voyage en Barbarie »,** Dix-Huitième Siècle, Corner Frère, N°4, Paris, 1972.

16. (——, **-——**)**, Opinions et Regards des Européenes sur le Magreb aux Siecle XVII**, Société Nationale d'édition et Diffusion, Alger, 1978.

17. GRAMMONT .H.D, **Histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515-1830**), E. Leroux, Paris, 1887.

18. Grandhantz, Loiseau, **Biographie de M. l'abbé François Bergé**, impr. de P. Girardot, Orléans, 1889.

19. G. Dwyer, Philip, **Talleyrand**, Gide, London, 2020.
20. GUSDORF, Georges, **les Origines des Sciences Humaines**; Bibliothèque Scientifique, Payot, Paris,1967.
21. Margeridon, **Colonisation de la Régence d'Alger**, de F. Didot Frères, Paris, s.d.é.
22. MERCIER, Ernest, **Histoire de Constantine**, J. Marle et F. Biron ,Constantine,1903.
23. MERCEL, Emerit **, Déscription de l'Algérie en 1787 par l'officier Russe Kokovtsov** , RHM, N°4 , Tunis , 1975.
24. (——, ——), **Un Mémoire sur Alger par Pétis de La croix**, A.I.E.O, Txi, Alger, 1953..
25. Michel, Chaumet, **Yves, Lacoste, La géographie, ça sert, d'abord, à faire la Guerre**, Norois, N°93, 1977.
26. MOAK, Mohamed, **Langues, Société et Histoire d'Alger au XVIIIe Siècle d'après les Données de Venture de Paradis (1739-1799)**, I.R.L.C Contemporain, Tunis, 2004.
27. N.au, **Les Voyages scientifiques de René Louiche Desfontaines et Auguste Bachelot de la Pylaie (1780-1820)**, Collection Numerique, Paris, 1930 .
28. NETTMENT, Alfred, **Histoire de la Conquête d'Alger: écrite sur des documents inédits et authentiques** (Nouvelle édition Revue et Corrigée), Paris,1867.
29. POUJOULAT, Jean, **Voyage en Algérie : études Africaines**, s.m.é, Paris, 1868.
30. ROUSSET, Camille, **la Conquètte d' Alger**, éditeur e.pi.on, Paris, 1879.
31. SALINAS, Michèle, **Voyages et Voyageurs en Algérie : 1830-1930:aux sources d'un Imaginaire Collectif Français,** Éditions Privât, Toulouse, 2019.

- **الخطابات والرسائل والندوات:**

1. Corespendence de napoleon, vol07, letter N^0 6183.

2.Discours de m. Auguste CHevalier, **inauguration du Buste de René Louiche- Desfontaines Membre de l' Académie des Sciences**, a Trembly , Ille-et-Vilaine, le Dimanche 3 Octobre 1937.

3.M. Flourens, **éloge Historique de R. Louiche, Desfontaines Secretaries Perpetual**. Lu à la Séance Publique du 11 Séptembre 1837.

4.MORIZOT, Pierre, **La Naissance de l'Archéologie Romaine en Algerie**. In : Histoire et Archéology Méditerranéenes sous Napoléon III. Actes du 21e Collogue de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 8 et 9 October 2010. Paris : Academies des Inscriptions et Belles-Lettres, 2011.

7. الدوريات

- العربية:

1.آبار، ميشيل، **الجزائر في القرن التاسع عشر لرحالة إسكتلندي**، تر: حنفي عيسى، مجلة الثقافة، ع3، 1971م.

2. إبراهيم، نغم و حاجم، أسيل ، **مفهوم الإصلاح لدى علماء عصر النهضة وأثره في الثّورة الفرنسية جان جاك روسو نموذجا**، مجلة بحوث كلية الآداب، مج29، ع13، أفريل 2018م.

3. أحمد بت، فردوس، **أهمّية أدب الرحلات من النّاحية العلمية والتعليمية**، مجلة الفكر، مج2، ع2، مارس2016م.

4. أحمد، عبد الدايم، **الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين**، مجلة قراءات إفريقية تاريخية، ع21، سبتمبر2013م.

5.آيت حبوش، حميد، **أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني أنموذجا**، الحوار المتوسطي، مج2، ع1، مارس2010م.

6.بن عتو، بلبروات، **الداي محمد عثمان باشا وسياسته**، مجلة عصور، مج4، ع1، جوان2005م.

7. بلعمري، فاتح، **تلمسان ونواحيها سنة 1785م من خلال رحلة الرحالة ديسفونتين العلمية إلى الجزائر**، المجلة التاريخية الجزائرية، ع7/6، جانفي/ماي 2018م.

8.بموسى ،عبد القادر شريف، **الشرق بمنظار الغرب كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا**، مجلة فكر الثقافية، ع12، أكتوبر2015م.

9.بن بلة، خيرة، **حكام الجزائر في العهد العثماني من خلال الكتابات الأثرية**، مجلة آثار، مج11، ع2، ديسمبر2013م.

10. بن صحراوي، كمال، **أضواء على الاحتلال الاسباني لشمال افريقيا في العصر الحديث من خلال المجلة الافريقية**، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع25، 2018م.

11. بن عمر، كمال، **أدب الرحلات لدى أبي القاسم سعد الله بين الدراسة التاريخية والإبداع الأدبي**، مجلة مقامات، مج4، ع02، ديسمبر2020م.

12. بوباية، عبد القادر، **دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية** ، مجلة عصور، ع5/4، ديسمبر2003م/جوان2004م.

13. محمد الأمين بوحلوفة، **الجزائر العثمانية– سياسيا – في مذكرات القناصل البريطانيين، مذكرات اليزابيت بلانكلي بروغتون ابنة قنصل بريطانيا في الجزائر من 1806م– 1812م نموذجا**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 18، ع خ، ديسمبر2022م.

14. بوخالفة، إبراهيم، **الرحلة والآخرية**، مجلة حوليات، مج31، ع2، جوان 2017م.

15. بوزبوجة، سميرة، **الرحالة الأوروبيون في البلاد التونسية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج18، ع1، مارس2022م.

16. بوصيقع، سامية، **أهمية الرحلات في الكتابات التاريخية**، مجلة تاريخ العلوم، مج5، ع13، أوت2020م.

17. بوشنافي، محمد، **الداي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية(1818–1830)م**، مجلة عصور، مج4، ع1، جوان 2005م.

18. بوسبتة، محمد الصغير، **دور الاستخبارات الفرنسية في احتلال الجزائر(1830-1844)م**، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج1، ع3، جوان 2016م.

19. البيرق، عائشة، **الاستشراق والاستشراق الانجليزي أنموذجا**، مجلة المؤرخ المصري، مج10، ع58، أفريل 2021م.

20. تدرس، فاطمة الزهرة، **دراسة تحليلية لناصر الدين سعيدوني في رحلة الطبيب و عالم النبات الألماني ج.أو.هابنسترايت (J.E.Hebenstreit) إلى الجزائر عام 1732م**، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، مج1، ع2، جويلية2022م.

21. جديد، صالح، **أدب الرحلة جسر التواصل الحضاري والتعدد الثقافي قراءة في رحلات القدامى والمحدثين**، مجلة مقاربات، مج2، ع4، جانفي 2016م.

22. جغلولي، يوسف و تالي، جمال، **الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل(دراسة نقدية لبعض الأعمال الاستشراقية الفرنسية)**، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مج2، ع6، جوان2017م.

23. حبيدة، محمد، **الإصلاح الديني في التجربة التاريخية الأوروبية**، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع16، نوفمبر 2016م.

24. حمادي، عبد الله، **جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى**، مجلة الآداب، مج1، ع1، جوان 1996م.

25. حمودي، محمد، **صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي**، مجلة الحضارة الإسلامية، مج16، ع27، جوان2015م.

26. (ـــــ، ـــــ)، **صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحالة الألماني موريتس فاغنر**، مجلة الموروث، مج2، ع2، ماي2013م.

27. حمو، عبد الكريم، **دور المستشرقين في احتلال الجزائر**، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، مج5، ع9، ديسمبر 2011م.

28. خديم، أسماء، **منزلة العقل في فكر الأنوار**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج1،ع1، ديسمبر 2007م.

29. خميسي، سعدي، **الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي (رحلة الدكتور شو أنموذجا)**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج5، ع1، جوان2021م.

30. دباح، عائشة، **الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات" رحلة حسين الورتلاني أنموذجا"**، مجلة قضايا تاريخية، مج2، ع4، ديسمبر2017م.

31. دحماني، توفيق والعبيدي، صباح، **إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب**، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، مج4، ع10، جوان2017م.

32. درعي، فاطمة، **أعضاء البعثة الدبلوماسية الأوروبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الناصرية، مج10، ع01، جوان2018م.

33. (ـــــ، ـــــ)، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية(1789-1830)م**، الحوار المتوسطي، مج3، ع1، مارس2012م.

34. دعاشي، سميرة، **رحلة بونمان فرانسوا لويس من تقرت إلى غدامس ودورها في الكشف التجاري للصحراء**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج3، ع11، مارس 2017م.

35. دهان، سليمان، **الأبعاد غخالاجتماعية والاقتصادية لحركة البحرية الجزائرية خلال الفترة الحديثة**، مجلة الدراسات التاريخية، مج22، ع1، مارس2021م.

36. دين، قادة، **رحلة التمقروتي، النفحة المسكية، قيمتها التاريخية والعلمية**، دراسات تاريخية، مج10، ع1، أفريل 2022م.

37. راشي، نجوى، **تاريخ شمال افريقيا من خلال أدب الرحلات دراسة تاريخية في رحلة حانون القرطاجي**، دراسات تاريخية، مج10، ع1، أفريل2012م.

38. رحموني، نورة، **الرحلة والرحالة في الأدب الجزائري**، مجلة رفوف، مج07، ع02، جوان 2009م.

39. رحيم، سعد، **أدب الرحلات والشرق المفترض**، الحوار المتمدن، ع13، نوفمبر 2015م.

40. الرويعي، حيدر جاسم، **تطوّر مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج10، ع4/3، 2011م.

41. زيتوني، حمزة إسحاق، **القرصان الإنكليزي سايمون دانسر ودوره في تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية(1610-1628)م**، مجلة دراسات، مج9، ع9، ديسمبر 2018م،

42. الزين، محمد، **نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج5، ع2، ديسمبر 2012م.

43. الزاهي، فريد، **الممانعة والفتنة الجسد والذات والصورة(متخيل الرحلة السفارية إلى أوروبا)**، مجلة الكوفة، مج2، ع2، فيفري 2013م.

44. الزين، عبد الله، **التربية والتعليم في علم العمران البشري عند ابن خلدون**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع2، أكتوبر 2020م.

45. السبوعي، إلياس، **الرحلة مصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، مجلة العصور الجديدة، مج9، ع3، نوفمبر 2019م.

46. سعدي، خميسي، **الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي رحلة الدكتور شو أنموذجا**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج5، ع1، جوان 2021م.

47. سعيدوني، ناصر الدين، **الرحلات الاستكشافية- مقاربة فكرية وحضارية(الرحلات الأوروبية في الجزائر أنموذجا)**، قضايا تاريخية، مج1،ع3، سبتمبر 2016م.

48. سيدي محمد، رامي، **قراءة مقارنة في خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس**، مجلة القرطاس، مج5، ع1، جانفي 2018م.

49. شيبان، يمينة، **الجمعيات العلمية الجهوية ودورها في تأسيس المتاحف الأثرية بالجزائر خلال القرن19م**، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج7، ع1، جوان2021م.

50. شمخاوي، موسى إسماعيل و معتوق، جمال، **دور الرحالة الفرنسيين في تدعيم خلايا الاستعمار في الجزائر**، المجلة الخلدونية، مج1، ع11، نوفمبر2019م.

51. الصافي، محمد، **أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ رحلة ابن بطوطة أنموذجا**، مجلة آفاق للعلوم، مج5، ع4، سبتمبر2020م.

52. طاهري، عبد المالك، **الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة**، مجلة عصور جديدة، مج10، ع4، ديسمبر 2020م.

53. طوبال، نجوى، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700-1830)م- الهجرات وأماكن الإقامة-**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع1، جوان2013م.

54. ظمباء، محمد عباس، **دور الرحالة والمستشرقين والديبلوماسيين في سرقة المخطوطات من الوطن العربي**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج1، ع1، 2009م.

55. عبد المومن، محمد ، **مرسوم طرد الموريسكيين من مملكة بلنسية ومرسوم طرد الموريسكيين من سائر الممالك الاسبانية**، مجلة كان التاريخية، مج9، ع38، ديسمبر 2016م.

56. غازي، علي عفيفي، **كتابات الرحالة مصدر تاريخي**، المجلة العربية، ع262، 2018م.

57. العيد، فارس، **دور مدرسة فلورنسا النقدية في تطوير الدراسات التاريخية مع بداية عصر النهضة الأوروبية**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث و للدراسات المتوسطية، مج1، ع2، أكتوبر 2020م.

58. فارح، مجدي، **الثقافة الشعبية العربية في أعمال المستشرقين بين التزوير والتنوير**، مجلة حوليات التراث، مج12، ع12، سبتمبر2012م.

59. فروجي، صورية، **عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة(الجزائر أنموذجا)**، مجلة إنسانيات، مج19، ع67، مارس2015م.

60. فكاير، عبد القادر، **دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو عام 1571م**، مجلة مواقف، مج6، ع1، ديسمبر 2011م.

61. القشاعي، فلة، **وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله**، دراسات إنسانية، مج1، ع1، جوان2001م.

62. قرباش، بلقاسم، **العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي(1550-1620)م**، كان التاريخية، مج10، ع37، سبتمبر 2017م.

63. قندوز، عبد القادر، **المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741-1802)م**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج6، ع14، جوان 2018م.

64. كركار، عبد القادر، **الهجرة الأندلسية إلى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن الديمغرافي في العصر الحديث**، مجلس قبس، مج7، ع2، ماي2023م.

65. كساس، صافية، **الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي**، مجلة الممارسات اللغوية، مج2، ع4، ديسمبر 2011م.

66. كشرود، حسان، **بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين والدكتور توماس شاو**، قضايا تاريخية، مج2، ع6، جوان2017م.

67. الموسوي، مهدية، **أخبار ملوك فارس في كتاب حملة العشرة آلاف الأناباسيس(Anabasis) للمؤرخ الكلاسيكي زينوفون(430ق.م)**، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والإجتماع، ع15، ماي2016م.

68. مياسي، إبراهيم، **الصحراء الجزائرية من خلال الاكتشافات قبل وبعد الاحتلال**، مجلة المصادر، مج7،ع2، ماي2005م.

69. هلايلي، حنيفي، **القرصنة وشروط الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني** ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، أوت2017م.

70. (ـــــ، ـــــ)، **قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل**، الحوار المتوسطي، ع16/15، مارس2017م.

71. (ـــــ، ـــــ)، **الوضع الصحي العام في الجزائر(1830-1837)م**، الحوار المتوسطي، مج13، ع1، مارس2022م.

- **الأجنبية :**

2. Baïr, Houda, **les voyageurs-cartographes en Tunisie au XVIIIe et XIXe siècle**, journal édition, 2017.

3. Bibby, Miriam,**Thomas Dallam's visit to the Sultan of Turkey,** History Magazine, vol 26, N^{0}1, 2017.

4. Bornier ,Evelyne, **Brahimi Denise,Voyageurs dans la Régence de Tunis, XVIe-XIXe siècles**, Carthage : éditions Cartaginoiseries, Alabama, 2008.

5. Boyer, Pierre, **les renégates et la marine d'alger**, R.O.M M, N° 44, 1985.

6. CRESTI, Federico, **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVIe siècle**, R.O.M.M, N°43, 1984.

7. (—,——), **Alger a la Période Turque observations et se structure Sociale,** R.O.M.M, N° 44, 1987.

8. De la Tejera ,Don Vicnete Moreno, **Diario db Viaje a Oriente, argel, Napoles, Pompeya y el Vesubio, Cilicia, Grecia, el Archepielago, Turquia y Egipto**, calle del meson de pardes, rgall 34, N100, Madrid.

9. De groot, Alexander, **Ottoman North African and the dutch Republic in the Seventeenth and Eiglenth Centuries**, R.O.M.M, N^{0}39, 1985.

10. Elina Gugliuzzo, **etre Esclave a lepoque Moderne**, Cahier de la Méditéranne, T87, 2013.

11. Frémeaux, Jacques, **Pierre Montagnon: La Conquête de l'Algérie, les Germes de la Discorde 1830-1871**, R. F. d'Histoire d'Outre Mer, T 75, N°281, 1988.

12. HAEGEL,Vincent, **Le Marquis de Clermont Tonnerre, Ministre de la Guerre, et le Renforcement de l'Armée Française sous Charles X (1825-1828)**, R.H.A, T73, 2013.

13. KLAIN, Henri, **Bombardment de Lord Exmouth en 1816**, Les Feuillets d'El-Djezaïr, Vol R.

14. Le Roy, Christian. **Une Excursion à Leptis Magna en 1732 (CIL VIII**, 1, 11, Bulletin de Correspondence Hellénique,Vol 100, livr 1, 1976.

15. MAHMOUD, Ammar ,Hamid Siham, **Charles Maurice de Talleyrandand his Political role in France1797-1799** ،Journal of Tikrit University for Humanities,vol 29, T10, 2022.

16. NORDMAN, Daniel, **Jean-André Peyssonnel, Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger** , A, E. S.V, 43^{e} Année, N° 6, 1988.

17. RAYNAL ,Thomson Ann, **Venture de Paradis et la Barbarie**, Dix-Huitième Siècle, N°15, 1983.

18. SAREIL, Jean ,**A propos de Jean-André Peyssonnel (1694-1759**, Dix-huitième Siècle, Le Sain et le Malsain, N°9, 1977.

19. Surun, Isabelle, **L'Exploration de l'Afrique au Sixe Siècle : une Histoire pré Coloniale au regard des Postcolonial Studies**,open édition, N°32, 2006.

2. TAUXIER, Henri, **Le Périple d'Hannon et la Découverte du Sénégal**. In: Le Globe. Revue Génevoise de géographie, T 6, 1867.

3. ZIZI, Zehor, **Thomas Shaw au Proche-Orient**, **1721-1722 : élucidation et Défense des Textes** sacrés. In: XVII-XVIII, Revue de

la Société d'études Anglo-Américaines des XVIIe et XVIIIe Siècles. N°67, 2010.

6.الأطروحات والرسائل الجامعية

1. الإمام، رشاد، **سياسة حمودة باشا(1782-1814)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: فلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، د، س، ن.

2. ابراهيم، بن عمار، **الاستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط**، أطروحة دكتوراة في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران2، وهران، 2019م.

3. الأشرف، صالح حمد، **الاستشراق مفهومه وآثاره، كلية الشريعة**، قسم الثقافة، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، السعودية، 2016م.

4.آل سيد الشيخ، سعاد، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات**، أطروحة دكتوراة في التاريخ، تخ: التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران1، وهران، 2021م

5.بكري، حمزة، **المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرّحالة المغاربة في القرنين 17م و18م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التّاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021م.

6. بلعمري، فاتح، **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ، تخ: المدينة والحياة الحضرية والغرب الإسلامي، كلية الآداب والحضارة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017م.

7. بليل، رحمونة، **القناصل والقنصليّات الأجنبية بالجزائر العثمانية (1564-1830)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تخ: تاريخ الجزائر الحديث

والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران،2011م.

8. بليل، وداد، **الترجمة في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي(1830-1962)م**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: أدب حديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017م.

9.بن سعيدان، محمد ، **علاقات الجزائر مع فرنسا(1070/1170-1659/1756)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، غرداية، 2012م.

10. (ـــــ، ـــــ)، **التطوّرات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017م.

11. بن عتو، حمدون، **الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني(1518-1830)م من خلال كتب الرّحالة والجواسيس ورجال الدّين الكتابات الفرنسية والإسبانية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: التّاريخ الحديث والمعاصر، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017م.

12. بوجلال، مسعودة، **الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير مابين(1875-1792)م من خلال المدوّنات الفرنسية: المجلة الافريقية(R.A) ونشرية وهران الأثرية والجغرافية(B.S.G. A.O) دراسة بيليوغرافية تحليلية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2020م.

13. بولصباع، وهيبة، **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18)م**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث

والمعاصر، تخ: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير خلال العهد العثماني، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014م.

14. جبور، يامنة، **صورة الجزائر في عيون الأجانب**، أطروحة دكتوراة في الأدب العربي، تخ: الدراسات الأدبية والحضارات الإسلامية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م

15. حساني، عثمان، **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،2007م.

16. حسيني، الطاهر، **الرّحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014م.

17. حيمر، صالح، **التّحالف الأوروبي ضدّ الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدّولية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م.

18. خشمون، حفيظة، **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2007م.

19. خطاب، فطوم، **التّحالف الأوروبي وتجدّد العلاقات الجزائرية الفرنسية(1830/1800)م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: الديبلوماسية والعلاقات الدّولية خلال

القرنين التاسع عشر والعشرين، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015م.

20. رحموني، عبد الجليل، **اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية(1520-1830)م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016م.

21. روباش، جميلة، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: أدب جزائري قديم، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م.

22. زكريا، العابد، **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007م.

23. سعيدي، خير الدين، **المجاعات والأوبئة خلال العهد العثماني(1700-1830)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2019م.

24. الشافعي، درويش، **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسّط مع إسبانيا خلال ق10هـ/16م**، رسالة ماجيستير في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، غرداية، 2011م.

25. شلابي، يمينة، **الرحلات المغربية إلى الجزائر في العهد العثماني(دراسة مقارنة)**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة باتنة1، 2021م.

26. شوقي، عبد الكريم، **الاستخبارات الجزائرية من 1492م إلى 1830م**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016م.

27. موزو، عز الدين، **الضّباط الفرنسيون الاداريون في إقليم الشّرق الجزائري إرنست مرسييه أنموذجا**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، تخ: تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م.

28. مختار، ناير، **التجارة البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة**، أطروحة دكتوراه علوم، تخ: تاريخ قديم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، 2018م.

29. صغير، عبلة، **السلطة والمجتمع الجزائري نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م من خلال المصادر الأوروبية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021م.

30. ضيف الله، فاطمة الزهراء، **التاريخ الاسلامي من منظور الاستشراق الإنجليزي لويس برنارد أنموذجا**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، تخ: التأويلية والخطاب، كلية الآداب واللّغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2020م.

31. قرباش، بلقاسم، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تخ: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016م.

32. هلايلي، حنيفي، **النّظام الحربي للجزائر خلال العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى 1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخ: التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، سيدي بلعباس،2004م.

7.المعاجم والقواميس

- **العربية:**

1.إبراهيم، مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، د ط، دار الدعوة، ج1، د. ب. ن، 1989م.

2. ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، د ط، دار المعارف، مج4، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، د. س. ن.

3.البستاني، بطرس، **محيط المحيط**، د ط، مؤسسة مطبوعاتي، مج8، طهران، د. س. ن.

4. بن زكريا، أبي الحسن أحمد، **مقاييس اللغة**، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مصر، 1979م.

5. الفيروز أبادي، أبو طاهر نجم الدين، **القاموس المحيط**، د ط، دار الجمل، ج3، بيروت، د. س. ن.

6. النجفي، حسن، **القاموس الاقتصادي**، د ط، مديرية المطبعة المحلية، العراق، 1977م.

7. يعقوب، إميل بديع و عاصي، ميشال، **المعجم المفصّل في اللغة والأدب** (صرف، نحو، بلاغة، عروض...)، ط1، دار العلم للملايين، مج1، بيروت، 1987م.

- **الأجنبية:**

1. La Rousse, **Dictionnaire Encyclopédique illustré** , Librairie la Rousse, Paris, 1997.
2. Bibliographie Universelle**, Ancienne et Moderne T I V**, Madame C. Desplaces et Michaud, Paris, 1854.
3. SIX, George, **Dictionnaire Biographique des Généraux et Amiraux Français de la Révolution et de l'Empire : 1792-1814**, Librairie Historique et Nobiliaire, T1, Paris, 1934.

الفهارس العامة

1. فهرس الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين (16م/17م)	111
02	الرحالة وتخصصاتهم	116
03	سنوات الوباء وفترات تواجد الرحالة –	119
04	المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقّل–	164
05	المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل–	170
06	المناطق التي زارها الرحالة –	174
07	المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقّل–	178
08	المناطق التي زارها الرحالة ووسيلة التنقل –	183
09	المناطق التي زارها الرحالة –	185
10	فترة زيارة الرحالة وتخصّصاتهم ومدّة إقامتهم–	190
11	تخصّصات رحالة القرن 18م–	194
12	سنوات الوباء وفترات تواجد الرحالة –	197

2. فهرس الخرائط

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
01	خط سير الرحالة الدكتور شاو	158
02	خط سير الرحالة بايسونال	163
03	خط سير الرحالة ديفونتان	168
04	خط سير الرحالة القس بواري	173
05	خط سير الرحالة دي باراداي	177
06	خط سير الرحالة هابنشترايت	182

3. فهرس الأعلام

– أ –

ابن منظور..... 22

الفيروزي أبادي..... 22

البستاني..... 22

ابن فارس 23

المسعودي..... 25، 32، 267

الإمام الغزالي..... 26

ابن حوقل..... 32، 111،48

ابن فضلان 32

ابن سعيد..... 34

الأندلسي..... 34

أبو الفداء..... 34

القزويني.....34

ابن بطوطة..... 34، 41، 34، 288

ابن خلدون..... 34، 37،38، 44، 278

الطهطاوي..... 36

الفاسي..... 25، 26، 36، 192 267

أبو العباس أحمد المقري..... 37، 42

يحيي النايلي..... 37

ابن العربي.....37

ابن رشيد..... 38

العبدري..... 38

التجيبي..... 38

أبو عبد الله محمد التلمساني..... 42

أمفريفيل..... 104

إدوارد سبراغ.....94

ادوارد وليم لين..... 49

المكناسي.....42

أحمد بن عمار..... 42

ايزابيلا..... 45، 69، 70، 101

العلج علي..... 84

إكسموث..... 89، 262، 327

أندريا دوريا..... 91، 246

ألفارو دو بازان..... 91

إدواردو سبراجي..... 92

أوشولد روسلا..... 109

المغيلي الأندلسي..... 110

التمقروتي..... 110

إدوارد أليس..... 112

أغسطس الثاني..... 124،175

إدوارد سـعيد .....132، 133، 136
139 142، 190، 224، 239

أندري نوشي 149

إرنست كاريت..... 12، 152، 157
164 168، 179، 242، 279

البارون توت..... 171

أوغسطين الثالث 177

إيريس..... 178

إيفان تشرنيتشيف..... 180

ابن زاكور الفاسي..... 25، 192

الداي أحمد..... 203
ألبرت بدي..... 212
إيف لاكوست..... 220
إرنست مرسييه..... 120، 221، 227، 299
ألفونس دو لامارتين..... 229
أندري لاراني..... 236
ألفرد نيتمنت..... 252

- ب -

بلوتارك..... 30
بطليموس..... 30، 66، 183، 184
بن بطلان..... 32
بايســـونال.... 7، 9، 39، 50، 122، 123
124، 127، 128، 140، 155، 156
156، 157، 158، 159، 164، 182
183، 185، 186، 188، 189، 191
201، 219، 220، 226، 241، 245
246، 267، 289، 299، 308، 309
بيير دان....42، 45، 50، 87، 110، 150
بيتي دو لاكروا..... 45، 83، 104
بيدرو نافارو.....90
بول كلوديل..... 95
باولو جيوفيو..... 79، 97، 98
100، 107، 108، 111، 115
بيير ستروزي..... 99
بـــــواري..... 7، 123، 124، 160، 166
167 168، 195، 250، 303، 315
بارك..... 127
بينـــــون..... 127،11 155، 156، 157
159، 246
بروس 128
بيرنوي..... 178
بن عبد الله الفاسي..... 192
بيير هولان..... 205، 318
بيرج 206
بوتان.. 69، 207، 208، 209، 210 217،
221، 224، 229، 230، 233 239،
249، 250، 252، 256، 257 321، 326
بكري.....233
بوشناق..... 233

- ت -

توماس اليوت.....27
تيري هينتش..... 43
تومـاس دالام .....45، 100 101، 107
111، 112
تومـاس شـاو ....11، 37، 50، 52، 58،59
60، 67، 70، 73، 85 ، 88، 122، 128
129 130، 141، 149، 150، 151
152، 153، 154، 155، 172، 176
181 183، 184، 186، 189، 191، 192
193، 195، 196، 214، 217، 219
221، 222، 226، 227، 228، 237،
239، 240، 241، 242، 243، 245

246، 291، 303، 307، 308، 310
311، 316، 325
تشارلز الثاني..... 83
توماس آلان..... 94
تورفيل 104
تومـــاس هيـــز.....105، 107
110، 111، 116
تيودور بانت..... 112
تامبل 128
تييري هنتش..... 133
تيدور فازيلوفيتش تومانسكي..... 181
تاليران..... 203
تيبوا تانفيل..... 205
توماس روبير بيجو..... 214

- ج -

جاك مكارثي..... 41، 73
جان لوران دالمبير..... 53
جون بول سارتر..... 63، 64
جون أريال.....63
جيرونيمو فيانيلي..... 71
جيمس الأول..... 93
جوبير..... 136، 143، 223
جان شارل زكار..... 143
جوزيف براون..... 152
جوزيف كوك .....172، 241
جيروم..... 207، 238
جان دو مارتيناك..... 213
جان رينال..... 247
جون كلود فاتين..... 254
جول كامبون..... 257

- ح -

حسين محمد فهيم..... 26، 29، 32، 45
حيرام..... 36
حانون القرطاجي..... 30
حســـن الـــوزان .....36، 100،56،
108، 109 ،111، 162
حسان بن خير الدين..... 100

- خ -

خمينيث دي ثيسنيروس..... 90
خير الدين بربروسا..... 73، 90، 52
75، 100، 115
خوان بريغانتين..... 91

- د -

دو لاكوندامين..... 39
ديفونتان..... 39، 129، 150
161، 162 163، 191، 299
دون فينيت دي لا تيجيرا..... 60
دوغرامـــــــون... 73، 76، 79، 88، 103
110، 177
دو مندخار..... 91
دو بوفور..... 92، 93
ديستري..... 93، 104

دي كيرسي..... 124، 162
دانيال نوردمان..... 128
دو لامــال..... 128، 149، 151
156 157، 163، 164، 244
دو ساسي....139، 141، 142 143، 224
دو بيانشي..... 141، 143
دينيس براهيمي..... 200
دوفـــال..... 89، 209،114
223، 233، 235، 236
دو لابروتونير..... 215
دو لايل 241
دو بورمون..... 248، 253، 257

– ر –

روبرت بلايك..... 92
روبيرت مانسيل..... 94
ريتشارد ستيل..... 112
رينيه كاييه..... 127، 211، 213، 214
321، 322، 323، 324
ريتشارد بوكوك..... 152
ريفيناس..... 175
روبرت غراي..... 212
راؤول توني..... 216
روبير أجيرون..... 254

– ك –

كلود سافاري..... 27
كوسينوفون..... 30
كريستوف كولومبوس..... 33
كارستن نيجور..... 30
كولـبير..... 102، 103، 104
120، 121، 143
كيرسي..... 124، 137، 162
كارتمير 139
كليرمونت دوتونير..... 139

– ل –

لودفيكو دي فارتيما..... 38
لوجي دو تاسي..... 47، 50، 83، 128
156، 182، 186، 191
لورينزو دي باديليا 70
لويس الثالث عشر..... 92، 105، 139
لـويس الرابـع عشر..... 54، 92، 93، 106
121، 134،122، 139، 143، 177 236،
280
لامبير فيرهور.....95
لخضــر بوطبــة..... 7، 10، 11، 129
158 266، 267
ليمونييه..... 161، 163
ليسييغ..... 205
لوسيت فالنسي..... 159، 219
لويس التاسع..... 231
ليونارد ماسون..... 234
لورانس براون..... 240

– م –

ماركو بولو..... 33
محمد الثالث .....45، 101، 112
مـارمول كاربخـال .....7، 50، 79 ،96، 98
107، 109، 111، 149، 162
ميشيل دو رويتر.....95
محمد البهي.....134
مارك أوريل..... 139
ماري أنطوانيت..... 142
ماريا تيريزا..... 142
مورقان..... 148
مارسيقلي..... 155
محمد بن حسن..... 194
مارتن لوثر كينج..... 219
ميشيل ساليناس..... 251

- ن -

نوشي أندري..... 47
نيكولاس أندرو..... 82
نيكولا دي نيكولاي..... 79، 107، 111
ناصر الدين سعيدوني.... 6، 7، 9، 13، 15
39، 40، 41، 42، 75، 76، 98، 111
122، 123، 129، 133، 146، 151
152، 155، 156، 157، 161، 164
174، 176، 178، 229، 255، 267
287
نابليون.....2، 18، 134، 136، 139
141 142، 143، 163، 168، 171
172، 184، 202، 203، 205، 206
208، 210، 221، 223، 229، 236
237، 238، 267، 262، 319

- ص -

صـــلاح الـــدين الشـــامي..... 32، 47، 32
48، 60،187 ،216

- ع -

عبد الله حمادي..... 27، 87
عبد الباسط خليل الظاهري..... 36
علي ابراهيم النملة..... 132
عثمان بك الأشقر..... 139
عبد الرزاق ابن حمادوش..... 192

- غ -

غويلفورد دادلي..... 99
غابرييل لوتز..... 100
غيوم ديلايل 156

- ف -

فرانك ميشيل..... 27
فاسكو دي غاما..... 33
فرناندو ماجلان..... 33
فريديريك أوغست.....40
فرانتيسكو خيمينيث..... 43
فولني..... 43
فـــونتير دي بـــارادي..... 45، 50، 171
223، 246

فرانسيس بيكون..... 65
فرديناند..... 69، 70
فرناند بورديل..... 81
فيليب الثاني..... 91، 123
فديريكو كريستي..... 107
فريديريك مايتشل..... 130
فريديريك ديلتش..... 130
فرانجون..... 145
فوريستر.....12، 167
فرجينيس..... 170
فيليب لوكاس..... 254

– ق –

قفريقـوفيتش كوكوسـتوف..... 144، 179
180، 186

– س –

سليمان السيرافي..... 31، 41
سلام الترجمان..... 31
ستانلي بول..... 72
سايمون دانسر.....84
سيلفيو بيكومين..... 92
ساندويش..... 94
سانت آموند 104
سافارار.....104
سمايلوفيتش..... 132، 133

– ش –

شـارلكان..... 67، 70، 73، 78، 79 ،91
98، 108، 109، 248، 255، 257، 327
شارل أندري جوليان 72، 73، 75، 89، 162
شـوفالييه..... 86، 102، 103، 107
110 111، 115
شارل الثاني..... 94
شـارل العاشـر...18، 140، 210، 215
223، 235، 240، 253، 256، 262 281
شالر..... 89، 141، 318
شارل فيرو..... 251
شابرول كروزيل..... 210

– هـ –

هيرودوت..... 19، 29، 30، 32، 250
هوميروس..... 30
هيملكون..... 30
هابنشـترايت 7، 9، 11، 13، 39، 76 ،98
122، 123، 124، 129، 144، 150
174، 175، 176 ،177، 178، 186
187، 188 189، 191، 193، 196
201، 226 227، 228، 242، 298، 299
هنري داغيز..... 84
هنري الثاني.....99
هانوتو..... 134
هامر برجشتال..... 145
هايدو..... 149
هيد دي نوفيل..... 213

- و -

وليام رايت.....32

وليـــام ليثغـــو.....41، 101، 102، 107 111، 115

وليام هاربون..... 112

- ي -

ياقوت الحموي..... 34

يوحنا غوته..... 61

يوحنا غوتنبورغ..... 64

4. فهرس الأماكن

- أ -

أرزيو..... 154، 165، 174

إسبانيا..... 55، 56، 58، 60، 69، 70 71، 78، 79، 82، 85، 90 91، 94 97، 98، 99، 128،145 176، 178 199، 201، 204 207، 241، 242 243، 255 256، 277، 287، 296 298، 310

إسكتلندا..... 99، 102

آسيا..... 144

إفريقيا..... 30، 36، 41، 55، 56، 57 62، 63، 65، 69، 70، 72، 73، 78 79، 85، 87، 90، 98، 99، 121، 124 126، 128، 129، 130، 138، 144 150، 151، 156، 162، 163، 171 175، 176، 180، 182، 183، 187 193، 203، 212، 214، 219، 220 221، 237، 238، 240، 245، 251 252، 262، 268، 274، 279، 281 282، 287، 290

الأمم المتحدة..... 67

الأندلس..... 28، 38، 44، 69، 71 87، 91، 199، 256، 273، 276، 277

البرتغال..... 38، 52، 54، 55، 85، 235

البليدة..... 154، 165، 174، 179

البويرة..... 179

التيطري..... 153

الجزائر....21، 22، 26، 27، 34، 35 37، 38، 39، 40، 41، 42، 47، 48 51، 52، 53، 54، 57، 59، 60، 62 63، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83 84، 85، 87، 88، 89، 90، 91، 92 93، 94، 95، 96، 97، 98، 100، 101 102، 103، 104، 105، 106، 107 108، 109، 110، 111، 113، 114 115، 116، 118، 119، 122، 123 124، 126، 128، 131، 134، 136

137، 138، 140، 141، 142، 143
146، 147، 148، 149، 150، 151
152، 153، 154، 155، 156، 157
158، 160، 161، 163، 165، 166
167، 170، 171، 172، 173، 174
175، 176، 177، 178، 179، 180
181، 182، 183، 184، 186، 187
188، 190، 191، 193، 194، 195
196، 197، 198، 199، 200، 201
202، 203، 204، 205، 206، 207
208، 209، 210، 211، 213، 214
215، 217، 218، 219، 221، 222
223، 224، 225، 226، 227، 228
229، 230، 231، 232، 233، 234
235، 236، 237، 238، 239، 240
241، 242، 243، 244، 245، 246
247، 248، 249، 250، 251، 252
253، 254، 255، 256، 257، 258
259، 261، 262، 263، 264، 265
267، 268، 271، 272، 273، 274
275، 276، 277، 278، 279، 280
281، 282، 283، 286، 287، 288
289، 290، 291، 292، 293، 295
296، 297، 298، 299، 310، 312
313، 317، 320، 322، 324، 328
329، 331، 332، 335، 336، 337

الحبشة..... 31، 55، 127
الحجاز..... 41، 42
الدنمارك..... 38
الدولة العثمانية..... 72، 73، 75، 76
77، 90، 94، 101، 180، 224، 231
233، 277
السنغال..... 31، 124، 175، 213
السودان..... 212، 263
السويد..... 67، 243، 250
الشام..... 38، 58، 128، 150
الشلف..... 165
الشّمال الإفريقي..... 61، 73، 203
القالة.....150، 154، 160، 166، 167
169، 170، 179، 185، 195، 196
234، 246، 324
القسطنطينية 100، 102 103، 112، 170
ألمانيا..... 39، 61، 64، 70، 76
98، 122، 123، 129، 144، 150، 178
201، 235، 245، 246، 249، 268
288، 289
المحيط الأطلنطي..... 30، 55
المدية..... 148، 179
المرسى الكبير..... 71، 90، 176
المغرب الأدنى..... 74

المغرب الإسلامي.... 35، 36، 41، 44 63، 69، 70، 71، 74، 86، 87، 90 91، 123، 138
المغرب الأقصى..... 36، 72، 169 170، 213، 281
المغرب الأوسط... 69، 70، 90، 96، 256
النمسا..... 145، 202، 256
النيجر..... 127
الهند الشرقية..... 43، 57
أم البواقي..... 143، 160، 296
أمريكا..... 54، 68
إنجلترا..... 36، 56، 64، 67، 68، 81 83، 85، 93، 94، 99، 101، 110 112، 120، 127، 132، 147، 150 176، 183، 192، 203، 204، 210 211، 214، 222، 232، 233، 236 255، 256، 263، 335
أوروبا..... 33، 35، 36، 44، 49، 51 52، 53، 54، 55، 58، 59، 60، 61 62، 63، 65، 66، 67، 68، 70، 71 72، 75، 78، 81، 82، 88، 89، 90 96، 102، 106، 120، 121، 123، 124 131، 132، 133، 138، 145، 146 156، 162، 167، 168، 175، 192 202، 209، 216، 219، 221، 223 224، 227، 231، 232، 234، 238 240، 242، 250، 261، 274، 276 277، 278، 280، 282، 283، 290 335
إيرلندا..... 41
إيطاليا..... 54، 56، 57، 59، 61، 67 68، 69، 81، 82، 84، 87، 91، 97 108، 145، 148، 205، 207، 233

– ب –

باريس....36، 103، 105، 126، 136 138، 139، 142، 156، 163، 167 170، 193، 203، 206، 210، 212 222، 235
بايلك التيطري..... 148
بايلك الشرق.....114، 127، 136، 152، 167، 172، 238، 271، 292
بايلك الغرب..... 148
بجاية..... 94، 100، 101، 183، 324
بريطانيا..... 126، 127، 202، 204، 207، 214، 224، 232، 233، 287
بريكة..... 154
بسكرة..... 32، 174، 298
بني ميزاب..... 154، 174
بوسعادة..... 154
بولندا..... 39، 124، 175

بونة..... 92، 154، 160، 166
167، 169، 170، 173، 174، 180
181، 184، 185، 217

- ت -

تامنفوست..... 209
تبسة..... 154، 160
تلمسان... 42، 47، 69، 70، 86، 91
98، 101، 163، 165، 169، 170، 184
190، 213، 287، 297
تمبوكتو..... 127، 211
توات..... 126، 213، 278، 291، 327
تومبكتو..... 213
تونس..... 72، 73، 74، 76، 77، 79
94، 98، 103، 104، 109، 115، 120
123، 124، 128، 129، 130، 136
147، 151، 155، 157، 161، 162
163، 164، 169، 170، 172، 175
176، 177، 180، 188، 211، 219
225، 226، 231، 241، 246، 247
255، 257، 268، 278، 280، 281
282، 297، 311
تيبازة..... 154
تيو بونديا..... 122، 175

- ج -

جبال الأطلس..... 217، 229
جبال الأوراس..... 154، 160
جرجرة..... 154، 166
جندل..... 179
جيجل..... 73، 92، 93، 154، 174

- ح -

حصن الانجليز..... 248، 249
حصن الباستيون..... 166، 195، 204
حلق الوادي..... 71

- د -

دالام..... 45، 100، 101، 107
111، 112
دلس..... 101، 174، 324
دوفيني..... 99
دي سيفر..... 212

- ر -

روسيا..... 41، 97، 144، 163، 175
180، 181، 202، 224، 238

- ز -

زريبة الوادي..... 154
زواوة..... 154، 173

- س -

ساكسونيا..... 39، 124، 175
سان سولبيس..... 100، 203
سرت..... 217

سطيف..... 154، 160
سور الغزلان..... 179
سوريا..... 151
سيدي فرج..... 209، 244، 246، 248
249، 251، 253، 257
سينلوي..... 212

- ش -

شرشال..... 71، 91، 93، 129
154، 247، 248، 324
شمال أوروبا..... 30

- ط -

طبرقة..... 160، 166، 170، 179،
245، 246
طرابلس..... 71، 104، 124، 162، 175
176، 177، 231
طرابلس الغرب..... 71، 124، 176
طولقة..... 154

- ع -

عنابة،.....100، 157، 179، 181، 234
عين البرج....155، 156، 157، 160، 161

- غ -

غدامس..... 217، 234، 289

- ف -

فاس..... 34، 213
فرنسا.....39، 42، 54، 56، 58
63، 68، 79، 82، 83، 91، 92، 93
100، 103، 104، 120، 122، 126
131، 132، 134، 136، 139، 143
147، 155، 161، 170، 171، 180
193، 202، 203، 204، 206، 207
208، 209، 210، 211، 213، 214
215، 221، 222، 224، 228، 230
231، 232، 233، 234، 235، 236
237، 238، 239، 241، 242، 245
246، 247، 248، 250، 251، 254
255، 256، 259، 263، 264، 274
296، 331، 336، 22
فلسطين..... 103، 145
فونتانبلو..... 105
فيينا..... 88، 142، 145، 202

- ق -

قالمة..... 115، 179، 298
قرطاج..... 30، 129
قسنطينة..... 27، 34، 39، 41، 42، 74
77، 87، 101، 114، 120، 122، 123
127، 136، 149، 151، 153، 166
170، 171، 173، 174، 178، 179
195، 208، 227، 245، 271، 272
274، 275، 277، 296، 297، 298، 299

- ل -

لامارك..... 101

لندن.. 101، 125، 127، 142، 152، 248

لوروبوترو..... 207

ليون..... 122، 145، 162

- م -

مازونة..... 154

مالطا..... 207

متيجة..... 154، 165، 166، 174
179، 227

مدريد..... 145

مرسيليا..... 84، 122، 155، 158
160، 170، 175، 191، 245

مروانة..... 160

مصر... 38، 43، 49، 52، 56، 67، 73
88، 127، 134، 136، 143، 144، 150
168، 171، 172، 202، 203، 208
210، 211، 213، 222، 224، 239
256، 271، 273، 274، 275، 276
277، 279، 280، 282، 283 300

معسكر..... 54، 153، 165، 174، 188
220، 234، 300، 311

مكة..... 31، 41، 273

مليانة..... 154، 165، 179

موزاييه..... 213

مونبولييه..... 122، 155

- هـ -

هولندا..... 54، 94، 105، 145، 171

- و -

وادي ريغ..... 154

وادي ميزاب..... 149

وامري..... 179

ورقلة..... 28، 154، 297

وهران.... 29، 42، 69، 71، 73، 74
90، 132، 147، 154، 165، 174، 177
227، 255، 295، 296، 299، 315

ويسب..... 105

الملاحـق

.

ملحق رقم 01: صورة لميناء الجزائر عام 1575 رسمها براون جورج(1541-1622)[1]

تبيّن مدى اعتراف الدّول الأوروبية بقوة الإيالة الجزائرية

مكتوب على جانب الصورة الأيمن: مدينة الجزائر أقوى المدن الاسلامية، بُنيت في مقاطعة نوميديا بإفريقيا، واجهت إسبانيا وانضمت إلى الأمير العثماني

[1] Biblioteca Nacional de Espana, https://www.bne.es/es

ملحق رقم02: خريطة رسمها الدكتور شاو لإيالتي تونس والجزائر[1] توضّح توغّله في جميع المناطق وصولا إلى أقصى الجنوب كماهو موضح في " الطوارق"، مبيّنا التقسيمات السياسية البايلكات والمناطق التابعة لها بوضع الرمز الروماني الذي يقابل التسمية في أسفل الصورة (الجزائرI قسنطينةII معسكر بباي التيطريIII)

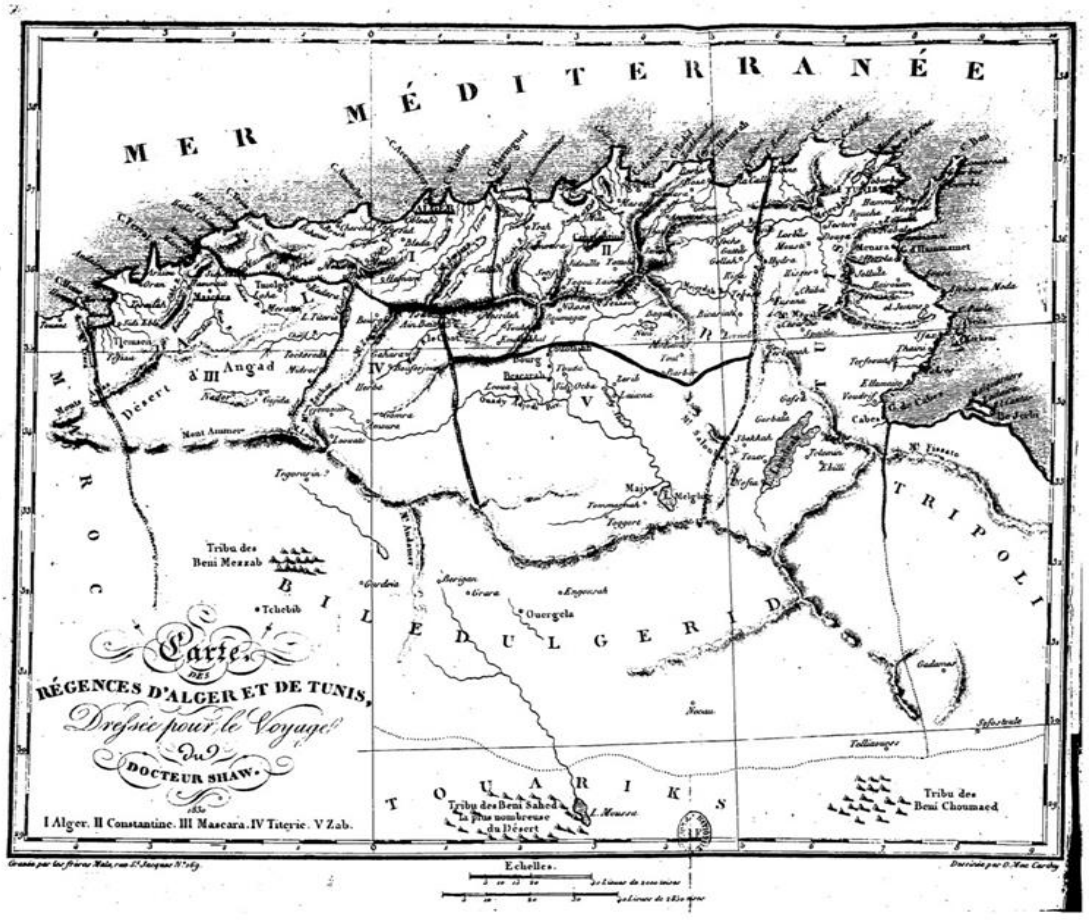

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1]Thomas Shaw, **voyage de régence d alger**…,**op.cit**, p3.

ملحق رقم03: خريطة الجزء الشرقي من إيالة الجزائر(1700-1799)م رسمها الدكتور شاو[1]

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1] Thomas Shaw, **Carte de la partie orientale du royaume d'Alger**, [s.n.], 1700-1799.

ملحق رقم04: خريطة للجزء الجنوبي لمملكة الجزائر[1]

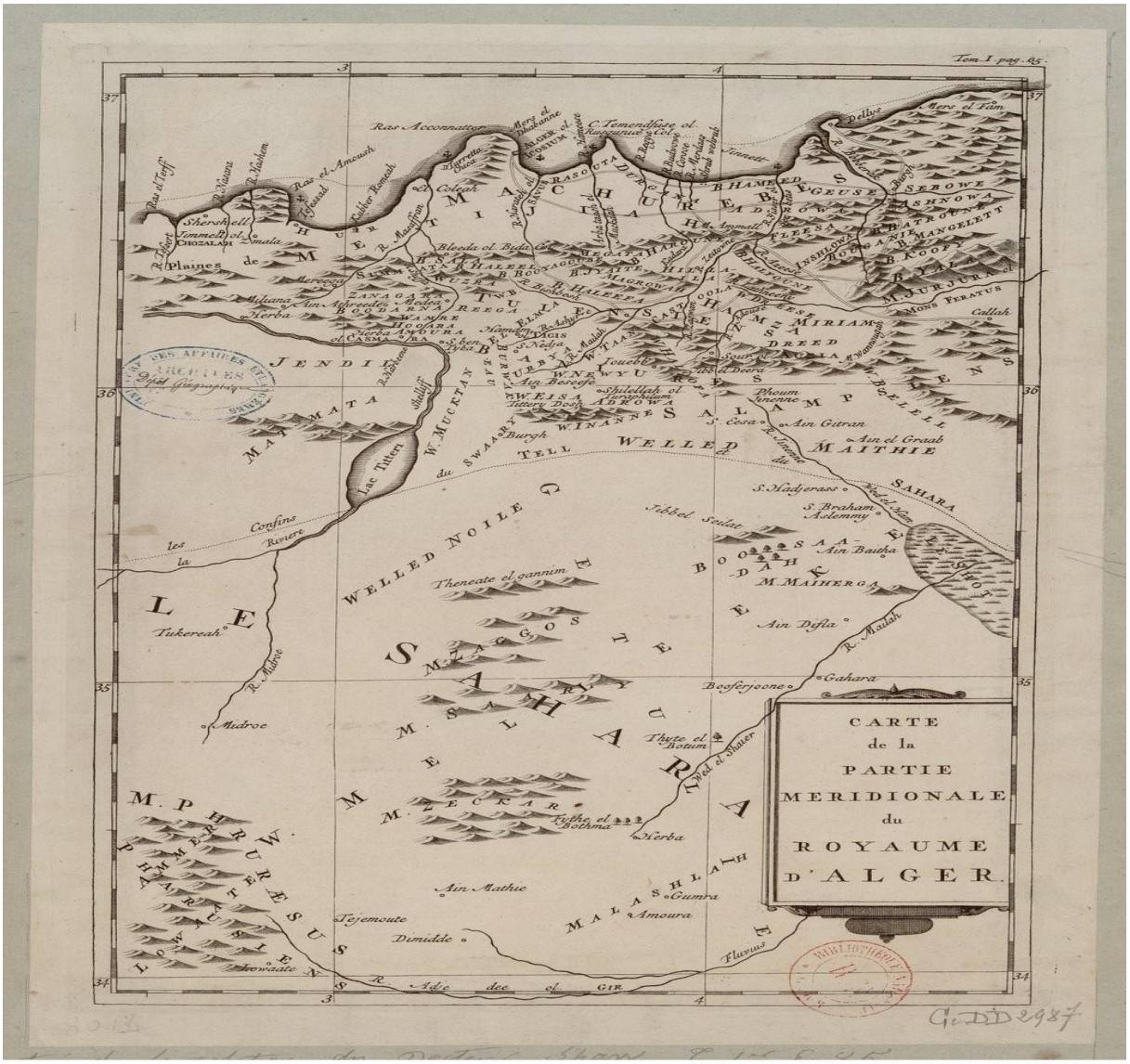

[1] Thomas Shaw, **Carte de la partie méridionale du royaume d'Alger**, [s.n.], 1700-1799.

ملحق رقم05: بورتريه للدكتور شاو ، رسمه جون كورنر عام 1788م[1]

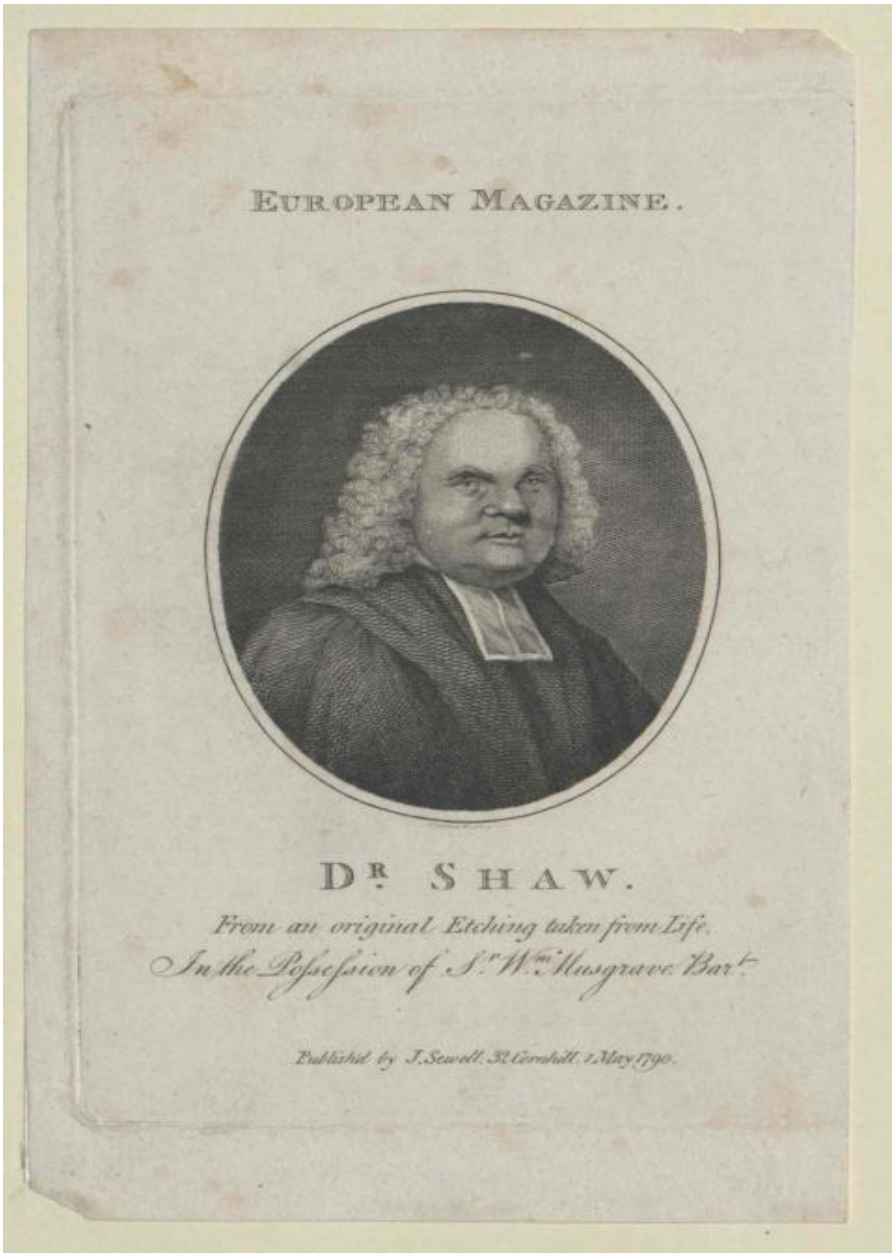

[1]https://www.europeana.eu/

ملحق رقم06: ساحل وهران بيد توماس شاو[1]

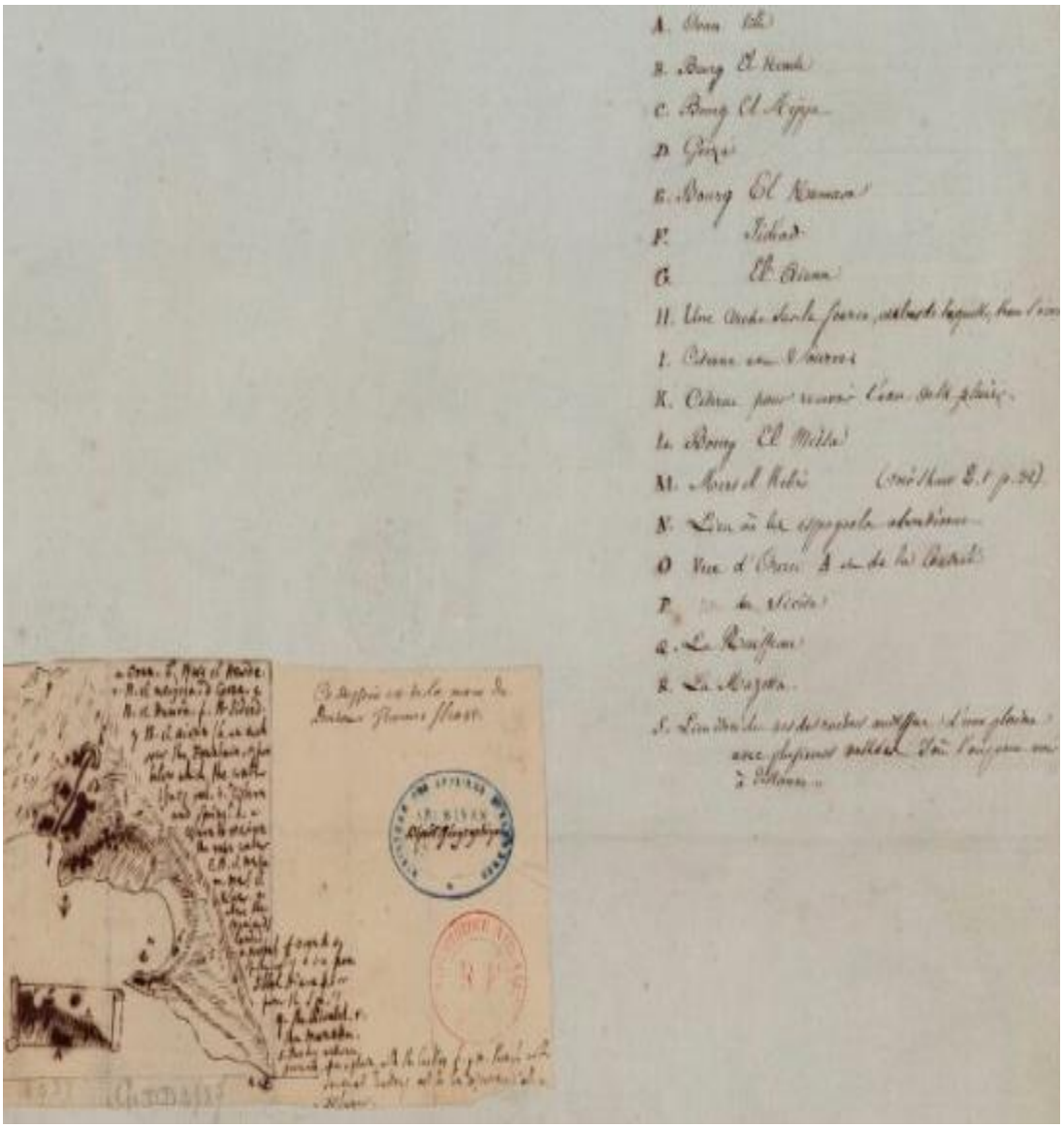

[1] Thomas shaw**, Oran / de la main du Docteur Shaw**, 1730. https://gallica.bnf.fr/

ملحق رقم07: بورتريه للرحالة بايسونال نقشه الفنان إتيان بيسار(Etienne Bissar) من مجموعة صور المكتبة المركزية بباريس 1759[1]

[1] Jean-André Peyssonnel (1694-1759), cliché M.-F. Dumont-Heuser, https://gallica.bnf.fr/

ملحق رقم08: وثيقة تبيّن طبيعة المرجان الحيوانية التي اكتشفها بايسونال في إيالة الجزائر، وراسل بها الجمعية الملكية، تحت رقم ms1035[1]

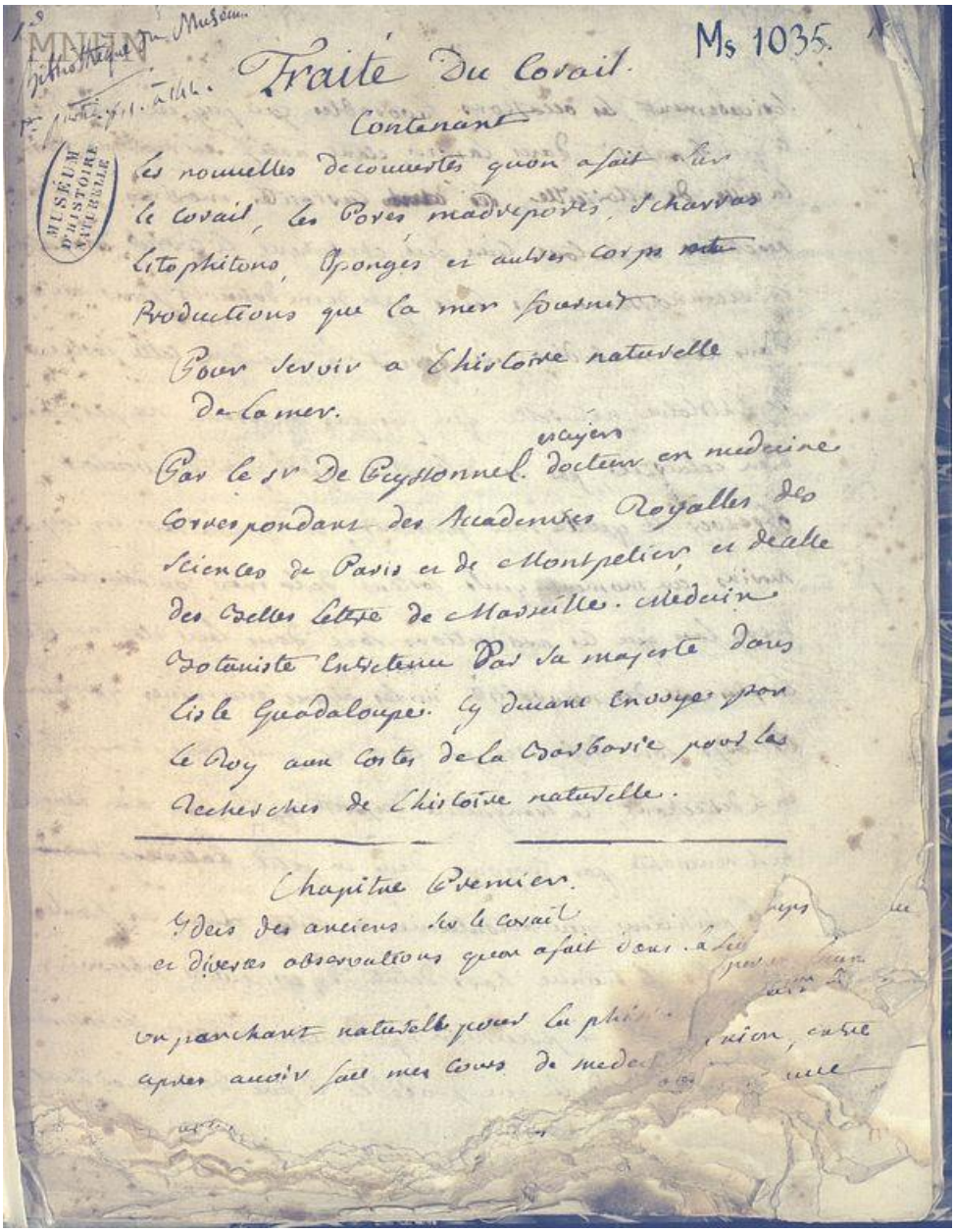

[1] https://gallica.bnf.fr/

ملحق رقم09 : بورتريه لرينيه ديفونتان [1]

[1] Jean-Marc Drouin, **Collecte, observation et classification chez René Desfontaines (1750-1833),** Le Muséum au premier siècle de son histoire,1997,p263.https://books.openedition.org

ملحق رقم10: بورتريه للقس بواري رسمه أمبرواس تارديو Ambroise Tardieu عام 1823م[1]

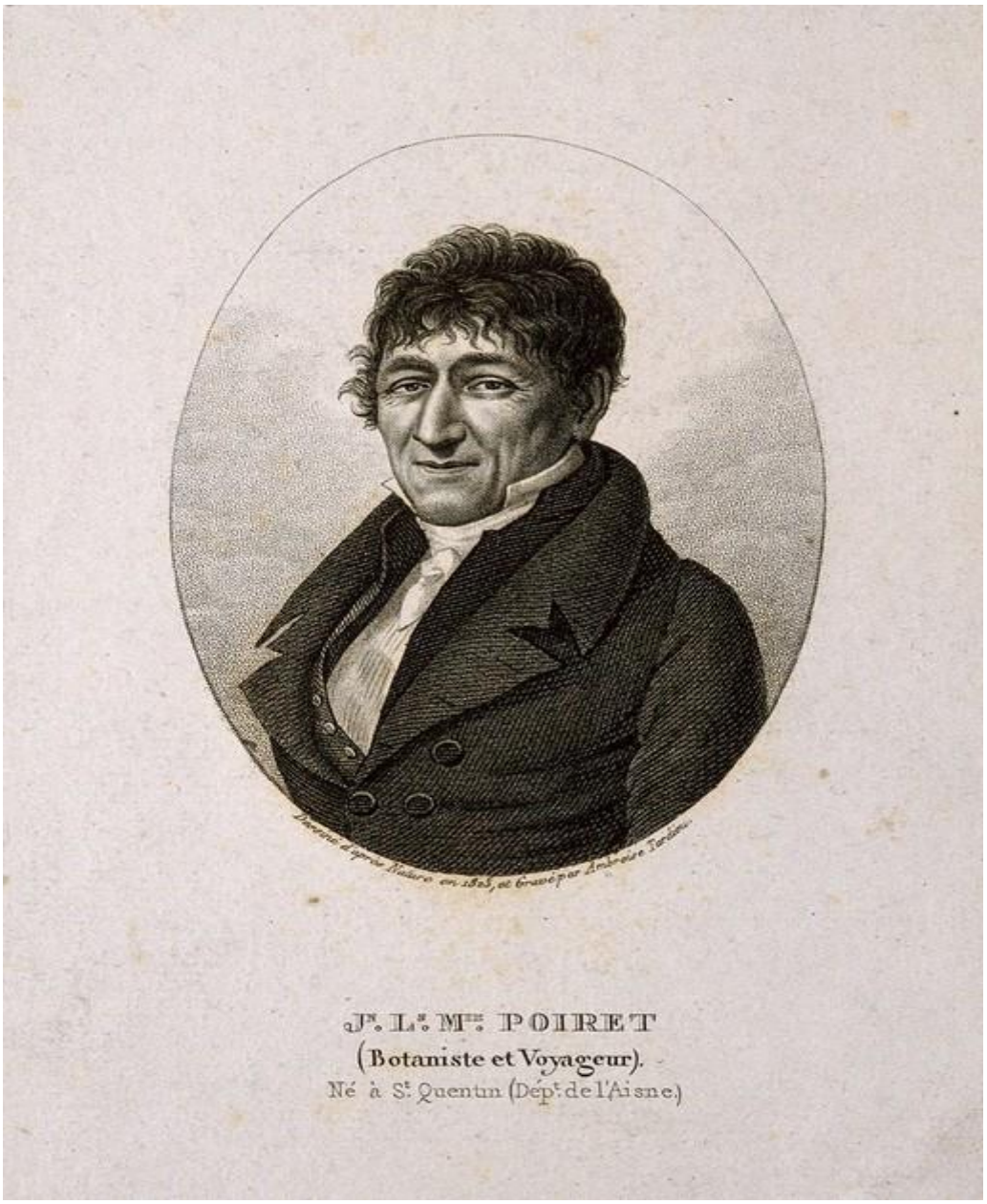

[1] https://www.europeana.eu/

ملحق رقم 11: مقارنة بين خريطتين لميناء مدينة الجزائر وضواحيها خلال القرن 17م و18م

- مخطط لميناء الجزائر خلال القرن 17م[1]

خريطة 02: خارطة لميناء الجزائر وضواحيها رسمها الدكتور شاو[2]

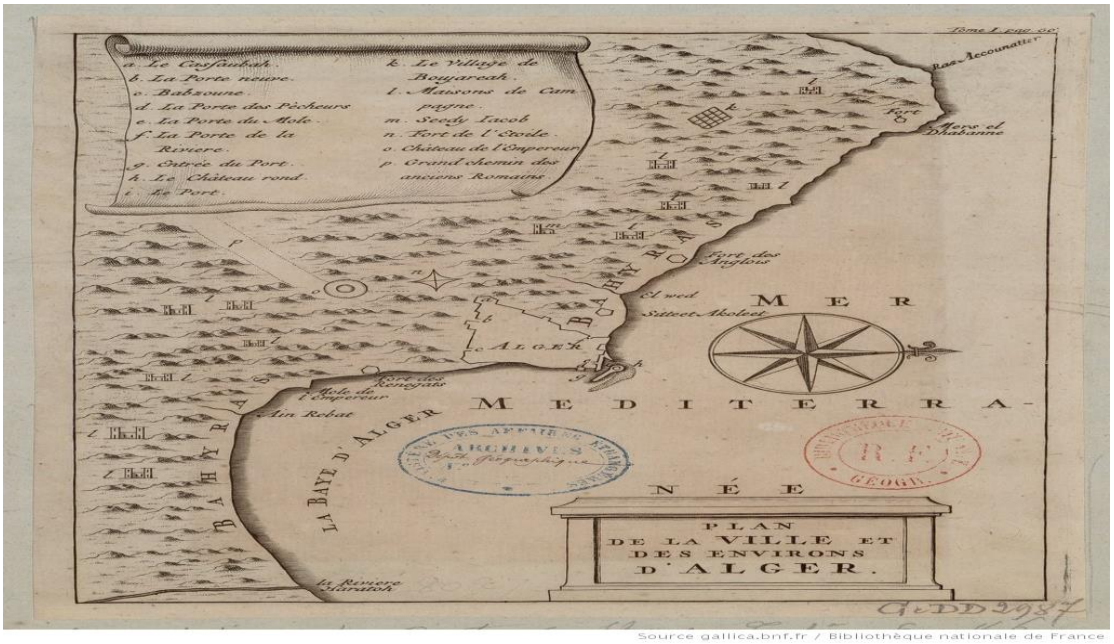

[1] Alger Régence d' – Côtes, **Division 5 du portefeuille 106 du Service hydrographique de la Marine consacrée aux cartes de Bougie jusqu'à Alger**]

[2] Plan de la ville et des environs d'Alger, [s.n.], 1700-1799, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE DD-2987 (8027).

ملحق رقم 12: بورتريه للضابط بيير هولان[1]

[1]Unbekann**, Pierre Augustin Hulin**, Kupferstich- Kabinett, französisch, 1796/1815. https://www.europeana.eu/

ملحق رقم13: صورة مرسومة لهولان مع داي الجزائر، رسمها شالرز ماومنت(Charles Moment)[1]

[1]photo (C) RMN-Grand Palais (musée des châteaux de Malmaison et de Bois-Préau) / Gérard Blot

ملحق رقم14: استياء الضابط هولان من معاهدة تيليست بين نابليون بونابرت وبروسيا [1]

يشتكي المؤلف من سلام تيلسيت ، بين نابليون وبروسيا ؛ كما يتحدّث الكاتب باستخفاف عن السياسة الروسية

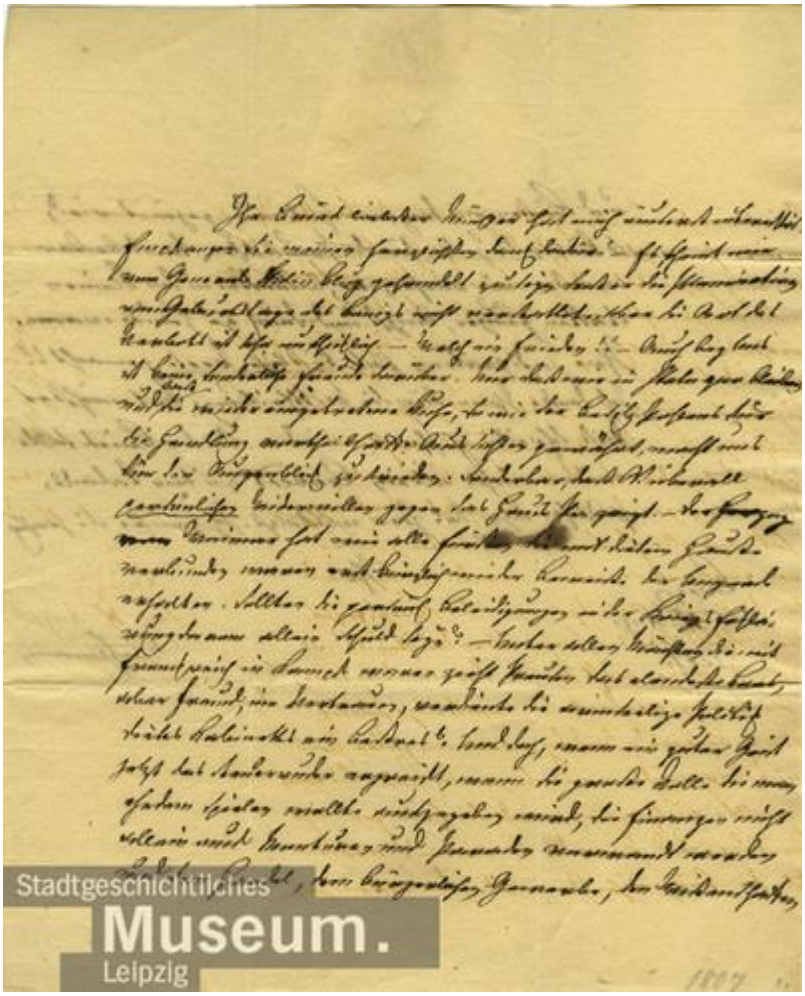

[1] Pierre Augustin Hulin**, lettreA/904/2008.**berlin**.** . https://www.europeana.eu/

ملحق رقم15: خريطة الجزائر وضواحيها رسمها فنسنت بوتان(1772-1815)م[1]

النص المرفق بالخريطة:

يحوي هذا النص على معلومات شاملة لإيالة الجزائر:

- وصف لمدينة الجزائر وضواحيها وأبراجها وتحصيناتها- المدن والموانئ الجزائرية المهمة(القل ، القالة، بجاية، دلس، شرشال، رأس تنس...) -المعطيات المناخية والطبيعية - الامكانيات العسكرية لحكومة الباي- المعطيات الاجتماعية (السكان، اللغة، الأمراض والأوبئة) - المعطيات الطبوغرافية (التضاريس الطبيعية، الطرق، المسافات، المياه، الأنهار)، الخطة العسكرية للهجوم (مكان وتوقيت الانزال البحري، الجيش الضروري للحملة)

[1] Vincent boutin ,**Plan d'Alger et de ses environs / d'après Boutin**, Darmet jeune, paris, 1830. https://gallica.bnf.fr/

ملحق رقم16: بورتريه لرينيه كاييه[1]

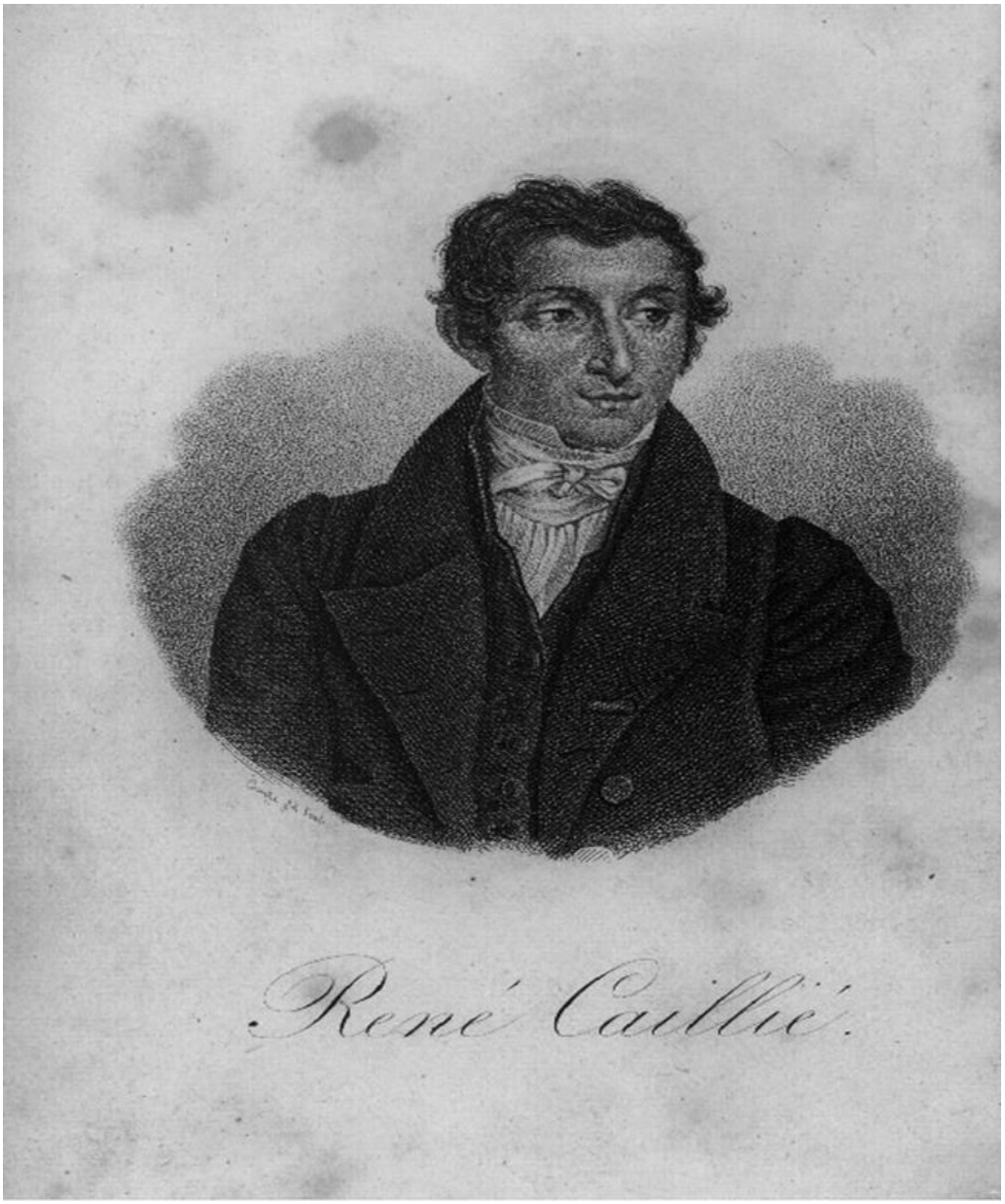

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1]Louis François Couché **, [Illustrations de Voyage à Temboctou et à Jenné, dans l'Afrique Centrale, précédé d'observations faites chez les Maures Braknas, les Nalous et d'autres peuples, pendant les années 1824, 1825, 1826, 1827, 1828]**, Paris, 1830, pnp.

ملحق رقم**17:** صورة لشهادة ميلاد رينيه كاييه[1]

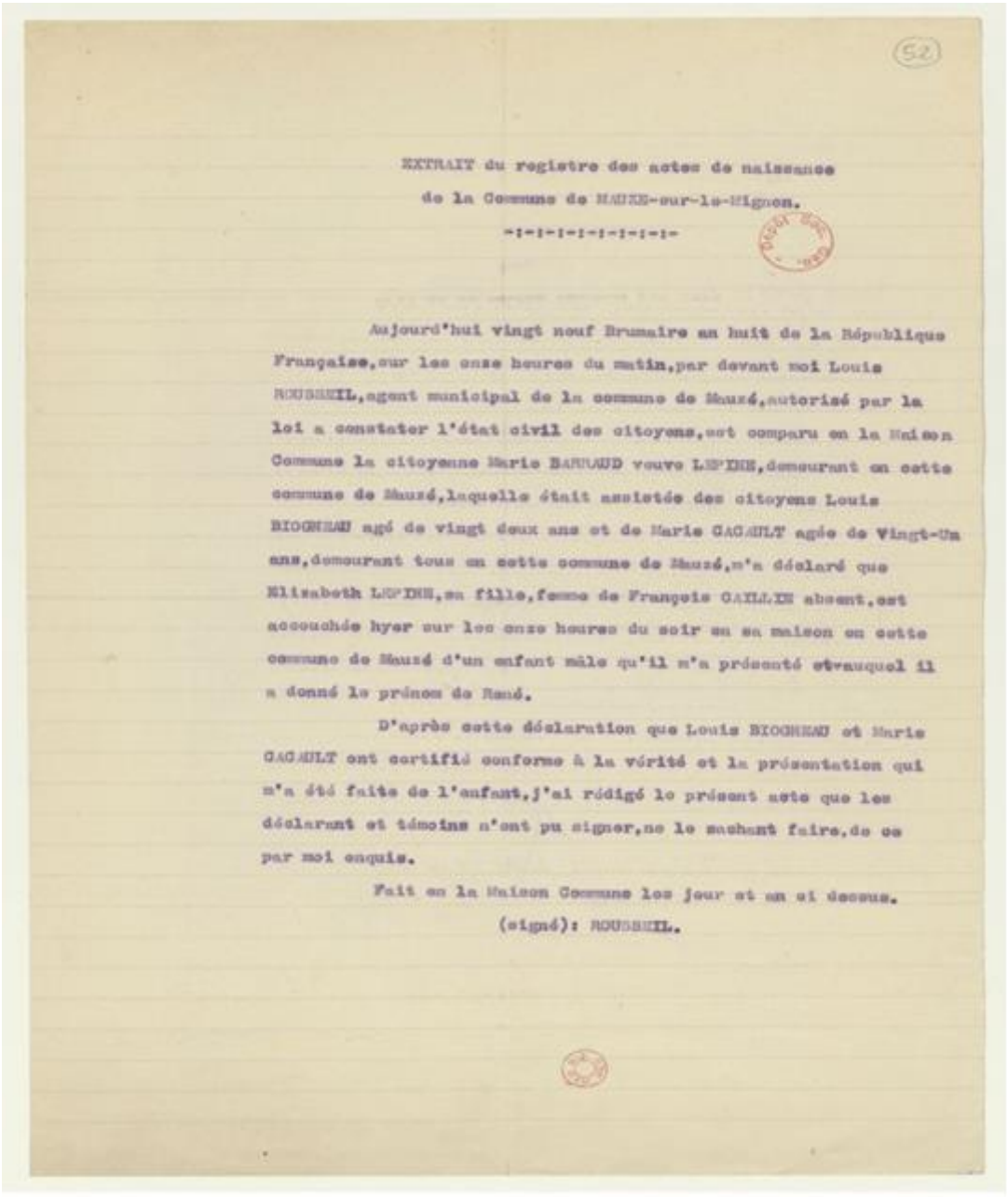

(52)

EXTRAIT du registre des actes de naissance
de la Commune de MAUZE-sur-le-Mignon.
-:-:-:-:-:-:-:-:-

Aujourd'hui vingt neuf Brumaire an huit de la République Française,sur les onze heures du matin,par devant moi Louis ROUSSEIL,agent municipal de la commune de Mauzé,autorisé par la loi a constater l'état civil des citoyens,est comparu en la Maison Commune la citoyenne Marie BARUAUD veuve LEFEBE,demeurant en cette commune de Mauzé,laquelle était assistée des citoyens Louis BIOCHEAU agé de vingt deux ans et de Marie GAGAULT agée de Vingt-Un ans,demeurant tous en cette commune de Mauzé,m'a déclaré que Elizabeth LEFEBE,sa fille,femme de François CAILLEE absent,est accouchée hyer sur les onze heures du soir en sa maison en cette commune de Mauzé d'un enfant mâle qu'il m'a présenté etrauquel il a donné le prénom de René.

D'après cette déclaration que Louis BIOCHEAU et Marie GAGAULT ont certifié conforme à la vérité et la présentation qui m'a été faite de l'enfant,j'ai rédigé le présent acte que les déclarant et témoins n'ont pu signer,ne le sachant faire,de ce par moi enquis.

Fait en la Maison Commune les jour et an ci dessus.

(signé): ROUSSEIL.

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1] extrait dactylographié de l'acte de naissance de René Caillié, [René Caillié]. Archives de la Société de géographie et documents donnés par sa petite-fille, Mme Deyber, Paris, 1828, p52.

ملحق رقم18 : خط سير رينيه كاييه، وواضح من خلال خط الرحلة أنه زار توات وعين صالح[1]

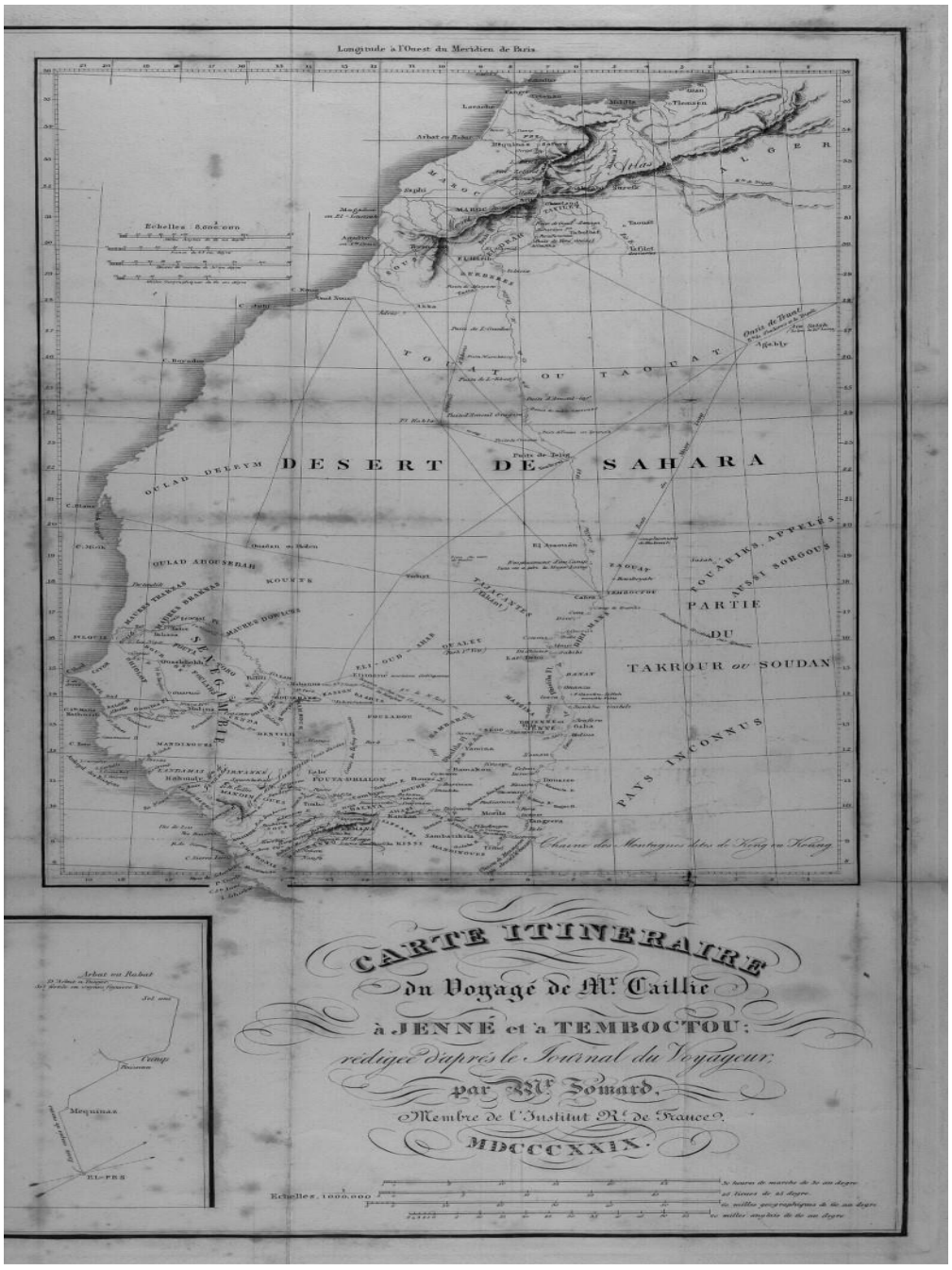

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1] Louis François Couché **, op.cit,** ppn.

ملحق رقم19 : خريطة الجزائر والمغرب رسمها رينيه كاييه[1]

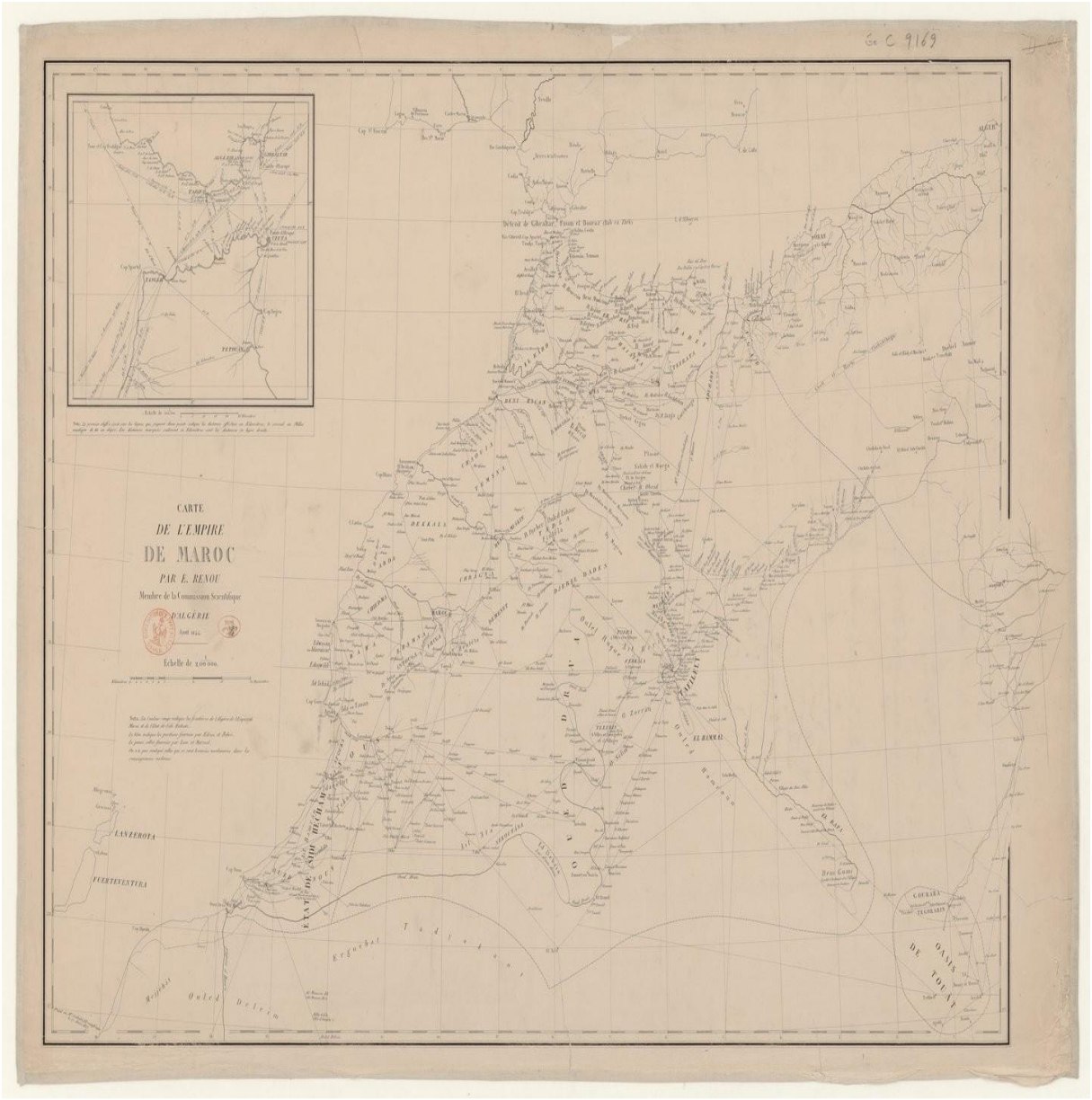

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1] René Caillié, **Carte de l'Empire de Maroc / par E. Renou, membre de la Commission scientifique d'Algérie**, Paris..1844,

ملحق رقم20: مقارنة بين خريطتين طبوغرافيتين لإيالة الجزائر:

الخريطة رقم 01: رسمها الدكتور شاو عام 1730م[1]

الخريطة رقم 02: رسمها فانسان بوتان عام 1808م[2]

[1]Thomas show, **Carte de la partie orientale du royaume d'Alger**, sn, 1700-1799.
[2] Vincent boutin**, Plan d'Alger et de ses environs / d'après Boutin**, Darmet jeune, Paris, 1830.

الملحق رقم21: الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830م[1]

[1] **Argel am1830**, officiana regia litografica, Bibliotica de espàna

ملحق رقم22: خريطة إيالة الجزائر التي تم استخدامها في استخبارات عمليات البعثة[1]

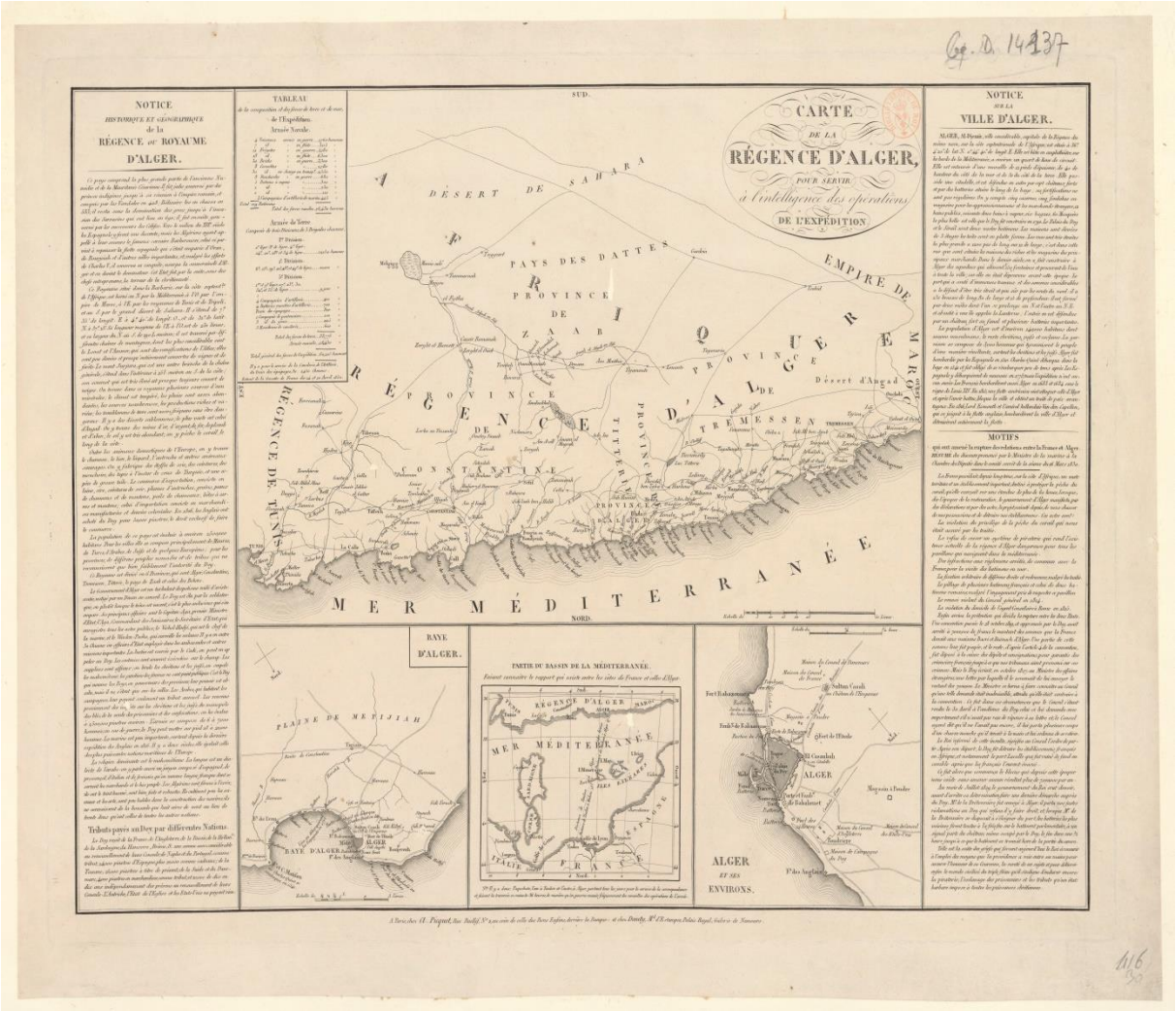

[1] على جانبي الخريطة تم وضع وصف لمدينة الجزائر ولعلاقاتها مع الدول الأوروبية، ووصف مقدار الإتاوات والهدايا التي كانت ترسل لأجل تحقيق الاتفاقيات أو سلام سير السفن أو لتحرير الأسرى، وعلى الجانب الآخر وصف فشل الحملات التي وجهت ضد الجزائر ابتداء من حملة شارلكان عام 1541م الفاشلة وصولا إلى حملة اللورد إكسموث الناجحة عام 1816م، وتم التحدث أيضا عن قضية الديون وحادثة المروحة والتجاوزات التي حصلت في حق فرنسا، التي اضطرت إلى الغزو لحماية شرفها وشرف حكومتها. للمزيد ينظر:

Picquet Charles, Dauty et Rauret**, Carte de la Régence d'Alger pour servir à l'intelligence des opérations de l'Expédition**, https://www.europeana.eu/.

ملحق رقم23: ميناء الجزائر وحصونه في مواجهة الحملة الفرنسية عام 1830م[1]

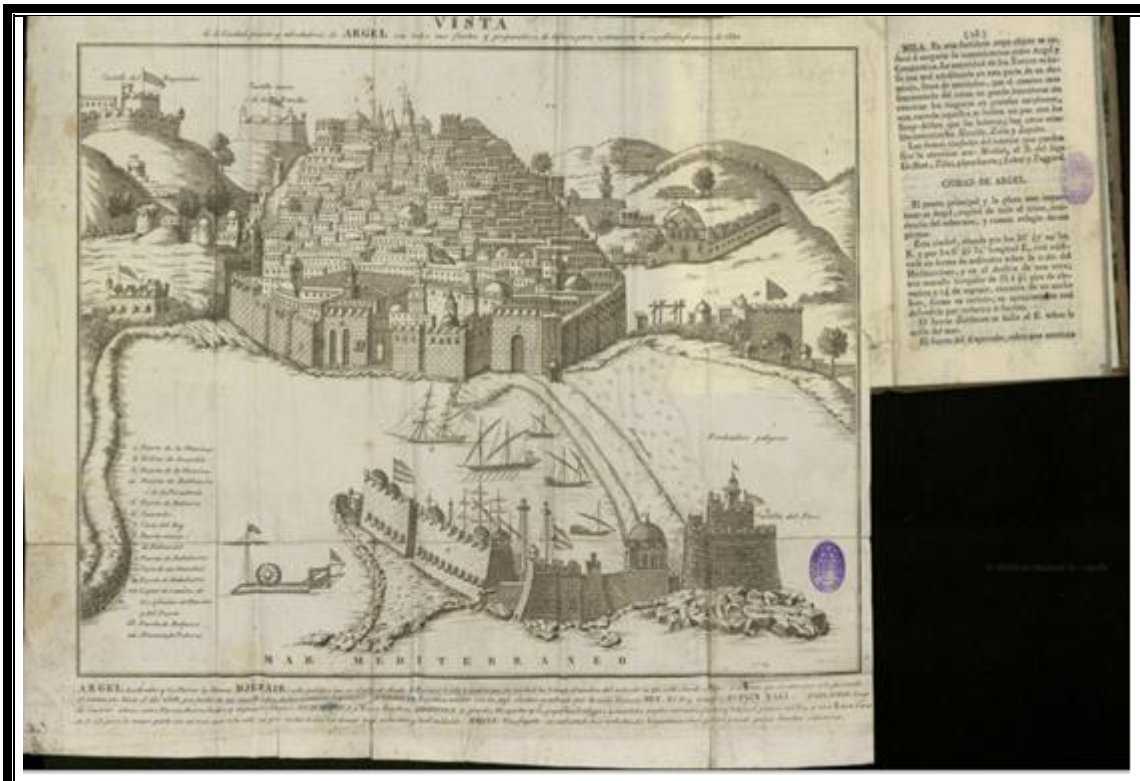

1.حصن البحرية	5. قلعة باب عزون	9. بوابة بابالويتا
2. حارس الدفاع	6. الثكنات	12. مكان اجتماع لضباط البحرية. والميناء
3. بوابة البحرية	7. منزل الداي	13. مستودع البارود.
4. بوابة باب عزون	8. بوابة بابا يريد	

[1]في أسفل الرسم يعرفون مدينة الجزائر : يسميها العرب والأتراك الجزاير ، تشير هذه الكلمة وهي بصيغة الجمع العربية إلى (الجزيرة)، وهي جمهورية عسكرية مع رئيس منتخب ليس أكثر وهو الداي، يسمى الداي بحسين باشا، بها 50000 بين الأتراك واليهود والمور والمسيحيين، المباني والمساجد تبنى على طابقين أو ثلاث مع تراسات على السطح، والشوارع ضيقة ما عدا شارع واحد عريض، جميع المباني ضيقة وسيئة العناية، أما البحرية فهي اثنان من الطرادات، اثنان من السفن الشراعية، وخمسة مركبات وحوالي خمسة عشر ممرا. ينظر:
B. I. Bercazú, **Argel :noticia topográfica é histórica del reino y de la ciudad**, op.cit, p16

فهـرس الموضوعـات

مقدمـــــة..... ...أ
أولاً- التَّعريف بموضوع البحث:..... 1
ثانياً- دواعي اختيار الدِّراسة:..... 3
ثالثاً- أهداف الدِّراسة:..... 4
رابعاً- الإطار الزّمكاني للدراسة:..... 4
خامساً- إشكاليَّة الدِّراسة:..... 5
سادساً- مناهج الدِّراسة:..... 6
سابعاً- الدِّراسات السَّابقة:..... 7
ثامناً- خطة الدِّراسة:..... 19
تاسعاً- الصعوبات:..... 21

الفصل التمهيدي: الرحلة (المفاهيم والدلالات)

1- تعريف الرحلة..... 24
1.1.لغــة:..... 25
2.1. اصطلاحا..... 27
2.بدايات الرحلة في التراث الغربي والعربي..... 31
1.2. في التاريخ القديم:..... 32
2.2. في العصر الوسيط:..... 36
3.2. في العصر الحديث:..... 38
3.أنواع الرحلات..... 40
1.3. الرحلة العلمية:..... 40
2.3. الرحلة الاستطلاعية:..... 43
3.3. الرحلة الدينية:..... 45
4.3. الرحلة الرسمية:..... 46

4.أهمية الرحلة.....49
1.4. الأهمية التاريخية والجغرافية:.....49
2.4. الأهمية الاجتماعية والثقافية:.....51
3.4.الأهمّية السياسية والاقتصادية:.....53
الفصل الأول: الأوضاع في أوروبا وإيالة الجزائر والرحلات الاستطلاعية نحو الإيالة خلال القرنين (11/10هـ – 17/16م)
المبحث الأول: الأوضاع في أوروبا خلال القرنين (16–17)م.....56
1. عصر النهضة وانبعاث المدنيّة الأوروبية:.....57
2.التطوّرات الدينية والاجتماعية:.....70
3.التوغّل خارج حدود القارة الأوروبية:.....73
المبحث الثاني: الأوضاع في إيالة الجزائر خلال القرنين (16–17) م 76
1.انضواء جزائر بني مزغنة تحت الراية العثمانية:.....76
2.النشاط البحري للإيالة الجزائرية:.....82
3.الحملات الأوروبية الموجّهة ضد إيالة الجزائر:.....94
3.3.الحملات الانجليزية والهولندية:.....98
المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية نحو إيالة الجزائر (17/16)م..... 100
1.الرحلات الاستطلاعية ودوافعها خلال القرنين السادس والسابع عشر 100
2. قراءة في رحلات القرنين (16–17)م من حيث (الطبيعة– التخصص– الظروف البيئية).....111
ملخص الفصل :.....121
الفصل الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية ودوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر خلال القرن 18م
المبحث الأول: دوافع تغلغل الرحالة الأوروبيين داخل الجزائر 123

1.عصر التنوير وتشكّل الأكاديميات العلمية والجغرافية والأثرية: 123
2-الاستشراق وأهمّ الدوافع والمعايير والمدارس 135
المبحث الثاني: الرحلات الاستطلاعية الأوروبية نحو الجزائرخلال القرن 18م 150
1.نماذج من الرحلات الاستطلاعية الوافدة للجزائر:.....151
المبحث الثالث: قراءة في رحلات القرن 18م من حيث (طبيعة الرحلة- التخصّص - الظروف البيئية).....189
خلاصة الفصل:.....200

الفصل الثالث: الرحلات الاستطلاعية الأوربية خلال القرن 19م ومساهمة رحلات القرنين(18-19)م في التمهيد لاحتلال مدينة الجزائر

المبحث الأول: الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م والطابع الاستطلاعي التجسّسي 202
1.الفرق بين رحلات الاستطلاع و رحلات الاستخبار(الجوسسة): 203
2. نماذج من الرحلات الاستطلاعية خلال القرن 19م الوافدة إلى الجزائر 205
3. علم الجغرافية وتأثيرها على وصف رحالة القرن19م 220
المبحث الثاني: علاقة الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين(18-19)م بالتوسّع الاستعماري 222
1 .أثر الرحلات الاستطلاعية في تيسير المدّ الاستعماري:..... 223
2. الرحالة المستشرقون وخدمة الاستعمار:..... 225
3. كتابات الرحالة و بناء المشاريع الاستعمارية..... 229
المبحث الثالث: الرحلات الاستطلاعية خلال القرنين(18-19)م ومساهمتها في الغزو الفرنسي للجزائر 235
1.فرنسا ودوافع الحملة العسكرية على مدينة الجزائر..... 235
2.مراسلات الرحالة خلال القرنين(18-19)م حول مواقع الإنزال العسكري 247

3.الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر..... 255
ملخص الفصل:..... 263
الخاتمــة 264
قائمة المصادر والمراجع.....270
الفهارس العامة.....306
أولا: فهرس الجداول..... 307
ثانيا: فهرس الخرائط..... 307
الملاحــق.....320
فهــرس الموضوعـات.....344
ملخّــص الأطروحـــة.....

ملخّـص الأطروحـــة

الملخص:

يعالج مضمون هذه الأطروحة: «الرحلات الاستطلاعية للأوروبيين خلال القرنين (18–19 م) ودورها في التمهيد لاحتلال الجزائر »، فبعد انضواء الجزائر تحت الراية العثمانية، وتميّزها بجيش بحري قوي بات يهدّد مصالح الدول الأوروبية، عرفت توافدا للعديد من الرحالة الأوروبيين بمختلف جنسياتهم وتخصّصاتهم لاستطلاع الأوضاع الساحلية والداخلية، بُغية القضاء على حركة الجهاد البحري التي أفشلت أغلب الحملات الموجّهة ضدّها، واستكشافًا للأوضاع الداخلية والمناطق المختلفة للبلاد تيسيرًا للسيطرة عليها، وقد قمنا بذكر الأوضاع العامة لأوروبا خلال القرنين16م و17م لنبيّن دوافع التوجه خارج القارة، وذكرنا الأوضاع العامة لإيالة الجزائر التي كانت سببًا في توافد الرحلات لاستكشاف أرضها، وتناولنا ماهية وأهداف الرحلات الاستطلاعية الأوروبية خلال القرنين 18م و19م هذه الأخيرة التي اختلفت عن الرحلات التي سبقتها، في موضوعها ومعلوماتها وأهدافها وممهّدات تغلغها داخل التركيبة السكانية الجزائرية ومناطقها الشاسعة، وخلصنا أخيرا أن فرنسا في تنفيذ غزوها اعتمدت على المؤلفات والمذكّرات والرسائل والتقارير التي دوّنها وأرسلها الرحالة، بل إن رحلاتهم الاستطلاعية باختلاف الدولة المرسلة كانت أرضية احتلال الجزائر، إن لم تكن موجّهة في الأساس إلى استكشافها قصد تعزيز فُرص الاستيلاء عليها.

الكلمات المفتاحية:

الرحلات الاستطلاعية، الجزائر، العهد العثماني، الغزو الفرنسي، أرضية الاحتلال

Abstract:

Addresses the content of this Thesis: European Reconnaissance trips during the two centuries (18-19 M) and its role in preparing the ground for the occupation of Algeria, after Algeria's accession under the Ottoman banner, Distinguished by a strong naval army that threatens the interests of European States, I know of the presence of many European travellers of their various nationalities and specializations to explore coastal and internal situations. In order to eliminate the maritime jihad movement that has failed most of the

campaigns against it and exploring the country's various internal and regional situations to facilitate their control, and we have mentioned the general conditions of Europe during the 16th and 17th centuries to show the motives of the trend outside the continent And we mentioned the general conditions of Algeria's referral, which caused the flight to explore its land, We addressed what were the objectives and objectives of the European reconnaissance flights during the 18th and 19th centuries, which differed from those that preceded them. s population and its vast regions, Finally, in carrying out its invasion, France relied on literature, notes, letters and reports written and sent by travellers. even their reconnaissance Trips by the sending State were the ground of Algeria's occupation, if they are not primarily aimed at being explored with a view to enhancing opportunities for seizure.

Keywords:

Reconnaissance Trips, Algeria, Ottoman era, French invasion, Occupation ground